



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

موسوعة
الأذان بين الأصالة والتحرير

١

حكي على خير العمل

النبوية والشعرية

تأليف
السيد علي الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعة الاذان : اشهد ان عليا ولي الله في الاذان بين الشرعيه والابتداع

كاتب:

علي شهرستاني

نشرت في الطباعة:

اجتهاد

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
11	موسوعة الاذان المجلد 1
11	اشارة
11	اشارة
18	مقدمة المؤلف
24	بحوث تمهيدية
24	اشارة
34	الأذان لغة واصطلاحاً
36	تاريخ الأذان
38	بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة
52	أهل البيت وبدء الأذان
52	اشارة
52	الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت 40 هـ) :
53	الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام (ت 50 هـ) :
54	الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام (ت 61 هـ) :
55	محمّد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية ت 73 - 93 هـ) :
57	الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام (ت 94 هـ) وابنه زيد :
58	الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام (ت 114 هـ) :
61	الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام (ت 148 هـ) :
66	الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (ت 204 هـ) :
70	وقفه مع أحاديث الرؤيا
84	تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا
84	اشارة

97 المجتهدون الأوائل ودورهم في التشريع :

104 المجتهدون الأوائل والأذان !

107 الأمويّون والأذان

111 الأمويّون ورسول الله

120 الله جلّ وعلا ورفع له لذكر الرسول صلي الله عليه وآله

124 أهل البيت ورفع ذكر رسول الله

132 القدرة الإلهية وفشل المخططات

139 مَنْ هم الثلاثة أو الأربعة ؟

160 مطالبان

160 اشارة

162 1 - الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة ؟

162 اشارة

174 الأذان وآثاره في الحياة الاجتماعية

174 اشارة

174 الأذان والمولود

175 الأذان والعمم

175 الأذان والمرض

176 الأذان وسعة الرزق

176 الأذان ووجع الرأس

176 الأذان وسوء الخلق

177 الأذان وطرد الشيطان

177 الأذان والغول

178 2 - توقيفية الأذان

182 الخلاصة

186	الباب اول: حيّ عليّ خَيْرِ الْعَمَلِ الشرعية والشعرية
186	اشارة
190	الفصل الأول: في جزئية حيّ عليّ خير العمل
190	اشارة
194	القسم الأول: اتّفاق الفريقين علي أصل شرعيتها
194	اشارة
200	وقفقة مع الحديثين
203	مع ما رواه الطبراني والبيهقي عن بلال
208	مع ما رواه الحافظ العلوي عن بلال
210	مع ما رواه السري عن أبي محذورة
221	القسم الثاني: أذنين الصحابة وأهل البيت
221	اشارة
221	1 - بلال بن رباح الحبشي (ت 20 هـ)
222	2 - علي بن أبي طالب (ت 40 هـ)
229	3 - أبو رافع (كان حياً في عهد الإمام الحسن)
229	4 - عقيل بن أبي طالب (ت في خلافة معاوية)
229	5 - الحسن بن عليّ بن أبي طالب (ت 50 هـ)
230	6 - أبو محذورة (ت 59 وقيل 79 هـ)
234	7 - الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت 61 هـ)
235	8 - زيد بن أرقم (ت ما بين 66 إلي 68 هـ)
235	9 - عبدالله بن عباس (ت ما بين 68 إلي 70 هـ)
236	10 - عبدالله بن عمر (ت 73 وقيل 74 هـ)
244	11 - جابر بن عبدالله (ت 68 إلي 79 هـ)
245	12 - عبدالله بن جعفر (ت 80 وقيل 90 هـ)
245	13 - محمد بن عليّ بن أبي طالب (ت ما بين 73 - 93 هـ)

- 14 - أنس بن مالك (ت ما بين 91 إلى 93 هـ) 245
- 15 - عليّ بن الحسين بن عليّ (ت 94 هـ) 247
- 16 - أبو أمامة بن سهل بن حنيف (ت 100 هـ) 258
- 17 - محمّد بن عليّ الباقر (ت 114 هـ) 259
- 18 - زيد بن عليّ (ت 121 هـ) 261
- 19 - يحيى بن زيد بن عليّ (ت 125 هـ) 262
- 20 - محمّد بن زيد بن عليّ (لم تقف علي وفاته) 263
- 21 - محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب (ت 135 هـ) 263
- 22 - إبراهيم بن عبد الله بن الحسن (ت 145 هـ) 264
- 23 - جعفر بن محمّد الصادق (ت 148 هـ) 265
- 24 - الحسين بن عليّ صاحب فخّ (ت 169 هـ) 266
- 25 - موسى بن جعفر الكاظم (ت 183 هـ) 268
- 26 - عليّ بن موسى الرضا (ت 203 هـ) 268
- 27 - عليّ بن جعفر بن محمّد بن عليّ (ت 210 هـ) 268
- 28 - أحمد بن عيسى (ت 247 هـ) 269
- 29 - الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ (ت 260 هـ) 269
- القسم الثالث: إجماع العترة 271
- الفصل الثاني: حذف الشيعة وامتناع بلال عن التأذين ؟ 283
- الفصل الثالث: حيّ علي خير العمل دعوة إلى الولاية ، وبيان لأسباب حذفها 303
- إشارة 303
- بعض أدلّة الولاية 309
- عُود علي بدء 329
- ما وراء حذف الشيعة الثالثة 332
- الفصل الرابع: حيّ علي خير العمل تاريخها العقائدي والسياسي 344
- إشارة 344

- 356 زيد بن عليّ بن الحسين « 122 هـ »
- 357 يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين « 125 هـ »
- 357 إبراهيم بن عبدالله بن الحسن « 145 هـ »
- 357 الحسين بن عليّ (صاحب فخّ) « 169 هـ »
- 360 طبرستان (سنة 250 هـ)
- 364 حمص / مصر / بغداد (سنة 290 هـ)
- 370 الأندلس « ما بعد سنة 300 هـ »
- 370 حلب / مصر (سنة 347 هـ)
- 373 القاهرة (سنة 356 هـ)
- 374 القاهرة (سنة 358 هـ)
- 377 جامع ابن طولون / مصر (سنة 359 هـ)
- 379 دمشق (سنة 360 هـ)
- 382 حلب (سنة 367 هـ)
- 383 ملتان - الهند (قبل سنة 380 هـ)
- 384 مصر (سنة 393 هـ)
- 385 اليمامة (سنة 394 هـ)
- 386 المدينة / مصر (سنة 400 هـ)
- 388 بغداد (سنة 441 - 442 هـ)
- 389 بغداد (سنة 443 هـ)
- 392 بغداد (سنة 444 - 445 هـ)
- 393 بغداد (سنة 448 هـ)
- 396 بغداد (سنة 450 هـ)
- 398 مكة / حلب (سنة 462 هـ)
- 400 الشام (سنة 468 هـ)
- 402 مصر (سنة 478 هـ)

403	مصر (سنة 524 هـ)
407	حلب (سنة 543 هـ)
409	حلب (سنة 552 هـ)
410	مصر (سنة 565 هـ)
411	مصر (سنة 567 هـ)
411	حلب (سنة 570 هـ)
413	مكة (سنة 579 هـ)
413	مكة (سنة 582 هـ)
414	مكة (سنة 617 هـ)
414	مكة (سنة 702 هـ)
414	إيران (سنة 707 هـ تقريباً)
415	المدينة [القرن الثامن]
415	القطيف (سنة 729 هـ)
416	مكة (سنة 793 هـ)
416	صنعاء (سنة 900 هـ تقريباً)
417	حضر موت (سنة 1070 هـ)
418	نجد (سنة 1224 هـ)
419	النتيجة
432	الخلاصة
432	إشارة
434	وفي الختام
435	ثبت المصادر
532	الفهرس
543	تعريف مركز

سرشناسه : شهرستاني، سيدعلي، 1337-

Shahrastani, Ali

عنوان و نام پديدآور : موسوعة الاذان : اشهد ان عليا ولي الله في الاذان بين الشرعيه والابتداع/ تاليف علي الشهرستاني.

مشخصات نشر : قم: الاجتهاد، 1430ق.= 2009م.= 1388.

مشخصات ظاهري : 592 ص.

شابك : 6-19-5331-600-978

وضيقت فهرست نويسي : برون سپاري.

يادداشت : عربي.

يادداشت : بالاي عنوان: التشريع و ملابسات الاحكام عندالمسلمين موسوعه الاذان.

يادداشت : كتابنامه: ص. [525] - 588؛ همچنين به صورت زيرنويس.

موضوع : اذان و اقامه

موضوع : اذان و اقامه -- شهادت ثالته

رده بندي كنگره : BP186/3/ش87الف5 1388

رده بندي ديويي : 297/353

شماره كتابشناسي ملي : 1634852

وضيقت ركورد : ركورد كامل

ص: 1

حَيِّ عَلِيَّ خَيْرِ الْعَمَلِ

الشَّرْعِيَّةُ وَالشُّعَارِيَّةُ

السَّيِّدُ عَلِيُّ الشَّهْرِسْتَانِيَّ

ص:3

بسم الله الرحمن الرحيم

إلي من آمن بالله والناس مشركون .

إلي من تحمّل كلّ شيء من أجل الرسول والرسالة .

إلي من صبر علي أذي قريش وهو يقول : أحد ، أحد .

إلي من رفع نداء التوحيد وحطّم بتكبيره شوكة قريش .

إلي من لم يؤذّن لأحد بعد رسول الله إلّا للزهراء والحسنين .

إلي من أبعد أو ابتعد عن مجريات الأحداث بعد رسول الله صلي الله عليه وآله .

إلي من وقف أمام التحريف داعياً إلي الأصالة .

إلي مؤذّن رسول الله ومحبّ عترته وآل بيته .

إلي الصحابيّ الجليل بلال الحبشيّ رضوان الله تعالى عليه .

أهدي دراستي هذه .

مقدمة المؤلف

مرّ الفقه الإسلامي بمراحل وأدوار متعددة، وكُتِبَ بأساليب ورؤي مختلفة، وطبق مناهج خاصة لفقهاء الإسلام، فالبعض أجمل فيه، والآخر فصّل، وثالث عُني بذكر الأدلّة، ورابع بتكثير الفروع، وخامس بمسائل الخلاف، وسادس بفقّه الوفاق، واهتمّ غيرهم بجوانب أُخري منه .

وقد دُوّنت تلك المصنّفات تارة أصلاً وممتناً، وأُخري تعليقاً وشرحاً، وثالثة نظماً وشعراً، وغير ذلك .

وقد اختطّطت منهجاً بين تلك المناهج، مسلّطاً الضوء علي العلل والأسباب التي أدّت إلي اختلاف المسلمين في الأحكام الشرعيّة، موضّحاً فيه ملابسات التشريع، غير مُتناس لمنهج الأقدمين في دراسة الفروع، آخذاً بنظر الاعتبار ما يلائم عقليّة المسلم المعاصر من التعرّف علي جذور الخلاف وأسبابه .

فالفقيه لو جمع إلي أدلّته القرآنيّة والحديثيّة شيئاً من تاريخ التشريع وملابسات الأحكام الشرعية لا تّضح للسامع والقارئ حقائق كثيرة في هذا السياق . وكذا المؤرّخ عليه أن يدرس الأحداث دراسة تحليلية استنباطية كما يفعل الفقيه بالأحاديث، وأن لا يكتفي بنقل البلاذري والطبري والواقدي وابن سعد وغيرهم من أعلام المؤرّخين .

وقد أوضحنا بعض معالم منهجنا في مقدمة كتابنا (وضوء النبي) وأكدنا علي ضرورة دراسة المتن والسند معاً ، مع بيان الجذور السياسية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية للأحداث ، وأن لا يكتفي المؤرّخ أو الفقيه بواحد منها دون الآخر ؛ لأن اتّخاذ أحد الأسلوبين (القديم أو الجديد) ربما لا- يقنع المطالع وخصوصاً في القضايا الخلافية، فالبحوث الإسنادية مثلاً هي بحوث تخصصية بحتة لا يستسيغها الأكاديمي (الجامعي) ، وقد تثقل علي مسامع غير المتخصّصين . وكذلك الحال بالنسبة إلي البحوث التاريخية التشريعية ، فربما لا يري الطالب الحوزوي والأزهري كثير فائدة في طرحها ، ومن هنا سَعِينَا أن نجمع - في دراساتنا - بين الأسلوبين ، كي نخاطب أكبر عدد ممكن من القراء الأعزاء ، مبسطين العبارة والفكرة بقدر المستطاع . وأشرنا إلي بعض أهدافنا صراحةً بالقول :

لقد انتهجنا هذا الأسلوب في دراستنا واتّبعاها لا لشيء إلا لتطوير وإشاعة مثل هذه الدراسات في معاهدنا العلمية وجامعاتنا الإسلامية ، علي أمل تعاون المعنّيين معنا في ترسيخ هذه الفكرة وتطويرها ، وأن لا يدرسوا الفقه دراسة إسنادية متنبية فقط دون معرفة ملابسات الحكم التاريخية والسياسية ، ونري في طرح مثل هذه الدراسات رُقياً للمستوي الفقهي والأصولي لدي المذاهب الإسلامية ، وتقريباً لوجهات النظر بين المسلمين ، وترسيخاً لروح الانفتاح فيهم ، ومحاولة للقضاء علي مختلف النزعات العاطفية وإبعادها عن مجالات البحث العلمي ، وعدم السماح لتحكّم الخلفيات الطائفية ، والرواسب الذهنية في هذه البحوث العلمية النظرية .

ولو اتبعنا مثل هذا الأسلوب في جميع أبواب الفقه لوصلنا إلي حقيقة الفقه الإسلامي من أيسر طرقه وأسلمها ، ولوقفنا علي تاريخ التشريع وملايساته ، ولا تضحّت لنا خلفيات صدور بعض الأحكام ، وعرفنا حكم الله الواحد الذي ينشده الجميع .

ومما يجب التأكيد عليه أنّ مشروعنا سيطبّق - إن شاء الله تعالى - في إطارين :

1 - الإطار التأسيسي .

2 - الإطار التطبيقي .

ولنا دراسات عن السنّة النبوية ، والقراءات القرآنية ، والنسخ وأساسيات نقاط الافتراق بين المذاهب الإسلامية كالعصمة ، والقياس ، والاستحسان وسواها .

وقد قدّمنا سابقاً بعض النماذج التطبيقية للفكرة ، فكان (وضوء النبيّ) هو الأول ، ثمّ أردفناه بالأذان ، آمليّن أن نُلحق به الصلاة والحجّ والزكاة وغيرها بإذن الله تعالى .

ولا نقصد من عملنا هذا إعطاء وجهة نظر فقهيّه خاصّة بنا ، بل كانت تلك الدراسات بياناً لكليّات عقائدية تاريخية فقهية ينبغي أن يعرفها ويتعرّف عليها كلّ مسلم غير جامد علي منهج خاصّ ونسق معروف عند طبقة خاصّة من الفقهاء والمؤرّخين والكتّاب .

وقد عنيتُ في عملي هذا برفع الغامض وحلّ المبهم من المسائل ، وأردت أن أنتقل بالقارئ الكريم إلي واحات العلم ، وميادين المعرفة ، من غصن إلي غصن ، ومن فنن إلي فنن علي شجرة المعرفة لنقنطف من الثمار أحلاها ... من الفقه ، إلي التفسير ، إلي التاريخ ، إلي الرجال ، إلي الحديث ، إلي اللغة ، وإلي كلّ شيء يمتّ للبحث بصلة .

فالغاية من دراستنا اذاً هي بيان كليات وأمهات المسائل لا جزئياتها وسننها ومستحباتها، فلا تعني بحوثنا بمثل فضل الأذان والمؤذن، أو جواز أذان المرأة والصبي وعدمهما، أو جواز إعطاء الأجرة علي الأذان أم لا، وغيرها من عشرات المسائل المطروحة.

وكذلك ما يتصل بالوضوء، فلم تكن الدراسة متجهة إلي البحث عن الأسباب والموجبات والنواقض والمستحبات، بل متجهة إلي بيان حدود الأعضاء المغسولة والممسوحة، وكيفية وضوء رسول الله صلي الله عليه وآله.

وهكذا الحال بالنسبة إلي دراستنا اللاحقة - إن وفق الله لإتمامها - فهي بحوث عن الكليات والأمهات لا عن التشعبات والتفريعات وما يتعلّق بالآداب والسنن.

هذا، وقد جعلت دراستي عن الأذان عما هو الأصيل منه والمحرّف، فجاءت في ثلاثة أبواب.

الباب الأول: «حيّ علي خير العمل» الشرعية والشعرية.

الباب الثاني: «الصلاة خير من النوم» شرعة أم بدعة؟

الباب الثالث: «أشهد أن علياً وليّ الله» بين الشرعية والابتداع.

وقدمت لهذه الأبواب ببعض البحوث التمهيدية، كالأذان لغة واصطلاحاً، وكبيان ما قاله أهل السنّة والجماعة بمذاهبهم الأربعة، والشيعية - بفرقها الثلاث - في بدء الأذان، ثم كانت لنا وقفه مع أحاديث الرؤيا، ثم تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا.

منبهاً القارئ الكريم علي أن هذه الدراسة هي مواضيع مترابط بعضها ببعض ترابطاً وثيقاً، فلا يمكن فهم مكانة الشهادة الثالثة في الأذان إلا بعد قراءة «حيّ علي خير العمل».

ونظير هذا ما يتعلق بالحيلة الثالثة « حيّ علي خير العمل » ، فإن معناها لا يتّضح كاملاً إلا بعد قراءة الشهادة الثالثة « أشهد أن علياً وليّ الله » .

أمّا « الصلاة خير من النوم » فهي الجدار الحائل بين البابين ، والموضح لأسرار محاربة شرعية وشعارية الشهادة والحيلة الثالثتين .

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين

Email: info@shahrestani.org

<http://www.shahrestani.org>

بحوث تمهيدية

إشارة

1 الأذان لغة واصطلاحاً

1 تاريخ الأذان

1 بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة

1 أهل البيت وبدء الأذان

1 وقفة مع أحاديث الرؤيا

1 تحقيق فيما وراء نظرية الرؤيا

1 الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة؟

1 الأذان وآثاره في الحياة الاجتماعية

الأذان نعمة الوحي في سماء الدنيا، يُرْتَلُّها المؤذّن أثناء الليل وأطراف النهار، داعياً عباد الله إلى عبادته جلّ شأنه، ناطقاً بالحقيقة الخالدة، معلناً حقائق الدين الحنيف بكلّ صراحة ووضوح، مُذَكِّراً بحلول وقت مناجاة الربّ الكريم، والدخول في حضرة الجليل .

كلمات تهزّ المشاعر والعواطف وتشدّ الأرواح إلى مالکها الذي إليه الرُّجعي وإليه المصير .

أسماء مباركة تردّها شفاه المؤمنين، فتزيد المؤمن إيماناً، والكافر عناداً وخسراناً .

إنّه دعوة الرحمن أوليائه إلى الطاعة والرحمة والمغفرة، وهو نداء ملائكة السماء، وأنشودة المؤمنين إلى قيام يوم الدين .

وما أن يتمّ المؤذن نداءه للظهر والعصر، حتّى يحلّ الغروب وظلام الليل، وإذا بتراتيل الإسلام :

أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله .

أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله تعلقوا من المآذن .

فالأذان حينذاك إعلام لإقامة الصلاة في غسق الليل ، وما أن يتم المؤمن صلاته ومناجاته مع ربه حتى ينصرف إلى الرقاد ، وإذا بالصبح يطلع عليه بفجره الصادق هاتفاً المؤذن فيه باسم الربّ الجليل وباسم الرسول الأمين تارة أخرى :

أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله .

أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .

ليقيم ما أمر به الله في كتابه { أقم الصلاة لِدُلُوكِ

الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقِرَانَ الْفَجْرِ إِنْ قَرَآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } (1).

**

*

والأذان من السنن المؤكّدة التي حثّ عليها الشارع المقدّس ، وهي دعوة الخالق لعباده إلى الدخول في أجواء رحابه المباركة اللامتناهية فرادي أو مجتمعين ، متراصّين متحابّين ، مؤمنين ، في زمان معيّن ومكان واحد ، وباتّجاه محور وقبلة واحدة ، يرهبون باجتماعهم أعداء الله وجند إبليس .

إنّه إذاً من أعظم الشعائر الإسلاميّة ؛ لكونه دعوة الحيّ القيوم لتنبية الغافلين وإيقاظ النائمين وتذكير الناسين ، بل هو من مصاديق قوله جلّ شأنه : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (2) .

ولعلّ من الغرابة بمكان أن نرى وقوع الاختلاف في أمر بديهيّ وإعلاميّ كالأذان الذي ينادي به مؤذّنو المسلمين في كلّ يوم وليلة عدّة مرات - علي اختلاف السنة الناس - بلسان عربيّ مبين ، ومن علي المآذن وبصوت عال يسمعه الجميع .

1- الإسراء : 78 .

2- فصّلت : 23 . وانظر في ذلك الحاوي الكبير للماوردي 2 : 40 .

فنتساءل عن سبب الاختلاف والتنازع في فصول هذه الشَّعيرة الإسلاميَّة؟ ولماذا يكون اختلاف في مثل هذه المسألة بين المذاهب الإسلاميَّة؟

بل لماذا تذهب الشافعيَّة إلى تربع التكبير بخلاف المالكيَّة القائلة بتشبيته؟

وهل هناك أمور خفيَّة وراء اختلافهم في أفراد أو تشنية الإقامة؟!

وهل حقاً أنّ هناك تثويباً (1) أوّلاً وتثويباً ثانياً؟

وهل يجب أن يؤتي بالتثويب في أثناء فصول الأذان ، أم بعدها قبل الإقامة؟ بل ما هو المعني بالتثويب؟ هل هو: « الصلاة خير من النوم » أو « قد قامت الصلاة » أو: « حيّ علي خير العمل » أو هو شيء آخر؟

ثمّ لماذا اختلفت رواية عبدالله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة الأنصاري في الأذان (2) عن رواية أبي محذورة القرشي؟

ولماذا تجيز المذاهب الأربعة الأذان قبل الوقت لصلاة الفجر خاصّة ، مع تأكيدهم المبرم علي عدم جواز ذلك في سائر الأوقات المعينيّة؟ وكيف يمكن تصحيح خبر تأذين ابن أم مكتوم الأعمي للفجر ، وتضعيفهم لروايات صحيحة أخرى تطابق العقل والشرع في أنّه كان يؤذّن بالليل وفي شهر رمضان خاصة؟

بل كيف يقولون بتأذين ابن أم مكتوم مع قولهم بكراهة تأذين الأعمي؟

1- التثويب من ثاب يثوب ، ومعناه : العود إلي الإعلام بعد الإعلام ، كقول المؤدّن (حيّ علي الصلاة) ، فإنّه يعود ويرجع إلي دعوته تارة أخرى فيقول (قد قامت الصلاة) أو (الصلاة خير من النوم) أو (الصلاة الصلاة يرحمك الله) أو أيّ شيء آخر . وقالوا عن (الصلاة خير من النوم) إنّهُ التثويب الأوّل ، وما يقوله المؤدّن بعد الأذان مثل (السّلام عليك أيّها الأمير ، حيّ علي الصلاة) وأمثاله إنّهُ التثويب الثاني .

2- انظر صفحة 29 - 34 .

أضف إلي ذلك كله أنه ما الداعي إلي اختلاف أذان أهل مكة عن أذان أهل المدينة ، واختلاف الأذنين عن أذاني أهل الكوفة وأهل البصرة؟ ولماذا يختلفون فيما هو - واللفظ لابن حزم - « منقول نقل الكافة بمكة وبالمدينة وبالكوفة ، لأنه لم يمر بأهل الإسلام يوم إلا وهم يؤذنون فيه في كل مسجد من مساجدهم خمس مرّات فأكثر ، فمثل هذا لا يجوز أن يُنسي ولا أن يُحرّف » (1).

فلماذا نُسي أو حرّف هذا الأذان واختلف فيه بين مصر وآخر؟

ولو صحّ ما قاله ابن حزم - من صحّة جميع منقولات الأذان علي اختلافها - عند جمعه بين الوجوه في الأذان ؛ فكيف يمكننا أن نوقّق بين وحدة الشريعة وبين تعددية الأذان؟ فهل كان رسول الله قد صحّح الجميع؟ أم وقع في الأذان تغيير يشهد به إحداث عثمان بن عفان للأذان الثالث يوم الجمعة (2)؟ .

قال ابن حزم جامعاً بين كلّ تلك الوجوه :

« ... كلّ هذه الوجوه قد كان يُؤذّن بها علي عهد رسول الله بلا شكّ ، وكان الأذان بمكة علي عهد رسول الله يسمعه عليه السلام إذا حجّ ، ثمّ يسمعه أبو بكر وعمر ، ثم عثمان بعده عليه السلام ... فمن الباطل الممتنع المحال الذي لا يحلّ أن يظنّ بهم أنّ أهل مكة بدّلوا الأذان وسمعه أحد هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم ، أو بلغه والخلافة بيده فلم يغيّر ...

وكذلك فُتحت الكوفة ونزل بها طوائف من الصحابة رضي الله عنهم ، وتداولها عمّال عمر بن الخطاب ، وعمّال عثمان رضي الله عنهما ، كأبي موسى الأشعري ، وابن مسعود ، وعمّار ، والمغيرة ،

1- المحلّي لابن حزم 3 : 153 .

2- انظر : تحفة الأحوذى 3 : 41 / أبواب الجمعة - باب ما جاء في أذان الجمعة ؛ عون المعبود 3 : 302 .

وسعد بن أبي وقاص . ولم يزل الصحابة الخارجون عن الكوفة يؤذنون في كل يوم سفرهم خمس مرات ، إلي أن بنوها وسكنوها ، فمن الباطل المحال أن يُحال الأذان بحضرة من ذكرنا ويخفي ذلك علي عمر وعثمان أو يعلمه أحدهما فيقرّه ولا ينكره .

ثم سكن الكوفة علي بن أبي طالب إلي أن مات ، وأنفذ العمّال من قبله إلي مكّة والمدينة ، ثم الحسن ابنه رضي الله عنه إلي أن سلّم الأمر لمعاوية ، فمن المحال أن يُغيّر الأذان ولا ينكر تغييره علي ولا الحسن ، ولو جاز ذلك علي علي لجاز مثله علي أبي بكر وعمر وعثمان ، وحاشا لهم من هذا فما يظنُّ هذا بهم ولا بأحد منهم مسلّم أصلاً .

فإن قالوا : ليس أذان مكّة ولا أذان الكوفة نقل كافة .

قيل لهم : فإن قالوا لكم : بل أذان أهل المدينة ليس هو نقل كافة ، فما الفرق ؟

فإن ادّعوا في هذا محالاً ادّعي عليهم مثله .

فإن قالوا : إن أذان أهل مكّة وأهل الكوفة يرجع إلي قوم محصور عددهم .

قيل لهم : وأذان أهل المدينة يرجع إلي ثلاثة رجال لا أكثر ، مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب فقط ، وإثما أخذه أصحاب هؤلاء عن هؤلاء فقط .

فإن قالوا : لم يختلف في .. «(1)» .

إلي غيرها من عشرات الأسئلة التي طرحها ابن حزم وسعي لرفعها ، لكن المشكلة بقيت كما هي ، فما الذي تكتنفه هذه المسألة من الملابس إذا ؟

وهل يُعدّ هذا الاختلاف حقاً من الاختلاف المسموح به في الشريعة، أم أنّه شيء آخر؟ .

بل لم اشتدّ أوار النزاع بين المسلمين في أمور بديهية، كالوضوء والأذان - مثلاً - وهما من الأمور العبادية التي يؤدّيها كلّ مسلم عدّة مرّات في اليوم واللييلة؟

قال ابن حزم: « أربعة أشياء تنازع الناس فيها: الوضوء، والأذان، والإقامة، والطواف بالبيت »(1).

وهل يمكن جعل معيار الاختلاف في الأذان بمثابة الاختلاف في تعيين المُدّ والصاع والوسق الذي يُختلف فيه بين منطقة وأخرى، أو يُغيّر - أي يُحدّث فيه - من قبل الأمير والخليفة لحاجة له فيه؟

كلا « ليس هذا من المدّ والصاع والوسق في شيء، لأنّ كل مدّ أو قفيز أحدث بالمدينة والكوفة قد عُرف، كما عُرف بالمدينة مدّ هشام الذي أحدث، والمدّ الذي ذكره مالك في موطنه: أن الصاع هو مدّ وثلاث بالمدّ الآخر، وكمدّ أهل الكوفة الحجاجي، وكصاع عمر بن الخطّاب. ولا حرج في إحداث الأمير أو غيره مدّاً أو صاعاً لبعض حاجته، وبقي مدّ النبيّ وصاعه ووسقه منقولاً إليه نقل الكافة إليه »(2)!

فكيف يختلفون في الأذان إذاً، فيذهب بعضهم إلي أنّه شرّع في السماء، ويقول الآخر أنّه شرّع بعد رؤيا رآها صحابيٌّ أو عدد من الصحابة؟

وهل يصحّ تشريع العبادة بمنام يراه أحد الناس، أم أنّ تشريعها يجب أن يكون بوحي من الله؟

1- المحلّي لابن حزم 3: 161 ضمن بحثه عن جواز التقديم والتأخير في الأذان والإقامة وعدمه .

2- المحلّي لابن حزم 3: 156 - 157 .

وكيف يسوغ تشريع الأذان أستناداً إلي رؤيا رآها عبدالله بن زيد بن عبد ربه في منامه ، أو ركوناً إلي اقتراح الصحابة(1) ، ويرجح هذا الفهم وهذه الرؤية علي أن يكون تشريع الأذان من الحكيم العليم ؟

ألا تحمل هذه الرؤية نَيْلاً من قدسية الأمور العبادية الإلهية ، وتقلل من منزلتها المعنوية؟!

ثم مَنْ هو الذي رأى في المنام ، هل هو : عبدالله بن زيد(2) ؟ أو : عمر ابن الخطاب(3) ؟ أو : أبو بكر(4) ؟ أو : أبي بن كعب(5) ؟ أو : سبعة من الصحابة(6) ؟ أو : أربعة عشر منهم(7) ؟ أو أكثر من هذا العدد أو أقل ؟

وكيف يراه هؤلاء ولا يراه النبي المرسل الصادق الرؤيا بلا شك وريب ؟

وماذا تقول عن : « الصلاة خير من النوم » و : « حيّ علي خير العمل » ؟ وهل ثمة ترابط بين رفع « حيّ علي خير العمل » ووضع « الصلاة خير من النوم » ؟ أم أنّ الأمر جاء بشكل عفوي دون تدبير؟!

-
- 1- سنن أبي داود 1 : 134 كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح 498 ، مصنف عبدالرزاق 1 : 456/1775 كتاب الصلاة باب بدء الأذان .
 - 2- هو المشهور عند أهل السنة والجماعة ، وفيه روايات كثيرة .
 - 3- سنن أبي داود 1 : 134 كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح 498 . السنن الكبرى للبيهقي 1 : 390 .
 - 4- مجمع الزوائد 1 : 329 كتاب الصلاة باب بدء الأذان ، جامع المسانيد 1 : 299 ، تفسير القرطبي 6 : 225 المائدة الآية 58 . شرح الزرقاني علي الموطأ 1 : 136 عن الاوسط للطبراني .
 - 5- علل الشرائع : 312 ح 1 وعنه في بحار الأنوار 81 : 354 .
 - 6- المبسوط للسرخسي 1 : 128 كتاب الصلاة باب بدء الأذان .
 - 7- السيرة الحلبية 2 : 300 باب بدء الأذان ومشروعيتها . وفتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين للمليباري المطبوع في هامش حاشية اغاثة الطالبين 1 : 330 ، وشرح الزرقاني علي موطأ مالك 1 : 136 .

وإذا كان الأمر عفوياً، فلماذا نري أن من يقول بشرعية «حي علي خير العمل» لا يقول بشرعية «الصلاة خير من النوم»، ومن يقول بشرعية «الصلاة خير من النوم» يرفع «حي علي خير العمل» من الأذان؟

وهل أنهما شرعيان؟ أم أن أحدهما شرعي والآخر بدعي؟ فأيهما الشرعي وأيها البدعي إذاً؟

وما هو حكم الشهادة الثالثة التي تقول بها الشيعة الإمامية «أشهد أن علياً وليّ الله»، فهل هي من الشرع أم أنها بدعة؟

وما هو عدد التكبيرات في أول الأذان، أهى أربع تكبيرات أو تكبيرتان؟

ثم ما هي خاتمة الأذان، هل هي «الله أكبر» أو «لا إله إلا الله»؟

وهل أن الأذان بيان لأصول العقيدة وكلّيات الإسلام من: التوحيد، والنبوة...، أم أنه مجرد إعلام لوقت الصلاة خاصة؟

ولماذا الاختلاف في أمر بديهي وإعلامي كهذا؟

تري، هل نشأ هذا الخلاف في عصر الصحابة الذين يقال عن قرنهم إنه خير القرون، أو حدث في عهد التابعين وتابعي التابعين ومن تلاهم؟ وهل ثمة ملاسبات لهذه الأمور في الصدر الأول؟ أم أنها جاءت في العصور اللاحقة؟!

لقد نقل الصنعاني كلام بعض المتأخرين - وهو يسعي لرفع الخلاف في ألفاظ الأذان - بقوله:

« هذه المسألة من غرائب الوقعات يقلّ نظيرها في الشريعة، بل وفي العبادات؛ وذلك أنّ هذه الألفاظ في الأذان والإقامة قليلة محصورة معيّنة يُصاح بها في كلّ يوم وليلة خمس مرّات في أعلي مكان، وقد أمر كلّ سامع أن يقول كما يقول المؤذّن، وهم خير القرون، في غرة الإسلام، شديداً والمحافظة علي الفضائل، ومع هذا كلّ لم يذكر

خوض الصحابة ولا التابعين واختلافهم فيها، ثم جاء الخلاف الشديد من المتأخرين، ثم كل من المتفرقين أدلي بشيء صالح في الجملة وإن تفاوت «(1)» .

تري ما مدي مصداقية هذا الكلام وقربه من الواقع؟ وهل من الصحيح أنّ الصحابة لم يختلفوا في الأذان كما ادّعي هذا القائل من المتأخرين؟! بل هل يصحّ ما قاله ابن حزم عن الصحابة، كما مرّ بنا قبل قليل (2)؟ .

للإجابة عن أهمّ الملاحظات والتساؤلات، لا بدّ من البحث وتنقيح المطالب ووضع النقاط علي الحروف، فنقول مستعينين بالله سبحانه وتعالى:

الأذان لغة واصطلاحاً

من المفيد قبل البدء في تفاصيل هذه الدراسة أن نتعرّف علي المعني اللغويّ والمفهوم الاصطلاحي للأذان، وبيان تاريخ تشريعه وما قيل في الملاحظات الدائرة حوله .

الأذان في اللغة، هو: مطلق الإعلام ومنه اذني فلان: أي أعلمني، قال المقداد السيوري: وهو لغة إما من الإذن بمعني العلم أو الإذن بمعني الإجارة، وعلي كلا التقديرين أصله الإيدان كالأمان بمعني الإيمان والعطاء بمعني الاعطاء . وقيل إنّه فعال بمعني التفعيل كالسلام بمعني التسليم، والكلام بمعني التكليم، فأذن المؤذن حينئذٍ بمعني التأذين وهو أقرب، ومنه قوله تعالى: { أَذِّنْكُمْ عَلَي سَوَاءٍ } أي أعلمتكم علي سواء (3) .

1- سبل السلام 1 : 122 .

2- مرّ في صفحة 18 - 20 .

3- كنز العمال 1 : 112، وانظر فقه القرآن للراوندي 1 : 99.

وفي الشرع : الإعلام والنداء للفریضة الواجبة - الصلاة - بفصول معهودة في أوقات مخصوصة ، قال تعالی : { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } (1) .

وقال جلّ جلاله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (2) .

وقال عزّ من قائل : { رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا } (3) .

وقد وردت لفظة الأذان بمعناها اللغوي في الذكر الحكيم ، كما في قوله تعالی : { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ... } (4) ، وقوله : { وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ... } (5) وغيرها من الاستعمالات الكثيرة الدالة علي معني الإعلام والنداء .

منبهين القارئ الكريم علي أن الأذان وإن كان إعلاماً للفریضة الواجبة ، إلا أنه يحمل في طياته جوانب أُخري وفوائد كثيرة للمراء المسلم ، سنذكر بعضاً منها ، ممّا يؤكد لنا أن الأذان ليس إعلاماً محضاً للصلاة ، بل هو فصول لها أكثر من واقع في الحياة الإسلامية ، تجمّع تحت ألفاظها معاني الإسلام وأصوله وعقيدته .

1- المائدة : 58 .

2- الجمعة : 9 .

3- آل عمران : 193 .

4- الحجّ : 27 .

5- التوبة : 3 ولنا تحقيق في هذه الآية سنذكره في الباب الثاني « الصلاة خير من النوم » إن شاء الله .

تاريخ الأذان

هناك أقوال متعددة ومتفاوتة في تاريخ تشريع الأذان من حيث الزمان والمكان :

أحدها : تشريعه في الإسراء والمعراج ، حيث أذن جبرئيل وأقام ، ثم صَلَّى رسول الله صلي الله عليه وآله بالأنبياء(1) .

ثانيها : تشريعه بمكة قبل الهجرة(2) .

ثالثها : تشريعه في المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة(3) ، وذلك بعد بناء النبي صلي الله عليه وآله مسجده المبارك ، وهذا القول هو المشهور عند أهل السنة والجماعة .

رابعها : تشريعه في السنة الثانية للهجرة(4) .

خامسها : أن جبرئيل أوّل مَنْ أذن به في السماء(5) ، لكنّ تشريعه في الأرض جاء بعد دخول رسول الله صلي الله عليه وآله المدينة .

1- مجمع الزوائد 1 : 328 ، الأوسط للطبراني 10 : 114 ح 9243 ، نصب الراية 1 : 260 ، السيرة الحلبية 2 : 93 .

2- قال ابن عابدين في حاشية ردّ المحتار 1 : 413 : في حاشية الشبراملسي علي شرح المنهاج للرملي عن شرح البخاري لابن حجر إنّه وردت أحاديث تدلّ علي أنّ الأذان شرّع بمكة قبل الهجرة : منها للطبراني أنّه لما أُسري بالنبي صلي الله عليه وآله أُوحى إليه الأذان فنزل به فعلمه بلالاً ، وللدارقطني في الأفراد من حديث أنس أنّ جبرئيل أمر النبي صلي الله عليه وآله بالأذان حين فُرِضت الصلاة ... الخ . وانظر فتح الباري 2 : 94 كذلك وشرح الزرقاني 1 : 136 .

3- صحيح ابن خزيمة 1 : 190 ، السيرة الحلبية 2 : 93 . حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي علي تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيثمي 1 : 459 . وشرح الزرقاني علي موطأ مالك 1 : 135 .

4- انظر : فتح الباري 2 : 62 للعسقلاني وفي فتح الباري لابن رجب 3 : 407 وبعد ان اتى برواية معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال : ففي هذه الرواية ان الأذان كان بعد صرف القبلة إلي الكعبة وكان صرف القبلة إلي الكعبة في السنة الثانية . وقد روي فاستبدل به علي ان الأذان انما شرع بعد غزوة بدر بعد صرف القبلة يسير .

5- وسائل الشيعة 5 : 439 ح 7028 عن عيون أخبار الرضا عليه السلام 2 : 238 .

بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة

هناك نقولات وأقوال مختلفة في بدء الأذان وكيفية، مذكورة في الصحاح والسنن، المشهور منها - الذي قد استقرّ عليه رأيهم - أنه قد شرّع في المدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة المباركة، علي أثر منام رآه بعض الصحابة، وإليك أهمّ تلك الأقوال:

1 الأول:

تشريعه باقتراح من الصحابة، وخصوصاً عمر بن الخطاب:

* أخرج البخاريّ ومسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم - والنصّ للأول - عن عبدالله بن عمر، أنه قال: كان المسلمون حين قدّموا المدينة يجتمعون، فيتحنّون الصلاة، ليس يُنادي لها، فتكلّموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتّخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصاري، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولاً تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله: يا بلال! قم فنادِ بالصلاة (1).

* قال ابن خزيمة في صحيحه في باب « ذكر الدليل علي أنّ بدء الأذان إنّما كان

1- صحيح البخاري 1: 306 كتاب الأذان باب بدء الأذان ح 570، صحيح مسلم 1: 285/1، سنن الترمذي 1: 362 - 363 أبواب الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان ح 190، سنن النسائي 2: 2 - 3 كتاب الأذان باب بدء الأذان، مسند أحمد 2: 148، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب.

بعد هجرة النبي إلي المدينة ، وأنّ صلاته بمكة إنّما كانت من غير نداء لها ولا إقامة » : « قال أبو بكر ، في خبر عبدالله بن زيد : كان رسول الله حين قدّم المدينة إنّما يجتمع الناس إليه للصلاة بحين مواقيتها بغير دعوة » (1).

وهذا الرأي يشير إلي أن الأذان شرّع بالمدينة وإن كانت الصلاة قد شرّعت بمكة :

قال ابن المنذر : هو [صلي الله عليه وآله] كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلي أن هاجر إلي المدينة وإلي أن وقع التشاور (2) .

لكن السيوطي في الدرّ المنثور - ضمن تفسير قوله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا } - روي عن عائشة أنّها قالت : ما أري هذه الآية نزلت إلّا في المؤذنين (3) . وهذه الآية مكّية (4) .

ثمّ علّق الحلبي في سيرته علي هذا بقوله : والأذان إنّما شرّع في المدينة فهي ممّا تأخر حكمه عن نزوله (5) .

وقد سئل الحافظ السيوطي : هل ورد أن بلالاً أو غيره أذن بمكة قبل الهجرة ؟ فأجاب بقوله : ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يُعتمد عليها ، والمشهور الذي صحّحه أكثر العلماء ودلّت عليه الأحاديث الصحيحة أن الأذان شرّع بعد الهجرة وأنّه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره (6) .

هذا ، وإن النووي بعد أن أتى بخبر ابن عمر الدالّ علي مشاورة الرسول

1- صحيح ابن خزيمة 1 : 190 كتاب الصلاة باب الأذان والإقامة ح 365 .

2- السيرة الحلبيّة 2 : 296 .

3- الدرّ المنثور 5 : 364 ، المصنّف لابن أبي شيبة 1 : 204 ، باب في فضل الأذان وثوابه ح 2347 .

4- انظر : تفسير القرطبي 15 : 360 ، وتفسير الثعالبي 5 : 139 .

5- السيرة الحلبيّة 2 : 297 .

6- السيرة الحلبيّة 2 : 296 .

للصحابه ، تساءل عن هذه المشاورة هل هي واجبة علي رسول الله أم لا؟! فقال : « ... واختلف أصحابنا ، هل كانت المشاورة واجبة علي رسول الله أم كانت سنّة من حقّه كما في حقنا؟ والصحيح عندهم وجوبها ، وهو المختار .

قال الله تعالى : {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} (1)، والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو أهل الأصول أنّ الأمر للوجوب ، وفيه أنّه ينبغي للمتشاورين أن يقول كلّ منهم ما عنده ، ثمّ صاحبُ الأمر يفعل ما ظهرت له مصلحة ، والله أعلم(2) .

I الثاني :

جاء تشريع الأذان بعد منامات رآها بعض الصحابة :

* أخرج أبو داود بإسناده عن أبي عمير بن أنس ، عن عُمومة له من الأنصار ، قال : « اهتّم النبي للصلاة كيف يجمع الناس لها ؛ ف قيل : انصب رايةً عند حضور الصلاة ، فإذا رآها أذن بعضهم بعضاً ، فلم يعجبه ذلك ، فذكر له القنع - يعني الشبور ، وقال زياد : شبور اليهود - فلم يعجبه ذلك ، وقال : هو من أمر اليهود .

قال : فذكر له الناقوس ، فقال : هو من أمر النصاري .

فانصرف عبدالله بن زيد وهو مهتمّ لهم رسول الله ، فأرى الأذان في منامه ، فغدا علي رسول الله فأخبره ، فقال : يا رسول الله ! إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان .

قال : وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً . قال : ثمّ أخبر

1- آل عمران : 159 .

2- شرح النووي علي مسلم 3 - 4 : 318 كتاب الصلاة باب بدء الأذان .

النبيّ، فقال له : ما منعك أن تخبرني ؟ فقال : سبقني عبدالله بن زيد فاستحييت .

فقال رسول الله : يا بلال ! قم فانظر ما يأمرُك به عبدالله بن زيد فافعله ، قال : فأذنَ بلال .

قال أبو بشر [وهو من رواة الخبر] : فأخبرني أبو عمير أنّ الأنصار تزعم أنّ عبدالله بن زيد لولا أنّه كان يومئذ مرّ يضاً لجعله رسول الله مؤذناً (1) .

* وأخرج الترمذيّ ، وأبو داود ، عن عبدالله بن زيد أنّه قال - والنصّ للثاني - : لَمَّا أمر رسول الله بالناقوس يُعمَل ليضرب به للناس لجمع الصلاة ،

طاف بي - وأنا نائم - رجل يحمل ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبدالله ! أتبيع الناقوس ؟

قال : وما تصنع به ؟

قلتُ : ندعو به إلي الصلاة .

قال : أفلا أدلك علي ما هو خير من ذلك ؟

فقلتُ : بلي .

فقال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلاّ الله ، أشهد أن لا إله إلاّ الله .

أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، أشهد أنّ محمّداً رسول الله .

حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الصلاة .

حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح .

الله أكبر ، الله أكبر .

لا إله إلاّ الله .

قال : ثم استأخر عني غير بعيد ، ثم قال : وتقول إذا أقمت الصلاة :

الله أكبر ، الله أكبر .

أشهد أن لا إله إلا الله .

أشهد أن محمداً رسول الله .

حيّ علي الصلاة .

حيّ علي الفلاح .

قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة .

الله أكبر ، الله أكبر .

لا إله إلا الله .

فلما أصبحت أتيت رسول الله فأخبرته بما رأيت ، فقال : إنَّها لرؤيا حقّ إن شاء الله تعالى ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤدّن به ، فإنه أندي صوتاً منك ، فقمّت مع بلال فجعلتُ ألقيه عليه ويؤدّن به .

قال : فسمع ذلك عمر بن الخطّاب وهو في بيته ، فخرج يجرّ رداءه ، ويقول : والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله ! لقد رأيتُ مثل ما رأي ، فقال رسول الله : فله الحمد (1).

* وأخرج أبو داود عن ابن أبي ليلى ، قال : أُحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، قال : وحدّثنا أصحابنا أنّ رسول الله قال: لقد أعجبني أن تكون صلاة المسلمين - أو

1- الجامع الصحيح للترمذي 1 : 358 أبواب الصلاة ، باب : « ما جاء في بدء الأذان » ، سنن أبي داود 1 : 135 كتاب الصلاة ، باب « كيف الأذان » وفيه قال أبو داود : هكذا رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد ، وقال فيه ابن إسحاق عن الزهري : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، وقال معمر ويونس عن الزهري فيه : الله أكبر ، الله أكبر لم يثنياً ، وانظر : صحيح ابن خزيمة 1 : 193 .

قال : المؤمنین - واحدة حتّی لقد همّمتُ أن أبثّ رجلاً فی الدُّور ینادون الناس بحین الصلاة ، وحتّی همّمت أن أمر رجلاً یقومون علی الآطام ینادون المسلمین بحین الصلاة حتّی نَقَسُوا أو کادوا [أن ینقَسوا] .

قال : فجاء رجل من الأنصار فقال : یا رسول الله! إنّی لَمّا رجعتُ - لِمَا رأیتُ من اهتمامک - رأیتُ رجلاً كأنّ علیهِ ثوبین أخضرین ، فقام علی المسجد فأذّن ثمّ قعد قعدة ، ثمّ قام فقال مثلها إلّا أنّه یقول : قد قامت الصلاة ، ولولا أن یقول الناس - قال ابن المثنی : أن تقولوا - لقلّتُ إنّی کنتُ یقظاناً غیر نائم .

فقال رسول الله : لقد أراک الله عزّوجلّ خيراً - كما فی رواية ابن المثنی ، ولم تأتِ هذه العبارة فی رواية عمرو - فَمُرُّ بالآذان فلیؤدّن .

قال : فقال عمر: أما إنّی فقد رأیتُ مثل الذي رأي ، ولكنّی لَمّا سُبِقْتُ استَحْيَيْتُ(1).

* وأخرج مالک فی الموطأ: حدّثني یحیی ، عن مالک ، عن یحیی بن سعید أنّه قال : کان رسول الله صلی الله علیه و آله قد أراد أن یتّخذ خشبتین یضرب بهما لیجتمع الناس للصلاة ، فأرّی عبد الله بن زید الأنصاريّ ثمّ من بني الحارث بن الخزرج خشبتین فی النوم ، فقال : إنّ هاتین لَنحو ما یرید رسول الله ، فقیل : أفلا تُؤدّنون للصلاة ؟ فأتی رسول الله ، حین استیقظ ، فذکر له ذلك ، فأمر رسول الله بالآذان(2).

* وفي مصتّف عبدالرزاق یاسناده عن إبراهیم بن محمّد ، عن أبي جابر البیاضی ، عن سعید ، عن عبد الله بن زید - أخي بني الحارث بن الخزرج - أنّه : بینما هو نائم إذ رأى رجلاً معه خشبتان ، قال : فقلّتُ له فی المنام : إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله یرید

1- سنن أبي داود 1 : 139 كتاب الصلاة باب بدء الأذان ح 506 .

2- الموطأ 1 : 67 كتاب الصلاة ، باب « ما جاء فی النداء للصلاة » .

أن يشتري هذين العودين يجعلهما ناقوساً يضرب به للصلاة .

قال : فالتفت إليّ صاحبُ العودينِ برأسه فقال : أنا أدلّكم علي ما هو خير من هذا (فبلّغه رسول الله صلّي الله عليه [وآله] وسلّم ، فأمره بالتأذين) (1).

فاستيقظ عبدالله بن زيد ؛ قال : ورأى عمر مثل رؤيا عبدالله بن زيد ، فسبقه عبدالله بن زيد إلي النبيّ ، فأخبره بذلك ، فقال له النبيّ : قم فأذن ، فقال : يا رسول الله ! إنّي فضيع الصوت ، فقال له : فعلم بلالاً ما رأيت ، فعلمه فكان بلال يؤذّن (2).

* وأخرج عبدالرزاق أيضاً في مصنّفه عن ابن جريج : « قال عطاء : سمعتُ عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبيّ وأصحابه كيف يجعلون شيئاً إذا أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها ، فاتتمروا بالناقوس ، قال : فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأي في المنام : أن لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا بالصلاة ، قال : فذهب عمر إلي النبيّ ليخبره بالذي رأي ، وقد جاء النبيّ الوحي بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذّن ، فقال النبيّ : قد سبقك بذلك الوحي ، حين أخبره بذلك عمر » (3).

* وفي جامع المسانيد لأبي حنيفة ومجمع الزوائد - والنصّ للأول - : « عن علقمة بن مرثد ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، أن رجلاً من الأنصار مرّ برسول الله فرآه حزيناً ، وكان الرجل ذا طعام يُجتمَع إليه ، فانطلق حزيناً لما رأي من حزن رسول الله ، وترك طعامه وما كان يجتمع إليه ، ودخل مسجده يصلّي ، فبينما هو

1- ما بين القوسين ساقط من كنز العمال .

2- مصنّف عبدالرزاق 1 : 460/1787 كتاب الصلاة باب بدء الأذان كذلك كنز العمال 8 : 329 كتاب الصلاة الباب الخامس ح 23140 .

3- مصنّف عبدالرزاق 1 : 456/1775 كتاب الصلاة باب بدء الأذان . هذه الرواية وان كانت ترتبط بالأذان عن طريق الوحي لكننا أتينا بها هنا لارتباطها بروايات المنامات .

كذلك إذ نعس فاتاه آت في النوم ، فقال : هل علمت ما حَزَنَ رسولُ الله ؟

فقال : لا .

قال : فهو لهذا الناقوس ، فأنته فمُرّه أن يأمر بلالاً أن يؤذّن ، فعلمه الأذان : الله أكبر الله أكبر مرتين ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين ، حيّ علي الصلاة مرتين ، حيّ علي الفلاح مرتين ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ..

ثم علّمه الإقامة مثل ذلك ، وقال في آخره : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، كأذان الناس وإقامتهم .

فأقبل الأنصاريّ فقعد علي باب رسول الله ، فمرّ أبو بكر فقال : استأذن لي ، فدخل أبو بكر وقد رأي مثل ذلك ، فأخبر به النبيّ ، ثمّ استأذن للأنصاريّ فدخل وأخبر بالذي رأي ، فقال النبيّ : قد أخبرنا أبو بكر بمثل ذلك ، فأمر بلالاً يؤذّن بذلك (1).

فهذه النصوص وإن كانت مختلفة العبارات لكنّها تشير إلي رؤية متقاربة ؛ فالنصّ الأوّل يشير إلي أن تشريع الأذان جاء علي أثر رؤيا رآها عبد الله بن زيد حينما رأي رسول الله مهموماً مغموماً . ويظهر أنّ رؤياه كانت ليلاً لقوله : « ... فأري الأذان في منامه ، فغدا علي رسول الله فأخبره » وكذا النصّ الثاني ، ففيه « فلما أصبحت أتيت رسول الله فأخبرته بما رأيت » .

لكن النصّ الذي رواه أبو حنيفة في جامع المسانيد فيه : أنّ الرجل لما رأي حزن رسول الله دخل المسجد يصليّ « فبينما هو كذلك إذ نعس فاتاه آت في النوم ... فأقبل الأنصاريّ فقعد علي باب رسول الله فمرّ أبو بكر فقال : استأذن لي » وهو يختلف عن الأوّل .

1- جامع المسانيد 1 : 299 ، مجمع الزوائد 1 : 329 كتاب الصلاة باب كيف الأذان .

ويضاف إليه أن الرجل الأنصاري في نصّ جامع المسانيد كان « ذا طعام يُجتمَع إليه ، فانطلق حزينا لِمَا رأى من حزن رسول الله ، وترك طعامه وما كان يجتمع إليه » وهذا لم يشتهر عن عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة الذي أُرِي النداء . مع أن نصّ جامع المسانيد يدّعي أنّ أبا بكر سبق الانصاري بالرؤيا واخباره النبي صلي الله عليه وآله بذلك ، وهو يخالف باقي النصوص التي تسجّل قدمَ السبق للانصاري .

نعم ، اشتهر عن سعد بن عبادة وغيره من الأنصار الذين استضافوا رسول الله عند دخوله صلي الله عليه وآله المدينة ، وكانوا من الأغنياء المعروفين بالجدود والكرم مع أنّ نصّ جامع المسانيد يدّعي أنّ أبا بكر سبق الأنصاري بالرؤيا وإخباره النبي صلي الله عليه وآله بذلك ، وهو يخالف باقي النصوص التي تسجّل قدمَ السبق للانصاري .

أما النصّ الثاني - أي ما أخرجه الترمذي وأبو داود - فيشير إلي أن رسول الله أمر بالناقوس يُعمل ليضرب للناس ، فرأى عبد الله في المنام الأذان ، فأمر صلي الله عليه وآله بالآذان أن يأخذ بما قاله عبد الله ؛ وهذا لا يتفق مع عدم ارتضائه

صلي الله عليه وآله للناقوس !!

وفي النصّ الثالث نراه صلي الله عليه وآله يقول : « لقد همّمتُ أن أبتّ رجلاً في الدُّور ينادون الناس بحين الصلاة حتّي همّمت أن أمر رجلاً يقومون علي الآطام ينادون بحين الصلاة ، حتّي نقسوا أو كادوا [أن] ينقسوا ، فجاء رجل من الأنصار ... » ، وهذا لا يتفق مع ما قيل عن الرجل الأنصاري في كتب الحديث .

وفي موطأ مالك : « كان رسول الله قد أراد ان يتّخذ خشبتين يضرب بهما ليجمع الناس للصلاة ، فأري عبد الله خشبتين في المنام... » .

وهذا أيضاً لا يتفق مع ما رواه عبدالرزاق عن ابن جريج ، إذ فيه : أنّ عمر أراد « أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأيت في المنام : أن لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة » .

هذه بعض النصوص الدالّة علي القول الثاني ، وقد حاولنا أن نوحدها - رغم اختلافاتها - بقدر المستطاع تحت عنوان واحد .

I الثالث :

نزول الأذان تدريجياً ، وإضافة عمر الشهادة بالنبوة إليه :

جاء في صحيح ابن خزيمة : حدّثنا بُندار ، حدّثنا أبو بكر - يعني الحنفيّ - حدّثنا عبدالله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر : أنّ بلاً كان يقول أوّل ما أذن : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، حيّ علي الصلاة ؛ فقال له عمر : قل في إثرها : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ؛ فقال رسول الله : قل كما أمرك عمر (1) .

I الرابع :

الأذان وحيّ من الله تلقاه الرسول من جبرئيل :

جاء في نصب الراية للزيلعي تحت باب « أحاديث في أنّ الأذان كان وحيّاً لا مناماً » : روي البزار في مسنده : حدّثنا محمّد بن عثمان بن مخلّد الواسطيّ ، حدّثنا أبي ، حدّثنا زياد بن المنذر ، عن محمّد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال :

« لما أراد الله أن يُعلّم رسوله الأذان أتاه جبرئيل بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها فاستصعبت ، فقال لها [جبرئيل] : اسكّني ، فوالله ما ركّبتك عبدٌ أكرم عليّ الله من محمّد .

1- صحيح ابن خزيمة 1 : 189 ، كتاب الصلاة باب في بدء الأذان والإقامة ح 362 . وانظر : السيرة الحلبية 2 : 303 ، كنز العمال 8 : 334 كتاب الصلاة الباب الخامس ح 23150 .

قال : فركبها حتّى انتهى إلي الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى ، فبينما هو كذلك إذ خرج مَلَكٌ من الحجاب ، فقال رسول الله : يا جبرئيل ! من هذا ؟

قال : والذي بعثك بالحقّ ، إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإنّ هذا المَلَك ما رأيته منذ خُلقتُ قبل ساعتِي هذه .

فقال المَلَك : الله أكبر ، الله أكبر .

قال : فقيل له من وراء الحجاب : صدّق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

ثمّ قال المَلَك : أشهد أن لا إله إلاّ الله .

قال : فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا لا إله إلاّ أنا .

ثمّ قال المَلَك : أشهد أنّ محمّداً رسول الله .

فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أرسلتُ محمّداً .

ثمّ قال المَلَك : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح [وفي مجمع الزوائد زيادة : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة] . ثمّ قال الملك : الله أكبر ، الله أكبر .

فقيل له من وراء الحجاب : صدّق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

ثمّ قال : لا إله إلاّ الله .

قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا لا إله إلاّ أنا .

قال : ثمّ أخذ المَلَك بيد محمّد فقدمه فأتمّ أهل السماء ، فيهم آدم ونوح .. انتهى .

[وفي مجمع الزوائد زيادة : قال أبو جعفر محمّد بن عليّ : فيومئذ أكمل الله لمحمّد الشرف علي أهل السماوات والأرض] (1).

وروي الطبراني في الأوسط عن ابن عمر : « أنّ النبيّ لمّا أُسريّ به إلي السماء

1- نصب الراية 1 : 260 ، مجمع الزوائد 1 : 328 كتاب الصلاة باب بدء الأذان . وانظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب

الحنبلي 3 : 396 وقال السهلي : واخلى لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء انظر البداية والنهاية 3 : 285 .

أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالْأُذَانِ ، فَنَزَلَ بِهِ فَعَلَّمَهُ جِبْرِئِيلَ «(1)» .

وروي ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً : لَمَّا أُسْرِيَ بِي أُذُنَ جِبْرِئِيلَ فَظَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُ [أَي جِبْرِئِيلَ] يَصَلِّيَ بِهِمْ ، فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ (2) .

1 الخامس :

إِنَّ عَمْرَ أَوَّلَ مَنْ سَمِعَ أُذَانَ جِبْرِئِيلَ ثُمَّ بِلَالُ :

جاء في مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد العشرة للبوصيري : عن كثير ابن مرة الحضرمي ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : أَوَّلَ مَنْ أُذِّنَ فِي السَّمَاءِ جِبْرِئِيلُ

عليه السلام ، قال : فسمعه عمر وبلال ، فأقبل عمر فأخبر النبيّ بما سمع ، ثمّ أقبل بلال فأخبر النبيّ بما سمع ، فقال له رسول الله : سبقك عمر يا بلال ، أذّن كما سمعت ، قال : ثمّ أمره رسول الله أن يضع إصبعيه في أذنيه استعانةً بهما علي الصوت . رواه الحارث بن أسامة مرسلاً بسند ضعيف لضعف سعيد ابن سنان (3) .

1 السادس :

إِنَّ الْأُذَانَ نَزَلَ بِهِ جِبْرِئِيلُ عَلَي آدَمَ لَمَّا اسْتَوْحَشَ :

1- الأوسط للطبراني 10 : 114 ح 9243 ، 9247 مجمع الزوائد 1 : 329 كتاب الصلاة باب بدء الأذان وفيه : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه طلحة بن زيد ونسب إلي الوضع » .

2- السيرة الحلبية 2 : 296 وفيه : قال الذهبي : حديث منكر بل موضوع .

3- إتحاف السادة المهرة 1 - 2 : 317 كتاب الأذان باب بدء الأذان وصفته ح 983 ، السيرة الحلبية 2 : 302 وفيه : « وروي بسند واه أن أول من أذن بالصلاة جبرئيل في سماء الدنيا ، فسمعه عمر وبلال رضي الله عنهما فسبق عمر بلالاً فأخبر النبيّ ثمّ ... » .

جاء في كشف الغمّة للشعراني :... وكان كعب الأحبار يقول : قال رسول الله : لَمَّا نزل آدم بأرض الهند استوحش فنزل جبرئيل فنادى بالأذان ، فزالت عنه الوحشة .

فقال جبرئيل : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله - مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله - مرتين .

قال آدم : من محمّد ؟

قال : آخر ولدك من الأنبياء(1) .

قال عليّ بن برهان الدين الحلبي في سيرته : أقول : ومن أغرب ما وقع في بدء الأذان ما رواه أبو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل أنّ جبرئيل نادى بالأذان لآدم حين أهبط من الجنة(2) .

ثمّ قال الحلبي :

وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى « خُصّ صلي الله عليه وآله بذكر اسمه في الأذان في عهد آدم وفي الملكوت الأعلى » والله أعلم (3) .

هذا ما قاله أهل السنّة والجماعة في بدء الأذان ، ولكنّ .. ما هي رؤية أهل البيت: في قضية بدء تشريع الأذان ؟ هذا ما سنتعرّف عليه في الصفحات التالية .

1- كشف الغمّة 1 : 96 كتاب الصلاة باب الأذان وفضله . وانظر : قريباً منه في حلية الأولياء 5 : 107 ترجمة عمرو بن قيس الملائي عن أبي هريرة .

2- السيرة الحلبيّة 2 : 297 .

3- السيرة الحلبيّة 2 : 302 .

أهل البيت وبدء الأذان

إشارة

اتَّفقت نصوص أهل بيت النبوة - المرويّ منها عن طريق الإمامية الاثني عشرية أو الإسماعيلية أو الزيدية - علي أنّ بدء الأذان قد كان في الإسراء ، وإليك بعض نصوصهم في هذا السياق .

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت 40 هـ) :

جاء في صحيفة الرضا عليه السلام ، عن آبائه ، قال : « قال عليّ بن أبي طالب : لَمَّا بُدِيَ رسول الله بتعليم الأذان ، أتى جبرئيل بالبُرّاق فاستعصت عليه ، فقال لها جبرئيل : اسكُني برقة ! فما ركبتك أحد أكرم علي الله منه ، فسكنت . قال رسول الله : فركبتها حتّي انتهيت إلي الحجاب الذي يلي الرحمن عزّ [ربّنا] وجلّ ، فخرج مَلَكٌ مِن وراء الحجاب ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ؛ فقال صلي الله عليه وآله : قلت : يا جبرئيل ! من هذا المَلَك ؟

قال [جبرئيل] : والذي أكرمك بالنبوة ما رأيتُ هذا المَلَك قبل ساعتِي هذه .

فقال المَلَك : الله أكبر ، الله أكبر ؛ فنودي مِن وراء الحجاب : صدّق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

قال صلي الله عليه وآله : فقال المَلَكُ : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فنُودي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، [أنا الله] ، لا إله إلا أنا .

فقال صلي الله عليه وآله : فقال المَلَكُ : أشهد أنَّ محمّداً رسول الله ، أشهد أنَّ محمّداً رسول الله ؛ فنودي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أرسلتُ محمّداً رسولاً .

قال صلي الله عليه وآله : فقال المَلَكُ : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الصلاة ؛ فنودي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، ودعا إلي عبادتي .

قال صلي الله عليه وآله : فقال المَلَكُ : حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح ، فنودي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، ودعا إلي عبادتي ، فقال الملك : قد أفلحَ مَنْ واطبَ عليها .

قال صلي الله عليه وآله : فيومئذ أكمل الله عزَّ وجلَّ لي الشرف علي الأولين والآخرين «(1)» .

الإمام الحسن بن علي عليه السلام (ت 50 هـ) :

عن سفيان بن الليل ، قال : لمّا كان من أمر الحسن بن عليٍّ ومعاوية ما كان قدِمْتُ عليه المدينةَ وهو جالس في أصحابه ، فذكر الحديث بطوله ، فقال : فتذاكرنا عنده الأذان ، فقال بعضنا : إنّما كان بدء الأذان برؤيا عبد الله بن زيد .

فقال له الحسن بن عليٍّ : « إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك ، أذنَّ جبرئيل في السماء مثنى مثنى وعلمه رسول الله ، وأقام مرّة مرّة فعلمه رسول الله » ، فأذنَّ به الحسن حتّى ولى (2) .

1- صحيفة الرضا عليه السلام 65 - 66 ح 115 ، وعنه في بحار الأنوار 81 : 151 . وانظر الايضاح للقاضي نعمان ص 106 المطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم وكذا راب الصدع 1 : 196 . وقد مرّ عليك قبل قليل في صفحة 36 ما أخرجه البزّار (انظر : نصب الراية 1 : 260) .

2- نصب الراية 1 : 261 ، عن المستدرک للحاكم 3 : 171 كتاب معرفة الصحابة ، باختلاف يسير .

الإمام الحسين بن علي عليه السلام (ت 61 هـ) :

جاء في الجعفریات : أخبرنا محمد ، حدّثني موسى ، قال : حدّثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن الحسين ، عن الحسين بن علي : أنّه سئل عن الأذان وما يقول الناس [فيه] ، قال : « الوحي ينزل علي نبيكم ، وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد ؟ بل سمعتُ أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : أهبطَ اللهُ عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول الله فأذنَ مثنى مثنى ، وأقام مثنى مثنى ، ثمّ قال له جبرئيل : يا محمد ! هكذا أذان الصلاة » (1).

وفي دعائم الإسلام - وهو من كتب الإسماعيلية - : روينا عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الحسين بن علي : أنّه سئل عن قول الناس في الأذان ، إنّ السبب كان فيه رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبيّ صلي الله عليه وآله ، فأمر بالأذان !

فقال الحسين عليه السلام : « الوحي يتنزّل علي نبيكم ، وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد ؟ والأذان وجه دينكم ! » ، وغضب عليه السلام ثمّ قال : « بل سمعتُ أبي علي بن أبي طالب يقول : أهبطَ اللهُ عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول الله صلي الله عليه وآله - وذكر حديث الإسراء بطوله ، اختصرناه نحن ها هنا - قال فيه : « وبعث ملكاً لم يُر في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده ، فأذنَ مثنى وأقام مثنى » ، وذكر كيفية الأذان « وقال جبرئيل للنبيّ صلي الله عليه وآله : يا محمد ! هكذا أذن للصلاة » (2).

-
- 1- الجعفریات : 42 ، مستدرك الوسائل 4 : 17 . وفي الايضاح للقاضي نعمان المطبوع في (ميراث دين شيعه) دفتر دهم ص 105 : في الكتب الجعفرية من رواية أبي علي محمد بن الاشعث الكوفي عن ابن الحسن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه أبي عبد الله جعفر بن محمد عن جدّه علي بن الحسين ...
- 2- دعائم الإسلام 1 : 142 للقاضي نعمان ذكر الأذان والإقامة .

محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية ت 73 - 93 هـ) :

عن أبي العلاء ، قال : قلت لمحمد بن الحنفية : إنا لنتحدث : أن بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه .

قال : ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديداً ، وقال : عمَدْتُم إلي ما هو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنه إنما كان رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام !

قال : فقلتُ (له) : هذا الحديث قد استفاض في الناس !

قال : « هذا والله هو الباطل » . ثم قال : « وإتّما أخبرني أبي : أن جبرئيل عليه السلام أذن في بيت المقدس ليلة الإسراء وأقام ، ثم أعاد جبرئيل الأذان لما عرج بالنبى إلي السماء ... » (1) .

وفي معاني الأخبار : عن علي بن عبد الله الوراق ، وعلي بن محمد بن الحسن القزويني ، قالا : حدّثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدّثنا العباس بن سعيد الأزرق ، قال : حدّثنا أبو نصر ، عن عيسى بن مهراّن ، عن يحيى بن الحسن بن الفرات ، عن حماد بن يعلي ، عن علي بن الحزور ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن محمد بن الحنفية أنه ذكّر عنده الأذان فقال :

« لمّا أُسري بالنبى إلي السماء ، وتناهى إلي السماء السادسة ، نزل ملكٌ من السماء السابعة لم ينزل قبل ذلك اليوم قطّ ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ؛ فقال الله جلّ جلاله : أنا كذلك .

1- السيرة الحلبية 2 : 300 - 301 ، أمالي أحمد بن عيسى بن زيد 1 : 90 ، وعنه في الاعتصام بحبل الله 1 : 277 . والايضاح للقاضي نعمان بن محمّد بن حيون المتوفى 363 ص 106 والمطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الله عز وجل : أنا كذلك ، لا إله إلا أنا .

فقال : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال الله جل جلاله : عبدي وأميني علي خلقي ، اصطفيته علي عبادي برسالاتي .

ثم قال : حيّ علي الصلاة ، فقال الله جل جلاله : فرضتها علي عبادي وجعلتها لي ديناً .

ثم قال : حيّ علي الفلاح ، فقال الله جل جلاله : أفلح من مشي إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي .

ثم قال : حيّ علي خير العمل ، فقال الله جل جلاله : هي أفضل الأعمال وأزكاها عندي .

ثم قال : قد قامت الصلاة ، فتقدم النبي صلي الله عليه وآله فأهل السماء ، فمن يومئذ تم شرف النبي صلي الله عليه وآله «(1)» .

وقد جاء ما يماثل هذا في طرق الزيدية ، وأخرجه الحافظ العلوي في (الأذان بحيّ علي خير العمل) ، فقال :

حدّثنا أبو القاسم الحفص بن محمّد بن أبي عابد قراءةً ، حدّثنا زيد بن محمّد بن جعفر العامري ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن مروان ، حدّثنا أبي ، حدّثنا نصر بن مزاحم المنقري ، حدّثنا أيوب بن سليمان الفزاري ، عن عليّ بن جردل ، عن محمّد بن بشر ، قال : جاء رجل إلي محمّد بن الحنفية فقال له : بلغنا أن الأذان إنّما هو رؤيا رآها رجل من الأنصار فقصّها علي رسول الله صلي الله عليه وآله ، فأمر بلالاً فأذن تلك الرؤيا !

فقال له محمّد بن الحنفية : إنّما يقول بهذا الجاهل من الناس ، إن أمر الأذان أعظم من ذلك .. إنّه لمّا أسري برسول الله صلي الله عليه وآله فأنّتهي به إلي السماء السادسة جمع

1- معاني الأخبار ، للصدوق : 42 ح 4 ، وعنه في بحار الأنوار 81 : 141 .

اللَّهُ له ما شاء من الرسل والملائكة، فنزل مَلَكٌ لم ينزل قبل ذلك اليوم، عرفت الملائكة أنه لم ينزل إلا لأمر عظيم، فكان أول ما تكلم به حين نزل، قال: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله عز وجل: أنا كذلك، أنا الأكبر لا شيء أكبر مني. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الله: أنا كذلك لا إله إلا أنا. ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال الله: نعم، هو رسولي بعثته برسالي وأتمنتته علي وحيي. ثم قال: حيي علي الصلاة، فقال الله: أنا افترضتها علي عبادي وجعلتها لي رضا. ثم قال: حيي علي الفلاح، فقال الله: قد أفلح من مشي إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي. ثم قال: حيي علي خير العمل، فقال الله: هي أزكي الأعمال عندي وأحبها إلي. ثم قال: قد قامت الصلاة، فقام رسول الله صلي الله عليه وآله ومن كان عنده من الرسل والملائكة. وكان المَلَكُ يُؤذَنُ مَثْنِي مَثْنِي، وآخر أذانه وإقامته: لا إله إلا الله. وهو الذي ذكر الله في كتابه: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}. قال محمد بن الحنفية: فتم له يومئذ شرفه علي الخلق. ثم نزل فأمر أن يؤذَنَ بذلك الأذان(1).

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (ت 94 هـ) وابنه زيد :

عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي: « أن رسول الله علّم الأذان ليلة المسري، وبه فُرِضَتْ عليه »(2).

وقال الإمام الهادي بالله - من أئمة الزيدية - في كتابه الأحكام: « قال يحيى ابن الحسين رضي الله عنه: والأذان فأصله أن رسول الله صلي الله عليه وآله علّمه ليلة المسري،

1- الأذان بحَيِّ علي خير العمل للحافظ العلوي 18 - 19 . وبتحقيق عزّان 58 . الايضاح للقاضي نعمان : 107 .

2- كنز العمال 12 : 350/35354 ، عن « ابن مردويه » .

أرسل الله إليه ملكاً فعلمه إياه .

فأمّا ما يقول به الجهّال من أنّه رؤيا رآها بعض الأنصار فأخبر بها النبيّ صلي الله عليه وآله فأمّره أن يُعلّمه بلالاً ، فهذا من القول محالّ لا تقبله العقول ؛ لأنّ الأذان من أصول الدين ، وأصول الدين لا يعلمها رسول الله علي لسان بشر من العالمين «(1)» .

الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام (ت 114 هـ) :

جاء في الكافي والتهذيب والاستبصار - والنصّ للأخيرين - بإسناد الشيخ الطوسي عن محمّد بن عليّ بن محبوب ، عن عليّ بن السنديّ ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة والفضيل بن يسار ، عن أبي جعفر [الباقر عليه السلام] ، قال :

« لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ حَضَرَتْ الصَّلَاةَ ، فَأَذَّنَ جِبْرِئِيلُ وَأَقَامَ ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَفَّ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّونَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ » .

قال : فقلنا له : كيف أذن ؟

فقال : « الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ؛ والإقامة مثلها إلا أنّ فيها : « قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة » بين : « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل » ، وبين : « الله أكبر الله أكبر » ، فأمر بها رسولُ الله بلالاً ، فلم يزل يؤذّن بها حتّى قبض الله رسولَه صلي الله عليه وآله «(2)» .

1- الأحكام ، للإمام الهادي بالله الزيديّ 1 : 84 .

2- الكافي 3 : 302/1 وفيه صدر الحديث ، التهذيب 2 : 60/210 ، الاستبصار 1 : 305 / باب عدد فصول الأذان ح 3 .

وفي الكافي: بإسناده عن أبي حمزة الشمالي وأبي منصور، عن أبي الربيع، قال: «حَجَبْنَا مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ [الباقِر عليه السلام] فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَ حَجَّ فِيهَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ مَعَهُ نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، فَنَظَرَ نَافِعٌ إِلَيَّ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رُكْنِ الْبَيْتِ وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ تَدَاكَ عَلَيْهِ النَّاسُ؟!»

فقال: هذا نبيُّ أهل الكوفة، هذا محمَّد بن عليّ!

قال: أشهد لأتّينّه ولأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو ابن نبيّ أو وصي نبيّ.

قال: فاذهب إليه وسله لعلك تُخجّله!

فجاء نافع حتّى اتّكأ عليّ الناس ثمّ أشرف عليّ أبي جعفر، فقال: يا محمَّد بن عليّ! إني قرأت التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل...

[ومنها]: من الذي سأل محمَّد (1) وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟

قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: {سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} (2)، فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمَّداً حيث أسري به إلي بيت المقدس أن حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعاً، وأقام شفعاً، وقال في أذانه: حيّ علي خير العمل، ثم تقدّم محمَّد وصلّي بالقوم (3).

1- في قوله تعالى: (وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) الزخرف: 45.

2- الإسراء: 1.

3- الكافي 8: 120 / 93 وعنه في بحار الأنوار 81: 136، وسائل الشيعة 5: 414، الاحتجاج 2: 60.

وجاء في كتاب (الأذان بحَيِّ علي خير العمل) للحافظ العلوي: أخبرنا عبدالله بن مخالِد(1)، أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدَّثنا محمد بن عمرو ابن عثمان، حدَّثنا محمد بن سنان، حدَّثنا عمَّار بن مروان، عن المنتخل(2)، عن جابر قال: سألت أبا جعفر عن الأذان: كيف كان بدوُّه؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُسري به إلى السماء، نزل إليه جبريل، ومعه محمّلة من محامل الربِّ عزَّ وجلَّ، فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء، فأذن جبريل، فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمّداً رسول الله، [أشهد أن محمّداً رسول الله،] [حيِّ علي الصلاة،] [حيِّ علي الصلاة،] [حيِّ علي الفلاح،] [حيِّ علي الفلاح،] [حيِّ علي خير العمل،] [حيِّ علي خير العمل،]، وذكر الحديث(3).

وفي كتاب الاعتصام بحبل الله: .. وروي محمد ياسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: من جهالة هذه الأمة أن يزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما علم الأذان من رؤيا رآها رجل، وكذبوا والله. لما أراد الله أن يعلم نبيّه الأذان جاءه جبريل عليه السلام بالبراق، وذكر الحديث بطوله(4).

ثمّ قال بعد ذلك: ... وفي الشفا للأمير الحسن، روي الباقر محمد بن عليّ السجّاد بن الحسين السبط الشهيد بن عليّ الوصيّ، والقاسم بن إبراهيم والهادي إلي

1- في تحقيق عزّان: مجالد البجلي، وكذا في الاعتصام 1: 306.

2- في تحقيق عزّان: المنخل. وفي الاعتصام 1: 306 «المنتحل».

3- الأذان بحَيِّ علي خير العمل، للحافظ العلوي: 82، بتحقيق الفضيل، وانظر: ص 21 و28 من الكتاب نفسه وبتحقيق عزّان 60. والاعتصام بحبل الله 1: 286. والزيادات من الاعتصام 1: 306.

4- الاعتصام بحبل الله 1: 277.

الحقّ يحيى بن الحسين الحافظ ، والناصر للحقّ الحسن بن عليّ: أن الله علّمه رسول الله صلي الله عليه وآله ليلة أُسريّ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ أمر الله ملكاً من ملائكته فعلمه الأذان(1).

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام (ت 148 هـ) :

روي الكلينيّ بسنده عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حمّاد ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام ، قال : « لَمَّا هبَطَ جبرئيل بالأذان علي رسول الله صلي الله عليه وآله كان رأسه في حِجْر عليّ عليه السلام ، فأذّن جبرئيل وأقام ، فلمّا اتبته رسول الله ، قال : يا عليّ ! سمعت ؟

قال : نعم .

قال : حفظت ؟

قال : نعم .

قال : ادعُ بلالاً فعلمّه . فدعا عليّ بلالاً فعلمّه «(2)» .

وفي تفسير العيّاشيّ عن عبد الصمد بن بشير ، قال : ذُكر عند أبي عبد الله بدء الأذان ، فقال : إنّ رجلاً من الأنصار رأي في منامه الأذان ، فقصّه علي رسول الله

1- الاعتصام بحبل الله 1 : 278 .

2- الكافي 3 : 302/2 ، التهذيب 2 : 277/1099 مثله ، ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه 1 : 183/865 بإسناده عن منصور بن حازم ، ولا يخفي عليك بأن هذا النص لا يخالف ما ثبت عند أهل البيت وبعض أهل السنة والجماعة من كون تشريع الأذان كان في الاسراء والمعراج ، لأن التأذين في المعراج هو في مرحلة الثبوت ، أما التأذين في الأرض فهو في مرحلة الاثبات ، وسيوضح معني كلامنا هذا أكثر في الباب الثالث من هذه الدراسة « اشهد ان عليّاً ولي الله ، بين الشرعية والابتداع » فانتظر .

فأمره الرسول أن يعلمه بلالاً .

فقال أبو عبد الله : كذبوا ؛ إن رسول الله كان نائماً في ظل الكعبة ، فأتاه جبرئيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه ، وأمره أن يغتسل به ، ثم وضع في محمل له ألف ألف لون من نور ، ثم صعد به حتى انتهى إلى أبواب السماء ، فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء ، وقالت : إلهان ! إله في الأرض ، وإله في السماء !؟

فأمر الله جبرئيل ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، فتراجعت الملائكة عن أبواب السماء ، فقالت : إلهان ! إله في الأرض وإله في السماء ؟!

فقال جبرئيل : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فتراجعت الملائكة وعلمت أنه مخلوق .

ثم فتح الباب فدخل ومر حتى انتهى إلى السماء الثالثة ، فنفرت الملائكة عن أبواب السماء ، فقال جبرئيل : أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فتراجعت الملائكة ، وفتح الباب ومر النبي حتى انتهى إلى السماء الرابعة ...

- إلي أن قال - ... فلما فرغ من مناجاة ربه رُدَّ إلي البيت المعمور وهو في السماء السابعة بحذاء الكعبة ، قال : فجمع له النبيين والمرسلين والملائكة ، ثم أمر جبرئيل فأتهم الأذان وأقام الصلاة ، وتقدم رسول الله فصلى بهم ، فلما فرغ التفت إليهم فقال الله له : { فَسَدِّ مَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } (1) ، فسألهم يومئذ النبي صلي الله عليه وآله ، ثم نزل ومعه صحيفتان فدفعهما إلي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : فهذا كان بدء الأذان «(2)» .

وروي الصدوق بإسناده عن الصباح المزني وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان الأحول وعمر بن أذينة أنهم حضروا عند أبي عبد الله

عليه السلام ، فقال : « يا عمر بن

1- يونس : 94 .

2- تفسير العياشي 1 : 157/530 ، المستدرک 4 : 42 - 43 وانظر : بيان المجلسي في بحار الأنوار 81 : 121 .

أذينة! ما تري هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم؟ .

قال: جُعِلَتْ فداك؛ إنَّهم يقولون: إنَّ أبيَّ بن كعب الأنصاريَّ رآه في النوم .

فقال عليه السلام: كذبوا والله، إنَّ دين الله تعالى أعزُّ من أن يُري في النوم . وقال أبو عبد الله: العزيز الجبار عرَّج بنبيِّه إلي سمائه - فذكر قصَّة الإسراء بطولها - «(1)» .

وفي نصِّ آخر، قال عليه السلام: « ينزل الوحيُّ علي نبيِّكم فتزعمون أنَّه أخذ عن عبد الله بن زيد؟! » (2) .

وعن عليِّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « ما تروي هذه الناصبة؟ » .

فقلت: جُعِلَتْ فداك؛ في ماذا؟

فقال: « في أذانهم وركوعهم وسجودهم » .

فقلت: إنَّهم يقولون: إنَّ أبيَّ بن كعب رآه في النوم .

فقال: « كذبوا، فإنَّ دين الله عزَّ وجلَّ أعزُّ من أن يُري في النوم » .

قال: فقال له سدير الصيرفي: جُعِلَتْ فداك؛ فأحدِّث لنا من ذلك ذكراً .

فقال أبو عبد الله عليه السلام: « إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا عرَّج بنبيِّه صلي الله عليه وآله إلي سماواته السبع، أمَّا أولاهنَّ فبارك عليه، والثانية علَّمه فرضه فأنزل الله محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت مُحَدِّقة بعرش الله تغشي أبصار الناظرين... (3) »

قال: ثمَّ زادني ربِّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأولى ثمَّ عرج بي إلي السماء الثالثة، فنَّفرت الملائكة وخرَّت سُجَّداً، وقالت: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والرُّوح، ما هذا النور الذي يشبه نور ربِّنا؟! »

1- انظر: علل الشرائع 312/1، وعنه في بحار الأنوار 8: 354 .

2- وسائل الشيعة 5: 370/6816 .

3- الحديث طويل أخذنا مقاطع منه .

فقال جبرائيل عليه السلام : أشهد أنَّ محمّداً رسول الله ، أشهد أنَّ محمّداً رسول الله .

فاجتمعت الملائكة وقالت : مرحباً بالأوّل ، ومرحباً بالآخر ، ومرحباً بالناشر ، ومرحباً بالناشر ، محمّد خير النبيّين وعليّ خير الوصيّين .

قال النبيّ صلي الله عليه وآله : ثمّ سلّموا عليّ وسألوني عن أخي ، قلتُ : هو في الأرض ، أفتعرفونه ؟

قالوا : وكيف لا نعرفه وقد نَحَجَّ البيت المعمور كلّ سنة وعليه رَقٌّ أبيض فيه اسم محمّد واسم عليّ والحسن والحسين [والأئمة] : وشيعتهم إلي يوم القيامة ، وإنا لتُبارك عليهم كلّ يوم وليلة خمساً - يعنون في وقت كلّ صلاة - ...

قال : ثمّ زادني ربّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه تلك الأنوار الأولي ، ثمّ عرج بي حتّي انتهيت إلي السماء الرابعة ، فلم تُقل الملائكة شيئاً ، وسمعت دويّاً كأنه في الصدور ، فاجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت إليّ شبه المعانيق ، فقال جبرئيل عليه السلام : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ؛ حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح .

فقلت الملائكة : صوتان مقرونان معروفان .

فقال جبرئيل عليه السلام : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ...

ثمّ أوحى الله إليّ : يا محمّد ! ادنُ من صاّد فاغسل مساجدك وطهرها وصلّ لربّك .

فدنا رسول الله صلي الله عليه وآله من صاّد(1) ، وهو ماءٌ يسيل من ساق العرش الأيمن ، فتلقّي رسول الله صلي الله عليه وآله الماء بيده اليميني ، فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمين .

ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إليه أن : اغسل وجهك(2) ...

1- وللشيخ الجواديّ الأمليّ في كتابه « أسرار الصلاة » : 86 ، 22 بيان في ذلك فراجع .

2- الكافي كتاب الصلاة باب النوادر 3 : 482 - 486/1 ، وللمزيد يمكن مراجعة خبر الإسراء في تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ 2 : 11 .

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي «سورة بني إسرائيل» عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام - في خبر طويل جداً - قال فيه: «إِذَا مَلَكَ يُؤذَنُ لَمْ يُرَفَّ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ؛ فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ».

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله؛ فقال الله تعالى: صدق عبدي، أنا الله لا إله غيري.

فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله؛ فقال الله: صدق عبدي، إن محمداً عبدي ورسولي أنا بعثته وانتجبهته.

فقال: حيّ علي الصلاة، حيّ علي الصلاة؛ فقال: صدق عبدي، دعا إلي فرضتي، فمن مشي إليها رغباً فيها محتسباً كانت كفارة لِمَا مضى من ذنوبه.

فقال: حيّ علي الفلاح [حيّ علي الفلاح]؛ فقال الله: هي الصلاة والنجاح والفلاح.

ثم أممت الملائكة في السماء كما أممت الأنبياء في بيت المقدس ... «(1)».

وقد أخرج الحافظ العلوي في كتابه (الأذان بحَيِّ علي خير العمل) بقوله: حدّثنا الحسين بن محمد بن الحسن، حدّثنا علي بن الحسين بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عيسى العجلي، حدّثنا جعفر بن عنبسة الشكري، حدّثنا أحمد بن عمر البجلي، حدّثنا سلام بن عبدالله الهاشمي، عن سفيان بن السمط، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه قال: أوّل مَنْ أذّن في السماء جبريل

عليه السلام حين أُسري بالنبي

صلي الله عليه وآله، فقال: الله أكبر، الله أكبر؛ فقالت الملائكة: الله أكبر من خلقه.

1- تفسير القمي 2: 3 - 12 كما في مستدرک وسائل الشيعة 4: 40، وفي تفسير العياشي 1: 157 ح 530 عن عبدالصمد بن بشير عن الصادق في حديث المعراج، إلي أن قال: ثم أمر جبرئيل فأتّم الأذان واقم الصلاة.

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقالت الملائكة : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله .

فقال ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فقالت الملائكة : عبدُ بُعْث .

فقال جبريل : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الصلاة ؛ فقالت الملائكة : أمر القوم بالصلاة ، فقال : حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح ؛ فقالت الملائكة : أفلح القوم .

فقال : حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل ؛ فقالت الملائكة : أمر القوم بخير العمل . وأقام الصلاة ، فقال النبيّ : يا جبريل ، تقدّم صلّ بنا ، فقال جبريل : يا محمّد ، إنّ الله عزّ وجلّ أمرنا أن نسجد لأبيك آدم ، فلسنا نتقدّم ولده ، فتقدّم رسول الله صلي الله عليه وآله فصلّي بالملائكة (1) .

وقد نقل محمّد بن مكيّ - الشهيد الأوّل - في (ذكرى الشيعة) قول ابن أبي عقيل ، قال : أجمعت الشيعة عن الصادق عليه السلام أنّه لعن قوماً زعموا أنّ النبيّ أخذ الأذان من عبدالله بن زيد ، فقال : « ينزل الوحي علي نبيّكم فتزعمون أنّه أخذ الأذان من عبدالله بن زيد؟! » (2)

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (ت 204 هـ) :

أخرج الصدوق في (عيون أخبار الرضا) و(علل الشرائع) بسنده إلي الرضا عليه السلام عن آباءه ، قال : « قال رسول الله : لمّا عُرج بي إلي السماء أذن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى » (3) .

1- الأذان بحّي علي خير العمل ، للحفاظ العلوي : 20 ، بتحقيق الفضيل ، وبتحقيق عزّان 59 .

2- ذكرى الشيعة 3 : 195 ، وعنه في وسائل الشيعة 5 : 370 .

3- عيون أخبار الرضا عليه السلام 1 : 204 باب ما جاء عن الرضا في زيد بن عليّ ح 22 ، علل الشرائع 1 : 6 وعنه في بحار الأنوار 81 :

وجاء في الاعتصام بحبل الله عن صحيفة علي بن موسى الرضا: ... حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمّد ابن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي الحسين ابن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب:، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: لَمَّا بُدئَ رسول الله صلي الله عليه وآله بتعليم الأذان، أتى جبريل عليه السلام بالبُرّاق فاستصعب عليه، فأتاني بدابة يقال لها برقة - من حديث طويل - فقال لها جبريل: اسكّني برقة - من حديث طويل فيه - : فخرج مَلَكٌ من وراء الحجاب فقال: الله أكبر الله أكبر. قال: فقلت: يا جبريل، من هذا المَلَك؟ قال: والذي أكرمك بالنبوة، ما رأيت هذا المَلَك قبل ساعتي هذه، فقال المَلَك: الله أكبر الله أكبر.. فنودي من وراء الحجاب: صدق عبي، أنا أكبر أنا أكبر. فقال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله ... الخبر(1).

قال الشيخ الطوسي: «الأذان مأخوذٌ من الوحي النازل علي النبيّ دون الرؤيا والمنام»(2).

وقال السيّد محمّد العامليّ صاحب (المدارك): «قد أجمع الأصحاب علي أنّ الأذان والإقامة وحيّ من الله تعالي علي لسان جبرئيل عليه السلام كسائر العبادات، وأخبارهم به ناطقة»(3).

وقال الشهيد في الذكري: «وهما وحيّ من الله تعالي عندنا كسائر العبادات علي لسان جبرئيل عليه السلام»(4).

وهذه الرؤية النابعة من النصوص الدالّة علي قداسة الأذان وأنه بوحي من

1- الاعتصام بحبل الله 1 : 278 .

2- المبسوط 1 : 95 .

3- مدارك الأحكام 3 : 255 المقدمة السابعة من الأذان .

4- ذكري الشيعة 3 : 195 .

السماء لم تختص بمدرسة أهل البيت ، فقد حكي الداودي عن ابن إسحاق أنّ جبرئيل أتى النبيّ بالأذان قبل أن يراه عبدالله بن زيد وعمر بثمانية أيام(1) ، ويؤيّد ما جاء عن عمر من أنّه ذهب ليشترى ناقوساً فأخبر أنّ ابن زيد قد أرى الأذان في المنام ، فرجع ليخبر رسول الله ، فقال له : « سبقك بذلك الوحي »(2) .

وقد روي عبدالرزاق عن ابن جريج عن عطاء أنّه سمع عبيد بن عمير يقول : إنّ الأذان كان بوحي من الله(3) .

وروي السيّد ابن طاووس - من علماء الشيعة الإمامية - بإسناده إلي عبدالرزاق عن معمر ، عن ابن حمّاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبيّ في حديث المعراج ، قال : « ثمّ قام جبرئيل فوضع سبّابته اليمنى في أذنه فأذن مثنى مثنى .. يقول في آخرها : « حيّ علي خير العمل ، حتّى إذا قضى أذانه أقام للصلاة مثنى مثنى »(4) .

وفي كنز العمّال « مسند رافع بن خديج » : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالْأَذَانِ ، فَنَزَلَ بِهِ فَعَلَّمَهُ جَبْرَائِيلُ (الطبراني في الاوسط عن ابن عمر) (5) .

ولذلك حاول القسطلاني الشافعي في (إرشاد الساري) التخلّص من إشكال التشريع بالرؤيا ، فأدعي أنّ المشرّع للأذان هو النصّ الذي أقرّ المنام لا نفس المنام ، فقال : قوله تبارك وتعالى : { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } معاني عبادة الله وشرائعه ، واستدلّ علي مشروعية الأذان بالنصّ لا بالمنام

1- سبل الهدى والرشاد 3 : 361 ، وانظر : تنوير الحوالك : 86 ، وفتح الباري 2 : 65 .

2- تاريخ الخميس 1 : 360 ، وانظر : السيرة الحلبية 2 : 301 - 302 .

3- المصنّف ، لعبد الرزاق 1 : 456/1775 كتاب الصلاة بدء الأذان .

4- سعد السعود 100 ، وفي متن بحار الأنوار 81 : 107 : فوضع سبّابته اليمنى في أذنه اليمنى .. حيّ علي خير العمل مثنى مثنى ... الخ .

5- كنز العمّال 8 : 329 كتاب الصلاة فصل من الأذان ح 23138 . وانظر مجمع الزوائد 1 : 329 .

وحده(1) لكنك تعلم أنّ الإشكال باق بحاله ، إذ لا معني للمنام في هذه الحالة .

وقال السرخسي - من أعلام الحنفيّة - في (المبسوط) :... وروي أنّ سبعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين رأوا تلك الرؤيا في ليلة واحدة ، وكان أبو حفص محمّد بن عليّ ينكر هذا ويقول : تعمدون إلي ما هو من معالم الدين فتقولون : ثبت بالرؤيا ! كلاً ولكنّ النبيّ صلي الله عليه وآله حين أُسري به إلي المسجد الأقصى وجمع له النبيون ، أذنّ ملك وأقام ، فصلّي بهم رسول الله . وقيل : نزل به جبرئيل عليه الصلاة والسلام ، حتّي قال كثير بن مرة : أذنّ جبرئيل في السماء فسمعه عمر(2) .

1- إرشاد الساري 2 : 2 كتاب الأذان . عمدة القارئ 5 : 7 و 102 .

2- المبسوط للسرخسي 1 : 128 كتاب الصلاة باب الأذان .

وقفه مع أحاديث الرؤيا

اتّضح بجلاء - من خلال ما مرّ بنا من أحاديث وأقوال وغيرها - أنّ القول بتشريع الأذان في الإسراء والمعراج ، ممّا لم ينفرد به الإماميّة الاثنا عشرية ، وإنّما قالت به الشيعة الزيدية والإسماعيلية أيضاً ، إضافةً إليّ أعلام من أهل السنّة ، وهذا يعني أنّ تشريع الأذان - بوصفه فعلاً تعبدياً - كان سماوياً وعلوياً وليس مناماً وأرضياً ، وهذا القول ينسجم تماماً مع التشريعات السماوية الإلهية ، ومع الاعتقاد بالنبوة والوحي ، التي هي واسطة في التشريع بين الله تعالى وبين خلقه .

أمّا القول بأنّه كان عبر منام رآه رجل وأخبر به النبيّ صلي الله عليه وآله فإنّه من مفردات بعض أهل السنّة ، والذي أمسي قولاً مشهوراً لديهم فيما بعد .

وإزاء اشتهاار هذا القول عندهم ، تبرز طائفة من التساؤلات المملّحة التي تصدر من الرؤية الإسلامية لحقائق الاشياء وعمق التشريع الإلهي .

ومن هذه التساؤلات : هل يسوغ لهذا القول - الذي يُسند تشريع الأذان إليّ رؤيا أحد الناس - أن يتلاءم وأصول الشريعة القائمة عليّ تلقّي النبيّ صلي الله عليه وآله من الله سبحانه ؟

وهل يسوغ - في منطق الإسلام والوحي - أن تؤخذ الشريعة من الأحلام والمنامات والأقاصيص ، أو حتّي من المشاورة كما جاء في بعض أحاديث الأذان ؟

أولاً: إنَّ المنام لا يصحَّ أن يُستند إليه في القضايا الشرعية، ولا يمكن أن يُعتمد عليه في تشريع الأحكام.. اللهم إلا أن يكون رؤيا رآها رسول الله نفسه؛ لأنَّها جزء من الوحي.

إنَّ التلقّي عن الله وحصر الأخذ عنه جلّ وعلا تنفي كلّ ما عدا الوحي الإلهي في التشريع، وتؤكد أنّ هذا الوحي هو وحده المنبع الذي ليس للنبي أن يبدّله أو يغيّر فيه من تلقاء نفسه، كما عزّنا الله سبحانه ذلك بقوله: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحِي إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (1).

وقال: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءِ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} (2).

وقال أيضاً: {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبَعُ مَا يُوحِي إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (3).

وقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} (4).

وقال في ملائكته: {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} (5).

إنَّ هذه الآيات الشريفة صريحة في أنّه ليس لرسول الله ولا لملائكته أن يسبقوه

1- يونس : 15 .

2- الأحقاف : 9 .

3- الأعراف : 203 .

4- النجم : 3 - 5 .

5- الأنبياء : 26 - 27 .

بالقول أو أن يُشرِّعوا من قِبَل أنفسهم ، إذ ليس لهم إلا الاستماع إلي الوحي وانتظاره ، وقد انتظر الرسولُ صلي الله عليه وآله الوحي في تغيير القبلة مدة ستة أشهر أو سبعة حتى نزل قوله تعالى : { قَدْ نَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } (1).

أما التشاور فهو أبعد ما يكون عن أن يتولَّد منه حكم شرعيّ ، ذلك أن لله الدين الخالص وليس لغيره فيه من شيءٍ ، كما قال جلّ جلاله : { يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ } (2) . من هنا يكون قول الحقّ تعالى : { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } دالاً علي المشاورة في الموضوعات الخارجية وشئون الحياة اليومية ، والمواقف العملية من بعض الحوادث ، كالموقف في الحرب ومواجهة مكائد الأعداء وإمكانيات سبل السلام ، وما إليها .

وهذه المشاورة ذات ثمرات صالحة ، منها : أنّها تُشعر المشاورين بالمشاركة في صنع الموقف المسؤول ، ومنها أنّها تهبهم طاقة للاندفاع في سبيل تنفيذ مقرّرات هذه المشاورة وتحمل نتائجها . ومع ذلك كلّ تظلّ لرسول الله صلي الله عليه وآله الكلمة الأخيرة في مقرّرات المشاورة ، فهو الذي يحدّد ما ينبغي وما لا ينبغي ، ويكون عزمه في المسألة هو الساري الجاري { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } .

إنّ الشوري ليس لها دخل في الأحكام ، ومتي تدخلت في الحكم فإنّها تكون قد شاركت الوحي في التشريع ، وهوّنت من شأن النبوة والنبويّ ، وفتحت باباً للتقول علي الله .. ذلك التقول الذي هدّد الله تعالى باجتراح ولو بعض منه .

ولقد حذّر اللهُ رسوله - وهو أحبّ خلقه إليه - أيما تحذير ، وهدّده أيما تهديد..

1- البقرة : 144 .

2- آل عمران : 154 .

إذا ما غيّر حرفاً واحداً ، وذلك لما جاءه أهل قرية الناصرة بأحمال الذهب والفضة والحريير وأرادوا إعطاءها رشوةً للنبيّ صلي الله عليه وآله في مقابل أن يُبدّل حرف الباء تاءً في لفظة « أبوا » بعد نزول قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا } (1). وعندئذ نزل التهديد الإلهي ليعلم الناس أن دين الله خالص نقي لا يجوز بحال أن يشوبه شيء من رأي البشر ولو قلّ وصدّئ إلى مستوي حرف استمع إلي تعابير المواجهة والإنذار : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } (2) ، وهو الذي { وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (3).

ثانياً : إنّ الأذان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفريضة الصلاة التي هي « خيرُ موضوع » ، كما يقول رسول الله صلي الله عليه وآله ، وهي عمود الدين وأساسه الجوهري .. إلي حدّ أن جعل الإمام الهادي الزيدي الأذان من أصول الدين ! كما مرّ بنا سابقاً .

والأذان مقدّمة للصلاة ، وكلاهما عبادة خالصة لله عزّوجلّ صادرة عن حقيقة وجودية توحيدية عميقة . من هنا يكون من الغفلة الاعتقاد بأنّ الله عزّوجلّ قد أمر خاتم أنبيائه الكرام بإقامة الصلاة علي وجهها الذي شرّعه الله تعالى ، ثم ترك شأن تعليم أذان الصلاة وإقامتها لأناس عاديين يقولون إنهم رأوها في المنام ! أو إنهم قد أضافوا إليها من عندهم ما يكملها ، دون أن يُعلّمها رسولُه الذي هو مبلغ الوحي وحامل راية الهدى لأجيال البشرية كافة .

ثالثاً : تشير بعض النصوص السنّية التي أوردتها كتب الصحاح والسنن في

1- الكهف : 77 .

2- الحاقّة : 44 - 47 .

3- النجم : 3 .

موضوع الأذان إلي أنّ رسول الله كان في حيرة من أمر الأذان ، ولم يكن يعلم الحكم الإلهي فيه أيّاماً ، حتّى شاور الصحابة في ذلك ، وأمر بناقوس النصارى ليكون إعلماً لوقت الصلاة حتّى « كاد ينفس » !

وفي هذا الرأي من التوهين والتقليل من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا خفاء فيه ، وهو ممّا يرفضه منطق القرآن الكريم ، ويرفضه المنطق الإيماني علي وجه العموم ، ذلك أنّ هذا التوهين يعارض دعوة القرآن المسلمين إلي توقير رسول الله وتعظيمه ، ويضادّ نهى الذين آمنوا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله ، تعريفاً بتميزه وعلوّ مقامه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } (1) اهتماماً بمكانته صلى الله عليه وآله وشأنه .

وتجدر الإشارة إلي أنّ هذه الآية نزلت لمّا تنازع أبو بكر وعمر في تعيين من يكون موفد الرسول المصطفى إلي بني تميم .

فقال أبو بكر : القعقاع بن معبد ، وقال عمر : الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلاّ خلافي ، فقال عمر : ما أردت خلافاً ، فتمارّيا حتّى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت في ذلك هذه الآيات الحكيمة (2) .

فإذا كان الله سبحانه لا يرتضي التنازع ورفع الصوت بمحضر النبي في آية قضية من القضايا احتراماً له وتوقيراً لمقامه ، فكيف يصحّ أن يُنسب إليه التحير في شأن أمر تعبدي كالأذان حتّى اختار - أو كاد أن يختار - ناقوس النصارى يُنفس به

1- الحجرات : 1 - 2 .

2- انظر : صحيح البخاريّ 6 : 290 كتاب المغازي ، باب وفد بني تميم ج 812 ، باب وفد بني تميم .

رابعاً: أهمل الشيخان البخاري ومسلم وكذا الحاكم النيسابوري في مستدركه ذكر أحاديث رؤيا عبدالله بن زيد ، بل في المستدرک عن (سفيان بن الليل عن الإمام الحسن السبط) ما يُسَخَّفُ تشريع الأذان بالمنام .

وقد أجاب الحاكم معللاً ترك الشيخين أحاديث عبدالله بن زيد التي قصّها علي رسول الله بقوله : (... وإتّما ترك الشيخان حديث عبدالله بن زيد في الأذان والرؤيا التي قصّها علي رسول الله بهذا الإسناد(1)) ، لتقدّم موت عبدالله بن زيد ، فقد قيل : إنّه استشهد بأحد ، وقيل : بعد ذلك ببسیر ، والله أعلم (2) .

-
- 1- ليس فيما روي عن عبدالله بن زيد في الأذان ما رجّاه علي شرط الشيخين إلا ما رواه بشير بن محمد بن عبدالله بن زيد عن جده عبدالله بن زيد ، ولكن لم يخرج الشيخان في صحيحيهما لأنّه منقطع ؛ فالحفيد بشير لم يدرك جده عبدالله بن زيد .
- 2- المستدرک للحاكم 4 : 348 كتاب الفرائض ، باب ردّ الصدقة ميراثاً . قال ابن حجر في تلخيص الحبير 3 : 162 . (وقال الحاكم والبيهقي : الروايات عن عبدالله بن زيد في هذا الباب كلّها منقطعة ؛ لأنّ عبدالله بن زيد استشهد يوم أحد . ثمّ أسند عن الدراوردي عن عبيدالله بن عمر قال : دخلت ابنة عبدالله بن زيد علي عمر بن عبدالعزيز فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا ابنة عبدالله بن زيد ، شهد أبي بدمراً وقتل يوم أحد ، وفي صحّة هذا نظر ؛ فإن عبيدالله بن عمر لم يدرك هذه القصة ... وروي الواقدي عن محمد بن عبدالله بن زيد قال : توفّي أبي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ، وقال ابن سعد : شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها ، ولو صحّ ما تقدم للزم أن تكون بنت عبدالله بن زيد صحابية) . عن تلخيص الحبير 3 : 162 - 163 . أقول : الظاهر أنّ كلام الحاكم هو الصحيح ، فإنّ الراوي هو عبيدالله بن عمر العمري كما في الإصابة 2 : 312 ترجمة عبدالله بن زيد بن ثعلبة ، وهو عبيدالله بن عمر بن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطّاب ، المتوفّي سنة 144 أو 145 أو 147 هـ ، والمسند إليه صحيح بلحاظ الراوي والمروي عنه . انظر : تهذيب الكمال 19 : 124 - 130 .

ويشير إهمال الشيخين لهذا الحديث إلى أنه لا أصل لحديث عبدالله بن زيد عن رسول الله ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة عمر بن عبدالعزيز عن عبيدالله بن عمر ، قال : (دَخَلْتُ ابنة عبدالله بن زيد علي عمر بن عبدالعزيز ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا بنت عبدالله بن زيد ، أبي شهد بدمراً وَقُتِلَ يوم أحد ، فقال عمر :

تلك المكارمُ لا قعبان من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

سَلِينِي ما شئتِ ، فسألت فأعطاها ما سألت (1)).

ولو ثبت بشكل قطعي أنّ عبدالله رأى الأذان لذكرت ابنته هذه المكرمة له وعدتها ضمن منقبته الأوليين : حضوره بدمراً وقتله بأحد ، بل أن فضيلة رؤيا الأذان لو كانت واقعةً فعلاً لما ضاهاها شيء ؛ إذ إنّ الوحي قد وافقه في هذه المسألة دون عموم بني البشر ، وهي أهم من حضوره بدمراً وقتله بأحد ، وذلك لمشاركة آخرين له في هاتين الفضيلتين .

إنّ عدم ذكر ابنة عبدالله بن زيد لهذه المنقبة - وهي في معرض استعطاف عمر بن عبدالعزيز - ليشير إلى عدم ثبوت هذه المكرمة له في العهد الأول .

خامساً : من الثابت عند أهل العلم أنّ رؤيا الأنبياء وحدهم حجة ، لا رؤيا غيرهم . نعم ، إنهم صحّحوا هذه الرؤيا والمنامات الأخرى بتطابق الوحي معها .

قال العسقلاني : (وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبدالله بن زيد ، لأنّ رؤيا غير الأنبياء لا يُبنى عليها حكم شرعيّ ، وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ...) (2) .

1- حلية الأولياء 5 : 322 ترجمة عمر بن عبدالعزيز ، وعنه في الإصابة 2 : 312 ترجمة عبدالله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة .

2- فتح الباري 2 : 65 باب الأذان مثني .

لكنّ هذا الجواب غير علمي ولا دقيق؛ لأنّ مجرد احتمال مقارنة الوحي لا يفيد، إذ لو كان ذلك صحيحاً لذكرته الروايات المعتمدة في الباب ولم تنحصر باجتهادات أمثال ابن حجر .

ثمّ لماذا لم ينزل الوحي علي رسول الله حينما كان متحيّراً في أوّل أمره (أي حينما قَدِم المدينة) حتّى أخبره عبدالله بن زيد بمنامه، ثمّ تطابق الوحي مع الرؤيا بعد ذلك؟!

إنّ تعارض النصوص وتخالفها مع الثوابت الأخرى تُخطئ هذه الرؤية؛ لأنّ القول بتشريع الأذان في المَسري لا يتطابق مع حيرة النبيّ وسعيه لمشاورة الصحابة في المدينة، وخصوصاً حينما نشم رائحة الغلّو من بعض النصوص وأدّعاء نزول ما يشابه الوحي علي عبدالله بن زيد، أو علي عمر، أو بلال، لقول عبدالله في بعض النصوص: «كأنّي وأنا بين نائم ويقظان»، وفي آخر: «لولا أن يقول الناس لقلتُ بأنّي كنتُ يقظان غير نائم»!!

أو ما جاء في نصوص أُخري: «إنّ جبرئيل أذّن في سماء الدنيا، فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً فأخبر النبيّ ثمّ جاء...»، أفلا تري أنّ هذه النصوص ترفع من شأن عبدالله بن زيد ومن شأن عمر إلي مرتبة النبوة، وتغلو فيهما؟!

بل العجب العجيب أن نري إلقاء العبء الأكبر في الأذان علي عبد الله بن زيد بن عبد ربّه الخزرجي الأنصاري، هذا الصحابي غير الواضح المعالم في التاريخ والفقه، والذي لم يُعرف ولم يشتهر إلا عبر هذه المفردة، إذ عرف ب- «الذي أرى الأذان». ومثل ذلك ما قيل في سَمِيّه عبدالله بن زيد بن عاصم المازني الأنصاري «صاحب حديث الوضوء» الذي ألقوا علي عهدته قسماً من الوضوء الثلاثي الغسلي وادّعوا أنّ الأخبار الصحيحة جاءت عنه وهو منها بريء!

فلماذا هذان الصحابيان الأنصاريان الغامضا المعالم؟! اللذان لا يعرفان إلا في

حديثي الأذان والوضوء!؟

وبعد هذا، لابدّ من الإشارة إلى إشكال آخر أثاره السَّهيليّ (1) والعسقلانيّ وغيرهما حاولوا الاجابة عنه .

قال ابن حجر في إرشاد الساري : (فإن قلت : ما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل ولم يكن بوحي ؟

أجيب : لما فيه من التنويه بالنبيّ والرفع لذكره ؛ لأنّه إذا كان علي لسان غيره كان أرفع لذكره وأفخر لشأنه ، علي أنّه روي أبو داود في المراسيل أنّ عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبيّ فوجد الوحي قد ورد بذلك ، فما راعه إلا أذان بلال ، فقال له عليه السلام : سبقك بها الوحي . ورواة هذا الحديث خمسة ، وفيه التحديث والإخبار (2).

وهذا التعليل عليل ، لأنّه لو صحّ لحاظ هذا الوجه في كلّ شيء ورد فيه ذكر الشهادتين ، لأنّ نقل ذلك علي لسان غيره أرفع لذكره وأفخر لشأنه وأدفع لتهم أعدائه ، في حين نعلم بأنّ الباري جلّ شأنه هو الذي رفع ذكره بقوله : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (3) ، وبعد هذا فلا يحتاج إلي أن يرفع ذكره بعد الباري جلّ شأنه أحد .

هذه أهمّ الأقوال التي قيلت في تشريع الأذان عند مدرسة أهل السنّة والجماعة ، وقد يمكن إرجاع بعضها إلي بعض ، وتقليص حجم اختلافاتها ، غير أنّ إعادة جميع النصوص إلي قول واحد محالّ من القول ، لأنّ القول بتشريعها والتأذين بها في الإسراء والمعراج لا يتفق مع همّ وغمّ رسول الله في المدينة وجلوسه

1- في الروض الانف 2 : 356 .

2- إرشاد الساري 2 : 4 .

3- الشرح : 4 .

مع أصحابه يستشيرهم في كيفية التأذين وطريقة جمع المسلمين علي شيء واحد .

وهكذا الحال بالنسبة إلي ما جاء عن عمر وأنه كان أول من سمع أذان جبرئيل في السماء ثم بلال ، أو ما حكى عنه من أنه

أضاف الشهادة بالنبوة في الأذان بعد أن كانت فيه الشهادة بالتوحيد فقط ، فإنه لا يتفق مع تشريع الأذان في المسري .

وكذا القول بأن أبا بكر كان أول من أخبر رسول الله بالأذان - كما في خبر جامع المسانيد - فهو يخالف المشهور بين المحدثين من أن عبد الله بن زيد الأنصاري كان أول من أخبر رسول الله بمنامه .

وكذا الحال بالنسبة إلي ما اشتهر عن عبد الله بن زيد وأنه أخبر رسول الله في الصّباح - بعد أن نام بالليل - لقوله : (فلما أصبحت أتيت رسول الله) أو : (فلما غدا ...) وهو يخالف ما قاله الحافظ الدمياطي في سيرته من أن عبد الله بن زيد أتى رسول الله ليلاً وأخبره (1) .

وقد حاول الحلبيّ الجمع بين القولين ذاهباً إلي عدم المنافاة بينهما ؛ لأنّ جملة : (فلما أصبحت) أو : (فلما غدا) إشارة إلي مقارنة الوقت للصباح .

وهذا تأويل بعيد يخالف الظاهر ، لأن المتبادر من كلمة (فلما اصبحت) أو (غدوت) صريح في الصبح ، فكان علي الحلبي أن يخطئ نقل الحافظ الدمياطي وهو خير له من أن يقول بهذا القول .

وكذا الحال بالنسبة إلي عمر بن الخطّاب ، ففي بعض النصوص نراه يخرج حينما سمع الأذان (وهو في بيته يجرد رداءه) ، وفي بعض آخر نراه يقترح علي رسول الله بقوله : (أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟) ، ف- (فخرج يجرد رداءه) يختلف مع (أو لا تبعثون) لكون الثاني يشير إلي أنّ الأذان شرّع باقتراح عمر ابن الخطّاب وأنّه كان

بمحضر الرسول ، أمّا جملة (فخرج يجر رداءه) فتشير إلي أنّه سمع الأذان وهو في بيته .

قال القسطلاني في إرشاد الساري - بعد أن أتى بخبر ابن عمر السابق الذكر - : (كان المسلمون حين قدموا المدينة) ؛ قال الحافظ ابن حجر بأنّ سياق حديث عبدالله بن زيد يخالف ذلك ، فإنّ فيه أنّه لمّا قصّ رؤياه علي النبيّ ، قال : فسمع عمر الصوت فخرج فأتي النبيّ فقال : رأيتُ مثل الذي رأي . فدلّ علي أنّ عمر لم يكن حاضراً لمّا قصّ عبدالله .

قال : والظاهر أنّ إشارة عمر بإرسال رجل ينادي بالصلاة كانت عقب المشاورة فيما يفعلونه ، وأنّ رؤيا عبدالله كانت بعد ذلك ؛ وتعبّه العينيّ بما رواه أبو داود عن أبي بشر ، عن أبي عمير ، عن أنس ، عن عمومة له من الأنصار ، أنّ عبدالله بن زيد : قال (إذ أتاني آت فأراني الأذان ، وكان عمر قد رآه قبل ذلك فكنتمه ، فقال له النبيّ : ما منعك أن تخبرنا ...) إلي آخره ، ليس فيه أنّ عمر سمع الصوت فخرج ؛ فقال : فهو يؤولي كلام القرطبيّ ويردّ كلام بعضهم - أي ابن حجر - انتهى .

وأجاب ابن حجر في انتقاض الاعتراض بأنّه إذا سكت في رواية أبي عمير عن قوله : فسمع عمر الصوت فخرج ، وأثبتها ابن عمر ، إنّما يكون إثبات ذلك دالاً علي أنّه لم يكن حاضراً ، فكيف يعترض بمثل هذا؟! (1).

ومجمل الكلام أنّهم بهذه الوجوه سعوا للجمع بين بعض النصوص ، ولكن أنّي لهم الجمع في موارد الأخرى ؟ فإنهم كلّما رفعوا منها جانباً انخرق منها جانب آخر ، ونحن تركنا مناقشة تلك الروايات سنداً خوفاً من الاطالة ، مكتفين بالتعليق علي دلالة بعضها .

وخلاصة القول : أنَّ الأذان كغيره من الشرائع قد جرى فيه اتّجاهان :

أحدهما : يقول بتشريعه في الإسراء والمعراج وأنّه من الوحي الذي لا يجوز فيه الزيادة والنقصان .

وثانيهما : يعتقد بأنّ تشريعه جاء علي أثر منام رآه عبدالله بن زيد بن عبد ربّه ، أو أنّه شرّع بمشورة من الصحابة .

وقد اختلف الاتّجاهان في المفاهيم والأصول ؛ لأنّ القائل بتشريعه في الإسراء والمعراج يربطه بقضايا إلهيّة قدسيّة ، حيث إنّ حقيقة الإسراء هي حقيقة عالية ترتبط بالغيب ، وإنّ أهل بيت الرسالة وبعض الصحابة المتعبّدين كانوا هم المطّلعين بما دار في الإسراء والمعراج ، بعكس بعض قريش التي كانت تنكر حقيقة المسري وتسخّف مغزاه ، فلم تكن تقبل بأن الرسول الأعظم تجاوز الحجب حتّي وصل إلي دار العظمة ، حاملاً معه مفاهيم ربانية وأفكاراً عالية لا يمكن الوصول إليها إلّا بالاستعانة بالقدرة الإلهيّة ، ولا يمكن معرفة دقائقها إلّا عن أهل بيت الرسالة والوحي ، الذين وضحو لنا المبهم من هذه الأمور .

أمّا القائل بتشريعه عن طريق رؤيا رآها عبدالله بن زيد ، أو سبعة آخرون من الصحابة ، فيعطي لفكرته مسحة عدم التوقيف ، ليكون له مساغ في أن يزيد في هذه الشعيرة المقدسة ، أو ينقص منها .

قال السرخسي في المبسوط : « ... بدليل ما روي عن إبراهيم أنّ : أوّل من أفرّد الإقامة معاوية . وقال مجاهد : كانت الإقامة مثني كالأذان حتّي استخفّه بعض أمراء الجور فأفرده لحاجة لهم » (1) .

1- المبسوط 1 : 129 كتاب الصلاة باب بدء الأذان ، وانظر : المصنف لعبد الرزّاق 1 : 1793/463 .

وقال ابن عبد البرّ - في فتح المالك بتبويب التمهيد علي موطأ مالك - وهو يريد أن يصحّح اختلاف أحاديث الأذان بقوله : (روي عن النبيّ في قصّة عبدالله بن زيد هذه في بدء الأذان جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة ومعان متقاربة ، وكلّها تتفق علي أنّ عبدالله بن زيد أُرِي النداء في النوم ، وأنّ رسول الله أمر به عند ذلك ، وكان ذلك أوّل أمر الأذان ...) (1) .

فهذا النصّ وما سبقه يتضح منهما أن غالب أهل السنّة والجماعة يقولون بعدم توقيفية الأذان بالنحو الذي تقوله الشيعة ، إذ العامة يستدلون علي شرعية الأذان بمنام عبد الله بن زيد حتّي أنّ بعض أمراء الجور أفرد الإقامة لحاجة له .

والعجب في هذا الباب ما قاله ابن عبد البرّ في موضع آخر من الكتاب المذكور : « في حديث هذا الباب لمالك وغيره من سائر ما أوردنا فيه من الآثار أوضح الدلائل علي فضل الرؤيا وأنها من الوحي والنبوة ، وحسبك بذلك فضلاً لها وشرفاً ، ولو لم تكن حياً من الله ما جعلها شريعة ومنهاجاً لدينه » (2) .

قال أبو عمر (3) : « اختلفت الآثار في صفة الأذان وإن كانت متّفقة في أصل أمره ، كان من رؤيا عبدالله بن زيد ، وقد رآه عمر بن الخطّاب أيضاً (4) !!! »

أفلا يدل قوله هذا علي أنّ لعبدالله بن زيد وعمر بعض النبوة؟!!

كانت هذه صورة مصغّرة عن اختلاف الآراء في مدرسة الخلفاء حول بدء تشريع الأذان ، وكيف اتفقت مدرسة أهل البيت ومعها الصحابة المتعبدون علي أنّه كان في الإسراء بتعليم من الله العليّ العظيم .

1- فتح المالك 2 : 3 .

2- فتح المالك 2 : 7 .

3- هو ابن عبد البرّ .

4- التمهيد لابن عبد البر 24 : 27 .

تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا

إشارة

بعد أن توصلنا إلي وجود اختلاف بين المسلمين في كيفية تشريع هذه الشعيرة الإسلامية ، وعلمنا أنّ أهل بيت النبوة لا يقبلون فكرة الرؤيا ، حاولنا تحديد زمن النزاع بين المسلمين ، والدوافع الكامنة وراء طرح مثل هذه الآراء في الشريعة .

ممّا لا شك فيه أنّ قدرات المسلمين وأفهامهم وإدراكاتهم لحقيقة الإيمان والإسلام لم تكن بمرتبة واحدة.

فالبعض منهم كان يفهم مغزي الرسالة ومكانة الرسول وما ير يده الله من أوامره ونواهيه بدقّة عالية فكان يتعبد بما قاله رسول الله ولا يري لنفسه الخيرة من أمره .

والبعض الآخر كان يري لنفسه حقّ التشريع وإبداء الرأي مسمياً فعله بالاجتهاد .

وهناك اتجاه ثالث أغرق في النزاع ، فراح يتعامل مع الرسول كأنّه رجل حارب فانتصر !

ورابع وخامس ...

وقد وضعنا في دراستنا لأسباب « منع تدوين الحديث » ونتائج هذه الاتجاهات وقلنا أنّها جميعاً تنخرط وتتظم في نهجين هما :

1 - المتعبدون = التعبد المحض .

2 - المجتهدون = الاجتهاد بالرأي .

ونحن لا نريد أن نعود إلي ما كتبناه سابقاً ، بل نريد الإشارة إلي بعض الشيء عن هذين النهجين ، مؤكدين الكلية التي رسمناها في دراسة ملايسات التشريع ، مبينين كيفية تطبيقها في مفردة الأذان، وكيف ارتبطت قضية الأذان بالمنام بعد ثبوتها في الاسراء والمعراج ، وما هو ارتباطها بالرؤيا التي أفلقت النبي صلي الله عليه وآله ؛ تلك الرؤيا التي رأى صلي الله عليه وآله فيها بني أمية يَنْزُونَ علي منبره الشريف نَزْو القردة ؟

وقد رأينا تقديم شيء من خبر الإسراء والتحريفات الواقعة فيه ؛ لارتباطه ببيان رؤيتنا بصدد الرؤيا في الأذان ، وهو بيان لدواعي اختلاف المسلمين في بدء الأذان ، فنقول :

إنَّ خبر الإسراء والمعراج ثابت لا كلام فيه ، وقد وردت سورة باسم الإسراء في الذكر الحكيم .

وقد اختلف المسلمون في يوم الإسراء ومكانه وكيفية عروجه صلي الله عليه وآله إلي السماء ، وما جري في الإسراء والمعراج ، وهل أُسري به مرّة أو مرتين (1) أو أكثر من ذلك (2) ، وهل كان عروجه بروحه وجسده أم بروحه فقط ؟ علي أنّ هناك من فَصَّل بين إسرائه ومعراجه ، فقال بأن إسرائه من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى كان بروحه وجسمه ، وأنَّ عروجه إلي السماء كان بروحه فقط ؟

فالذين لا يدركون عمق الرسالة ومكانة الرسول شكّكوا في حقيقة الإسراء والمعراج وقالوا بأشياء لا تتفق مع رسالة الغيب والوحي ، وقد ارتدَّ بعض من أسلمَ حينما سمع بخبر الإسراء ، وهناك من ثبت علي الدين وصدَّق بما قال الرسول وبما

1- انظر : علي سبيل المثال تفسير ابن كثير 3 : 22 حيث قال : وقد صرَّح بعض من المتأخّرين بأنّه عليه السلام أُسري به مرّة من مكّة إلي بيت المقدس فقط ، ومرّة من مكّة إلي السماء فقط ، ومرّة إلي بيت المقدس ومنه إلي السماء .

2- الخصال : 600 . وانظر : علل الشرائع : 149 .

حكاه من مشاهدات ومعجيات ، كبعض الصحابة المتعبدين المخلصين الذين شهد لهم التاريخ بصدقهم ووفائهم وبقائهم علي العهد الذي فارقوا رسول الله صلي الله عليه وآله عليه .

نعم ، قد اختلفت النصوص في مكان الإسراء ، فالبعض منها صرحت بأنه صلي الله عليه وآله أسري به من شعب أبي طالب(1) ، والأخري من بيت خديجة(2) ، وثالثة من بيت فاختة « أم هاني » بنت أبي طالب(3) أخت الإمام علي ، ورابعة من بيت عائشة(4) .

ففي تفسير الطبري بإسناده عن أبي صالح بن ياذم ، عن أم هاني بنت أبي طالب في مسري النبي ، أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة ، فصلي العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبطنا رسول الله ، فلما صلي الصبح وصلينا معه قال : يا أم هاني ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين(5) .

وفي بعض الآثار أن أم هاني قالت : فقدته صلي الله عليه وآله - وكان نائماً عندي - فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش . ويقال : أنه تفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ، ووصل العباس إلي ذي طوي وهو ينادي : يا محمد ، يا محمد ، فأجابه صلي الله عليه وآله .

-
- 1- فتح الباري 7 : 160 كتاب أحاديث الأنبياء ، باب المعراج ، الدر المنثور 4 : 149 سورة الإسراء عن ابن أبي حاتم عن قتادة .
 - 2- المجموع النووي 9 : 248 باب ما يجوز بيعه وما لا يجوز ، فرع في مذاهب العلماء في بيع دور مكة ، شرح الأزهار 1 : 199 .
 - 3- المغني 10 : 616 كتاب الجزية ، الشرح الكبير 10 : 621 كتاب الجزية ، فتح الباري 7 : 160 ، تحفة الأحوذى 9 : 193 .
 - 4- الدر المنثور 4 : 157 ، 154 سورة الإسراء الآية 1 ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى 1 : 194 .
 - 5- تفسير الطبري 15 : 3 سورة بني إسرائيل الآية 1 .

فقال : يا ابن أخي ، أعييتَ قومك ! أين كنت ؟

قال : ذهبْتُ إلي بيت المقدس .

قال : من ليلتك !؟

قال : نعم .

قال : هل أصابك إلا خير ؟

قال : ما أصابني إلا خير ، وقيل غير ذلك (1) .

وفي روضة الكافي عن الصادق عليه السلام قال : لَمَّا أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْبَحَ فَقَعَدَ فَحَدَّثَهُمْ بِذَلِكَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : صِيفٌ لَنَا بَيْتُ الْمَقْدِسِ . قَالَ : فَوَصَفَ لَهُمْ ، وَإِنَّمَا دَخَلَهُ لَيْلًا فَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ النَّعْتُ ، فَأَتَاهُ جِبْرِئِيلُ فَقَالَ : انْظُرْ هَاهُنَا ، فَانْظُرْ إِلَى الْبَيْتِ فَوَصَفَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَعَتَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ عَيْرٍ لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ عَيْرُ بَنِي فُلَانٍ تَقْدِمُ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَتَقَدَّمُهَا جَمَلٌ أَوْ رَقٌّ أَوْ أَحْمَرٌ . قَالَ : وَبَعَثْتَ قَرِيشَ رَجُلًا عَلَيَّ فَرَسَ لِي رَدَّهَا ، قَالَ : وَبَلَغَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، قَالَ قَرِطَةُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو : يَا لَهْفَا !! أَلَا أَكُونُ لَكَ جَذْعًا حِينَ تَزْعَمُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَرَجَعْتَ مِنْ لَيْلَتِكَ ! (2)

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لَمَّا أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَمَلَهُ جِبْرِئِيلُ عَلَيَّ الْبُرَاقَ ، فَأَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَحَارِيبَ الْأَنْبِيَاءِ وَصَلَّيْتُ بِهَا وَرَدَّهَ ، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ فِي رَجُوعِهِ بِعَيْرٍ لِقَرِيشَ ، وَإِذَا لَهُمْ مَاءٌ فِي آنِيَةٍ وَقَدْ أَضَلُّوا بِعَيْرٍ لَهُمْ وَكَانُوا يَطْلُبُونَهُ ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ وَأَهْرَقَ بَاقِيَهُ .

1- تفسير روح المعاني 15 : 6 سورة بني إسرائيل الآية 1 ، الدر المنثور 4 : 149 سورة الإسراء الآية 1 .

2- روضة الكافي 8 : 262 / الحديث 376 . وانظر : الدر المنثور 4 : 148 - 149 .

فلما أصبح رسول الله قال لقريش: إنَّ الله جلَّ جلاله قد أسري بي إلي بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، وإني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فشربتُ من مائهم وأهرقتُ باقي ذلك، فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه، فاسألوه: كم الأساطينُ فيها والقناديل؟

فقالوا: يا محمّد، إنَّها هنا من قد دخل بيت المقدس، فصِفْ لنا كم أساطينه وقناديله ومحاربه؟

فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه، فلما أخبرهم، قالوا: حتّي تجيء العير ونسألهم عمّا قلت، فقال لهم رسول الله: تصديقُ ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جملٌ أورق.

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلي العقبّة ويقولون: هذه الشمس تطلع [علينا] الساعة، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير - حتّي طلع القرص - يقدمها جمل أورق، فسألوهم عمّا قال رسول الله فقالوا: لقد كان هذا؛ ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماءً فأصبحنا وقد أهرق الماء فلم يزدْهم ذلك إلا عتوّاً (1).

وروي البغوي في تفسيره عن ابن عباس وعائشة عن رسول الله

صلي الله عليه وآله: لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكّة فضيقتُ بأمرى وعرفتُ أن الناس يكذبوني، فروى أنّه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً، فمرّ به أبو جهل فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل استفدت من شيء؟

قال: نعم، إنني أسري بي الليلة.

قال: إلي أين؟

قال: إلي بيت المقدس.

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟!

قال : نعم .

فلم يره أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ، قال : أتحدثُ قومك بما حدثتني به ؟

قال : نعم .

قال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤيِّ ، هلمّوا . قال : فانقضت إليه المجالس فجأؤوا حتّي جلسوا إليهما ، قال : فحدثتُ قومك بما حدثتني ؟

قال : نعم ، أنه أسري بي الليلة .

قالوا : إلي أين ؟

قال : إلي بيت المقدس .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال : نعم .

قال : فمن بين مصفّق ، ومن بين واضع يده علي رأسه متعجباً للكذب ، وارتدّ ناسٌ ممن كان آمن به وصدّقه ... (1)

قال ابن إسحاق : وحدثتُ عن الحسن : فلما أصبح صلي الله عليه وآله غدا علي قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين ! والله إن العير لتطرد شهراً من مكّة إلي الشام ؛ مُدبرةً شهراً ومُقبلةً شهراً ، فيذهب ذلك محمّد في ليلة واحدة ويرجع إلي مكّة !

قال : فارتدّ كثير ممن كان أسلم (2) ...

1- تفسير البغوي 3 : 79 . وانظر : مختصر تاريخ دمشق 17 : 189 ترجمة علي بن أحمد ابن المبارك .

2- أحكام القرآن للقرطبي 10 : 285 سورة بني إسرائيل الآية 60 .

كان هذا بعض الشيء عن الإسراء والمعراج وتكذيب قريش بهما ، وارتداد بعض المسلمين ، وقد سعت قريش وعن طريق حكام بني أمية وبعض علماء البلاط في العصور المتأخرة إلي التشكيك في الإسراء والمعراج والتقليل من عظمة هذا الأمر الإلهي ومكانة الرسول بطرح تشكيكات ذات طابع جدلي ، كالقول باستحالة صعود الأجسام إلي العالم العلوي بهذه السرعة الخارقة للعادة بحيث يذهب في آخر الليل ويرجع إلي مكة عند الفجر ، وعدم تطابق ما قيل في مقدمات هذا السفر الإلهي من شق الصدر وغسله بماء زمزم وركوبه صلي الله عليه و آله البراق و... مع العقل .

كلّ تلك التساؤلات بل قل التشكيكات جاءت مساوقة للتشكيك في مدلول قوله تعالى في الآية 60 من سورة الإسراء ؛ إذ قال سبحانه : {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ} حيث قالوا بأن الإسراء والمعراج كان بروحه صلي الله عليه و آله - لا بجسمه وروحه - كي يقللوا من واقع الإسراء ويعضدوا القول بأنه كان في المنام لا في اليقظة و...

فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : ما فقدتُ جسدَ رسولِ الله ، ولكنَّ الله أسري بروحه(1).

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان إذا سئل عن مسري رسول الله قال : كانت رؤيا صادقة(2).

1- الدر المنثور 4 : 157 . وفي تفسير الطبري 15 : 13 حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني بعض آل أبي بكر أنّ عائشة كانت تقول : ما فقدتُ جسدَ رسولِ الله ولكنَّ الله أسري بروحه .

2- الدر المنثور 4 : 157 . وفي تفسير الطبري 15 : 13 حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنّ معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسري رسول الله صلي الله عليه و آله قال : كانت رؤيا من الله صادقة !

قال القرطبي في تفسيره : وقد احتج لعائشة بقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ } فسمّاها رؤيا .

وهذا يرده قوله تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا } ، ولا يقال في النوم : « أسري » ، وأيضاً فقد يقال لرؤية العين « رؤيا » ... وفي نصوص الأخبار الثابتة دلالة واضحة علي أنّ الإسراء كان بالبدن ... (1)

وقال ابن عطية الأندلسي : ... والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، ولو كانت منامة ما أمكن قريشاً التشنيع ، ولا فضل أبو بكر بالتصديق ، ولا قالت له أم هاني : لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك ، إلي غير هذا من الدلائل .

واحتج لقول عائشة بقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ } ويحتمل القول الآخر ؛ لأنه يقال لرؤية العين « رؤيا » . واحتج أيضاً بأنّ في بعض الأحاديث « فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام » ، وهذا محتمل أن ير يد من الإسراء النوم .

واعترض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي عليه السلام ، وأمّا معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غير مشاهد للحال ، صغيراً ، ولم يحدث عن النبي ... (2)

وقال ابن كثير : ... فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادرت قريش إلي تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن « العبد » عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد

1- تفسير القرطبي 10 : 209 سورة الاسراء الآية 1 .

2- المحرر الوجيز 3 : 435 ، وانظر : تفسير الثعالبي 2 : 248 .

قال : {أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا}... (1)

ويجري مجري قوله تعالى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} ما في سورة النجم ، فقوله تعالى : {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} (2) لا يتفق مع الرؤيا ، بل الآية في سياق الامتنان وبيان آيات ربّه الكبري ، أمّا الرؤيا فهي نحو من التخيل يتفق للصالح والطالح ولا منزلة للرسول في القول بهذا .

هذا ويمكن إجابة كلّ التساؤلات والتشكيكات بأنّ الأمر كان معجزةً ، والمعجزة لا تدركها العقول البسيطة ، فهي من قبيل إحياء الأموات ، وتبديل العصي ثعباناً ، وكولادة عيسى من غير أب ، وخروج ناقه صالح من الجبل الاصم ، وقوله تعالى : {فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (3) ، وقوله تعالى : {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (4) صريحٌ بإحضار (من عنده علم من الكتاب) لعرش بلقيس من اقصى اليمن إلي اقصى الشام في مقدار لمح البصر ، وهو يشبه ما قاله سبحانه عن الرياح وأنها كانت تسير بسليمان {عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ} (5) في لحظة واحدة ، إلي غيرها من عشرات بل مئات الموارد .

إذاً رسالة الإسلام هي رسالة الغيب والإيمان بما خلق الله من الجن والملك

1- تفسير ابن كثير 3 : 23 سورة الإسراء آية 1 .

2- النجم : 17 - 18 .

3- البقرة : 260 .

4- النمل : 40 .

5- سبأ : 12 .

والروح ... والمسلم هو الذي يسلم بالغيب ويؤمن به لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} (1).

فلو كان معراج النبي محمد في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول آدم من الجنة وإصعاد عيسى إلي السماء ممتنعاً، بل لسري الشك في المعجزات لأنها في أصلها خرقٌ للقوانين المادية .

وعليه فهذه الرؤية طرحت لبذر الشك في قلوب المؤمنين من قبل {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (2) أو {الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} (3) في حين أن رسالة السماء معناها الغيب والماورائيات وهي تتفق مع الإسراء وما جاء فيه ، وهذا ما لا تدركه عقول هؤلاء من الامتحان الإلهي الذي سنّ ليمحص الله به المؤمنين ويميزهم عن الكافرين والمنافقين .

هذا وقد أجاب العلامة الطباطبائي في (الميزان) عمّا قاله بعض المفسرين من أن الشجرة الملعونة في القرآن تعني شجرة الزقوم التي قال عنها الباري جلّ شأنه : {أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} (4) ، بأن هذا الاحتمال بعيد جداً لأنه جلّ شأنه لم يلعبها في موضع من القرآن الكريم ، ولو كان مجرد كونها شجرة تخرج من أصل الجحيم سبباً موجباً للعبث في القرآن الكريم لكانت النار وما أعدّ الله فيها من العذاب ملعونة وهذا ما لم يقله أحد ، وكان ملائكة العذاب - الذين قال عنهم جلّ شأنه : {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً}

1- البقرة : 3 .

2- المائدة : 52 ، التوبة : 125 ، الأنفال : 49 .

3- النحل : 22 .

4- الصافات : 62 - 63 .

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا { (1) } - ملعونين ، في حين نراه سبحانه قد أثني عليهم بقوله : { عَلِيَّهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } { (2) } .

ولو صحَّ هذا الاحتمال لكانت أيدي المؤمنين ملعونة كذلك ؛ لقوله : { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } { (3) } .

ومثله حال بقية المعاذير التي ذكرها مفسروا أهل السنة والجماعة للتخلص من كيفية صحّة لعن الشجرة ، ومحاولتهم صرف الآية الكريمة عن لعن شجرة بني أمية (4) .

وإنك لو تدبّرت في تفسير قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ } لعرفت أنّ المقصود منها بنو أمية ؛ لما فعلوه من قبيح الأعمال ، ولا يصحّ ما قالوه بأنّ المعني من الرؤيا هي الإسراء وغيرها من الأفكار الفاسدة .

وبهذا فقد عرفت أنّ جهلهم بالأمر الغيبية ومكانة الرسول لم يكن عن قصور أو تقصير بدويين ، بل إنّ جذوره ترجع إلي خلفيات هي أعمق ممّا قالوه بكثير .

مع الرسول ورؤياه

قال الألويسي في تفسير آية الرؤيا : ... وأخرج ابن جرير ، عن سهل بن سعد ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بني أمية ينزون علي منبره نزو القردة فساء ذلك ، فما

1- المدثر : 31 .

2- التحريم : 6 .

3- التوبة : 14 .

4- انظر : علي سبيل المثال تفسير الميزان 13 : 141 - 143 ففيه جواب تلك المعاذير المطروحة .

استجمع ضاحكاً حتّى مات عليه الصلاة والسلام، وأنزل الله تعالى هذه الآية: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا} . وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر عن سعيد بن المسيب ، قال : رأى رسول الله صلي الله عليه وآله بني أمية علي المنابر فسأه ذلك ، فأوحى الله إليه : إنّما هي دنيا أعطوها ، فقوّرت عينه ، وذلك قوله تعالى : {وَمَا جَعَلْنَا} ... الخ .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن يعلي بن مرة ، قال : « قال رسول الله صلي الله عليه وآله : رأيت بني أمية علي منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء ، واهتمّ عليه الصلاة والسلام لذلك ، فأنزل الله سبحانه: {وَمَا جَعَلْنَا} ... الآية » .

وأخرج عن ابن عمر: أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال: « رأيتُ ولد الحَكَم بن أبي العاص علي المنابر كأنّهم القردة، وأنزل الله تعالى في ذلك {وَمَا جَعَلْنَا} ... الخ ، والشجرة الملعونة الحكم وولده » وفي عبارة بعض المفسرين : هي بنو أمية .

وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أنّها قالت لمروان بن الحكم : « سمعتُ رسول الله صلي الله عليه وآله يقول لأبيك وجدك : إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن » .

فعلي هذا معني إحاطته تعالى بالناس إحاطة أقداره بهم ، والكلام علي ما قيل علي حذف مضاف، أي « وما جعلنا تعبير الرؤيا » أو الرؤيا فيه مجاز عن تعبيرها ، ومعني جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاء لهم ومختبراً ، وبذلك فسره ابن المسيب .

وكان هذا بالنسبة إلي خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا ، وعدلوا عن سنن الحقّ وما عدلوا ، وما بعده بالنسبة إلي ما عدا خلفاءهم منهم ، ممن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً ، أو ممن كان من أعوانهم كيفما كان .

ويحتمل أن يكون المراد « ما جعلنا خلافتهم وما جعلناهم أنفسهم إلا فتنة » ، وفيه من المبالغة في ذمهم ما فيه . وجعل ضمير {نُحَوِّفُهُمْ} علي هذا لما كان له

أولاً ، أو للشجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة ، والفروج المحصنة ، وأخذ الأموال من غير حلها ومنع الحقوق عن أهلها ، وتبديل الأحكام ، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى علي نبيه عليه الصلاة والسلام ، إلي غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تُنسى ما دامت الليالي والأيام .

وجاء لعنهم في القرآن، إما علي الخصوص كما زعمته الشيعة ، أو علي العموم كما نقول ، فقد قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ، وقال عز وجل: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } إلي آيات أخر ، ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولا أولياً (1) ، انتهى موضع الحاجة من كلام الآلوسي .

وقال القرطبي في تفسيره : « فنزلت الآية مخبرة أنّ ذلك من تملّكهم وصعودهم [أي نزوهم علي منبره نزو القردة] يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً ، وقرأ الحسن بن عليّ في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: { وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَيَّ حِينٍ } . قال ابن عطية : وفي هذا التأويل نظر ، ولا يدخل في هذه الرؤيا ، عثمان ، ولا عمر بن عبدالعزيز ، ولا معاوية » (2) .

وعليه فلا يصحّ ما قالوه من تكلفات في كلمة الرؤيا والشجرة الملعونة في الآية ، مع وضوح أنّ الملعونين في القرآن هم جند إبليس واليهود ، والمشركون ، والمنافقون ، والذين ماتوا وهم كفار ، والذين يكتمون ما أنزل الله ، والذين يؤذون

1- تفسير روح المعاني 15 : 107 - 108 ، هذا ومن المفيد الرجوع إلي التفسير الكبير للرازي 20 : 236 - 237 لملاحظة سائر الأقوال في الآية المباركة .

2- تفسير القرطبي 10 : 283 سورة الاسراء .

الله ورسوله وغيرها لا شجرة الزقوم ولا غيرها من التأويلات التي صبغت بأخرة لإبعاد الآية الكريمة عن معناها الحقيقي (1).

المجتهدون الأوائل ودورهم في التشريع :

أبانت دراساتنا السابقة عن (وضوء النبي) و(منع تدوين الحديث) و(تاريخ الحديث النبوي الشريف) (2) بروز نهجين بعد رسول الله صلي الله عليه وآله كان موجودين في حياته :

1- وللتأكيد انظر : كتاب المأمون العباسي في تاريخ الطبري 10 : 57 - 58 حتى تقف علي الفهم السائد في القرون الأولى بالنسبة للشجرة الملعونة وأنها تعني بني أمية وأن أهل البيت هم العترة - والكتاب طويل نأخذ من قوله - : ... فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين ، أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة ، وكان ممن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر ، والسواد الأعظم ، يتلقونه بالتكذيب والتشريب ، ويقصدونه بالأذى والتخويف ، ويبادونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتّبعه ، وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة ، وأولهم في كلّ حرب ومناصبه ، لا يرفع علي الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدر ، وأحد ، والخندق ، والفتح : أبو سفيان بن حرب ، وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ، ثمّ الملعونين علي لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع ؛ لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ، ونفاقهم ، وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً حتّي قهره السيف ، وعلا أمر الله وهم كارهون ، فتقول بالإسلام غير منطوق عليه ، وأسرّ الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله والمسلمون وميّز له المؤلفة قلوبهم فقبله ، وولده علي علم منه ، ممّا لعنهم الله به علي لسان نبيه وأنزل به كتاباً قوله : (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوقَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أمية ، ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً علي حمار ، ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به : لعن الله القائد ، والراكب ، والسائق ...

2- طبع سابقا في مجلة تراثنا (الأعداد 53 - 60) تحت عنوان (السّنة بعد الرسول) .

أحدهما: يتّخذ المواقف من خلال الأصول، ويتّبع القرآن والسنة، ولا يرتضي الرأي والاجتهاد مع وجود النصّ .

والآخر: يتّخذ الأصول من خلال مواقف الصحابة وإن خالفت النصوص، فهؤلاء يشرعون الرأي ويأخذون به مقابل النص، ويتعاملون مع رسول الله كأنه بشر غير كامل يصيب ويخطئ ويسبّ ويلعن ثمّ يطلب المغفرة للملعونين (1)، أو أنّه صلي الله عليه وآله خفي عليه أمر الوحي حتّى أخبره ورقة بن نوفل بذلك! وهذا يخالف ما ثبت من أنّ خاتم النبوة كان مكتوباً علي كتفه .

وبين هؤلاء من رفع صوته - في ممارساته اليومية - فوق صوت النبيّ، واعترض علي رسول الله في أعماله (2)، وتعرّف المصلحة وهو بحضرة صلي الله عليه وآله، وتنزّه في أمر رخص فيه، أو ترهّد في أمر نهى عنه .

فجاء في كتاب الآداب من صحيح البخاري أنّ النبيّ رخص في أمر فتزّه عنه ناس، فبلغ النبيّ فغضب ثمّ قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنّني لأعلمهم وأشدّهم خشية (3) .

وفي خبر آخر: أخبر رسول الله أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: والله لأصومنّ النهار ولأقومنّ الليل، فقال له رسول الله: أنت الذي تقول: « لأصومنّ النهار ولأقومنّ الليل ما عشت »؟!

قال: قد قلت ذلك يا رسول الله .

1- صحيح البخاري 8 : 435 / كتاب الدعوات ، باب 736 ، ح 1230 سورة الإسراء ، مسند أحمد 2 : 316 - 317 ، 419 ، وج 3 : 40 .

2- كاعتراض عمر بن الخطاب علي رسول الله لمّا أراد أن يصلّي علي المنافق ، وقوله له : أتصلّي عليه وهو منافق؟! وإنكاره علي رسول الله فعله في أخذ الفداء من أسري بدر وغيرها . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عمر .

3- انظر : صحيح البخاري 8 : 353 كتاب الدوب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، ح 979 .

فقال رسول الله : إنك لا تستطيع ذلك فصُوم وأفطر ، ونم وقُوم ، وصُوم من الشهر ثلاثة أيام ، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر .

قال ، قلت : إنِّي أُطيق أفضلَ من ذلك .

فقال صلي الله عليه وآله : فصم يوماً وأفطر يومين .

قال : قلت : إنِّي أُطيق أفضلَ من ذلك .

فقال : قال : فصُوم يوماً وأفطر يوماً ، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام .

فقلت : أُطيق أفضلَ من ذلك .

فقال النبي : لا أفضلَ من ذلك (1) .

إن مثل هذا التحكيم للرأي الشخصي في مقابل قول رسول الله صلي الله عليه وآله يحمل في طياته مخاطر عديدة ، ويفتح مسارات للتحريف والتبديل ، ومن شأنه أن يحول الدين الالهي إلى دين مشوب بآراء الناس ووجهات نظرهم الشخصية ، وهو يجزّ من ثم إلى تجزئ الدين والي النزعة التلفيقية في الشريعة ، ومن هنا ظهرت في الصدر الأول وما بعده الأحكام المبتدعة والأهواء المتبعة التي ليست من دين الله في شيء ، ولا تمت إلى الحياة الإسلامية النزيهة بصلة ، وهو الذي كان رسول الله يتخوف علي أمته منه . وقد صرح الإمام علي في خطبة له بأنه لو أتحت له الفرصة لأرجع بعض الأمور إلى أصلها ، فقال : (... وإنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يتولّى فيها رجالاً رجالاتاً ... إلى أن يقول : .. رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة ، ورددت صاع رسول الله كما كان ، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلي الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار

1- انظر : صحيح البخاري 3 : 91 كتاب الصوم ، باب صوم الدهر ، ح 233 .

جعفر إلي ورثته وهدمتها من المسجد (1)، ورددت قضايا من الجور قضي بها (2)، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهم إلي أزواجهن (3) واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب (4)، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا (5)، وأعطيت كما كان رسول الله صلي الله عليه وآله يعطي بالسويّة، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء. وألقيت المساحة (6)، وسوّيت بين المناكح (7)، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل عزّوجلّ وفرضه (8)، ورددت مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله إلي ما كان عليه (9)، وسددت ما فُتح فيه من الأبواب (10)،

- 1- كأنّهم غصبوها وأدخلوها في المسجد .
- 2- كقضاء عمر بالعول والتعصيب في الإرث وسواهما .
- 3- كمن طلق زوجته بغير شهود وعلي غير طهر ، وقد يكون فيه إشارة إلي قوله بعد بيعته : ألا إنّ كلّ قطعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به . الخ ، وانظر : نهج البلاغة 1 : 42 خ 14 .
- 4- لأنّ عمر رفع الجزية عنهم فهم ليسوا بأهل ذمّة ، فيحلّ سبي ذراريهم ، قال محيي السنّة البغويّ : روي أنّ عمر بن الخطّاب رام نصاري العرب علي الجزية ، فقالوا : نحن عرب لا نؤدّي ما يؤدّي العجم ، ولكن خذ منّا كما يأخذ بعضكم من بعض ، بعنوان الصدقة . فقال عمر : هذا فرض الله علي المسلمين . قالوا : فزد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية ، فراضاهم علي أن ضعّف عليهم الصدقة .
- 5- إشارة إلي ما ذهب إليه عمر من وضعه الخراج علي أرباب الزراعة والصناعة والتجارة لأهل العلم والولاية والجند ، بمنزلة الزكاة المفروضة ، ودوّن دواوين فيها أسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء .
- 6- راجع تفصيل هذا الأمر في كتاب الشافي للسيد المرتضي .
- 7- ربّما كان إشارة إلي ما ذهب إليه عمر من منع غير القرشيّ الزواج من القرشيّة ، ومنعه العجم من التزوّج من العرب .
- 8- إشارة إلي منع عمر أهل البيت خمسهم .
- 9- يعني أخرجت منه ما زاده عليه غضباً .
- 10- إشارة إلي ما نزل به جبرئيل من الله تعالي بسدّ الأبواب المفضية إلي مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله إلا باب عليّ .

وفتحت ما سدّ منه ، وحرّمت المسح علي الخفين (1)، وحرّمت علي النبيذ ، وأمرت بإحلال المُتعتين (2) ، وأمرت بالتكبير علي الجنائز خمس تكبيرات (3) ، وألزمّت الناس الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (4) ، وأخرجت من أُدخل بعد رسول الله صلي الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلي الله عليه وآله أخرجه ، وأدخلت من أُخرج بعد رسول الله صلي الله عليه وآله ممّن كان رسول الله صلي الله عليه وآله أدخله (5) ، وحملت الناس علي حكم القرآن وعلي الطلاق علي السنّة (6) ، وأخذت الصدقات علي أصنافها وحدودها (7) ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلي مواقيتها وشرائعها ومواضعها (8) ، ورددت أهل نجران إلي مواضعهم (9) ، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلي كتاب الله وسنّة نبيّه صلي الله عليه وآله .. إذن لتفرّقوا عني (10) .

- 1- إشارة إلي ما أجازه عمر في المسح علي الخفّين ، ومخالفة عائشة وابن عبّاس وعليّ وغيرهم له في هذا الصدد .
- 2- يعني متعة النساء ومتعة الحجّ .
- 3- لما كبر النبيّ صلي الله عليه وآله خمساً في رواية حذيفة وزيد بن أرقم وغيرهما .
- 4- والجهر باليسملة ممّا ثبت قطعاً عن النبيّ صلي الله عليه وآله في صلّاته ، وروي الصحابة في ذلك آثاراً صحيحة مستفيضة متظافرة .
- 5- يحتمل أن يكون المراد إشارة إلي الصحابة المخالفين الذين أُخرجوا بعد رسول الله من المسجد في حين كانوا مقرّبين عند النبيّ صلي الله عليه وآله ، وكذا إنّه عليه السلام يخرج من أخرجه رسول الله صلي الله عليه وآله ، كالحكم بن العاص وغيره .
- 6- ينظر عليه السلام إلي الاجتهادات المخالفة للقرآن وما قالوه في الطلاق ثلاثاً .
- 7- أي من أجناسها التسعة ، وهي : الدنانير والدرهم والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والغنم والبقر .
- 8- وذلك لمخالفتهم هذه الأحكام . وقد أوضّحنا حكم الوضوء منه في كتابنا (وضوء النبيّ) فراجع ، نأمل أن نوفّق في الكتابة عن الغسل والصلاة وغيرها من الأحكام الشرعية التي أشار الإمام علي بن أبي طالب إلي التحريف والابتداع فيها إن شاء الله تعالي .
- 9- وهم الذين أجلاهم عمر عن مواطنهم .
- 10- الكافي 8 : 58 ، الروضة ح 21 .

وقد أعلن الأئمة من آل البيت أنهم كانوا يتبعون النصوص ولا يرتضون الرأي ..

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لجابر : والله يا جابر لو كنتا نقتي الناس برأينا وهوانا لكتنا من الهالكين ، ولكنا نقتيهم بأثر من رسول الله صلي الله عليه وآله وأصول علم عندنا ، نتوارثها كابراً عن كابر ، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفصّتهم (1) .

وسأل رجلُ الإمام الصادق عليه السلام عن مسألة فأجابها فيها ، فقال الرجل : رأيت إن كان كذا وكذا ، ما يكون القول فيها ؟

فقال له : مه ! ما أجبته في شيء فهو عن رسول الله

صلي الله عليه وآله ، لسنا من « رأيت » في شيء (2) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : ما أحدٌ أكذب علي الله وعلي رسوله ممّن كذبنا أهل البيت أو كذب علينا ؛ لأننا إنّما نحدّث عن رسول الله صلي الله عليه وآله وعن الله . فإذا كذبنا فقد كذب الله ورسوله (3) .

وقال : لو أنّا حدّثنا برأينا ضللنا كما ضلّ من كان قبلنا ، ولكنا حدّثنا بيّنة من ربنا بيّنها لنبيّه فيّنها لنا (4) .

وعن أبي بصير ، قال : قلت للصادق : ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنّة ، فننظر فيها ؟ قال : لا ، أما إنّك إن أصبت لم تُوجر ، وإن أخطأت كذبت علي الله عزّ وجلّ (5) .

1- بصائر الدرجات : 300 ح 4 والنص عنه ، و299 ح 1 .

2- الكافي 1 : 58 . كتاب فضل العلم باب البدع والرأي والمقاييس ح 21 .

3- جامع أحاديث الشيعة 1 : 181 . باب حجّية فتوي الأئمة المعصومين ، ح 114 .

4- بصائر الدرجات : 299 ح 2 وانظر : 301 ح 1 .

5- الكافي 1 : 56 . كتاب فضل العلم باب البدع والرأي ح 11 .

نعم ، إن نهج الاجتهاد كان له دعاة وأتباع استمدوا جذورهم من مصدر غير التعبد والتسليم ، وهو أقرب إلي ما عرفوه في الجاهلية ممّا عرفوه في الإسلام وكان لهؤلاء وجود ملحوظ أيضاً في صدر الإسلام ، فقد اقترح بعض المشركين علي رسول الله أن يبدل بعض الأحكام الشرعية وهو صلي الله عليه و آله يقول : { مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } (1) .

وقد أثبتنا سابقاً أنّ عمر بن الخطّاب كان من المجتهدين الأوائل الذين تعرّفوا المصلحة وهم بحضرة الرسول المصطفى ، فأنكر عليه أخذَه الفداء من أساري بدر (2) ، واعترض عليه صلي الله عليه و آله في صلاته علي المنافق (3) ، وواجه النبيّ بلسان حادّ في صلح الحديبية (4) ، وطالب النبيّ أن يزداد علماً إلي علمه وأن يستفيد من مكتوبات اليهود في الشريعة (5) وقال لرسول الله في مرض موته : (إنه ليّهجر) أو غلبه الوجع (6) !

1- يونس : 15 .

2- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد 11 - 12 : 12 / 82 ، باب نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه .

3- صحيح مسلم 4 : 1865 كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر ح 25 و 1 : 2141 كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ح 3 .

4- صحيح البخاري 4 / 381 كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ، ح 932 .

5- المصنّف لعبد الرزاق 10 : 313 كتاب أهل الكتابين ، باب هل يسأل أهل اليهود بشيء / ح 19213 ، مجمع الزوائد 1 : 174 باب ليس لاحد قول مع رسول الله 9 .

6- صحيح البخاري 1 : 39 كتاب العلم ، باب 82 ، ح 112 ، صحيح مسلم 3 : 1257 ، 1259 ، كتاب الوصية باب ترك الوصية ...

المجتهدون الأوائل والأذان !

والآن لنري موقف عمر بن الخطاب وموقف غيره من المجتهدين في الأذان ، وهل لهؤلاء دور في هذا التغيير ، أم تقع تبعات التحريف علي اللاحقين من بني أمية وبني العباس ؟ وغيرهم من المتأخرين حسب تعبير الصنعاني(1) .

إنّ النصوص السابقة أوقفنا علي وجود اتجاه في الصحابة وموقف من الأذان يقترح علي الرسول أن يتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصراري ، أو بوقاً مثل بوق اليهود ، فيستاء رسول الله من هذا ويغتمّ لاقتراحات هذا الاتجاه من الصحابة الذين وصل الأمر بهم إلي أن يقترحوا علي الرسول المصطفي إدخال بعض أحكام وأفكار شريعتي موسى أو عيسي المحرّفتين في منهج الإسلام ، وكان أطروحة الإسلام غير قادرة علي أن تقني بالأعباء ؛ فقد رووا عن عمر أنّه قال للنبي صلي الله عليه وآله « يا رسول الله إني مررتُ بأخ لي من يهود فكتب لي جوامع من التوراة ، أفلا أعرضها عليك ؟ فتغيّر وجه رسول الله .

فقال عمر : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، فسدّري عن النبي ، ثمّ قال صلي الله عليه وآله : والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»(2) .

-
- 1- انظر : كلامه المتقدم في صفحه 23 من هذه الدراسة . قال النووي في شرحه علي صحيح مسلم وبعد أن اتى بخبر عبدالله بن زيد قال : ... فيكون الواقع الاعلام اولاً ثمّ راي عبدالله بن زيد الأذان فشرعه النبي بعد ذلك اما بوحي واما باجتهاده صلي الله عليه وآله علي مذهب الجمهور في جواز الاجتهاد الاجتهاد له صلي الله عليه وآله وليس هو عملاً بمجرد اتمام هذا ما لا يشك فيه بلا خلاف والله اعلم .
- 2- المصنّف لعبدالرزاق 10 : 313 رقم 19213 ، مجمع الزوائد 1 : 174 وفيه : يا رسول الله ، جوامع من التوراة أخذتها مع أخ لي من بني زريق ، فتغيّر وجه رسول الله ...

فهؤلاء المجتهدون في الصدر الأول كانوا يتعاملون مع الأحكام وفق ما عرفوه من الشرائع السابقة، وكانوا يتصورون بأن الأمر بيدهم يفعلون ما يشاؤون، فكانوا هم الذين اقترحوا علي رسول الله البوق، الناقوس « فتقسوا أو كادوا أن ينقسوا » حتى رأى عبدالله بن زيد أو غيره في المنام

إذا فكرة كون تشريع الأذان كان ب- « رؤيا » جاءت من قبل الصحابة المجتهدين، ثم تطوّرت حتى وصل بها الأمر إلي ما وصل للاحقاً، وهذا ما يجب الوقوف عليه في مطاوي بحوثنا ..

إذ جاء عن كثير بن مرة الحضرمي أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال : أوّل من أذن في السماء جبرئيل

عليه السلام، قال : فسمعه عمر وبلال، فأقبل عمر فأخبر النبيّ بما سمع، ثمّ أقبل بلال فأخبر النبيّ بما سمع، فقال له رسول الله : سبقك عمر يا بلال

أوقول ابن عمر : إنّ بلالاً- كان يقول أوّل ما أذن: « أشهد أن لا- إله إلاّ الله، حيّ علي الصلاة »، فقال له عمر : قل في أثرها « أشهد أنّ محمّداً رسول الله » ...

نعم إنهم رفعوا بضبع الصحابة الحالمين الرائين للأذان إلي مرتبة النبوة والمعانيّة الحقيقيّة حتى قال عبدالله : « يا رسول الله، إني لبيّن يقظان ونائم »، وفي آخر : « لقلت : إني كنت يقظاناً غير نائم »، وبعبكس ذلك نراهم يحطّون من منزلة النبيّ صلي الله عليه وآله عن المعانيّة الحقيقيّة في المعراج - { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى }- إلي مرتبة التشكيك، مستخدمين العبارة نفسها « بين النائم واليقظان »، ورووا ذلك في الصحيح !!

ففي صحيح مسلم بسنده عن قتادة، عن أنس بن مالك - لعله قال: عن مالك بن صعصعة (رجل من قومه)، قال - قال نبي الله صلي الله عليه وآله : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان....

ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا ثم سرد قصة المعراج (1) .

بل في رواية شريك في حديثه عن أنس التصريح بأنه

صلي الله عليه وآله كان نائماً . قال : « وهو نائم بالمسجد الحرام » وذكر القصة الواردة ليلة الإسراء ، ثم قال في آخرها : « استيقظت » - أي انتبهت - من منامي وأنا في المسجد الحرام (2) .

قال الصالحى الشامى : وهذا المذهب يعزى إلي معاوية بن أبي سفيان ... ويعزى أيضاً إلي عائشة (3) .

بل صرح إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج بوضع هذا الحديث علي عائشة فقال : هذا حديث لا يصح وإنما وُضِعَ ردّاً للحديث الصحيح (4) .

تري من هو الواضع ؟

وما هو غرضه من التحريف في مقابل ما هو أصيل ؟

ولماذا جحدُ منزلة النبي صلي الله عليه وآله ومحاولة جعل القضية مناماً عادياً ؟

ولماذا يختص ذلك بمعاوية وعائشة !؟

وهل يكمن في ذلك إنكارٌ مُبطنٌ لرؤيا النبي بني أمية - أو تيمناً وعدياً - يردون

1- صحيح مسلم 1 : 150 ، باب الإسراء من كتاب الإيمان - ح 264 . وانظر : مثله في صحيح البخاري 4 : 549 ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ، ح 1371 .

2- سبل الهدى والرشاد 3 : 69 والنص عنه . وانظر : رواية شريك في صحيح البخاري 9 : 824 - 826 / كتاب التوحيد / باب قوله : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) / ح 2316 ، وانظر : صحيح مسلم 1 : 148 ح 262 / كتاب الإيمان - باب الاسراء برسول الله .

3- سبل الهدى والرشاد 3 : 69 .

4- سبل الهدى والرشاد 3 : 70 ، نقلاً عن المعارج الصغير لابن الخطاب بن دحية .

الناس عن الإسلام القهقري؟! (1) إذ ليس في الرؤيا المناميّة كبير أمر ولا كثير طائل ، وإذا كان المعراج رؤيا فلماذا لم يرها الآخرون كما رأي الأذان سبعة أو أربعة عشر أو عشرون شخصاً؟! لكي لا يكذب المشركون النبيّ صلي الله عليه وآله أو لكي لا يرتدّ من أسلم من المسلمين؟ ألم يقولوا مثل هذا التعليل في سرّ رؤي الصحابة للأذان؟!

فهذه النصوص ترفع هؤلاء إلى السماء وتجعلهم قرب الوحي ، وتحاول إنزال مقامات النبيّ صلي الله عليه وآله في المعراج إلى حدّ الرؤيا العادية ، فنحن لو لاحظنا دور المجتهدين في الشريعة ووقفنا على اجتهادات الصحابة واقتراحاتهم علي رسول الله في الأذان وغيرها ، وعرفنا الدواعي التي دفعت بعمر بن الخطّاب أن يرفع (حيّ علي خير العمل) أو يضع (الصلاة خير من النوم) في الأذان لآمنّا بأن الشراة الأولي لهذا التحريف جاءت من قبل هذا القسم من الصحابة ، وأن فكرة كون الأذان رؤيا تتفق مع فكر هذا الصنف لا المتعبّدين ، وذلك لاجتهادهم وعدم تعبّدهم بالنصوص . ونظرة هؤلاء تختلف عن نظرة أهل البيت إلى الشريعة والإسراء والمعراج وغيرها .

الأمويّون والأذان

لقد تطوّرت فكرة الرؤيا وما جاء في تشريع الأذان في العهد الأموي وتأطّرت بإطارها الخاص ؛ إذ لو جمعنا القرائن والشواهد لعرفنا بأن معاوية ومن بعده هم الذين تبناوا هذه الفكرة وأنهم كانوا قد سعوا لتثقيف الناس حسبما ير يدونه ، وهذا ما نلاحظه في نصوص الأذان بعد الإمام عليّ ، إذ لم يشر عليّ عليه السلام إلى هذا التضاد في الأذان في ما رواه عن النبيّ ، بل لم يردنا خبراً صريحاً في تكذيب الروايات المدّعية لثبوت تشريع الأذان بالرؤيا قبل الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام .

فأول ما تطالعنا النصوص بهذا الصدد هو كلام سفيان بن الليث حينما قدم علي الإمام الحسن بعد الصلح ، قال: فتذاكرنا عنده الأذان فقال بعضنا : إنّما كان بدء الأذان برؤيا عبدالله بن زيد .

فقال له الحسن بن عليّ : إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك ، أذن جبرئيل ..

وهذا يرشدنا إلي تذاكر المسلمين في أمر الأذان بعد الصلح لقوله (لما كان من أمر الحسن بن عليّ ومعاوية ما كان قدمت المدينة وهو جالس في أصحابه) .

فبعضهم في هذا الخبر يقول: (إنّما كان بدء الأذان برؤيا عبدالله) ، لكنّ الإمام الحسن صحّح رؤيتهم الخاطئة قائلاً : إنّ شأن الأذان أعظم من ذلك .

ونحن لو واصلنا السير التاريخي وانتقلنا من خبر الإمام الحسن إلي ما جاء عن الإمام الحسين وأنه سئل عمّا يقول الناس ؟ فقال عليه السلام : « الوحي ينزل علي نبيكم ، وترعمون أنّه أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد » ؛ لعرفنا استمرار هذا النزاع بين الناس وأهل البيت في كيفية نشوء وبدء تشريع الأذان .

وقد مر عليك كلام أبي العلاء سابقاً حيث قال : قلت لمحمّد بن الحنفية : إنا لنتحدث أنّ بدء الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه .

قال : ففرغ لذلك محمّد ابن الحنفية فرعاً شديداً وقال : عمدتم إلي ما هو الاصل في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فرعتم أنّه إنّما كان رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه يحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام .

قال : فقلت : هذا الحديث قد استفاض في الناس ؟

قال : هذا والله هو الباطل ...

فبدء النزاع العلني وانتشاره كان في زمن معاوية بعد صلح الإمام الحسن ، وفرع محمّد بن الحنفية الفرع الشديد، وإخبارهم إياه باستفاضة هذا الحديث ، ليدلّ أنّ عليّ أنّ وضع تلك الأحاديث الأذانية أو بدء انتشارها كان في زمان معاوية

بن أبي سفيان ، الذي كان حساساً إلي درجة كبيرة من ذكر النبي صلي الله عليه وآله ، إذ كيف يُقرنُ اسم بشر « محمد » باسم رب العالمين « الله »؟! (1) مع أنّ كلّ الأنبياء الذين جاؤوا بشرائع سابقة لم يقرن اسم أحدهم باسم رب العزة في إعلامهم للطقوس الدينية، بل كان الناقوس والبوق والشبّور .

إذن لم يكن معنيّ - بنظر معاوية - لمقارنة اسم النبيّ لاسم الربّ في السماء وفي المعراج ، بل يكفي بذلك أن يكون مناماً، أو اقتراحاً من عمر ، أو

وعلي ذلك فلا ضير إذن في الزيادة أو الحذف في الأذان، فلنك أن تحذف « حيّ علي خير العمل » كما فعل عمر وتضع موضعها « الصلاة خير من النوم » ، ولك أن تفرد الإقامة ولا تثنّيها « لحاجة لهم » ، ولك أن تزيد النداء الثالث يوم الجمعة ، ووو... إلي آخر هذه الاجتهادات ، إن كان لها آخر .

ومن هذا الباب كان معاوية أوّل من أفشي مقولة الثويب الثاني ، وهي دعوة المؤدّن للخليفة أو الأمير - لكثرة مشاغله - إلي الصلاة بقوله « السلام علي أمير المؤمنين ، الصلاة الصلاة رحمك الله » ، وسار المغيرة بن شعبة علي نهج معاوية في هذا أيضاً ، بل قيل إنّه أوّل من فعل ذلك .

ولكن صرّح الأعلام بأنّ معاوية كان أوّل من أحدث هذا ، وتبعه المغيرة بن شعبة ومن حذا حذوه (2) .

فشاع الأمر واستفاض ، وصار كأنه حقيقة لا مناص عن الإذعان لها - مع أنّ الحقيقة الإسلامية هي شيء آخر - وراحت أصداء هذا الحدث الأذاني تمتد وتمتد إلي العصر العباسي ، ومنه وصلت إلي يومنا الحاضر .

1- سيأتي خبر معاوية لاحقاً في صفحة 106 - 108 .

2- انظر : الوسائل إلي معرفة الأوائل ، للسيوطي : 26 .

روي عبد الصمد بن بشير ، قال : ذُكر عند أبي عبد الله [الصادق] بدء الأذان فقيلاً : إنّ رجلاً من الأنصار رأى في منامه الأذان ، فقصه علي رسول الله فأمره رسول الله أن يعلّمه بلالاً ، فقال أبو عبد الله : كذبوا ، إنّ رسول الله كان نائماً في ظلّ الكعبة فأثاه جبرئيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة (1)

ولو تدبرنا في هذه النصوص وما جاء في تاريخ بني أمية لعرفنا إمكان تطابق هذه الرؤية مع ما يحملون من أفكار أكثر من غيرهم ، خصوصاً بعد أن وقفنا علي تاريخ النزاع وأنه بدأ في عهدهم ، وإنك لو تتبعت مجريات الأحداث لعرفت تضاد بني أمية مع رسالة الإسلام وعدم تطابق مفاهيمهم مع مفاهيم الوحي ورسول الله ، وأنهم كانوا علي طرفي نقيض مع بني هاشم في الجاهلية وفي الإسلام ، إذ التزم بنو أمية جانب المشركين أمام بني هاشم الذين لم يفارقوا الرسول في جاهلية ولا إسلام .

فقد قال رسول الله عن بني هاشم : « أنا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام ، وإثما نحن وهم شيء واحد » وشبك بين أصابعه . (2)

نعم كان الأمر كذلك ، فرسول الله كان لا يرتضيهم ، وهم لم يدخلوا الإسلام إلا مكرهين .

1- تفسير العياشي 1 : 157 ، ح 530 .

2- سنن أبي داود 3 : 146 كتاب الخراج والامارة .. ، باب في بيان مواضع قسم الخمس .. ، ح 2980 ، وانظر : سنن النسائي 7 : 131 كتاب قسم الفيء .

الأمويون ورسول الله

لقد صحَّ عن رسول الله أنه لعن أبا سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية في قنوته (1) وهم من أقطاب قريش ، وفيهم أبو سفيان رأس بني أمية .

وصحَّ عنه صلي الله عليه وآله قوله لما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية : اللهم العن التابع والمتبوع (2) .

وفي آخر : اللهم العن القائد والسائق والراكب (3) ، وكان يزيد بن أبي سفيان معهم . وقوله صلي الله عليه وآله في مروان بن الحكم : اللهم العن الوزغ بن الوزغ (4) .

فبنو أمية بعد عجزهم عن ردِّ صدور أحاديث اللعن رووا عن أبي هريرة قوله صلي الله عليه وآله : اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخلفنيه ، فإنما أنا بشر ، فأَيُّ المؤمنين أذيتَه ، أو شتمته ، أو لعنته أو جلدته .. فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرِّبه بها يوم القيامة (5) !

ومن المعلوم أنَّ هذه الروايات لا تتفق مع أصول الإسلام والسير التاريخي

-
- 1- سنن الترمذي 227 / 5 كتاب تفسير القرآن ، باب سورة آل عمران ، ح 3004 . الفردوس 1 : 503 / ح 2060 ، انظر : صحيح البخاري 5 : 201 كتاب المغازي ، باب 135 / ح 556 ، الإصابة 2 : 93 ترجمة سهيل بن عمرو بن عبد شمس .
 - 2- وقعة صفين : 217 - 217 ، باب ما ورد من الاحاديث في شأن معاوية ، وانظر : المحصول للرازي 2 : 165 - 166 .
 - 3- وقعة صفين : 220 .
 - 4- انظر : تلخيص المستدرک للذهبي 4 : 479 .
 - 5- صحيح مسلم 4 : 2007 - 2008 ، كتاب البرِّ والصلة ، باب من لعنه النبي صلي الله عليه وآله ح 2601 ، مسند أحمد 2 : 317 .

والفكري لرسول الله ، وما جاء به من مفاهيم ، لأنه قال : إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة(1) .

فهو صلي الله عليه وآله لم يكن لعاناً في سجيته ، ولم يلعن من لم يكن مستحقاً للعنة، بل لعن جماعات وأفراداً مخصوصين يستحقون اللعنة من الله ورسوله في ضمن ملاكات الأحكام الشرعية والموازين الإلهية ، ومثل هذا اللعن والسب والجلد لا معني لأن يكون رحمة لصاحبه .

وهؤلاء القوم لم يسلموا إلا ليحقنوا دماءهم، بعدما عجزوا عن الوقوف أمام الدعوة وطمس الإسلام فدخلوا الإسلام لتحريف بعض المفاهيم وإبدال مفاهيم أخرى مكانها ، وكان ضمن مخططهم التقليل من مكانة الرسول والتعامل معه كإنسان عادي يصيب ويخطئ ويسب ويلعن ، كما كان في مخططهم الاستفصاف من الإمام علي ، لأنه كان قد وتر شوكة قريش وسعي لتحطيم سلطانهم .

فقد جاء في كتاب معاوية إلي عماله : « أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه ، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم ، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته » .

« فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلي الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ،

وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله» (1).

نحن لو تأملنا تاريخ قريش وما فعلته مع رسول الله

صلي الله عليه وآله في بدء الدعوة وقضايا فتح مكة لوقفنا علي خبث الأميين واستغلالهم لرحمة رسول رب العالمين ، فقد اشتهر عن النبي صلي الله عليه وآله لما سمع قول القائل :

اليوم يوم الملحمة اليوم تُسبى الحرمة

قال له صلي الله عليه وآله : لا تُقل هذا بل قل :

اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ الحرمة (2)

وجاء عنه قوله يوم الفتح في أعدي عدوه : « من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن » (3)، وقوله : « اذهبوا أنتم الطلقاء » (4) ، لكن قريشاً ومع كل هذه الرحمة كانوا يتعاملون مع الرسالة والرسول بشكل آخر .

قال الواقدي : ... وجاءت الظهر فأمر رسول الله صلي الله عليه وآله بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وقريش في رؤوس الجبال ، ومنهم من قد تغيّب وستر وجهه خوفاً من أن يقتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد آمن .

فلما أذن بلال وبلغ إلي قوله « أشهد أن محمداً رسول الله صلي الله عليه وآله » رفع صوته كأشد ما يكون .

فقالت جويرية بنت أبي جهل : قد لعمرى « رفع لك ذكرك » فأما الصلاة فسنصلي ، ولكن والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً ، ولقد كان جاء أبي الذي جاء

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 11 : 44 - 45 باب ذكر ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد .

2- انظر : المبسوط للسرخسي 10 : 39 .

3- سنن أبي داود 3 : 162 كتاب الخراج باب ما جاء في خبر مكة ، السنن الكبرى للبيهقي 9 : 118 كتاب السير ، باب فتح مكة .

4- المبسوط للسرخسي 10 : 40 .

محمّداً من النبوة، فردّها، ولم يُردّ خلاف قومه .

وقال خالد بن سعيد بن العاص : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يدرك هذا اليوم .

وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ، ليتني متّ قبل هذا اليوم ، قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدث العظيم ، أن يصبح عبد بني جُمَحَ ، يصبح بما يصيح به علي بيت أبي طلحة .

وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً من الله تعالى فسيغيره وإن كان لله رضا فسيقوّه .

وقال أبو سفيان : أمّا أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء ، قال : فأتني جبرئيل عليه السلام فأخبره مقالة القوم (1) .

ولو تأملت في ما رواه لنا العباس في كيفية إسلام أبي سفيان لعرفت أنّه لم يسلم عن قناعة وإيمان ، إذ قال العباس : غدوت به علي رسول الله فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان !! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟

قال : بلي ، بأبي أنت وأمي ، لو كان مع الله غيره لقد أغني عني شيئاً .

فقال : ويحك ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله !؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أما هذه ففي النفس منها شيء .

قال العباس : فقلت له : ويحك ! تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك .

قال : فتشهد (2) .

فهنا يبدو واضحاً أن أبا سفيان كان أكثر بطئاً في قبول الشهادة الثانية من

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 17 : 283 عن الواقدي ، وانظر : سبل الهدى والرشاد 5/193 رواه عن البيهقي .

2- الكامل في التاريخ 2 : 245 .

الأولي ، لأنه كان يتصوّر بأن في الثانية تحطيم غروره وجبروته وموقعه السياسي والاجتماعي ، وذلك ما لا تعنيه كثيراً الشهادة الاولي بالنسبة له .

وقد ثبت عن أبي سفيان أنه قال للعباس لما رأى نيران المسلمين وكثرة عددهم : لقد اصبح ملك ابن أخيك عظيماً . فقال له العباس : ويحك ! إنها النبوة . فقال : نعم إذن .

وظل منظر الفكر القرشي علي هذه الوتيرة حتّي بعد وفاة النبي وخلافة الشيخين . فقد روي صاحب « قصص الانبياء » باسناده إلي الصدوق عن بن عباس أنه قال : .. ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد كُف بصره وفينا علي صلوات الله عليه فأذن المؤذن فلما قال : اشهد أن محمداً رسول الله ، قال أبو سفيان : ها هنا من يحتشم ؟ قال واحد من القوم : لا . فقال : لله در أخي بني هاشم ، انظروا اين وضع اسمه ؟ فقال عليّ : اسخن الله عينك يا ابا سفيان ، الله فعل ذلك بقوله عز من قائل : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } فقال أبو سفيان : اسخن الله عين من قال لي ليس ها هنا من يحتشم (1) .

بل إن أبا محذورة كان يستحيي من الإباحة باسم رسول الله صلي الله عليه وآله من أهل مكّة ، إذ جاء في المبسوط للسرخسي - عند بيانه لسبب الترجيع في الأذان - قوله : ... وقيل أن أبا محذورة كان مؤذّن مكّة ، فلما انتهى إلي ذكر رسول الله خفض صوته استحياءً من أهل مكّة لأنّهم لم يعهدوا ذكر اسم رسول الله صلي الله عليه وآله بينهم جهراً ، ففرك رسول الله صلي الله عليه وآله أذنه وأمره أن يعود فيرفع صوته ليكون تأديباً له .. (2)

نعم ظلت نظرة قريش إلي النبي بعد البعثة مشوبة بهذا المنطق المزعوم مستغلين

1- بحار الأنوار 18 : 107 ، 31 : 523 عن قصص الأنبياء .

2- المبسوط للسرخسي 1 : 128 .

عطف النبي ورحمته صلي الله عليه وآله ، قال الواقدي : فكان سهيل بن عمرو يحدث فيقول : لما دخل محمد صلي الله عليه وآله مكة انتمعت فدخلت بيتي وأغلقت عليّ ، وقلت لابني عبدالله بن سهيل : اذهب فاطلب لي جواراً من محمد ، فإني لا آمن أن أقتل ، وجعلت أتذكر أثري عنده وعند أصحابه فلا أري أسوأ أثراً مني؛ فإني لقيته يوم الحديبية بما لم يلقه أحد به ، وكنت الذي كاتبه ، مع حضوري بداراً وأحداً ، وكلما تحركت قريش كنت فيها .

فذهب عبدالله بن سهيل إلي رسول الله ، فقال : يا رسول الله ، أبي تؤمنه ؟

قال : نعم ، هو آمن بأمان الله ، فليظهر ، ثم التفت إلي من حوله فقال : من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدن النظر إليه ، ثم قال : قل له : فليخرج ، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل جهل الإسلام ، ولقد رأي ما كان يوضع فيه إن لم يكن له تتابع ، فخرج عبدالله إلي أبيه فأخبره بمقالة رسول الله صلي الله عليه وآله .

فقال سهيل : كان والله براً صغيراً وكبيراً .

وكان سهيل يقبل ويدبر غير خائف ، وخرج إلي خيبر مع النبي وهو علي شركه حتى أسلم بالجعرانة(1) ...

هكذا تعامل رسول الله مع المشركين والطلقاء ، لكنهم أضمروا النفاق للرسول والرسالة فانضوا تحت لوائه كي يغدروا بالإسلام ، بل سعوا بكل قواهم لطمسه ودفنه .

فقد جاء عن المغيرة أنه طلب من معاوية ترك إيذاء بني هاشم - لما استقر له الأمر - لأنه أبقى لذكره !! ... فقال معاوية للمغيرة : هيهات! هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملك أخوتيم فعدل ، وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك

ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر . وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرّات: «أشهد أن محمداً رسول الله»، فأبي عمل يبقي؟ وأبي ذكر يدوم بعد هذا! لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً (1).

وعن علي عليه السلام أنه قال حين سأله بعض أصحابه من بني أسد: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال: يا أبا بني أسد؛ إنك لقلق الوضين ترسل في غير سدد! ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فأعلم: أما الاستبداد علينا بهذا المقام - ونحن الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله صلي الله عليه وآله نوطاً - فإنها كان أثره شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله والمعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهياً صريحاً في حجراته وهلم الخطب في ابن أبي سفيان

فلقد أضحكني الدهر بعد ابكائه، ولا غرو والله فياله خطباً يستفرغ العجب ويكثر الأود، حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فواره من ينبوعه. وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً. فإن ترتفع عداً عنهم محن البلوي أحملهم من الحقّ علي محضه وإن تكن الأخرى {فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (2) (3).

وجاء عن معاوية أنه قال لما سمع المؤذن يقول «أشهد أن محمداً رسول الله»: لله أبوك يا بن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يُقرن اسمك

1- الأخبار الموقّيات للزبير بن بكار: 576 - 577؛ مروج الذهب 4: 41؛ النصائح الكافية: 123؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 5: 130.

2- فاطر: 8.

3- نهج البلاغة 2: 63 / الخطبة 162.

باسم ربِّ العالمين(1)!

ولا يستبعد هذا من معاوية وهو ابن أبي سفيان القائل لله درّ أخي بني هاشم . انظروا أين وضع اسمه ، والقائل : فوالذي يحلف به أبو سفيان .. لا- جنة ولا نار(2) ، وهو الذي مرّ بقبر حمزة وضربه برجله ؛ وقال : يا أبا عمارة ! إنَّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به(3) !

وهو ابن هند آكلة كبدة حمزة سيّد الشهداء(4) ، وهو أبو يزيد الذي هدم الكعبة(5) ، وقتل الحسين بن عليّ(6) ، وأباح المدينة لثلاثة أيّام(7) ، والذي سمّي المدينة الطيبة ب- « الخبيثة » إرغاماً لأنوف أهل بيت النبيّ(8) !

فمعاوية ومن قبله أبوه صخر كانا يتصوّران بأنّ النبيّ هو الذي أدرج اسمه في الأذان ، فقال أبو سفيان : لله در أخي بني هاشم . انظروا أين وضع اسمه ، وقال ابنه معاوية : لله أبوك يا ابن عبد الله ! لقد كنت عالي الهمة ، ما رضيت لنفسك إلاّ

-
- 1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10 : 101 ، وفي المعمرين للسجستاني كما في النصائح الكافية : 126 سأل معاوية بن أبي سفيان يوماً أمد بن لبدة المعمر : فهل رأيت محمّداً . قال : من محمّد ؟ قال معاوية : رسول الله . قال امد : ويحك افلا فخمته كما فخمه الله فقلت رسول الله صلي الله عليه وآله وانظر كذلك كنز الفوائد : 261 وبحار الأنوار 33 : 276 .
 - 2- الاستيعاب 4 : 1679 ؛ الأغاني 6 : 371 ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2 : 45 والنصّ عنه .
 - 3- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد 16 : 136 .
 - 4- أسد الغابة 2 : 47 ، الطبقات الكبرى 3 : 12 .
 - 5- سبل الهدى والرشاد 1 : 223 ، مختصر تاريخ دمشق 7 : 191 .
 - 6- تاريخ الطبري 5 : 400 - 467 ، وغيره من كتب التاريخ .
 - 7- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3 : 259 .
 - 8- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 9 : 238 .

أن تقرن اسمك باسم رب العالمين (1)، وهل هذان القولان إلا وجه آخر للرواية التي وُضِعَتْ وادَّعَتْ أن بلاً كان يؤذن « أشهد ان لا إله إلا الله ، حيّ علي الصلاة » فقال عمر : قل في إثرها « أشهد أن محمداً رسول الله »؟! وعنوا بذلك أن ذكر اسمه صلي الله عليه وآله في الأذان لم يكن من الله ، بل كان باقتراح فقط !!

وبعد هذا فلا- يمكن تبرير فعل معاوية والقول بأنه تعرّف علي المصلحة أو اجتهد قبال النص ، بل الأمر تجاوز ذلك ، ودخل في إطار تكذيب الرسالة ، وتهرئة أصل من أكبر أصول الشريعة ، وهو الاعتقاد بنبوّة محمّد المصطفي .

ومما يحتمل في الأمر هو أن هذه الرؤية تجاه ذكر اسم النبي في الأذان وأمثالها ، هي التي رسّخت فكرة كون الأذان مناماً ، وهي التي أقلقت الرسول المصطفي حتّي جعلته لا يُري ضاحكاً بعد رؤياه التي رأي فيها الغاصبين ينزون علي منبره نزو القردة .

وليس من الصدفة في شيء الترابط الموجود بين أن يري رسول الله الشجرة الملعونة في منامه وبين أن يُسَفّه الأمويون مسألة الرؤيا ، ويعزون الإسرائء والمعراج إلي رؤيا لا تعدو كونها مناماً!

1- وقد استمرت هذه الرؤية عند البعض بعد معاوية ، فروي المفضل بن عمر أنه سمع في مسجد الرسول صاحب ابن أبي العوجاء يقول له : انّ محمداً استجاب له العقلاء وقد قرن اسمه باسم ناموسه [أي الله جل وعلا] .. فقال ابن أبي العوجاء : دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وحدثني عن الاصل الذي جاء به ... « بحار الأنوار 4 : 18 » . ومثل ذلك ما حكاه رشاد خليفة عن جماعة ان تكرر الشهادة الثانية « أشهد أن محمداً رسول الله » بجنب الشهادة الاولي « أشهد ان لا إله إلا الله » يعد شركاً أكبر « انظر القرآن والحديث والإسلام : 38 ، 41 ، 43 ، وكتابه الآخر قران أم حديث : 20 ، 33 » .

الله جلّ وعلا ورفع ذكر الرسول صلي الله عليه وآله

هذا، ونحن نعلم بأنّ الذي رفع ذكر الرسول هو الله في محكم كتابه، وإليك أقوال بعض العلماء والمفسرين لتقف علي المقصود، وأنّه أمر ربّاني، وليس كما تصوّره أبو سفيان ومعاوية والأموّيون ومن لف لفهم:

قال الشافعي: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن نجيح، عن مجاهد في قوله: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } قال: لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ معي « أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ

محمّداً رسول الله «(1)». يعني - والله أعلم - ذكره عند الإيمان والأذان ، ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية .

وقال النووي في شرحه علي مسلم - بعد ذكره المشهور عن الشافعي في رسالته ومسنده في تفسير قوله تعالى : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } - : « وروينا هذا التفسير مرفوعاً إلي رسول الله صلي الله عليه و آله عن جبرئيل عن رب العالمين ... » (2).

وفي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي : حدّثنا ابن عيينة ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } يقال : ممن هذا الرجل ؟

فيقول : من العرب .

فيقال : من أيّ العرب ؟

فيقول : من قريش .

{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } لا أذكرُ إلا ذكرتَ « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله » (3).

حدّثنا شريك بن عبدالله ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن في قوله : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } : أي مُلئى حكماً وعلماً { وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } قال : ما أثقل الحمل الظهر { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } بلي لا يذكرُ إلا ذكرت معه ... (4).

وفي دفع الشبه عن الرسول للحصني الدمشقي في قوله تعالى : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد الأذان والاقامة والتشهد والخطبة علي المنابر ، فلو أنّ عبداً عبّد الله وصدّقه في كلّ شيء ولم يشهد أنّ محمّداً رسول الله لم يسمع منه ولم ينتفع بشيء وكان كافراً .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ثمّ إنّ النبيّ سأل جبرئيل عليه السلام عن هذه الآية (5) ، فقال : قال الله عزّ وجلّ : إذا ذكرتُ ذكرتُ معي .

وقال قتادة رضي الله عنه : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، وقيل : رفع ذكره بأخذ الميثاق علي النبيين وألزمهم الإيمان به والإقرار به .

وقيل { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } ليعرف المذنبون قدر ربتك لديّ ليتوسّسوا بك إليّ فلا أرّد أحداً عن مسألته ، فأعطيه أياها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً ، ولا أخيب من توسّل بك وإن كان كافراً (6) .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } ، فليس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً

- لعبد الرزاق الصنعاني 3 : 437 ، وفي السنن الكبرى 3 : 209 (باب ما يستدل به علي وجوب ذكر النبي في الخطبة) وبعد ذكره لقول الشافعي قال : ويذكر عن محمد بن كعب القرظي مثل ذلك . وانظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير 1 : 28 .
- 2- شرح النووي علي صحيح مسلم 1 : 160 باب مقدّمة الصحيح .
- 3- المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي 6 : 315 ، كتاب الفضائل - الحديث 31680 .
- 4- المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي 6 : 315 ، كتاب الفضائل - الحديث 31681 .
- 5- آية (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) .
- 6- دفع الشبه عن الرسول للحصني الدمشقي : 134 .

رسول الله ، فقرن الله اسمه باسمه في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة ، ثم أورد حديث ابن لهيعة ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله في قوله { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } قال : قال جبرئيل : قال الله : إذا ذكرت ذكرت (1).

وفي جامع البيان للطبري : حدّثنا ابن عبدالأعلي ، قال : حدّثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } قال النبي صلي الله عليه و آله : ابدؤوا بالعبودية وثنوا بالرسالة ، فقلت لمعمر : قال « أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده » فهو العبودية ، « ورسوله » أن تقول : عبده ورسوله .

حدّثنا بشر ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب

1- البداية والنهاية 6 : 288 باب القول فيما أُعطي إدريس عليه السلام .

ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحرث ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله أنّه قال : أتاني جبرئيل فقال : إنّ ربّي وربك يقول : كيف رفعت لك ذكرك ؟ قال : الله أعلم .

قال : إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي (1) .

وفي زاد المسير لابن الجوزي : قوله عزّ وجلّ { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } فيه خمسة أقوال :

أحدها : ما روي أبو سعيد الخدري عن رسول الله أنّه سأل جبرئيل عن هذه الآية فقال : قال الله عزّ وجلّ : إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي ؛ قال قتادة : فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً رسول الله » ، وهذا قول الجمهور .

والثاني : رفعنا لك ذكرك بالنبوة ؛ قاله يحيى بن سلام .

والثالث : رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا ؛ حكاه الماوردي .

والرابع : رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء .

والخامس : بأخذ الميثاق لك علي الأنبياء وإلزامهم الإيمان بك والإقرار بفضلك ؛ حكاهما الثعلبي (2) .

أهل البيت ورفع ذكر رسول الله

ومن هذا المنطلق كان أئمة أهل البيت: يشيدون بهذه المفخرة ، ويجعلونها أكبر إرغام لأعداء النبيّ صلي الله عليه وآله وأعدائهم ، الذين أرادوا تحريف هذا الرفع للذكر وحطّه إلي مرتبة الأحلام والاقترحات ، وأرادوا أن يطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتمّ نوره .

يُرِيدُ الْجَاهِدُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ

ففي الندبة الرائعة - التي وجّهها إمام البلاغة عليّ بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة الزهراء إلي ابن عمّه رسول الله صلي الله عليه وآله ، حيث أرسل دموعه علي خديّه وحول وجهه إلي قبر رسول الله صلي الله عليه وآله - قال فيما قال :

سلامٌ عليك يا رسول الله سلام مودّع لا سئم ولا قال ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعدّ الله الصابرين ، والصبرُ أيمنٌ وأجمل ، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً ، واللّبثُ عنده معكوفاً ، ولأعولتُ إعوالَ الثكلي علي

1- تفسير الطبري 30 : 151 .

2- زاد المسير لابن الجوزي 8 : 272 .

جليل الرزية، فبعين الله تُدْفَنُ ابنتك سرّاً... ولم يُطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر، فإلي الله يا رسول الله المشتكي، وفيك أجمل العزاء، وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته(1).

وفي هذه الندبة التصريح بأنّ المستولين قَلَّلوا أو حاولوا التقليل من شأن الرسول صلي الله عليه وآله وأهل بيته، وذلك بعد وفاته مباشرة ولمّا يخلق الذكر، وأنّ أمير المؤمنين علياً لو استطاع لجعل مقام رسول الله في محلّه الرفيع الذي وضعه الله فيه، لكنّ الظروف القاسية التي كانت محيطة به لم تتح له الفرصة، فقلّ ذكر النبيّ عند من اشتغلوا بمشاغل الدنيا وتركوا النبيّ وذكره أو كادوا، وهذا ممّا جعل الإمام يقول : لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً، واللبث عنده معكوفاً.

وقد أشارت فاطمة الزهراء في خطبتها التي خطبتها في مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله إلي هذه المسألة نفسها، وأنّ هناك قوماً حاولوا إطفاء نور الله وخفض منزلة النبيّ صلي الله عليه وآله مع قرب العهد وحادثة ارتحال النبيّ صلي الله عليه وآله، فقالت :

فلمّا اختارَ اللهُ لنبيّه دار أنبيائه ومأوي أصفياه، ظهرت فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين... هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لَمّا يندمل، والرسول لَمّا يُقَبَّر.... ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سنن النبيّ الصفيّ(2)...

ولذلك كانت تبكي عند قبر رسول الله صلي الله عليه وآله، وتقول: لقد أصبت بخير الآباء

1- مصنّفات الشيخ المفيد 13 : 281 - 282 المجلس 33، ح 7، أمالي الطوسي : 110، الكافي 1 : 459، دلائل الإمامة 138.

2- الاحتجاج : 101 - 102 والنصّ عنه. وانظرها في دلائل الإمامة : 114 - 118، وشرح نهج البلاغة 16 : 251.

رسول الله صلي الله عليه وآله ، واشوقاه إلي رسول الله ، ثم انشأت تقول :

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذكرُهُ وذكُرُ أبي مذ مات والله أكثرُ (1)

وأشارت بذلك إلي أنّ الله سبحانه وتعالى رفع ذكر نبيّه في حياته ، وقدر له أن يرفع بعد وفاته ، وإن ظنّ من ظنّ أنّه أبتُر إذا مات انقطع ذكره ، وارتدّ من ارتدّ لعروجه ومقارنة اسمه باسم ربّ العالمين ، وغضب من غضب وحاول عزو ذلك إلي أنّه من اقتراح عمر أو من النبيّ نفسه وأراد له السحق والدفن ، كلّ تلك المحاولات التحريفية باءت بالفشل وخلد ذكر النبيّ في الأذان والتشهد وفي كلّ موطن يذكر فيه اسم ربّ العالمين .

ولو قرأت مقولة الإمام الحسن لمعاوية لما استنقص عليّاً وحاول الحطّ من ذكره لرأيت الأمر كذلك ؛ إذ قال له :

أيّها الذاكر عليّاً ، انا الحسن وأبي عليّ وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمّي فاطمة وأمّك هند ، وجدّي رسول الله صلي الله عليه وآله وجدّك حرب ، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة ؛ فلعن الله أحمَلنا ذكراً ، والأما حسَباً ، وشَرنا قدماً ، وأقدمنا كفرةً ونفاقاً .

فقال طوائف من أهل المسجد : آمين .

قال فضل : فقال يحيى بن معين : ونحن نقول : آمين ، قال أبو عبيد : ونحن أيضاً نقول : آمين ، قال أبو الفرج : وأنا أقول : آمين (2) .

هذا وإن مأساة كربلاء وقضية الإمام الحسين تؤكّد ما قلناه وأن الإمام خرج للإصلاح في أمة جدّه لما رأى التحريفات الواحدة تلو الآخري تلتصق بالدين ،

1- كفاية الأثر : 198 (باب ما جاء عن فاطمة من النصوص) .

2- مقاتل الطالبين : 70 والنص عنه ، الارشاد للمفيد 2 : 15 ، مناقب ابن شهر آشوب 4 : 36 ، شرح نهج البلاغة 16 : 47 ، كشف الغمة 1 : 542 .

وعرف بأنهم يريدون ليطفنوا نور الله ورسوله .

والعقيلة زينب قد أشارت إلي هذه الحقيقة عندما خاطبت يزيد بقولها :

« كد كيدك ، واسع سعيك ، واجهد جهدك ، فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب والنبوة والانتخاب لا تُدرك أمدنا ، ولا تبُلغ غايتنا ، ولا تمحو ذكْرنا ، ولا تُميتَ وحيْنا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فذد ، وأيامك إلا عَدَد ، وجمعك إلا بَدَد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنةُ الله علي الظالم العادي ... » (1)

وكأنَّ الإمام السجّاد عليّ بن الحسين أراد الإلماح إلي قضية الاختلافات الأذنيّة ، وعداء معاوية مع ذكر اسم النبيّ محمّد في الأذان ، حين عرّض بيزيد لما أمر المؤذن أن يؤذّن ليقطع خطبة الإمام عليّ بن الحسين في مسجد دمشق ..

قالوا : قال الإمام عليّ بن الحسين : يا يزيد ، ائذن لي حتّي أصعد هذه الأعواد ... فأبي يزيد ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، ائذن له ليصعد فلعلنا نسمع منه شيئاً ، فقال لهم : إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان ، فقالوا : وما قدر ما يُحسن هذا؟! فلم يزالوا به فإذن له بالصعود ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيّها الناس ، أُعطينا سيّئاً وفُضّلنا بسبع ، أُعطينا العلم والحلم ... وفُضّلنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمّد ، ومنّا الصديق ، ومنّا الطيّار ، ومنّا أسد الله وأسد الرسول ، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنّا سبطا هذه الأمة وسيّدا شباب أهل الجنة ، فمن عرّفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي : أنا ابن مكّة ومني ، أنا ابن زمزم

1- الاحتجاج 309 ، بحار الأنوار 45 : 135 ، اللهوف لابن طاووس ومثير الأحران وغيرها .

والصفا... أنا ابن من حُمِّلَ علي البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى، فسبحان من أسري، أنا ابن من بَلَغَ به جبرئيل إلي سِدْرَةِ المنتهي، أنا ابن مَن دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو أدني، أنا ابن من صَلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن مُحَمَّد المصطفي... (1)

قال : ولم يزل يقول : أنا أنا حتّي ضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد أن تكون فتنة ، فأمر المؤذن أن يؤذّن فقطع عليه الكلام وسكت .

فلما قال المؤذن : « الله اكبر » قال عليّ بن الحسين : كثرتَ كبيراً لا يقاس ، ولا يُدرَك بالحواس ، ولا شيء أكبر من الله .

فلما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » قال عليّ بن الحسين : شَهِدَ بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي .

فلما قال : « أشهد أنّ محمداً رسول الله » التفت عليّ بن الحسين من أعلي المنبر إلي يزيد وقال: يا يزيد ! محمداً هذا جدّي أم جدك ؟ فإن زعمت أنّه جدك فقد كذبت ، وإن قلت أنّه جدّي فلم قتلتَ عترته (2) ؟

وها هنا ثلاث ركائز مهمة في هذه الخطبة :

أولها : إن يزيد خاف أن يذكر الإمام السجّاد فضائح يزيد ومعاوية وآل أبي سفيان ، مع أنّ الإمام في خطبته هذه لم يذكر صريحاً شرك أبي سفيان ولا معاوية ولا كونهما ملعونين ، كما لم يذكر هنداً وما كان منها في الجاهلية من سوء السيرة ، ولا ما كان من بقرها بطن حمزة ولا ولا ... فكانت الفضيحة لهم بيان الحقائق

1- كفاية الأثر 198 .

2- مقتل الحسين للخوارزمي 69 - 71 ، والفتوح لابن أعثم 3 : 155 .

النيرة، وما حرّفه المحرّفون، وبيان مقامات النبيّ وعترته .

وثانيها : إنّ قسماً مهماً من الخطبة انصبّ علي حقيقة الإسراء والمعراج ؛ إذ فيها العناية المتزايدة ببعض تفاصيلهما، والتأكيد علي أنّهما حقيقة عيانة بدنية كانت للنبيّ صلي الله عليه وآله، لا أنّها رؤيا وحلم كما يدّعيه الأمويّون، فكان الإسراء والمعراج فيهما رفع ذكر النبيّ وتشريع الأذان والصلاة، وفيهما رفع ذكر آل النبيّ صلي الله عليه وآله تبعاً له .

كما أنّ في الخطبة حقيقة أنّ عليّاً هو الصديق لا غيره، وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين، لا كما حرّفوا من أنّ الصديق هو أبو بكر، وأنّ اسمه علي قائمة العرش، مع أنّ الحقيقة هي أنّ عليّاً هو الصديق وأن اسمه مكتوب علي العرش - كما سيأتيك بيانه لاحقاً - وأنّ الصديقة فاطمة الزهراء قد كذّبت أبو بكر الصديق !!! وقالت له : لقد جنّت شيئاً فرياً(1) وكذا الإمام عليّ فإنّه كذب من ادعي الصديقية في أبي بكر بقوله: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذاب مفتري، لقد صليت قبل الناس بسبع سنين(2) .

وقال في آخر : أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلواته(3) .

وعن معاذة قالت : سمعت عليّاً وهو يخطب علي منبر البصرة يقول : أنا

1- تثبيت الإمامة 30، بلاغات النساء 14، شرح نهج البلاغة 16 : 212، 251، جواهر المطالب 1 : 161 .

2- مستدرك الحاكم 3 : 112 وقال : صحيح علي شرط الشيخين وتلخيصه للذهبي، وشرح نهج البلاغة 13 : 228، 1 : 30، سنن ابن ماجه 1 : 44 ح 120 قال في الزوائد : هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات، تاريخ الطبري 2 : 310، والآحاد والمثاني 1 : 148 وغيرها .

3- شرح نهج البلاغة 4 : 122، 13 : 200، والمعارف لابن قتيبة 97 . وفيه قال عليّ عليه السلام : أنا الصديق الأكبر آمنّت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر .

الصديق الأكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم [أبو بكر (1)] ، فلا يعرف بعد هذا من هو الصادق ومن هو الكاذب ومن هو الصديق ومن هي الصديقة في قاموس القوم ؟ وقد مرّ عليك أنّ معاوية حرّف كلّ فضيلة لعليّ وجعلها في غيره .

وثالثها : أنّ يزيد لمّا أمر المؤذن بالأذان ليقطع كلام الإمام ، كان الإمام السجّاد يوضّح كلّ فقرة من فقرات الأذان ، مُعرّضاً بمن يتلفظون بألفاظه دون وعي لمفاهيمه ، وهو ما سنقول لاحقاً من أنّه يحتوي علي مفاهيم الإسلام ، وأنّه وجه الدين ، وأنّه ثبت بالوحي ، لا كما أرادوا تصويره بأنّه مجرد إعلام قابل للزيادة والنقصان ، وُضع بأحلام واقتراحات من الصحابة !!

وفي قول السجّاد عليه السلام « يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك » بيان لارتفاع ذكر النبي وآله ، وأنّ الأمويين لم يفلحوا في حذف اسمه من الأذان وإخماد ذكره ، ومحاولة إدراج اسم « أمير المؤمنين » (2) !!! معاوية في آخر الأذان ، وإن نجحوا ظاهرياً في إخماد ثورة الحسين وقتله وقتل عترّة النبي صلي الله عليه وآله .

فالأذان المشرع من الوحي كان مفخرة آل النبي ، وبياناً لارتفاع ذكره وذكر آله ، لا كما قيل فيه من أنواع المختلقات .

ويؤكّد ذلك أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين بعد قتل أبيه الحسين عليه السلام إلي المدينة استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيدالله وقال :

يا عليّ بن الحسين ، مَنْ غَلَبَ ؟ وذلك علي سبيل الشماتة.

-
- 1- شرح نهج البلاغة 13 : 228 ، وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي 146 ، الأحاد والمثاني 1 : 151 ، والمعارف لابن قتيبة 99 .
 - 2- مرّ عليك قبل قليل قول السيوطي في كتاب الوسائل إلي معرفة الأوائل 26 : أن أوّل من أمر المؤذن أن يشعره ويناديه فيقول : السلام علي أمير المؤمنين الصلاة يرحمك الله ، معاوية بن أبي سفيان .

فقال له علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم (1).

وذلك أن ذكر الرسول المصطفى خُذ في الأذان والإقامة رغم نصب الناصيين وعداء المعادين، وبه خلود ذكر آل النبي صلي الله عليه وآله ، فيكونون هم الغالبين لا بنو أمية ولا من غضبوا الحقوق وحرّفوا المعالم عن سننها ومجار يها .

وقد كانت نعة البغض لرهط النبي وآله مترسّخة متجذرة في نفوس الأمويين إلي أبعد الحدود، حتّي وصلت بهم درجة الإحساس بالتعالي والتيه والكبر إلي أن يحاسبوا حتّي من يمدحهم غاية المدح فيما إذا قدّم عليهم آل الرسول، فقد افتخر ابن ميادة الشاعر بقومه بعد رهط النبي وبعد بني مروان، فقال:

فَضَلْنَا قَرِيشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرَ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلَ الْفَضَائِلِ

فقال له الخليفة الاموي الوليد بن يزيد: قدّمت رهط محمد قبلنا؟! فقال ابن ميادة: ما كنت أظنه يمكن إلا ذلك (2).

فها هو الشاعر يصرّح - طبقاً لضرورات الدين - بأنه لا يمكن للمسلم إلا أن يقدم رهط النبي صلي الله عليه وآله علي قومه وعلي جميع الاقوام، لكن العقلية الأموية والمروانية كانت تسعي في طمس آثار آل الرسول بكل ثقلها وجهدها .

وفي العصر العباسي، دخل الإمام علي الهادي عليه السلام يوماً علي المتوكّل فقال له المتوكّل: يا أبا الحسن من أشعر الناس؟ - وكان قد سأل قبله علي بن الجهم، فذكر شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام - فلما سأل الإمام قال: علي الحماني حيث يقول:

لَقَدْ فَاحَرْتُنَا مِنْ قَرِيشٍ عَصَابَةٌ بِمِطِّ خُدُودٍ وَامْتِدَادِ أَصَابِعِ

1- أمالي الطوسي 687 - 688، مجلس يوم الجمعة السابع من شعبان 457 هـ .

2- انظر انساب الاشراف 13 : 128 . وفيه ان إبراهيم بن هشام بن عبدالملك قال لابن ميادة: يا ماصّ بظر أمه أنت فضلت قريشاً، وجرّده فضربه مائة سوط أو أقل .

فلَمَّا تَنَازَعْنَا الْمَقَالَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَى نِدَاءُ الصَّوَامِعِ

قال المتوكل : وما نداء الصوامع يا أبا الحسن ؟ قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله » جدِّي أم جدِّك ؟ فضحك المتوكل ثم قال : هو جدِّك لا ندفعك عنه(1).

تَرَانَا سُكُوتًا وَالشَّهِيدُ بِفَضْلِنَا

تَرَاهُ جَهِيرَ الصَّوْتِ فِي كُلِّ جَامِعِ

بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ جَدُّنَا

وَنَحْنُ بَنُوهُ كَالنَّجْمِ الطَّوَالِعِ(2)

فكان الأذان وفيه اسم محمّد ، المرفوع ذكره ، المستتبع لرفع ذكر الأئمة من أولاده(3)، كان ذلك أكبر مفخرة للمسلم الحقيقي ، كما كان يؤذي أعداء الإسلام الذين ارتدوا بسبب المعراج ، ويؤذي من أرادوا جعل الأذان وفصوله أحلاماً واقتراحات ، ويؤذي معاوية الذي أرقه ذكر اسم « محمّد » واقتترانه باسم رب العالمين ، ويؤذي أولاد طلحة وقتلة الحسين عليه السلام ، كما كان يورق المتوكل العباسي ، وكل رموز التحريف وأرباب الطموحات السلطوية ، وكلهم من السلك القرشي المعادي لله وللرسول ولعترته الرسول صلوات الله عليهم أجمعين .

القدرة الإلهية وفشل المخططات

إن قريشاً سعت للوقوف أمام الدعوة ودأبت علي طمس معالم الإسلام ، لكن الله أبي إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

1- أمالي الطوسي 293 .

2- انظر : ديوان عليّ الحنّاني 81 ، ومناقب ابن شهر آشوب 4 : 406 وفيه : « عليهم » بدل : « تراه » .

3- لأنّه صلي الله عليه وآله أمر أن لا يصلوا عليه الصلاة البتراء .

وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (1).

وقد مرّ عليك قول معاوية بن أبي سفيان : (إلا دفناً دفناً) في حين أن الله سبحانه وتعالى يقول : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } .

وقال السدي في تفسير قوله : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } : كانت قريش يقولون لمن مات الذكور من أولاده : أبتَر ، فلما مات ابنه صلي الله عليه وآله : القاسم ، وعبدالله بمكة ، وإبراهيم بالمدينة ، قالوا : بُتِرَ ، فليس له من يقوم مقامه .

ثم إنّه تعالى بيّن أنّ عدوّه هو الموصوف بهذه الصفة ، فإتّأ نري أنّ نسل أولئك الكفرة قد انقطع ، ونسله عليه الصلاة والسلام يزداد كلّ يوم وينمو وهكذا إلي يوم القيامة (2) .

فقد أشار الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } إلي أنّ الكوثر : أولاده صلي الله عليه وآله ، قالوا : لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً علي من عابه عليه السلام بعدم الأولاد ، فالمعني أنّه يعطيه نسلًا يبقون علي مرّ الزمان .

فانظر كم قُتل من أهل البيت ، ثمّ العالم ممتلئ منهم ، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعبأ به .

ثمّ انظر كم فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم (3) .

وكان الأمويون يحسدون آل البيت علي ما آتاهم الله من فضله ، وقد جاء في تفسير قوله تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَي ... } أنّها نزلت في عليّ

عليه السلام وما حُصّ

1- التوبة : 32 .

2- التفسير الكبير 32 : 133 .

3- التفسير الكبير 32 : 124 .

به من العلم(1).

وعن ابن عباس في قوله: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ } قال: نحن الناس دون الناس(2).

وعن محمد بن جعفر في قوله: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ } ، قال: نحن المحسودون ، وعن ابن عباس في قوله { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ } قال: نحن الناس المحسودون و« فضله » النبوة(3).

فسبحانه جل شأنه رفع ذكر محمد وآل محمد بآيات التطهير والموّدة والمباهلة وسورة الدهر وبراءة وغيرها من السور والآيات الكثيرة، ولو تدبر المطالع في سورة الضحى لعرف نزولها في مدح النبي محمد وأنه جل شأنه ذكره بثلاثة أشياء تتعلق بنبوته ، منها: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } وفي سورة ألم نشرح شرفه بثلاثة أشياء أولها: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ، وثانيها: { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } ، وثالثها: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (4).

قال الإمام فخر الدين الرازي: جعل الله تعالى أهل بيت النبي صلي الله عليه وآله مساوين له في خمسة أشياء :

أحدها: المحبة ؛ قال الله تعالى: { فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } ، وقال لأهل بيته: { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } .

والثانية: تحريم الصدقة ؛ قال صلي الله عليه وآله: لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس .

والثالثة: الطهارة ؛ قال الله تعالى: { طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 7 : 220 .

2- المعجم الكبير 11 : 146 ، مجمع الزوائد 7 : 6 والنص له .

3- شواهد التنزيل 1 : 183 .

4- التفسير الكبير 32 : 118 .

لِتَشْقِي { أَي يَا طَاهِر ، وَقَالَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } .

والرابعة: في السلام؛ قال: « السلام عليك أيها النبي » ، وقال لأهل بيته (سلام علي آل يس) (1).

والخامسة: في الصلاة علي النبي صلي الله عليه وآله وعلي آل في التشهد (2).

وبهذا فقد عرفنا - وعلي ضوء الصفحات السابقة - بأن المجتهدين كانوا وراء فكرة الرؤيا ، وأن رأسها الأمويون ، استغلوا ما طرح في عهد الصحابة لما يريدون القول به لاحقاً .

فإن النصوص السابقة وصّحت لنا بأن الصحابة اقترحوا علي رسول الله بأن يتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصراري أو بوقاً مثل قرن اليهود ورسول الله لم يرض بذلك حتى أري عبدالله بن زيد أو غيره الأذان .

وجاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه) عن الإمام عليه السلام أنه قال : كان اسم النبي صلي الله عليه وآله يكرّر في الأذان ، فأول من حذفه ابن أروي (3) . وهو عثمان بن عفان .

وهذا يتفق مع ما قاله محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم في كتاب العلل وهو يذكر علل فصول الأذان حتى يقول : وقوله : (حيّ علي خير العمل) أي

1- قرأ نافع وابن عامر ويعقوب هذه الآية بفتح الهمزة ومدّها وقطع اللام من الياء كما في آل يعقوب ، « النشر في القراءات العشر 2 : 360 وتحرير التيسير : 170 » وللتأكيد أقر في مصحف المدينة النبوية برواية ورش عن نافع المدني والمطبوع في المملكة العربية السعودية صفحة 407 الآية : 130 من سورة الصافات .

2- انظر : نقل كلام الفخر الرازي في : نظم درر السمطين 240 ، والصواعق المحرقة 233 - 234 ، ونبايح المودّة 1 : 130 - 131 ، وجواهر العقدين 2 : 166 .

3- من لا يحضره الفقيه 1 : 299 ، كتاب الصلاة باب الأذان والإقامة .

حث علي الولاية، وعلّة أنّها خير العمل أن الأعمال كلّها بها تقبل .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله ، فألقي معاويةً من آخر الأذان (محمّد رسول الله) فقال : أما يرضي محمّد أن يذكر في أوّل الأذان حتّي يذكر في آخره(1) .

وقد مرّ عليك ما رواه عبدالرزاق عن إبراهيم من أن أوّل من أفرد الإقامة معاوية ، وقال مجاهد : كانت الإقامة مثني كالأذان حتّي استخفّه بعض أمراء الجور فأفرده لحاجة لهم(2) .

وجاء في مجمع الزوائد عن عبدالرحمن بن ابن ليلي قال : كان علي بن أبي طالب اذا سمع المؤذن يؤذن قال كما يقول فإذا قال : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمّداً رسول الله . قال علي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله وأنّ الذين جحدوا محمّداً هم الكافرون(3) .

بعد ذلك لا غرابة عليك في تصريح الصادق عليه السلام بأنّ الحكومات والنواصب

1- بحار الأنوار 81 : 170 ، عن العلل لابن هاشم ، وقد علّق المجلسي علي كلامه بقوله :... وكون الشهادة بالرسالة في آخر الأذان غريب ، ولم أره في غير هذا الكتاب . أقول : قد يكون المراد من الشهادة بالرسالة في آخر الأذان هو ما جاء في بعض الروايات من استحباب ذكر الرسول وجعله الوسيلة إلي الله في آخر الأذان ، وكلما سمع المسلم الشهادة بالنبوة في الأذان وغيره. وهذا ما حذفه معاوية ، قال الشرواني في حواشيه 3 : 54 (.. وصريح كلامهم أنّه لا يندب الصلاة علي النبيّ بعد التكبير ، لكن العادة جارئة بين الناس بإتيانها بها بعد تمام التكبير ، ولو قيل باستحبابها عملاً بظاهر (ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) وعملاً بقولهم : إنّ معناه « لا أذكر إلا وتذكر معي » لم يكن بعيداً ، فتأمل .

2- أبو الوفاء الأفعاني في تعليقه علي كتاب الآثار 1 : 107 ، وانظر : المصنّف لعبدالرزاق 1 : 463/1793 .

3- مجمع الزوائد 1 : 332 .

منهم علي وجه التحديد حرّفوا أو حاولوا تحريف الحقائق ، فقد عرفنا سياسة التحريف عند الأمويين ومسخهم للحقائق وأنّ عملهم هذا يصب في المخطط الهادف إلي إبدال كلّ ما جاء من حقائق الإسلام وكلّ ما كان من فضائل الإمام عليّ وأصحاب نهج التعبد .

فقد روي القاسم بن معاوية خبيراً قال فيه :

قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه لما أسري برسول الله رأي علي العرش مكتوباً « لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله ، أبو بكر الصديق » .

فقال : سبحان الله ، غيروا كل شيء حتّي هذا؟!!!

قلت : نعم .

فقال الصادق عليه السلام ما ملخصه : إنّ الله تعالي لمّا خلق العرش ، والماء ، والكرسي ، واللوح ، وإسرافيل ، وجبرائيل ، والسماوات والأرضين ، والجبال ، والشمس ، والقمر ، كان يكتب علي كلّ منها « لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله ، عليّ أمير المؤمنين » . ثمّ قال عليه السلام : فإذا قال أحدكم « لا إله إلا الله محمّد رسول الله » فليقل « عليّ أمير المؤمنين » (1).

فالقارئ البصير لو تدبّر في النصوص الصادرة عن الأئمة لعرف أنّ رسالتهم هي تصحيح للأفكار الخاطئة المبتوثة في الشريعة والتاريخ ، ويتأكد لك مدعانا لو طبق علي ما نحن فيه ، من وجود تيار يحمي فكرة الرؤيا وهم النواصب وأعداء النبيّ والإمام عليّ بن أبي طالب ، وهؤلاء النواصب كانوا لا يستسيغون ذكر الرسول محمّد في الأذان ، أو يتصورون أنّ الشهادة الثانية من وضعه

صلي الله عليه وآله ، فكيف

يقبل أمثال هؤلاء بشرعية شيء فيه تنويه ورفعة لمنزلة آل الرسول صلي الله عليه وآله ، والنواصب هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويجعلون مكانها مفاهيم أخرى ، وقد أشرنا سابقاً إلي بعضها ، وإليك نصّين آخرين في هذا السياق ، إذ جاء في أصل زيد النرسي ، عن الإمام الكاظم بأن الصلاة خير من النوم من بدع بني أمية (1)) ، وهي تؤكد ما نريد الوصول إليه من حقيقة الأذان وكيفية وقوع التحريف فيه .

فقد روي الصدوق وعليّ بن إبراهيم ، عن عمر بن أذينة ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : يا عمر بن أذينة ، ما تري هذه الناصبة ؟

قال : قلتُ : في ماذا ؟

فقال : في أذانهم وركوعهم وسجودهم .

قال : قلت : إنهم يقولون : إنّ أبيّ بن كعب رآه في النوم .

فقال : كذبوا ، فإنّ دين الله عزّ وجلّ أعزّ من أن يُرى في النوم .

فقال سدير الصيرفي للإمام : جعلت فداك ، فأحدث لنا من ذلك ذكراً (2)) ، فبدأ الإمام الصادق عليه السلام ببيان عروج الرسول إلي السماوات السبع وذكر لهم خبر الأذان والصلاة هناك .

ولو أحببت الوقوف علي ملابسات هذه الأمور أكثر فأكثر ، ومعرفة دور قريش وأتباعهم من النواصب في تحريف النصوص وما يتعلق بالإمام عليّ علي وجه التحديد ، فتمعن فيما نقوله تحت العنوان الآتي :

1- أصل زيد النرسي 54 ، وعنه في مستدرک الوسائل 4 : 44 ح 4140/2 .

2- الكافي كتاب الصلاة باب النوادر 3 : 482 - 486/1 . وللمزيد من الاطلاع يمكنك مراجعة خبر الإسراء في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي 2 : 3 - 12 . وانظر : علل الشرايع 2 : 313 باب علل الوضوء والأذان والصلاة ، وعنه في بحار الأنوار 18 : 354 .

مَنْ هُمِ الثَّلَاثَةُ أَوْ الْأَرْبَعَةُ ؟

بعد أن وقفت علي بعض تحريفات بني أمية نوقفك الآن مع عبارة مبهمة تذكرها كتب الصحاح والسنن في خبر الإسراء ، مفادها أن جبريل لما نزل بأمر الإسراء رأى ثلاثة رجال نائمين ، فقال إسرائيل لجبرئيل : أيُّهم هو ؟ فقال : أوسطهم .

وكان النائم في الوسط هو النبي محمد ، فالآن نتساءل : من هما الاثنان الآخران يا تري ؟ ولماذا الإبهام في اسميهما ؟

أخرج مسلم في صحيحه ، وأبو عوانة في مسنده ، والترمذي في سننه ، وابن خزيمة في صحيحه ، والنصّ للأول بسنده عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، لعله قال عن مالك بن صعصعة (رجل من قومه) ، قال : قال نبيّ الله : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين... (1)

وفي مسند أحمد ، والمجتبي للنسائي ، والسنن الكبرى له أيضاً ، والنصّ للأول ... عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة : أن النبيّ صلي الله عليه وآله قال : بينا أنا عند الكعبة بين النائم واليقظان فسمعت قائلاً يقول : أحد الثلاثة ... فأُتيتُ بطست من ذهب ثم أُتيتُ بدابةٍ دون البغل وفوق الحمار ، ثم انطلقت مع جبرئيل عليه السلام ... الحديث (2) .

1- صحيح مسلم 1 : 104 كتاب الإيمان 1 : 149 باب الإسراء برسول الله صلي الله عليه وآله إلي السماوات وفرض الصلوات ح 264 ، مسند أبي عوانة 1 : 107 ، وصحيح ابن خزيمة 1 : 153 ، كتاب الصلاة ، باب بدء فرض الصلوات الخمس ، تفسير القرطبي 20 : 104 ، أسد الغابة 4 : 281 ، الديباج للسيوطي 1 : 207 ، وانظر : جامع البيان 15 : 4 ، وسنن الترمذي 5 : 442 ح 3346 ، كتاب تفسير القرآن باب « من سورة ألم نشرح » .

2- مسند أحمد 4 : 207 ، 210 ، سنن النسائي 1 : 217 ، السنن الكبرى 1 : 138 .

علي أن البخاري وغيره أرجعوا هذا الخبر إلي قبل أن يبعث الرسول صلي الله عليه وآله ، فجاء في الصحيحين عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أُسري بالنبّي صلي الله عليه وآله من المسجد الكعبة : جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال : أوسطهم هو خيرهم ، وقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك ، فلم يرهم حتّي جاءوا ليلة أخرى فيما يري قلبه والنبّي صلي الله عليه وآله نائمة عيناه ولا ينام قلبه .. فتولّاه جبرئيل ثمّ عرج به إلي السماء(1) .

وفي هذه الضبابية وهذا الإبهام نري كتب شروح الحديث عند أهل السنّة والجماعة لا توضّح إلا بعض الشيء عن هؤلاء ، فحكى السندي في حاشيته علي النسائي وضمن تفسيره لهذا الحديث .. « قالوا : هما حمزة وجعفر ... »(2) .

وفي شرح مسلم باب الإسراء : روي أنّه كان نائماً معه حينئذ عمّه حمزة بن عبدالمطلب وابن عمّه جعفر بن أبي طالب(3) .

وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ... فقال أولهم : أيهم هو ، فيه إشعار بأنّه كان نائماً بين جماعة أقلامهم اثنان وقد جاء أنّه كان نائماً معه حينئذ حمزة ابن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب ابن عمّه(4) .

-
- 1- صحيح البخاري 5 : 33 - 34 / كتاب المناقب - باب « كان النبيّ تنام عينه ولا ينام قلبه » . وانظر : 9 : 824 ، كتاب التوحيد - باب « وكلّم الله موسى تكليماً » ، وصحيح مسلم 1 : 148 ، كتاب الإيمان ، باب « الإسراء برسول الله صلي الله عليه وآله » ، وسنن البيهقي 7 : 62 . وقال ابن حجر في فتح الباري 13 : 409 : « وقوله : قبل أن يُوحى إليه » أنكرها الخطّابي وابن حزم وعبدالحقّ والقاضي عياض والنووي ، وعبارة النووي : وقع في رواية شريك هذه أوهام أنكرها العلماء ، أحدها قوله : قبل أن يوحى إليه ، وهو غلط لم يوافق عليه .
 - 2- حاشية السندي علي النسائي 1 : 217 ، كتاب الصلاة باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين .
 - 3- هذا ما حكاه مهّمس تفسير القرطبي 20 : 104 . ولم نقف عليه في مظانّه .
 - 4- فتح الباري بشرح صحيح البخاري 13 : 409 - 410 ، كتاب التوحيد .

وقال البناء في الفتح الربّاني (1) والمباركفوري في تحفة الأحوذى (2)، والكلام للأول : قال الحافظ : والمراد بالرجلين ، حمزة وجعفر ، وأنّ النبيّ صلي الله عليه وآله حين كان نائماً بينهما .

هكذا عرّفت كتب الشروح اسم الرجلين دون ذكر سند أو رواية في ذلك، لكنّ كتب الشيعة الإمامية والإسماعيلية والزيدية روت بأسانيدها أسماء الذين كانوا نائمين مع النبيّ صلي الله عليه وآله ، وهم : عليّ ، وحمزة ، وجعفر ، كانوا يحيطون به عن يمينه وشماله وتحت رجليه ..

روي عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : {سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} ، قال : روي عن رسول الله أنّه قال : بينا أنا راقد بالأبطح ، وعليّ عن يميني ، وجعفر عن يساري ، وحمزة بين يديّ ، وإذا أنا بخفق أجنحة الملائكة وقائل منهم يقول : إليّ أيّهم بُعثت يا جبرئيل ؟ فقال: إليّ هذا ، وأشار إليّ . ثمّ قال : هو سيّد ولد آدم وحواء ، وهذا وزيره ووصيّه وختنه وخليفته في أمّته ، وهذا عمّه سيد الشهداء حمزة ، وهذا ابن عمّه جعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة مع الملائكة ، دعه فلتنم عيناه ولتسمع أذناه وليع قلبه ... (3)

وروي القاضي النعمان في شرح الأخبار عن الطبري ؛ رفعه إليّ حذيفة اليماني ، قال: خرج إلينا رسول الله صلي الله عليه وآله يوماً وهو حاملٌ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام علي عاتقه ، فقال : هذان خير الناس أباً وأماً ؛ أبوهما عليّ ... إليّ أن قال : إنّ الله عزّ وجلّ اختارنا أنا وعليّاً وحمزة وجعفر يوم بعثني برسالته وكنت نائماً بالأبطح ، وعليّ نائم

1- الفتح الربّاني 20 : 248 .

2- تحفة الأحوذى 9 : 193 .

3- تفسير عليّ بن إبراهيم 2 : 13 تأويل الآيات 1 : 269 ، تفسير نور الثقلين 3 : 100 عنه .

عن يميني ، وحمزة عن يساري ، وجعفر عند رجلي ، فما انتبهت إلا بحفيف أجنحة الملائكة ، فنظرت فإذا أربعة من الملائكة وأحدهم يقول لصاحبه : يا جبرئيل ، إلي أي الأربعة أرسلت ؟ فرفسني برجلي وقال : إلي هذا .

قال : ومَن هذا ؟!

قال : محمّد سيّد المرسلين .

قال : ومَن هذا عن يمينه ؟!

قال : عليّ سيّد الوصيين .

قال : ومن هذا عن يساره ؟!

قال : حمزة سيّد الشهداء .

قال : ومن عند رجليه ؟

قال : جعفر الطيّار في الجنّة (1).

وروي الشيخ الطوسي بإسناده عن إبراهيم بن صالح بن زيد بن الحسن ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله : رقدت بالأبطح علي ساعدي وعليّ عن يميني ، وجعفر عن يساري ، وحمزة عند رجلي ، قال : فنزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ففزعت لخفق أجنحتهم . قال : فرفعت رأسي فإذا إسرافيل يقول لجبرئيل : إلي أي الأربعة بُعثت وبعثنا معك ؟ قال : فرفس برجله فقال : إلي هذا ... إلي آخر الرواية (2).

وروي المرشد بالله يحيي بن الحسين الشجري - من الزيدية - في الأمالي الخميسية بإسناده عن ابن عباس ، عن النبي صلي الله عليه وآله في قول الله : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، أَلَا

1- شرح الأخبار 1 : 120 - 121 ح 46 .

2- الأمالي للطوسي : 731 مجلس يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة 457 هـ .

وإن الله اختارني من ثلاثة من أهل بيتي علي جميع أمتي وأنا سيّد الثلاثة، وسيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر .

قال أهل السدة: يا رسول الله، سمّ لنا الثلاثة نعرفهم؟ فبسط رسول الله كفّه الطيّبة المباركة ثم حلق بيده، قال: اختارني وعليّ وحمزة وجعفر، كنا رقاداً بالأبطح ليس منّا إلا مسجّي بثوبه، عليّ عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجلي، فما تبتهني من رقدتي غير حفيف أجنحة الملائكة وبرد ذراع عليّ تحت خدي، فانتبهت من رقدتي، وجبرئيل في ثلاثة أملاك، فقال له بعض الأملاك الثلاثة: يا جبرئيل، إلي أيّ هؤلاء الثلاثة أرسلت؟

فحرّكني برجله وقال: إلي هذا وهو سيّد ولد آدم .

فقال له أحد الثلاثة: ومن هو، سمّه؟

فقال: هذا محمّد سيّد المرسلين، وهذا عليّ خير الوصيّين، وهذا حمزة سيّد الشهداء، وهذا جعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة حيث يشاء (1) .

ولو حقّقنا في رجال الخبر المروي في تفسير عليّ بن إبراهيم - والذي رواه المرحوم شرف الدين الحسيني (من أعلام القرن العاشر) مسنداً في تاويل الآيات - لرأيانهم ثقّات لم يرد فيهم جرح، ويؤيّده ما حكاه القاضي النعمان المصري في شرح الأخبار والطوسي والمرشد بالله في أماليهما، فنحن لو جمعنا هذين النصين مع ما جاء في الإمام عليّ وأنّه أحد سادات أهل الجنّة السبعة بنص رسول الله صلي الله عليه وآله وأنّ مثاله كان في الجنّة وقد رأى ذلك رسول الله حينما أسري به إلي السماء، لعرفنا حقيقة أخري كانت بنو أمية تخفيها وتخاف نشرها وشيوعها بين الناس، بل سعت لطمسها وإبدالها بأخبار أخري في الصحابة .

وإذا أردت أن تقف علي جلية الأمر، فلاحظ أنّ هناك مجموعة من الأحاديث

النبوية الشريفة ، ومجموعة من الآيات الكريمة فسرها الرسول الأكرم ، وفيها تجد علياً وحمزة وجعفرأ في إطار واحد لا ينفصلون ، وعلي نسق فريد من الكرامة فيه لا يتفوقون .

فقد أخرج الحاكم وابن ماجة بسندهما عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : نحن بنو عبدالمطلب سادة أهل الجنة ؛ أنا وعليّ وجعفر وحمزة والحسن والحسين والمهدي ، ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه(1) .

وقد روي ابن عساكر بسنده عن حبشي بن جنادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : إن الله اصطفى العرب من جميع الناس ، واصطفى قريشاً من العرب ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني واختارني في نفر من أهل بيتي : عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين(2) .

وقد روي عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير الناس حمزة وجعفر وعليّ(3) .

-
- 1- المستدرک علي الصحیحین 3 : 211 والنص عنه ، وهو في سنن ابن ماجة 2 : 1368 باب خروج المهديّ ح 4087 ، وفيه : « نحن ولد عبدالمطلب » ... ونحو الأول في طبقات المحدثين بإصفهان 2 : 291 ، وأيضاً في سبل الهدى والرشاد 11 : 7 .
 - 2- كنز العمال 11 : 756 ، ح 3368 ، عن ابن عساكر .
 - 3- شرح نهج البلاغة 15 : 72 .

وروي الحاكم الحسكاني بسنده عن عبدالله بن عباس ، في قول الله تعالى : { أَمَّنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَدًا نَأْفَهُ لَأَقِيهِ } (1) ، قال : نزلت في حمزة وجعفر وعليّ ، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى وعدهم في الدنيا الجنة علي لسان نبيّه صلي الله عليه وآله ، فهؤلاء يلقون ما وعدهم الله في الآخرة(2) ...

وروي الحاكم الحسكاني أيضاً بسنده عن عبدالله بن عباس في قول الله تعالى : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } (3) ، يعني عليّاً وحمزة وجعفر { فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَّي نَحْبَهُ } يعني حمزة وجعفر { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ } يعني عليّاً كان ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله ، فوالله لقد رزق الشهادة(4) .

وبإسناده أيضاً عن زيد ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن عليّ ، قلت له : أخبرني عن قوله تعالى : { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ } (5) ، قال : نزلت في عليّ وحمزة وجعفر(6) ...

فهؤلاء الثلاثة كانوا يحوطون النبيّ كما تحوط عين الناظر الهدب ، وكانوا هم عماد المدافعين عنه في أوائل الدعوة الإسلامية ، وقد أعلنوا إسلامهم بكل جرأة وتحذّر للحشود القرشية المتظافرة علي الفتك برسول الله صلي الله عليه وآله ، وها قد رأيت الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية الكريمة كيف تعدهم لثألي في سلك ونظام واحد ، فلماذا يحذف اسم « عليّ » من هذه الكوكبة؟! ما يكون ذلك إلا من صنيع المبغضين له والأمويين ومن لفّ لفهم ، ويكفيك هذا دليلاً دامغاً علي أنّ (نهج الأذنان المنامي) حاول التعتيم علي الحقيقة المحمدية العلوية ، وحاول القضاء علي (نهج الأذنان السماوي) ، فلم يتمكنوا من ذلك .

وهؤلاء الثلاثة - عليّ وحمزة وجعفر - كانت فضائلهم متماسكة متناسقة حتّي سارت علي السنة الشعراء ، فقد قال الكميت في بائيته الرائعة :

أولئك نبيّ الله منهم وجعفر

وحمزة ليث الفيلقين المجرّب

1- القصص : 61 .

2- شواهد التنزيل 1 : 564 ، ح 601 . وانظر : نهج الإيمان 514 .

3- الأحزاب : 23 .

4- شواهد التنزيل 2 : 6 ، ح 628 . وانظر : التبيان 5 : 318 ، وتفسير القميّ 2 : 188 .

5- الحجّ : 40 .

6- شواهد التنزيل 1 : 521 ، ح 552 .

هُمُّ مَا هُمُّ وَتَرًا

وَشَفَعًا لِقَوْمِهِمْ

لِفَقْدَانِهِمْ مَا

يُعَذِّرُ الْمُتَحَوِّبُ قَتِيلَ التَّجُوبِيِّ الَّذِي اسْتَوَارَتْ بِهِ

يَسَاقُ بِهِ سَوْقًا

عَنِيفًا وَيَجْنَبُ

قال شارح القصيدة : قتيل التجوبي هو علي بن أبي طالب ، وتجوب قبيلة وهم في مراد(1) .

ولمّا هجأ أحد الشعراء - من ولد كريز بن حبيب بن عبدشمس - محمد بن عيسى المخزومي ، أجابه شاعرٌ آخر فذكر معايب بني عبدشمس وأنهم لم يكن لهم ما يذكر في الجاهلية من أمر اللواء والندوة والسقاية والرفادة ، وذكر حقدهم علي النبي وآل النبي صلي الله عليه وآله ، فقال :

لَا لَوَاءٌ يُعَدُّ

يَا بَنَ كَرِيزِ

لَا وَلَا رَفْدٌ بَيْتَهُ ذِي السَّنَاءِ

لَا حِجَابٌ وَلَيْسَ فَيْكُمْ

سِوَى الْكَبِ

رِ وَبُغْضِ

النَّبِيِّ وَالشَّهْدَاءِ بَيْنَ حَاكٍ وَمُخْلِجٍ وَطَرِيدِ

وَقَتِيلِ

يَلْعَنُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ

وَلِهِمْ زَمَزَمٌ

كذاك وجبري

لُ ومجدُ

السقاية الغراء

قال ابن أبي الحديد : قال شيخنا أبو عثمان : فالشهداء عليّ وحمزة وجعفر ، والحاكي والمخلج هو الحكم بن أبي العاص ... والطريد اثنان : الحكم بن أبي العاص ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وهما جدّ عبد الملك بن مروان من قبل أمّه وأبيه (2) ...

وعليّ كلّ حال ، فإن المنصف لا يرتاب في أنّ الأذان كان تشريعه سماوياً لا رؤيؤياً ، وكان عليّ وحمزة وجعفر ، محيطين بالنبيّ صلي الله عليه وآله ، لكن الحكومات والسياسات حذفت اسم عليّ

عليه السلام محاولةً إبعاد هذه المكرومة عنه وهي أقرب إليه من

1- الروضة المختارة 40 .

2- انظر : شرح نهج البلاغة 15 : 198 - 199 .

حبل الوريد ، وهذه ليست أول فعلة من فعلات المحرّفين ، بل لها نظائر ونظائر إلي ما شاء الله .

وما ذكرهم مثال بلال وغيره من الصحابة في خبر الإسراء والمعراج وتركهم ذكر مثال عليّ إلا شاهد آخر علي ما حرفوا في الأذان السماوي ، الذي تبناه عليّ وأولاده وأصحابه .

فقد روي مضمون ذلك جابر بن عبد الله الانصاري ، وأبو أمامة الباهلي ، ويريده ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، وسهل بن سعد الساعدي عن رسول الله بنصوص متقاربة .

فأما ما رواه جابر - فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(1) ، وأبو داود الطيالسي(2) ، وأحمد(3) في مسنديهما ، وابن حبان في صحيحه(4) - والنص للبخاري - وهو :

قال رسول الله : أريتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالمبيضاء امرأة أبي طلحة ، وسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟

قال [جبرئيل] : هذا بلال . قال : ورأيت قصرأً بفنائنه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمر ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك .

1- صحيح البخاري والنص عنه 5 : 70 ح 199 ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، وانظر : صحيح مسلم 4 : 1908 ح 2457 باب من فضائل أمّ سليم أمّ أنس بن مالك وبلال ، وانظر : صحيح مسلم 4 : 1862 باب فضائل عمر بن الخطاب ح 2394 .

2- مسند أبي داود الطيالسي 238 ح 1715 و1719 ، ما رواه محمد بن المنكدر عن جابر .

3- مسند أحمد 3 : 389 - 390 .

4- صحيح بن حبان 15 : 309 في ذكر قصر عمر في الجنة ، وص 559 في ذكر ايجاب الجنة لبلال و16 : 161 في ذكر أمّ حرام في الجنة .

فقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أعليك أغار؟!

وفي رواية أبي أمامة التي رواها أحمد في مسنده(1) والطبراني في الكبير(2)والهيثمي في مجمع الزوائد(3) - والنص عن أحمد - قال : قال رسول الله : دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي ، فقلت : ما هذا ؟ قال : بلال .

قال : فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين(4) وذراري المسلمين ولم أرَ أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء ... ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية ، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمّتي في كفة ، فرجحتُ بها ، ثم أتى بأبي بكر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي في كفه فوضعوا فرجح أبو بكر ، وجيء بعمر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا فرجح عمر ، وعرضت أمّتي رجلاً رجلاً(5) فجعلوا يمرّون فاستبطأت عبدالرحمن بن عوف ، ثم جاء بعد الأياس ...

وأما رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه والتي أخرجها الطبراني في الكبير(6) وابن أبي شيبة في المصنّف(7) وابن حبان في الصحيح(8) وأحمد في المسند(9) والترمذي في السنن(10)

1- مسند أحمد 5 : 259 .

2- المعجم الكبير 8 : 281 ح 7923 باختصار ، مسند الروياني 2 : 277 .

3- مجمع الزوائد 9 : 59 ، 10 : 262 .

4- لا يفوتك عدم ذكر الأنصار في هذا الحديث .

5- لاحظ عدم ذكر عثمان وعليّ في هذا الحديث فقد يكون للخوارج يد في وضعه .

6- المعجم الكبير 1 : 337 - 338 ح 1012 .

7- المصنّف لابن أبي شيبة 6 : 399 ح 32325 .

8- صحيح ابن حبان 15 - 561 ، 562 .

9- مسند أحمد 5 : 354 و360 .

10- سنن الترمذي 5 : 620 ح 3689 .

وابن خزيمة في الصحيح(1) والحاكم في المستدرک(2) - والنص للترمذي - فهي ، قال : أصبح رسول الله فدعا بلالاً ، فقال : يا بلال ، بم سبقتني إلي الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي .

وأما ما رواه أنس بن مالك - والذي جاء في مسند عبد بن حميد(3) - فهو : قال أنس : قال رسول الله : دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت : ما هذه ؟ فقالوا : هذا بلال ، ثم دخلت الجنة فسمعت خشفة ، فقلت : ما هذه ؟ قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان وهي أم سليم أم أنس بن مالك .

وأما ما رواه أبو هريرة - والذي أخرجه البخاري(4) ومسلم(5) وابن حبان(6) في صحاحهم ، وابن عساکر في تاريخ دمشق(7) - فهو : أن النبي قال لبلال عند صلاة الفجر : يا بلال ، حدثني بأرجي عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملاً أرجي عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي .

وأما رواية سهل بن سعد ففيها : قال : قال رسول الله : دخلت الجنة فإذا منظر آت فنظرت فإذا هو بلال(8) ..

-
- 1- صحيح ابن خزيمة 2 : 214 ح 1209 .
 - 2- المستدرک علي الصحيحين 1 : 313 و 3 : 285 .
 - 3- منتخب مسند عبد بن حميد 399 ح 1346 .
 - 4- صحيح البخاري 2 : 499 كتاب التهجد بالليل ، باب فضل الطهور بالليل والنهار ، ح 1074 والنص عنه ، وج 5 : 93 كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب بلال بن أبي رباح .
 - 5- صحيح مسلم 4 : 1910 باب من فضائل بلال ح 2458 .
 - 6- صحيح ابن حبان 15 : 565 .
 - 7- تاريخ دمشق 10 : 453 - 454 .
 - 8- مسند أحمد 2 : 333 .

كلّ هذه النصوص ظاهرة في أنّه صلي الله عليه وآله رأى ذلك في معراجه إلي السماء ، وهناك نصّان آخران يوضحان ذلك ؛ فقد روي الطبراني في الكبير بإسناده عن وحشي بن حرب ، عن أبيه ، عن جدّه : أنّ رسول الله لمّا أسري به في الجنّة سمع خشخشة ، فقال : يا جبرئيل ، ما هذه الخشخشة ؟ قال : هذا بلال .

قال أبو بكر : ليت أمّ بلال ولدتني وأبو بلال وأنا مثل بلال(1) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وفي مسند أحمد(2) ومجمع الزوائد(3) والأحاديث المختارة(4) وتفسير ابن كثير(5) عن ابن عبّاس ، والنصّ لأحمد : بسنده عن ابن عبّاس ، قال : ليلة أسري بنبيّ الله صلي الله عليه وآله ودخل الجنّة فسمع من جانبها وجساً ، قال : يا جبرئيل ، ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن .

فهذه النصوص تُشير إلي وجود مثال بلال في الجنّة وإن جدّ بعض الأعلام إلي تضعيفها(6) وحملها علي كونها كانت في المنام لا اليقظة ، لكنّهم بهذا التعليل أو ذاك لا يمكنهم التقليل من حجّيتها عند القائلين بها ، وذلك لحجّية رؤيا الأنبياء عند جميع المسلمين ، وقد يكون ما رآه الرسول معني آخر لتجسّم الأعمال والذي يذهب إلي القول به جماعة من المسلمين .

وبعد هذا فلا مانع من أن نذكر بعض الروايات الدالّة علي وجود اسم عليّ

1- المعجم الكبير 22 : 137 ، مجمع الزوائد 9 : 299 .

2- مسند أحمد 1 : 257 .

3- مجمع الزوائد 9 : 300 .

4- الأحاديث المختارة 9 : 552 .

5- تفسير ابن كثير 3 : 14 .

6- فيض القدير 3 : 517 ، فتح الباري 3 : 26 - 27 ، نيل الاوطار 3 : 81 ، تحفة الاحوذى 10 : 120 .

في العرش والكرسي ، والتي لا نستبعد أن تكون حكومة الأمويين وضعت الأحاديث الأتفة في مقابلها ، محاولةً منهم لطمس فضائل عليّ والتقليل من أهميتها ، وذلك طبق المنهج الذي رسموه وخططوه في ذلك كما تقدم بيانه ، إذ أن حديث رجحان كفة أبي بكر وعمر علي كفة الناس أجمعين هو تحريف للحديث الثابت عن رسول الله : ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين(1) ، وإليك الان بعض تلك الروايات المشيرة إلي وجود اسم الإمام عليّ علي ساق العرش :

روي الصدوق في « من لا يحضره الفقيه » عن عليّ عليه السلام ، عن النبيّ صلي الله عليه وآله أنه قال في وصية له : يا عليّ ، إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في ثلاثة مواطن ، فأنست بالنظر إليه ، إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معراجي إلي السماء وجدت علي صخرتها « لا إله إلا الله محمّد رسول الله ، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره » .

فقلت لجبرئيل : من وزيره ؟

قال : عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فلما انتهيت إلي سدرة المنتهي وجدت مكتوباً عليها : « إنّي أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ، محمّد صفوتي من خلقي ، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره » ، فقلت لجبرئيل : من وزيره ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب .

فلمّا جاوزت سدرة المنتهي انتهيت إلي عرش ربّ العالمين جلّ جلاله ، فوجدت مكتوباً علي قوائمه : « إنّي أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ، صفوتي من خلقي ، أيّده بوزيره ونصرته بوزيره » ، فقلت لجبرئيل : من وزيره ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب .

فلما رفعت رأسي نظرت علي بطنان العرش مكتوباً: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد حبيبي، أيده بوزيره ونصرته بوزيره» (1).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة للصدوق بإسناده إلي وهب بن منبه، رفعه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله لعلي: لما عرج بي ربي جل جلاله أتاني النداء: يا محمد.

قلت: لبيك رب العظمة لبيك، فأوحى الله إلي: يا محمد، فيم اختصم الملائة الأعلي؟

فقلت: إلهي، لا علم لي.

فقال: يا محمد، هلا اتخذت من الآدميين وزيراً وأخاً ووصياً من بعدك؟

قلت: إلهي، ومن اتخذ؟ تخير أنت يا إلهي. فأوحى الله إلي: يا محمد، قد اخترت لك من الآدميين علي بن أبي طالب.

فقلت: إلهي، ابن عمي؟

فأوحى الله إلي: يا محمد، إن علياً وارثك ووارث العلم من بعدك، وصاحب لوائك لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب حوضك يسقي من ورد عليه من مؤمني أمتك.

ثم أوحى الله إلي: يا محمد، إني قد أقسمت علي نفسي قسماً حقاً، لا يشرب من ذلك الحوض مبعوض لك ولأهل بيتك وذريتك الطيبين الطاهرين، حقاً أقول يا محمد: لأدخلن جميع أمتك الجنة إلا من أبي من خلقي، فقلت: إلهي، هل واحد يأتي من دخول الجنة؟

فأوحى الله إلي: بلي.

1- من لا يحضره الفقيه 4: 373 - 374، وفي تاريخ دمشق 47: 344 بسنده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلي الله عليه وآله: لما عرج بي رأيت علي ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي.

فقلت : وكيف يأتي ؟

فأوحى الله إلي : يا محمد ، اخترتُك من خلقي ، واخترتُ لك وصياً من بعدك ، وجعلته منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيُّ بعدك ، وألقيت محبته في قلبك ، فجعلته أباً لولدك ، فحَقَّ بعدك علي أمّتك كحَقِّك عليهم في حياتك ، فمن جحد حَقَّه فقد جحد حَقَّك ، ومن أبي أن يواليه فقد أبي أن يواليك ، ومن أبي أن يواليك فقد أبي أن يدخل الجنة ، فخررتُ لله ساجداً شاكراً لما أنعم عليّ ... والخبر طويل اكتفينا منه بهذا المقدار(1).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي بردة الأسلمي ، قال : سمعت رسول الله يقول لعليّ : يا عليّ ، إنّ الله أشهدك معي في سبع مواطن : أمّا أول ذلك فليلة أُسري بي إلي السماء ، قال لي جبرئيل : أين أخوك ؟

فقلت : خلّفته ورائي .

قال : ادعُ الله فليأتك به ، فدعوتُ الله وإذا مثالك معي وإذا الملائكة وقوف صفوف ، فقلت : يا جبرئيل ، من هؤلاء ؟ قال : هم الذين يباهيهم الله بك يوم القيامة ، فدنوت فنطقت بما كان وما يكون إلي يوم القيامة .

والثاني حين أُسري بي من المرة الثانية ، فقال لي جبرئيل : أين أخوك ؟ فقلت : خلّفته ورائي ، فقال : ادعُ الله فليأتك به ، فدعوتُ الله فإذا مثالك معي ، فكشّط لي عن سبع سماوات حتّى رأيت سُكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها ... إلي أن قال :

وأما السادس : لمّا أُسري بي إلي السماء جمع الله لي النبيّين فصلّيت بهم ومثالك خلفي(2).

1- كمال الدين وتمام النعمة 250 - 251 وانظر : تفسير نور الثقلين 4 : 470 .

2- تفسير عليّ بن إبراهيم 2 : 335 - 336 في تفسير سورة النجم وعنه في تفسير نور الثقلين 5 : 158 سورة النجم ح 55 .

وفي عيون أخبار الرضا، بسنده عن أمير المؤمنين، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ أَوْحِيَ إِلَيَّ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا فَجَعَلْتُكَ نَبِيًّا، وَشَدَّقْتُ لَكَ مِنْ اسْمِي اسْمًا، فَأَنَا الْمُحَمَّدُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ.

ثمَّ أَطَّلَعْتُ الثَّانِيَةَ فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيًّا وَجَعَلْتَهُ وَصِيًّا وَخَلِيفَتَكَ وَزَوْجَ ابْنَتِكَ وَأَبَا ذُرِّيَّتِكَ، وَشَدَّقْتُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي؛ فَأَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلِيُّ وَهُوَ عَلِيٌّ.

وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثمَّ عرضت ولايتهم علي الملائكة، فَمَنْ قَبِلَهَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (1)...

وفي كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلي عبدالسلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي: عن النبي صلي الله عليه وآله في حديث طويل، قال فيه: ... فنظرت - وأنا بين يدي ربي - إلي ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً، في كل نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كل وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي.

فقلت: يا رب، أهولاء أوصيائي من بعدي؟ فنُوديتُ: يا مُحَمَّدُ، هُوَلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحبّتي بعدك علي برّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك. وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلننّ بهم كلمتي، ولأطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكته مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذلنّ له الرقاب الصّعب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرته بجندي، ولأمدته بملائكتي حتّي يُعلن دعوتي ويجمع الخلق علي توحيدني، ثمَّ لأديمنّ ملكه، ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلي يوم القيامة (2).

1- عيون أخبار الرضا 2: 61.

2- كمال الدين وتمام النعمة 256.

وفي أصول الكافي ، بإسناده عن الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنّه قال : ... فإنه لمّا أسري بي إلي السماء الدنيا فنسبني جبرئيل لأهل السماء استودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة ، فهو عندهم وديعة إلي يوم القيامة(1) ...

وقد مرّ عليك خبر سدير الصيرفي وعمر بن أذينة في الإسراء والمعراج ، وقول الإمام الصادق للاخير : يا عمر ، ما تري هذه الناصبة في أذانهم وركوعهم وسجودهم؟! نحن جننا بهذه النصوص كي نؤكد علي صحّة ما قاله الإمام الصادق عن النواصب ودورهم في تحريف الأمور وخصوصاً المسائل التي فيها اسم الإمام عليّ بن أبي طالب وأهل بيت الرسول ، وان تحريفاتهم لا تقتصر علي مفردة أو مفردتين في التاريخ والشرعية ، بل شملت جميع مراحل التشريع من الاسراء حتّي ما لا نهاية ، وإنك لو مررت بالتاريخ والحديث ودرستهما دراسة واقعية بعيداً عن التعصب لواقفتنا فيما قلناه وستقف علي عشرات الروايات الدالّة علي مكانة الإمام عليّ والتي سنتعرض لها في الشهادة الثالثة لاحقاً بإذن الله تعالى .

نحن لا نريد التفصيل في مثل هذه الموارد، بل نذكّر القارئ الكريم بما مرّ عليه من كلام شيخ ابن أبي الحديد من أنّ الأمويين سعوا إلي تحريف الفضائل الثابتة في عليّ وجعلها في عثمان وأبي بكر وعمر ، ونحن لو تابعنا السير التاريخي لوقفنا علي التحريف اللفظي والمعنوي لبني أميّة ، فكما أنّهم جعلوا اللعنة سمة وشرفاً للملعونين!! فقد أولوا كلام الرسول في معاوية (لا أشبع الله بطنك) بأنّه دعا له

بأنه سيأتي يوم القيامة خميص البطن لا شيء عليه(1)).

وخير مثال علي التحريف المعنوي هو ما أشاعه معاوية في واقعة صفين عند مقتل عمّار بن ياسر - لَمَّا تناقل الجندُ كلامَ رسول الله « تقتلك الفئة الباغية » - بأن الإمام عليّ بن أبي طالب هو القاتل له حيث أخرجه وزجّ به في المعركة ، ولما سمع الإمام عليّ بن أبي طالب بهذه المقالة قال ما مفاده : وعلي هذا الكلام يكون رسول الله هو الذي قتل حمزة لأنّه أخرجه لحرب المشركين !

وأقبح منه ما روي أنّه قال لأهل الشام : إنّما نحن الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان(2) !

فللأمويين تحريفات لفظية وتحريفات معنوية كثيرة ، وإنّ هذه الدراسة تريد أن توضح أمثال هذه الأمور في الشريعة والتاريخ وانعكاساً علي الأذان هنا .

فلا يجوز حمل بعض التحقيقات حول الأمويين وعقيدتهم في الاسراء والمعراج ... علي الإسهاب والخروج عن البحث ، بل ما كتبناه هو المقصود ، ولولاه لما فهمنا ملابسات التشريع الذي نحن بصدد بيانه .

بلي ، إنّهم لم يكونوا يحبّون آل الرسول، بل لم يحبّوا كلّ من أحبّه الرسول ، بل

1- والأغرب من هذا ما قاله ابن كثير في البداية والنهاية 8 : 123 ، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه واخراه . أمّا في الدنيا فإنّه لما صار إلي الشام اميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع اكالات بلحم ، ومن الحلوي والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما اشبع وانما اعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . وأمّا في الآخرة ... فإنّ رسول الله قال: اللهم إنّما أنا بشر فإيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة ... وهذا الحديث فضيلة لمعاوية .

2- الإمامة والسياسة 1 : 146 .

كانوا يتعاملون مع آل الرسول بالشدة والبغض ، فقد ذكر المناوي في فيض القدير ، وكذا القرطبي في تفسيره واقعة دارت بين مروان بن الحكم وأسامة بن زيد .

وأسامة كان ممن يحبهم رسول الله - حسب نص القرطبي وغيره - وكان الخليفة عمر بن الخطاب أعطاه خمسة آلاف درهم ولائنه عبدالله ألفي درهم ، فسأل عبدالله عن سر ذلك فأجابه عمر أنه فعل ذلك لمحبة رسول الله له .

قال القرطبي : وقد قابل مروان هذا الواجب (أي محبةٍ مُحِبِّ رسول الله) بنقيضه ، وذلك أنه مرَّ بأسامة وهو يصليّ بباب بنت رسول الله .

فقال مروان : إنّما أردت أن تُري الناس مكانك ، فقد رأينا مكانك ! فعَلَّ الله بك وفعل ، وقال قولاً قبيحاً .

وقال له أسامة : أذيتني وإِنَّكَ فاحش متفحش ، وقد سمعتُ رسول الله يقول : إنّ الله يُبغض الفاحش المتفحش .

فانظر ما بين الفعلين وقس ما بين الرجلين ، فلقد آذي بنو أمية رسول الله في أحبابه وناقضوه في محابه (1) .

وعليه فالذي يجب القول به هنا ، هو أنّ خبر الإسراء ثابت بالكتاب ، والمعراج ثابت بالسنة - وإن لم يفرّق البعض بينهما فأطلق الإسراء علي كليهما تساهلاً - وهذا ما جعل المجال مفتوحاً للإجمال والتفصيل والتلاعب والشك في خبر المعراج أكثر من أخبار الإسراء .

فهل يرجع إجمالهم في نقل أخبار المعراج إلي عدم وقوفهم علي نقول أهل بيت الوحي والنبوة؟ أم يرجع إلي أنّهم أجملوا ذلك عن قصد وعمد؟ لعلك عرفت جواب هذا السؤال ممّا مرّ ، فأعني ذلك عن الإطالة .

وبهذا يكون ما كتبناه هو إشارة إلى دواعي الأمويين ومن لفّ لفهم في تحريف خبر الأذان ، وكيف ربطوا خبر الإسراء والمعراج بالشجرة الملعونة ، مدّعين أنّها شجرة الزقوم ، بل كيف ربطوها بمسائل أخرى وقضايا مصيرية في الشريعة والتاريخ ، كلّ ذلك للتشكيك في مقام الرسول صلي الله عليه وآله والقول بأنّ منامه المعراجي هذا يشابه الأذان ويحتاج إلي شاهد لتثبيت صحّته .

مطلبان

اشارة

لنا هنا مطلبان يتضحان بعد طرحنا هذين السؤالين :

الأول : هل أنّ الأذان عبارة عن الإعلام للصلاة فقط ، أم هو بيان لأصول العقيدة وأركان الإسلام ؟

الثاني : هل أنّ أمر الأذان توقيفي؟ وإذا كان توقيفياً ، فهل هناك فرق بين توقيفية الواجبات وتوقيفية المستحبات أم لا ؟

وقبل الجواب عن السؤال الأوّل لابدّ من الإشارة إلى حقيقة هامّة في العبادات وغيرها ، وهي : أنّ الأمور العباديّة في الشرع لها ظاهر ومغزي ، فقد يمكن للإنسان أن يقف علي ظاهر شيء ويؤدّيه دون أن يعرف كنهه ومغزاه والغاية القصوي منه ، فالمطالع مثلاً في ما جاء عن أهل بيت النبوة يقف علي أسرار في الصلاة والصيام والزكاة والحجّ وغيرها ، ويتعرّف علي أمور كان لا يعرفها من ذي قبل ، ولم يتنبه لها في نظرتة الأولى ، من ذلك ما ذكره الصدوق في علل الشرائع ، حيث قال فيه :

إنّ نقرأ من اليهود جاءوا إلي رسول الله فسألوه عن مسائل وكان فيما سأله : أخبرنا يا محمّد لأيّ علّة تُوضّأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد ؟

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : « لَمَّا أَنْ وَسَّوسَ الشَّيْطَانُ إِلَى آدَمَ دَنَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا ذَهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَامَ وَمَشَى إِلَيْهَا وَهِيَ أَوَّلُ قَدَمٍ مَشَتْ إِلَى الْخَطِيئَةِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ بِيَدِهِ مِنْهَا مِمَّا عَلَيْهَا فَأَكَلَ فَطَارَ الْحَلِيَّ وَالْحَلَلَ عَنْ جَسَدِهِ ، فَوَضَعَ آدَمُ يَدَهُ عَلَى [أُمِّ] رَأْسِهِ وَبَكَى ، فَلَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ غَسْلَ هَذِهِ الْجَوَارِحِ الْأَرْبَعِ ، وَأَمْرَهُ بِغَسْلِ الْوَجْهِ لَمَّا نَظَرَ إِلَى الشَّجَرَةِ ، وَأَمْرَهُ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمَرْفُقَيْنِ لَمَّا تَنَاوَلَ مِنْهَا ، وَأَمْرَهُ بِمَسْحِ الرَّأْسِ لَمَّا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، وَأَمْرَهُ بِمَسْحِ الْقَدَمَيْنِ لَمَّا مَشَى بِهِمَا إِلَى الْخَطِيئَةِ » (1).

ومعني هذا النصُّ أنَّ العبدَ يجب عليه تطهير أعضائه حينما يريد التوجُّهَ إلى الله، وبما أنَّ الوجهَ واليدينَ فيهما الحواسُّ الخمسُ الظاهرة التي بها يُعصي الإلهَ كان عليه أن يغسلهما قبل الدخولِ إلى حضرة الإله.

أمَّا الرأسُ والقدمان فهما عنصران آليان يتقوى بهما المكلفُ على المعصية أو الطاعة وهما ليسا من الحواسِّ الخمسِ ، ففي الرأسِ القوَّةُ المفكِّرةُ والخياليَّةُ التي تبعث الفردَ إلى ارتكاب المعاصي أو فعل الواجب ، وبالرَّجُلِ يسعى إليهما - الطاعة أو المعصية - فأمر سبحانه المسحَ عليهما كي ينجو من الوسوس الشيطانيَّة والأغلال النفسية ويدخل حضيرة القدس طاهراً نقيّاً من الأدناس ، ولأجل هذه الحقيقة فقد أكدنا في كتابنا « وضوء النبيِّ » علي : أنَّ طهارة الوضوء هي طهارة حكمية وليست بحقيقية ، لأنَّ المؤمن لا يُنجسُ شيء ، وبالوضوء يُعرف مَنْ يطيع الله ومن يعصيه (2).

وبعد هذه المقدمة لابدَّ من الإجابة عن السؤال الأوَّل .

1- علل الشرائع 1 : 280 الباب 191 .

2- انظر : وضوء النبيِّ ، المدخل 428 .

1 - الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة ؟

إشارة

قال القاضي عياض : « اعلم أنّ الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان ، مشتملة علي نوعيه من العقلّيات والسمعيّات ، فأوّله إثبات الذات وما يستحقّه من الكمال [أي الصفات الوجودية] ، والتنزيه عن أضدادها [أي الصفات العدمية] ، وذلك بقوله « الله أكبر » ، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالّة علي ما ذكرناه .

ثمّ صرّح بإثبات الوحدانيّة ونفي ضدّها من الشركة المستحيلة في حقّه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد ، المقدّمة علي كلّ وظائف الدين .

ثمّ صرّح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبيّنا ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانيّة وموضعها بعد التوحيد ، لأنّها من باب الأفعال الجائزة الوقوع ، وتلك المقدّمات من باب الواجبات ، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقلّيات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقّه سبحانه وتعالى .

ثمّ دعا إلي ما دعاهم إليه من العبادات، فدعا إلي الصلاة وجعلها عقب إثبات النبوة ، لأنّ معرفة وجوبها من جهة النبيّ صلي الله عليه وآله لا من جهة العقل .

ثمّ دعا إلي الفلاح ، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمر الآخرة من البعث والجزاء ، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام .

ثمّ كرّر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها ، وهو متضمّن لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلّي فيها علي بيّنة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حقّ من يعبده وجزيل ثوابه ... » (1).

1- نقله عنه النووي في المجموع 3 : 75 . وانظر كلام السيّد البكري في حاشية اغاثة الطالبين 1 : 229 والبخاري في شرح الكرماني 5 : 4 وشرح النووي علي مسلم .

وقد نقل محمد بن علان - شارح الأذكار النوويّة - كلام القاضي عياض بشيء من التصرف ، كقوله :

ثمّ كرّر التكبير آخره إشارة إلى الاعتناء السابق ، لأنّ هذا المقام هو الأصل المبنيّ عليه جميع ما تقرّر من العقائد والقواعد ، وختم ذلك بكلمة التوحيد إشارة إلى التوحيد المحض... (1).

وكان آخره اسم « الله » ليطابق البداية ، إشارة إلى أنّه الأوّل والآخر في كلّ شيء ، قال القاضي : « ثمّ كرّر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها ، وفي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان ، ليدخل المصلّي فيها عليّ بيّنة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظيم حقّ من عبده وجزيل ثوابه عليّ عباده(2) .

وقد علّق ابن علان عليّ كلام القاضي عياض بقوله : (قلتُ : قال ابن حجر في شرح المشكاة : وللاعتناء بشأن هذا المقام الأكبر كرّر الدالّ عليه أربعاً إشعاراً بعظيم رفعته ، وكأنّ حكمة خصوص الأربع أنّ القصد بهذا التكرير تطهير شهود النفس بشهود ذلك عن شهواتها الناشئة عن طبائعها الأربعة الناشئة عن أخلاطها الأربعة .

وفي شرح العباب له : (وكان حكمة الأربع أنّ الطبائع أربعة لكلّ منها كمال ونقص يخصّه بإزاء كلّ منها كلمة من تلك ليزيد في كمالها ويظهر نقصها ، وكذا يقال بذلك في كلّ محلّ ورد فيه التربع(3) .

1- وهو أن (لا إله إلا هو)، معني آخر لقوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون) أو قوله : (وإلي ربك المنتهي) .

2- انظر : الفتوحات الربانيّة عليّ الأذكار النوويّة 2 : 84 .

3- الفتوحات الربانية 2 : 83 .

وقال القرطبي وغيره : (الأذان علي قلّة ألفاظه مشتمل علي مسائل العقيدة ، لأنّه بدأ بالأكبريّة وهي تتضمّن وجود الله وكماله ، ثمّ ثني بالتوحيد ونفي الشرك ، ثمّ بإثبات الرسالة لمحمّد صلي الله عليه وآله .

ثمّ إلي الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة ، لأنّها لا تُعرف إلّا من جهة الرسول .

ثمّ دعا إلي الفلاح وهو البقاء الدائم ، وفيه الإشارة إلي المعاد .

ثمّ أعاد ما أعاد توكيداً ، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلي الجماعة وإظهار شعار الإسلام (1) .

قال ابن خزيمة : فإذا كان المرء يطمع بالشهادة بالتوحيد لله في الأذان وهو يرجو أن يخلّصه الله من النار بالشهادة لله بالتوحيد في أذانه ، فينبغي لكلّ مؤمن أن يتسارع إلي هذه الفضيلة طمعاً في أن يخلّصه الله من النار ، خلا في منزله أو في بادية أو قرية أو مدينة طلباً لهذه الفضيلة (2) .

وقال القسطلاني - بعد نقله خبر أبي هريرة عن النبيّ وقوله : « إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتّي لا يُسمع التأذين » - : (لعظيم أمره لما اشتمل عليه من قواعد الدين وإظهار شرائع الإسلام ، أوحى : لا يشهد للمؤذّن بما سمعه إذا استشهد يوم القيامة ، لأنّه داخل في الجنّ والإنس المذكور في حديث : لا يسمع مدي صوت المؤذّن جنّ ولا إنس ولا شيء إلّا شهد له يوم القيامة) (3) .

1- فتح الباري 2 : 61 كتاب أبواب الأذان ، وعنه في بذل المجهود 4 : 3 - 4 . وعون المعبود 2 : 127 .

2- صحيح ابن خزيمة 1 : 208 .

3- إرشاد الساري 2 : 5 .

وأخرج عبدالرزاق عن معمر ، عن الزهريّ : أن أبا بكر الصديق قال : الأذان شعار الإيمان (1).

ونقل الصدوق بسنده إلى الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام ، قال : كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ ، إِذْ صَعِدَ الْمُؤَذِّنُ الْمِنَارَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَبَكَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

عليه السلام ، وبكىنا لبكائه ، فلمَّا فرغ المؤذّن ، قال : « أتدرون ما يقول المؤذّن ؟ » .

قلنا : الله ورسوله ووصيّه أعلم .

فقال : « لو تعلمون ما يقول لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، فليقله : الله أكبر ، معان كثيرة .

منها : أن قول المؤذّن : « الله أكبر » ، يقع عليّ قِدمِهِ ، وأزليّته ، وأبديّته ، وعلمه ، وقوّته ، وقدرته ، وحلمه ، وكرمه ، وجوده ، وعطائه ، وكبريائه .

فإذا قال المؤذّن : الله أكبر ، فإنه يقول : الله الذي له الخلق والأمر ، وبمشيئته كان الخلق ، ومنه كلّ شيء للخلق ، وإليه يرجع الخلق ، وهو الأوّل قبل كلّ شيء لم يزل ، والآخِر بعد كلّ شيء لا يزال ، والظاهر فوق كلّ شيء لا يدرك ، والباطن دون كلّ شيء لا يُحدّ ، فهو الباقي ، وكلّ شيء دونه فان .

والمعني الثاني : « الله أكبر » ، أي : العليم الخبير ، عليم بما كان وما يكون قبل أن يكون .

والثالث : « الله أكبر » ، أي : القادر عليّ كلّ شيء ، يقدر عليّ ما يشاء ، القويّ لقدرته ، المقتدر عليّ خلقه ، القويّ لذاته ، وقدرته قائمة عليّ الأشياء كلّها ، إذا قضى أمراً فإنّما يقول له : كن فيكون .

والرابع: « الله أكبر » علي معني حلمه ، وكرمه ، يحلم كآئه لا يعلم ، ويصفح كآئه لا يري ، ويستتر كآئه لا يُعصي ، لا يعجل بالعقوبة كرمًا وصفحًا وحلمًا .

والوجه الآخر في معني الله أكبر : أي الجواد ، جزيل العطاء ، كريم الفِعال .

والوجه الآخر : الله أكبر فيه نفي صفته وكيفيته ، كآئه يقول : الله أجلُّ من أن يُدرك الواصفون قدرَ صفته ، الذي هو موصوف به ، وإنما يصفه الواصفون علي قدرهم لا علي قدر عظمتهم وجلالهم ، تعالي الله عن أن يُدرك الواصفون صفته علوًّا كبيرًا .

والوجه الآخر : الله أكبر ، كآئه يقول : الله أعلي وأجلُّ ، وهو الغنيُّ عن عباده ، لا حاجة به إلي أعمال خلقه .

وأما قوله: « أشهد أن لا إله إلا الله » : فإعلام بأنَّ الشهادة لا تجور إلا بمعرفة من القلب ، كآئه يقول: أعلمُ أنَّه لا معبود إلا الله عزَّوجلَّ ، وأنَّ كلَّ معبود باطل سوي الله عزَّوجلَّ ، وأقربُّ بلساني بما في قلبي من العلم بأنَّه لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّه لا ملجأ من الله عزَّوجلَّ إلا إليه ، ولا منجى من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ ، وفتنة كلِّ ذي فتنة إلا بالله .

وفي المرة الثانية: « أشهد أن لا إله إلا الله » ، معناه : أشهد أن لا هادي إلا الله ، ولا دليل إلي الدين إلا الله ، وأشهدُ الله بأنِّي أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ سُكَّانَ السماوات ، وسكَّانَ الأرضين ، وما فيهنَّ من الملائكة والناس أجمعين ، وما فيهنَّ من الجبال ، والأشجار ، والدوابِّ ، والوحوش ، وكلِّ رطب ويابس ، بأنِّي أشهد أن لا خالق إلا الله ، ولا رازق ، ولا معبود ، ولا ضارَّ ، ولا نافع ، ولا قابض ، ولا باسط ، ولا معطي ، ولا - مانع ، ولا ناصح ، ولا كافي ، ولا شافي ، ولا مُقدِّم ، ولا مُؤخَّر إلا الله ، له الخلق والأمر ، وبيده الخير كلُّه ، تبارك الله ربَّ العالمين .

وأما قوله : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، يقول : أشهد الله أنَّه لا إله إلا هو ،

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَبِيُّهُ، وَصَفِيُّهُ، وَنَجِيُّهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَشْهَدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ .

وفي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ: « أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ »، يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا حَاجَةَ لِأَحَدٍ [إِلَى أَحَدٍ] [إِلَّا إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْغَنِيِّ عَنْ عِبَادِهِ وَالْخَلَائِقِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إِلَى النَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَمَنْ أَنْكَرَهُ وَجَحَدَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا، لَا يَنْفِكُ عَنْهَا أَبَدًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: « حَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ »، أَي هَلِّمُوا إِلَى خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَدَعْوَةِ رَبِّكُمْ، وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مَنْ رَبِّكُمْ، وَإِطْفَاءِ نَارِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى ظَهْرِكُمْ، وَفِكَائِ رِقَابِكُمْ الَّتِي رَهَنْتُمُوهَا، لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيَبَدِّلَ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ، فَإِنَّهُ مَلِكٌ كَرِيمٌ، ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ أَدْنَى لَنَا - مَعَاشَرَ الْمُسْلِمِينَ - بِالْدُخُولِ فِي خِدْمَتِهِ، وَالتَّقَدُّمِ إِلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وفي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ: « حَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ »، أَي قَوْمُوا إِلَى مَنَاجَاةِ رَبِّكُمْ وَعَرِضِ حَاجَاتِكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ، وَتَشَفَّعُوا بِهِ وَأَكْثَرُوا الذِّكْرَ وَالْقُنُوتَ، وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَالْخُضُوعَ وَالْخُشُوعَ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ حَوَائِجَكُمْ، فَقَدْ أَدْنَى لَنَا فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: « حَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ »، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَقْبِلُوا إِلَى بَقَاءِ لَا فَنَاءَ مَعَهُ، وَنَجَاةِ لَا هَلَكَ مَعَهَا، وَتَعَالَوْا إِلَى حَيَاةٍ لَا مَوْتَ مَعَهَا، وَإِلَى نَعِيمٍ لَا نَفَادَ لَهُ، وَإِلَى مُلْكٍ لَا زَوَالَ عِنْدَهُ، وَإِلَى سُرُورٍ لَا حُزْنَ مَعَهُ، وَإِلَى أُنْسٍ لَا وَحْشَةَ مَعَهُ، وَإِلَى نُورٍ لَا ظِلْمَةَ مَعَهُ، وَإِلَى سَعَةٍ لَا ضَيْقَ مَعَهَا، وَإِلَى بَهْجَةٍ لَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَإِلَى غِنَى لَا فَاقَةَ

معه ، وإلي صحّة لا سقم معها ، [وإلي عزّ لا ذلّ معه] ، وإلي قوّة لا ضعف معها ، وإلي كرامة يا لها من كرامة ، وعَجَّلُوا إلي سرور الدنيا والعقبى ، ونجاة الآخرة والأولي .

وفي المرة الثانية : « حيّ علي الفلاح » ، فإنّه يقول : سابقوا إلي ما دعوتكم إليه ، وإلي جزيل الكرامة ، وعظيم المِنَّة ، وسنّي النِّعمة ، والفوز العظيم ، ونعيم الأبد في جوار محمّد صلي الله عليه وآله في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وأما قوله : « الله أكبر ، الله أكبر » ، فإنّه يقول : الله أعلي وأجلّ من أن يعلم أحد من خلقه ما عنده من الكرامة لعبد أجابه وأطاعه ، وأطاع أمره وعبّدته وعرف وعيده ، واشتغل به وبذكره ، وأحبّه وآمن به ، واطمأنّ إليه ووثق به وخافه ورجاه ، واشتاق إليه ، ووافقه في حكمه وقضائه ، ورضي به .

وفي المرة الثانية : « الله أكبر » ، فإنّه يقول : الله أكبر : وأعلي وأجلّ من أن يعلم أحد مبلغ كرامته لأوليائه وعقوبته لأعدائه ، ومبلغ عفوه وغفرانه ونعمته لمن أجابه وأجاب رسوله ، ومبلغ عذابه ونكاله وهوانه لمن أنكره وجحدته .

وأما قوله : « لا إله إلا الله » ، معناه : لله الحجّة البالغة عليهم بالرسول والرسالة ، والبيان والدعوة ، وهو أجلّ من أن يكون لأحد منهم عليه حجّة ، فَمَنْ أجابه فله النور والكرامة ، ومَنْ أنكره فإنّ الله غنّي عن العالمين ، وهو أسرع الحاسبين .

ومعني « قد قامت الصلاة » في الإقامة ، أي حان وقت الزيارة والمناجاة ، وقضاء الحوائج ، ودرك المُنّي ، والوصول إلي الله عزّ وجلّ ، وإلي كرامته وغفرانه وعفوه ورضوانه .

قال الصدوق: إنّما ترك الراوي ذكر « حيّ علي خير العمل » للتقية⁽¹⁾، وقد روي في خبر آخر أنّ الصادق

عليه السلام سئل عن معني « حيّ علي خير العمل » فقال: « خير العمل: الولاية ».

وفي خبر آخر: « خير العمل: برّ فاطمة وولدها »⁽²⁾.

قلتُ: سنفتح بإذن الله ملابسات هذه الرؤية وما يتلوها عن ابن عباس في البابين الأول « حيّ علي خير العمل، الشرعية والشعاريّة »، والثالث « أشهد أنّ عليّاً وليّ الله بين الشرعية والابتداع » من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى. إذ لا خلاف عند جميع الفرق الشيعة إسماعيلية كانت، أم زيدية، أم إمامية اثني عشرية بجزئية الحيعلة الثالثة، وأكّد الدسوقي وغيره - كما سيأتي - علي تأذين الإمام عليّ بن أبي طالب بها، فقد يكون - وكما احتمله الشيخ الصدوق - الراوي إنّما ترك ذكر (حيّ علي خير العمل) للتقية وذلك للظروف التي كانت تمر بها الشيعة. ويؤيد ما قلناه في شرعية الحيعلة الثالثة وأنها موجودة في الأخبار المنقولة عن الإمام عليّ وابن عباس ما روي عند الزيدية عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: « لما انْتَهَى بي إلي سدرة المنتهي ... وفيه: حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل »⁽³⁾.

1- وعلق القاضي نعمان بن محمد بن حسون (ت 363هـ) في الايضاح علي الرواية التي ليس فيها ذكر (حي علي خير العمل) بقوله. ولا اظن والله اعلم ان ذلك ترك من الرواية إلا لمثل ما قدمت ذكره في كتاب الطهارات من الوجوه التي من اجلها اختلفت الرواة عن اهل البيت [أي البقية راجع دعائم الإسلام 1: 59 - 60] فان لم يكن ذلك فقد ثبت انه اذن بها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله توفاه الله تعالى وان عمر اقطعه

2- معاني الأخبار 38 - 41 والنصّ عنه ، والتوحيد 238 - 241 كما في مستدرک وسائل الشيعة 4: 65 - 70 ح 4187 / 1 ، وانظر: بيان المجلسي في بحار الأنوار 81: 134 - 135 ، وتفسيره عليه السلام الأذان في جامع الأخبار: 171 كما في بحار الأنوار 81: 153 - 155 .

3- انظر: الخبر بتفصيله في كتاب الاعتصام بحبل الله 1: 290 .

وروي الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن عطاء ، قال : كُنَّا عند ابن عَبَّاسٍ بالطائف ، أنا وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ف جاء المؤدِّن فقال : « اللهُ أكبر اللهُ أكبر » ، واسم المؤدِّن قثم بن عبدالرحمن الثقفي .

فقال ابن عَبَّاسٍ : أتدرون ما قال المؤدِّن ؟ فسأله أبو العالية ، فقال : أخبرنا بتفسيره .

قال ابن عَبَّاسٍ : (إذا قال المؤدِّن : « اللهُ أكبر ، اللهُ أكبر » ، يقول : يا مَسَاغِيلَ الأَرْضِ ، قد وجبت الصلاة ، فتفرَّغوا لها .

وإذا قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » ، يقول : يقوم يوم القيامة ، ويشهد لي ما في السماوات وما في الأرض عليّ أنّي أخبرتكم في اليوم خمس مرّات .

وإذا قال : « أشهد أنّ محمّداً رسول الله » ، يقول : تقوم القيامة ومحمّد يشهد لي عليكم أنّي قد أخبرتكم بذلك في اليوم خمس مرّات ، وحبّتي عند الله قائمة .

وإذا قال : « حيّ علي الصلاة » ، يقول : ديناً قيماً فأقيموه ، وإذا قال : « حيّ علي الفلاح » ، يقول : هلّمّوا إلي طاعة الله وخذوا سهمكم من رحمة الله ، يعني الجماعة .

وإذا قال العبد : « اللهُ أكبر ، اللهُ أكبر » ، يقول : حرّمت الأعمال .

وإذا قال : « لا إله إلا الله » ، يقول : أمانة سبع سماوات ، وسبع أرضين ، والجبال ، والبحار وضعت علي أعناقكم إن شئتم فأقبلوا وإن شئتم فأدبروا(1) .

وقد مرّ عليك كلام الإمام الحسين « والأذان وجه دينكم » ، وقول محمّد ابن الحنفية : « عمدتم إلي ما هو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم الدين »(2) ، وما جاء

1- معاني الأخبار 41 كما في بحار الأنوار 81 : 141 - 143 ومستدرک وسائل الشيعة 4 : 71 - 72 .

2- جاء في كتاب الاعتصام بحبل الله 1 : 278 : قال الهادي إلي الحقّ [من أئمة الزيدية] : والأذان من أصول الدين ، وأصول الدين لا يتعلّمها رسول الله علي لسان بشر من العالمين .

في (مَنْ لا يحضره الفقيه) بإسناده عن الفضل بن شاذان فيما ذكره من العلل عن الرضا عليه السلام أنه قال :

« إِنَّمَا أَمَرَ النَّاسَ بِالْأَذَانِ لِعَلَّ كَثِيرَةً ، مِنْهَا : أَنْ يَكُونَ تَذَكِيرًا لِلنَّاسِي ، وَتَنْبِيهًا لِلْغَافِلِ ، وَتَعْرِيفًا لِمَنْ جَهِلَ الْوَقْتَ وَاشْتَغَلَ عَنْهُ ؛ وَيَكُونُ الْمُؤَدِّنُ بِذَلِكَ دَاعِيًا لِعِبَادَةِ الْخَالِقِ ، وَمَرْغَبًا فِيهَا ، وَمُقَرَّرًا لَهُ بِالتَّوْحِيدِ ، مُجَاهِرًا بِالإِيمَانِ ، مُعَلِّنًا بِالإِسْلَامِ ... » .

إلي أن يقول : « وَجُعِلَ بَعْدَ التَّكْبِيرِ الشَّهَادَتَانِ ، لِأَنَّ أَوَّلَ الإِيمَانِ هُوَ التَّوْحِيدُ وَالإِقْرَارُ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَالثَّانِي الإِقْرَارُ لِلرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ ، وَأَنَّ إِطَاعَتَهُمَا وَمَعْرِفَتَهُمَا مَقْرُونَتَانِ ، وَلِأَنَّ أَصْلَ الإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ الشَّهَادَتَانِ ، فَجُعِلَ شَهَادَتَيْنِ شَهَادَتَيْنِ كَمَا جُعِلَ فِي سَائِرِ الْحَقُوقِ شَاهِدَانِ ، فَإِذَا أَقْرَبَ الْعَبْدَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَأَقْرَبَ لِلرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ فَقَدَ أَقْرَبَ بِجُمْلَةِ الإِيمَانِ ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ . وَإِنَّمَا جُعِلَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الدُّعَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ ، لِأَنَّ الْأَذَانَ إِنَّمَا وَضِعَ لِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ نِدَاءٌ إِلَى الصَّلَاةِ فِي وَسْطِ الْأَذَانِ وَدُعَاءٌ إِلَى الْفَلَاحِ وَإِلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، وَجُعِلَ خَتَمُ الْكَلَامِ بِاسْمِهِ كَمَا فَتَحَ بِاسْمِهِ » (1).

وفي العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم، قال : علّة الأذان أن تكبّر الله وتعظّمه وتقرّ بتوحيد الله وبالنبوة والرسالة وتدعو إلى الصلاة وتحثّ علي الزكاة، ومعني الأذان : الإعلام، لقوله تعالي : { وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ } (2)، أي : إعلام، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « كُنْتُ أَنَا الْأَذَانَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ » ، وقوله : { وَأَذِّنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ } (3)، أي : أعلمهم وادعهم .

1- مَنْ لا يحضره الفقيه 1 : 299/914 ، علل الشرائع : 258/9 الباب 182 ، عيون أخبار الرضا 2 : 103 - 105 .

2- التوبة : 2 .

3- الحجّ : 28 .

فمعني « الله » أنه يخرج الشيء من حدّ العدم إلى حدّ الوجود ويخترع الأشياء لا من شيء ، وكلّ مخلوق دونه يخترع الأشياء من شيء إلاّ الله ، فهذا معني « الله » وذلك فرق بينه وبين المحدث .

ومعني « أكبر » ، أي : أكبر من أن يُوصَف في الأوّل، وأكبر من كلّ شيء لما خلق الشيء .

ومعني قوله : « أشهد أن لا إله إلاّ الله » : إقرار بالتوحيد، ونفي الأنداد وخلعها ، وكلّ ما يعبدون من دون الله .

ومعني « أشهد أنّ محمّداً رسول الله » : إقرار بالرسالة والنبوة ، وتعظيم لرسول الله صلي الله عليه وآله ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (1) ، أي : تُذكر معي إذا ذُكرتُ .

ومعني « حيّ علي الصلاة » ، أي : حتّ علي الصلاة .

ومعني « حيّ علي الفلاح » ، أي : حتّ علي الزكاة .

وقوله : « حيّ علي خير العمل » ، أي : حتّ علي الولاية ، وعلة أنّها خير العمل أنّ الأعمال كلّها بها تقبل .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله ، فألقي معاوية من آخر الأذان « محمّد رسول الله » ، فقال : أمّا يرضي محمّد أن يُذكر في أوّل الأذان حتّي يذكر في آخره !؟

ومعني الإقامة : هي الإجابة والوجوب ، ومعني كلماتها فهي التي ذكرناها في الأذان ، ومعني « قد قامت الصلاة » ، أي : قد وجبت الصلاة وحانت وأقيمت ، وأمّا العلة فيها ، فقال الصادق عليه السلام : « إذا أذنتَ وصلّيتَ صلّي خلفك صفّاً من

الملائكة ، وإذا أذنت وأقمتَ صلِّي خلفك صفان من الملائكة » ، ولا يجوز ترك الأذان إلا في صلاة الظهر والعصر والعتمة ، يجوز في هذه الثلاث الصلوات إقامة بلا أذان ، والأذان أفضل ، ولا تجعل ذلك عادة ، ولا يجوز ترك الأذان والإقامة في صلاة المغرب وصلاة الفجر ، والعلة في ذلك أن هاتين الصلاتين تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار(1) .

وقال الشيخ جعفر كاشف الغطاء - ضمن بيانه لحكم وفضل الأذان - : « .. ولأنه وضع لشعائر الإسلام دون الإيمان »(2) .

فهذه النصوص تشير بوضوح إلى أن الأذان لم يكن إعلاماً بوقت الصلاة فقط ، بل هو بيان لكليات الإسلام وأصول العقيدة والعقائد الحقة .

فلو كان بياناً لوقت الصلاة خاصة ؛ لكان للشارع أن يكتفي بتشريع علامة كي تكون معلماً للوقت والمكان كما تفعله اليهود والنصارى والمجوس بالبوق والناقوس وإشعال النار وغير ذلك .

وعليه ، لم يكن الأذان لإعلام وقت الصلاة خاصة ، ويؤيد قولنا شمولية التأذين لكثير من الأمور الاجتماعية والحياتية ، ولو سلطنا الضوء على آثار الأذان في الشريعة لوقفنا على جواب سؤالنا .

1- بحار الأنوار 81 : 169 . عن كتاب العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم .

2- كشف الغطاء ، الطبعة القديمة 227 في بيان كيفية الأذان ، وسنعلّق في الباب الثالث « اشهد ان علياً ولي الله بين الشرعية والابتداع » علي كلامه رحمه الله تعالى .

الأذان وآثاره في الحياة الاجتماعية

إشارة

من الثابت في الشريعة الإسلامية استحباب الأذان والإقامة لأمر حياتية واجتماعية كثيرة غير الصلاة ، نذكر موارد منها :

الأذان والمولود

عن عليّ عليه السلام : « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَلْيُؤَدِّنْ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنِيَّ بِأَذَانِ الصَّلَاةِ ، وَلِيَقُمْ فِي الْيَسْرِيِّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَصْمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَالْإِفْزَاعُ لَهُ » (1).

وفي سنن أبي داود بسنده عن عبيدالله بن أبي رافع ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلي الله عليه وآله أُذِّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ (2).

-
- 1- النصّ في الجعفرات (الأشعثيات) : 32 ، وقريب منه في دعائم الإسلام 1 : 147 ، وعنه في بحار الأنوار 84 : 162 - 163 . وانظر : وسائل الشيعة 21 : 405 - 406 كتاب النكاح باب استحباب الأذان في أذن المولود .
 - 2- سنن أبي داود 4 : 328 كتاب الأدب باب في الصبيّ يولد فيؤدّن في أذنه ح 5105 ، وسنن الترمذي 4 : 97 كتاب الأضاحي باب الأذان في اذن المولود ح 1514 ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

الأذان والعقم

شكا هشام بن إبراهيم إلي الرضا عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له ، فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله ، قال : ففعلت ذلك ، فأذهب الله عني سقمي ، وكثر ولدي(1) .

الأذان والمرض

عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه دخل عليه رجل من مواليه وقد وعك ، فقال له عليه السلام : « ما لي أراك متغيّر اللون ؟ » . فقلت : جُعِلتُ فداك ، وعكّتُ وعكاً شديداً منذ شهر ، ثم لم تنقل الحمّي عني ، وقد عالجتُ نفسي بكلّ ما وصفه لي المترفقون فلم أنتفع بشيء من ذلك .

فقال له الصادق عليه السلام : « حلّ أزرار قميصك ، وأدخل رأسك في قميصك وأذن وأقم واقراً سورة الحمد سبع مرات » .

قال : ففعلتُ ذلك ، فكأثما نشطتُ من عقالي(2) .

وحكي العجلوني في كشف الخفاء عن الفقيه محمّد السيابا - فيما حكي عن نفسه - أنه هبّت ريح فوقعت منه حصاة في عينه وأعياه خروجها وآلمته أشدّ الألم ، وأنه لمّا سمع المؤذّن يقول : أشهد أن محمّداً رسول الله ، قال ذلك ، فخرجت الحصاة من فوره(3) .

1- الدعوات للقطب الراونديّ : 189 - 190 ، وعنه في بحار الأنوار 81 : 156 . ومستدرک وسائل الشيعة 4 : 39 كتاب الصلاة وانظر :

كلام الشيخ يحيى بن سعيد في جامع الشرائع 73 ، والصدوق في من لا يحضره الفقيه 1 : 292 ح 903 .

2- طبّ الأئمة 52 ، كما في بحار الأنوار 81 : 75 .

3- كشف الخفاء 2 : 206 - 207 .

الأذان وسعة الرزق

شكا رجل لأبي عبدالله الصادق عليه السلام الفقر ، فقال : « أذن كَلِّمًا سمعتَ الأذان كما يُؤذَّن المؤذَّن » (1).

وقال سليمان بن مقبل المديني : قلتُ لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : [لأيّ] علة يستحبّ للإنسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذَّن ، وإن كان علي البول والغائط ؟

فقال عليه السلام : « لأنّ ذلك يزيد في الرزق » (2).

الأذان ووجع الرأس

ذكر الشيخ الطبرسي في عدّة السفر وعمدة الحضرة : روي عن الأئمة: أنّه : « يكتب الأذان والإقامة لرفع وجع الرأس ويُعلّق عليه » (3).

الأذان وسوء الخلق

عن الصادق عليه السلام : « إن لكلّ شيء قرماً ، وأنّ قرم الرجل اللحم ، فمَنْ تركه أربعين يوماً ساء خلقه ، ومَنْ ساء خلقه فأذّنوا في أذنه اليمني » (4).

1- بحار الأنوار 81 : 174 عن الدعوات للراوندي .

2- وسائل الشيعة 1 : 315 كتاب الطهارة أبواب أحكام الخلوة ، وانظر : 15 : 347 - 348 عن الإمام عليّ ، كتاب الجهاد أبواب جهاد النفس .

3- مستدرک وسائل الشيعة 4 : 76 ، مستدرک سفينة البحار 1 : 65 في مادة « أذن » ، الطبعة القديمة .

4- المحاسن 2 : 256 كتاب المآكل ح 1808 ، بحار الأنوار 81 : 151 .

الأذان وطرده الشيطان

روي سليمان الجعفريّ أنّه سمع الإمام الصادق عليه السلام ، يقول : « أذن في بيتك ، فإنه يطرد الشيطان ، ويستحبّ من أجل الصّبيان » (1).

الأذان والغول

في دعائم الإسلام عن عليّ عليه السلام قال : « قال رسول الله : إذا تَعَوَّلْتَ لَكُمْ الْغِيلَانَ (2) فَأَذَّنُوا بِالصَّلَاةِ » (3).

وعن أبي سعيد الخدريّ : قال رسول الله صلي الله عليه وآله : « لا يسمع مدي صوت المؤذّن جنّ ولا إنس ولا شيء إلا وشهد له يوم القيامة » (4).

وقال الخطاب الرعيني في مواهب الجليل نقلاً عن الناشري من الشافعيّة في الإيضاح : يستحبّ الأذان لمزدحم الجنّ ، وفي أذن الحزين ، والصبيّ عندما يولد في اليمنى ويقيم في اليسرى ، والأذان خلف المسافر والإقامة (5).

فتلخّص مما سبق ومن أقوال بعض علماء أهل السنّة والجماعة ، وجميع الشيعة بفرقها الثلاث أنّ تشريع الأذان كان في المسري وأنّ تشريعه لم يكن لتعيين وقت الصلاة خاصّة ؛ لاكتناف هذه الشعيرة الإسلاميّة أسراراً عالية ومعاني باطنيّة عميقة

1- الحدائق النضرة 7 : 366 .

2- الغول : نوع من الجنّ يغتال الإنسان - بحار الأنوار 81 : 119 .

3- دعائم الإسلام 1 : 147 كما في بحار الأنوار 81 : 162 ، ومستدرک وسائل الشيعة 4 : 62 .

4- صحيح البخاري 1 : 306 كتاب الأذان باب رفع الصوت بالأذان ح 575 ، سنن النسائي 2 : 12 كتاب الأذان باب رفع الصوت بالأذان .

5- مواهب الجليل 2 : 85 . وانظر فتح المعين لشرح فرة العين المطبوع في هامش اغاثة الطالبين 1 : 230 .

ذكرنا بعضها، وستقف علي غيرها لاحقاً، وستعرف بأنَّ السَّرَّ في رفع « حيِّ علي خير العمل » لم يكن لِمَا علَّوه، وكذا المقصود من جملة « الصلاة خير من النوم » لم يكن كما يفهمه عامَّة الناس من العبارة، بل هناك أسرار ومسائل تكتنف هذه الفصول سنرفع الستار عنها في الباب الثاني من هذه الدراسة بإذن الله تعالى .

2 - توقيفية الأذان

وصل البحث بنا إلي طرح سؤال آخر وهو: هل الأذان توقيفيٌّ بمعنى لزوم إتيان فصوله كما هي، أم إنَّ لنا الحق في الزيادة والنقصان حسب ما تقتضيه المصلحة وهو المعني بعدم توقيفته كما مرَّت الإشارة إليه؟ وهل هناك فرق بين الأمور التوقيفية العبادية وغيرها، وبين الواجبات والمستحبات، أم لا؟

بل ما هو حكم الأذان، وهل توقيفته كالقرآن لا يمكن الزيادة والنقيصة فيها؟ أم أن توقيفته هي بشكل آخر؟

من الثابت المعلوم أن الأذان توقيفيٌّ، وقد مرَّت عليك نصوص أهل بيت النبيِّ الدالَّة علي أنَّه شرَّع في الإسراء والمعراج، ومثله جاء في كتب بعض أهل السنة والجماعة .

لكن من حقنا أن نتساءل: لو كان كذلك فكيف لنا أن نتعامل مع بعض الأحاديث والنصوص المشعرة بعدم التوقيفية، وذلك لما فيها من الزيادة والنقصان، وعلي أيِّ شيء تدل، هل علي التخيير أم الرخصة أم علي شيء آخر؟

روي أبو بصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: لو أن مؤذناً أعاد في الشهادة وفي حيِّ علي الصلاة أو حيِّ علي الفلاح المرتين والثلاث وأكثر من ذلك إذا كان إماماً يريد به جماعة القوم ليجمعهم لم يكن به بأس (1).

1- الكافي 3 : 308 ح 34 والنص عنه، وعنه في وسائل الشيعة 5 : 428 .

وعن أبي عبيدة الحذاء ، قال : رأيت أبا جعفر عليه السلام يكبر واحدة واحدة في الأذان ، فقلت له : لِمَ تكبر واحدة واحدة ؟ فقال : لا بأس به إذا كنت مستعجلاً في الأذان(1) .

وروي الشيخ في الصحيح عن عبدالله بن سنان ، قال : سألت أبا عبدالله عن المرأة تؤذّن للصلاة ؟ فقال : حَسَنٌ إن فعلت ، وإن لم تفعل أجزاءها أن تكبر وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله(2) .

وعن أبي مريم الأنصاري في الصحيح ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إقامة المرأة أن تكبر وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلي الله عليه وآله(3) .

وجاء في رواية البخاري ومسلم ، عن عبدالله بن الحارث ، قال : حَظَبْنَا ابْنَ عَبَّاسٍ فِي يَوْمِ ذِي رِزْغٍ ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ لَمَّا بَلَغَ (حَيَّ عَلِي الصَّلَاة) قَالَ قُل : « الصَّلَاةُ فِي الرَّحَالِ » ، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَيَّ بَعْضٌ ، فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ، فَقَالَ : كَأَنَّكُمْ أَنْكَرْتُمْ هَذَا ، إِنَّ هَذَا فَعَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَإِنَّهَا عَزْمَةٌ ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُحْرَجَ كُمْ(4) .

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كان يزيد في الفجر جملة « الصلاة خير من النوم »(5) !

1- التهذيب 2 : 62 ح 216 ، الاستبصار 1 : 307/1140 ، وسائل الشيعة 5 : 425 .

2- التهذيب 2 : 58 ح 202 ، وسائل الشيعة 5 : 405 .

3- الكافي 3 : 305 ، كتاب الصلاة باب بدء الأذان والإقامة .

4- صحيح البخاري 1 : 324 - 325 ، كتاب الأذان باب هل يصلي الإمام بمن حضر ... في المطرح 629 وقرنت منه في باب (الرخصة في المطر والعلّة ان يُصلي في رحله) وفي باب (الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ...) عن نافع قال اذن ابن عمر في ليلة بارده بصحبنا ثم قال : صلوا في رحالكم ... وانظر فتح الباري لابن رجب 3 : 493 ، صحيح مسلم 1 : 485 ح 699 ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

5- التهذيب 2 : 63 ح 222 .

فعلي أي شيء تدل هذه النصوص؟ وما المعني بها؟ وكيف يمكن تطابقها مع القول بتوقيفية العبادات؟

وهل أن توقيفية الأذان تختلف عن غيره من الأحكام فيجوز إعادة (حيّ علي الفلاح) ثلاث مرات أو أكثر في الأذان، ولا يجوز الزيادة والنقيصة في أمر عبادي آخر؟

وهل هناك فرق بين الواجب التوقيفي والمستحب التوقيفي؟

إن التوقيفي معناه هو التعبدي، أي التعبّد بما جاء به الشارع المقدّس دون زيادة ولا نقصان، فلو صحّ مجيء «حيّ علي الفلاح» في الأذان ثلاثاً فهو شرعيّ ويحمل إما علي التخيير أو الرخصة لضرورة خاصة.

ولو لم يصح الخبر فلا يعمل به، وليس هناك فرق بين التوقيفي في العبادات والتوقيفي في المعاملات، وكذا لا فرق بين التوقيفي في الواجبات والمستحبات، فعلي المكلف أن يؤدّي ما سمعه وعقله علي الوجه الذي أمر به الشارع فقط، ففي كمال الدين للصدوق، عن عبدالله بن سنان، قال: قال الصادق عليه السلام: ستصيبكم شبهة فتبتقون بلا علم يُري ولا إمام هديّ، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق.

قلت: وكيف دعاء الغريق؟

قال: تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب، ثبت قلبي علي دينك..

فقلت: يا مقلّب القلوب والأبصار ثبت قلبي علي دينك.

فقال عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلّب القلوب ثبت قلبي علي دينك(1).

1- كمال الدين وتمام النعمة 2: 351 باب 43 ح 49 وعنه في بحار الأنوار 52: 148 ح 73.

بهذا النهج يتعلم المسلم لزوم التروي والتأني والحيطه والحذر في النقل وضرورة رعاية النص كما هو دون زيادة ونقصان ، هذا ما علّمنا الشارع المقدّس التمسك به .

نعم ، قد يختلف توقيفي عن توقيفي آخر ، وبلحاظ زاوية خاصة ، بمعنى أنّ توقيفية الأذان قد تختلف عن توقيفية الزواج والطلاق ، أي : أنّ توقيفية الزواج والطلاق تتعلّق بأمر كلي لا بجزئيته ، أي يجب علي المطلّق أو العاقد أن يُنشئ عقدة الزواج والطلاق في كلامه دون التعبد بصيغة واحدة خاصة ، فله أن يقول : (أنكحت) أو (زوّجت) أو (متّعت) ، فلو أتى العاقد بأي صيغة منها صح زواجه .

وكذا الحال بالنسبة إلي الطلاق فلو قال المطلّق: زوجتي طالق ، أو فاطمة طالق ، أو امرأتي التي في ركن الدار طالق - لو كانت هناك مثلاً - صح طلاقه ، لأنّ المطلوب هو إنشاء علاقة الزوجية في الزواج ، وقصد الإبانة في الطلاق دون التعبد بصيغة مخصوصة ، وهذا بخلاف التعبد بنصوص القرآن وما شابهه ، لأن الثاني يأبي التغيير والتبديل ، فلا يجوز تقديم جملة من القرآن علي أخرى ، فلا يجوز أن تقول: (الرحيم الرحمن) بدل (الرحمن الرحيم) ؛ لأن المطلوب أداء النصّ السماوي كما هو .

إذاً توقيفيات الأمور تختلف بحسب تعلّق الأحكام ، فتارة : تتعلّق بالحقيقة وذات الأمر ، وأخري بلزوم التعبد بالنصّ المعهود دون زيادة ونقصان ، وقد وضحنا قبل قليل بأنّ توقيفية الزواج والطلاق مثلاً تتعلّق بالحقيقة الكلية دون التعبد بصيغة بخصوصها ، بخلاف توقيفية القرآن فإنّها توقيفية بالنص فلا يجوز الزيادة والنقصان والتأخير ، ومن القبيل الأوّل الأذكار المستحبة في القنوت ، فالقنوت مستحبّ يقيناً لكن لا يلحظ فيه ذكر مخصوص ، فللقنات أن يقنت بما شاء من تسبيح وتحميد وشكر و...

والآن نتساءل عن توقيفية الأذان وأنه من أي القسمين ، وهل يجوز فيه الزيادة والنقيصة وتبديل كلمة بأختها أم لا ؟ ولو جاز فإلي أي حدّ يسمح لنا الشارع بالتصرف ؟ وهل أنه من قبيل الذكر المسموح به في القنوت أو من قبيل اختلاف صيغ التشهد وصلاة الخوف عند أهل السنة والجماعة أم هو شيء آخر ؟

ترك القاري معنا إلي الابواب اللاحقة كي نوقفه علي حقيقة الأمر وما نريد قوله بهذا الصدد .

الخلاصة

بعد أن بيّنا معني الأذان لغة واصطلاحاً ، والأقوال التي قيلت في تأريخ تشريع الأذان ، عرضنا أشهر الأقوال الموجودة عند أهل السنة والجماعة في بدء الأذان فكانت ستّة :

1 - تشريعه باقتراح من الصحابة وخصوصاً عمر بن الخطّاب .

2 - تشريعه بمنامات رآها بعض الصحابة . مثل أبي بكر وعمر وعبدالله بن زيد وغيرهم .

3 - نزول الأذان تدريجياً ، ثم إضافة عمر الشهادة بالنبوة .

4 - الأذان وحي من الله تلقاه الرسول من جبرئيل في المعراج .

5 - إنّ عمر أوّل من سمع أذان جبرئيل في السماء ثمّ سمعه بلال .

6 - إنّ تشريع الأذان نزل به جبرئيل علي آدم لمّا استوحش .

ثمّ أتينا برؤية أهل البيت في بدء الأذان ، وأكّدنا اتّفاقهم علي كون تشريعه كان في المعراج ، ونقلنا نصوصاً عن :

1 - الإمام عليّ بن أبي طالب .

2 - الإمام الحسن بن عليّ .

3 - الإمام الحسين بن عليّ .

4 - محمّد بن عليّ بن أبي طالب (ابن الحنفية) .

5 - الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين .

6 - الإمام محمّد بن عليّ الباقر .

7 - الإمام جعفر بن محمّد الصادق .

8 - الإمام عليّ بن موسى الرضا .

ثمّ ذكرنا أقوال بعض أعلام الإمامية كي نؤكّد إطباقهم علي هذا الأمر وأنه مأخوذ من الوحي النازل علي النبيّ دون الرؤيا .

وحيث أن القول بكونه وحياً قد ورد عند الفريقين بعكس القول بكونه مناماً الذي انفردت به أهل السنة والجماعة ، ألقينا بعض الضوء علي هذه الرؤية فكانت لنا وقفة مع أحاديث الرؤيا ، ثمّ تحقيق في دواعي نشوء مثل هذه الفكرة عندهم ، واحتملنا ارتباط هذا الأمر مع قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ الْإِنْتِنَةَ لِلنَّاسِ } المرتبط بلعن بني أميّة ، موضحين هناك بعض معالم الخلاف وجذوره ، مؤكدين علي أن أهل البيت كانوا يشيرون في كلماتهم ومواقفهم إلي أن بني أميّة جدّوا للوقوف أمام انتشار ذكر محمّد وآله في الأذان والتشهد والخطبة ، ساعين للتقليل من مكانة الإسراء والمعراج والادّعاء بأنّه كان بالروح فقط ، أي أنّه كان في المنام لا في اليقظة ، وذلك طمساً لذكر الرسول المستتبّع طمس ذكر مكارمه صلي الله عليه وآله وفضائه ، والأُنكي من ذلك أنهم أغفلوا وجود الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ضمن المضطّجين مع النبيّ عند العروج أو البعثة وحرفوا نصوصاً ومشاهدات أخري كانت في المعراج وتسميتها بأسماء آخرين .

ومثله تناسيهم ذكر وجود مثاله في الجنّة مع أنّهم ذكروا وجود أمثلة من هم أقلّ شأناً ومنزلة من عليّ بكثير . وقد قلنا بأن فكرة الرؤيا استحكمت عند القوم بعد

صلح الإمام الحسن مع معاوية لقول سفیان بن اللیل : فتذاكرنا عنده ، فقال بعضنا : إنما كان الأذان برؤيا عبد الله بن زيد ، فقال له الحسن بن عليّ : أن شأن الأذان أعظم من ذلك ، أذن جبرئيل ...

ثم ذكرنا ما حكى عن الإمام الحسين وأنه سئل عما يقول الناس فقال عليه السلام : الوحي ينزل علي نبيكم وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد .

وما نقل عن محمد بن الحنفية أنه فزع لما سمع ما يُقال عن تشريع الأذان بالرؤيا وقوله: وعمدتم إلي ما هو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فرعتمم أنه كان رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه يحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام .

قال [الراوي] : فقلت : هذا الحديث قد استفاض في الناس ؟

قال : هذا والله هو الباطل .

ثم نقلنا بعد ذلك كلمات الإمام عليّ والزهراء والحسن والحسين وعليّ بن الحسين وزينب ، المصرّح أو الملوّح فيها ببني أمية ومن قبلهم ممن كانوا قد تصدوا للخلافة !

ثم ركّزنا علي خطبة الإمام السجاد في الشام فذكرنا قسماً منها إلي أن أذن المؤذن فقال (اشهد أن محمداً رسول الله) فالتفت عليّ بن الحسين من أعلي المنبر إلي يزيد وقال : يا يزيد ، محمّدٌ هذا جدي أم جدك ، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت ، وإن قلت أنه جدي فلم قتلت عترته ، ولا حظنا سير محاولة الطمس وامتدادها إلي العصر العباسي من جانب الحكومات، وفي مقابلها حرص أئمة أهل البيت: علي إتمام النور ورفع الذكر والافتخار باسم محمّد المرفوع في الأذان .

وأخيراً أشرنا إلي مطلبين آخرين :

أحدهما : أن الأذان ليس إعلاماً محضاً للصلاة ، بل له أكثر من واقع في الحياة

الإسلامية، إذ تنطوي ألفاظه علي معاني الإسلام وأصول العقيدة من التوحيد والنبوة والإمامة - بنظر الإمامية - ثم ذكرنا الأذان وآثاره في الحياة الإجتماعية .

ثانيهما : توفيقية الأذان ..! وقد تركنا القارئ دون جواب متكامل هنا ، وذلك لأنّ هذا المطلب يحتاج إلي مقدمات ومزيد بيان للملابسات وما زيد في الأذان وما نقص منه ، فلا بد من مسأيرة البحث للوقوف علي الحقيقة . والآن مع أوّل باب من هذه الدراسة :

الباب اول: حيّ علي خَيْرِ الْعَمَلِ الشرعية والشعارية

اشارة

1 أنّها جزء علي عهد رسول الله

1 تأذين الصحابة وأهل البيت بها

1 رفع الخليفة الثاني لها

1 بيان لمعني الحيلة وسبب حذفها

1 تاريخ المسألة والصراعات فيها

ويقع الكلام في هذا الباب في أربعة فصول :

الفصل الأول : الكلام في شرعية حيّ علي خير العمل ، وأنها كانت جزءاً علي عهد رسول الله

صلي الله عليه وآله .

الفصل الثاني : في تحديد زمن حذف هذه الحيلة ، وامتناع بلال عن التأذين .

الفصل الثالث : في بيان معني حيّ علي خير العمل ، والأسباب التي دعت عمر بن الخطاب إلي حذفها من الأذان .

الفصل الرابع : بيان تاريخ المسألة وكيف صارت شعاراً لنهج التبعّد المحض ، وحذفها شعاراً سياسياً لخصومهم في العصور المتأخرة بعد ثبوت شرعيتها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله .

الفصل الأول: في جزئية حيّ علي خير العمل

إشارة

ويتلخص الكلام فيه في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : بيان اتفاق الفريقين علي أصل شرعية « حيّ علي خير العمل » وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوي النسخ فيها من بعد .

القسم الثاني : أسماء من أذن ب- « حيّ علي خير العمل » من الصحابة والتابعين وأهل البيت .

القسم الثالث : إجماع العترة .

القسم الأول: اتفاق الفريقين علي أصل شرعيتها

إشارة

من الثابت المسلم الذي لا يقبل الشكّ هو ثبوت جزئية «حيّ علي خير العمل» في الأذان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله؛ لأنها مضافاً إلي وجودها في روايات الإمامية الاثني عشرية وفي روايات الزيدية والإسماعيلية، رواها أهل السنة والجماعة بطرقهم، وأنّ بلالاً كان يؤذّن بها في الصبح خاصّة، بل كان جمّ غفير من الصحابة يؤذّنون بها.

وحكي عن بعض أئمّة المذاهب الأربعة أنّهم قالوا بالتأذين بها، لكنّ عامّتهم ادّعوا أنّ رسول الله أمر بلالاً بحذفها من الأذان ووضع مكانها جملة «الصلاة خير من النوم».

من هذا يتبيّن أنّهم لا ينكرون

شرعيتها في مبدأ الأمر، لكنّهم يقولون بنسخها، فما هو الناسخ إذا؟ ولم تُنسخ هذه الجملة بالخصوص من الأذان؟

للإجابة عن هذا السؤال لابدّ من ملاحظة أنّ أهل السنّة والجماعة انقسموا - في هذه المسألة - إلي فريقين؛ فمنهم من قال إنّ الناسخ هو قول رسول الله صلي الله عليه وآله لبلال: «اجعل مكانها الصلاة خير من النوم»⁽¹⁾، في حين لم ير الفريق الآخر منهم بدءاً من الشكوت عن بيان الناسخ؛ لضعف تلك الأخبار وعدم دلالتها علي المقصود، بل

1- انظر: مجمع الزوائد 1: 330، «وفيه:» رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالرحمن بن عمّار بن سعد وقد ضعّفه ابن معين. «والجدير بالذكر أن المتّقي الهندي ذكر رواية الطبراني في كنز العمال 8: 342 ح 23174 بعد ذكر إسنادها قال: كان بلال يؤذّن بالصبح فيقول: حيّ علي خير العمل، ولم يذكر فيه: «اجعل مكانها الصلاة خير من النوم».

لاحتواء تلك الأسانيد علي وقفات علمية ؛ سندية ودلالية ، يجب بيانها إن اقتضي الحال .

قال السيد المرتضي في الانتصار : وقد روت العامة أن ذلك [أي « حيّ علي خير العمل »] مما كان يقال في بعض أيام النبي ، وإنما ادّعي أن ذلك نُسخ ورُفِع ، وعلي من ادّعي النسخ الدلالة له ، وما يجدها(1) .

وقال ابن عربي في الفتوحات المكية : ... وأما من زاد في الأذان حيّ علي خير العمل فإن كان فُعل في زمان رسول الله - كما روي أن ذلك دعا به في غزوة الخندق ؛ إذ كان الناس يحفرون ، فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث ، فنادي المنادي أهل الخندق « حيّ علي خير العمل » - فما أخطأ من جعلها في الأذان ، بل اقتدي إن صحّ الخبر ، أو سنّ سنة حسنة(2) .

وجاء في الروض النضير عن كتاب السنن ما لفظه : الصحيح أن الأذان شرّع بحيّ علي خير العمل ، لأنه اتفق علي الأذان به يوم الخندق ، ولأنه دعاء إلي الصلاة ، وقد قال صلي الله عليه وآله « خير أعمالكم الصلاة »(3) . كما وردت روايات أخرى تفيد أن مؤذني رسول الله صلي الله عليه وآله وغيرهم من الصحابة استمروا علي التأذين بها حتّي ماتوا(4) .

وعليه فالفريقان شيعةً وسنةً متفقان علي ثبوت حكمها في الصدر الأوّل وعلي كونها جزء الأذان في بدء التشريع ، لكن أهل السنة والجماعة انفردوا بدعوي

1- الانتصار 137 ، باب « وجوب قول حيّ علي خير العمل في الأذان » .

2- الفتوحات المكية 1 : 400 .

3- هذا ما حكاه عزّان محقق كتاب (الأذان بحيّ علي خير العمل) 12 عن الروض النضير 1 : 542 .

4- المصدر نفسه 50 - 56 . .

النسخ ، وهو كلام فُرِّر في العهود اللاحقة لأسباب تقف عليها لاحقاً .

فهذا الأمر يشير إلي أنّ شرعيتها وجزئيتها كانت ثابتة عند الفريقين من لدن عهد الرسول الأكرم ، ويضاف إلي ذلك أنّ الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية لهم طرقهم الخاصة والصّحيحة وكلّها تُؤكّد ثبوتها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله وعدم نسّخها في حياته صلي الله عليه وآله ، « وأنّ رسول الله أمرَ بلالاً أن يُؤدّن بها فلم يزل يُؤدّن بها حتّي قبضَ اللهَ رسولُهُ » (1) .

وهذا نصّ صريح يدلّ علي عدم نسخ « حيّ علي خير العمل » وعلي كونها جزء الأذان حتّي قبضَ الله رسولهُ .

ويؤيّد هذا المروي عندنا عن بلال ما رواه الحافظ العلوي الزيدي (2) مسنداً إلي

1- انظر : من لا يحضره الفقيه 1 : 284 / ح 872 وعنه في وسائل الشيعة 5 : 416 ، والاستبصار 1 : 306 ح 1134 ، والأذان بحيّ علي خير العمل للحافظ العلوي 91 .

2- وهو أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري الكوفي (الإمام المحدث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفة) كما نصّ عليه الذهبي في العبر 3 : 212 وسير أعلام النبلاء 17 : 636 وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب 3 : 274 . مات بالكوفة في ربيع الأول سنة 445 هـ ، ومولده في رجب سنة 367 هـ . قال ابن النرسي : ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله . وقال : كان حافظاً خرّج عنه الحافظ الصوري وأفاد عنه وكان يفتخر به (سير اعلام النبلاء 17 : 636) . وفي (طبقات الزيدية 2 : 292) : الثقة العابد مسند أهل الكوفة ، وقد ترجم له الطهراني في طبقات أعلام الشيعة (أعلام القرن الخامس 170 - 172) . له كتاب « فضل الكوفة » و« فضل زيارة الحسين » و« تسمية من روي عن الإمام زيد من التابعين » ، و« التاريخ » ، و« التعازي » وكتاب « الجامع الكافي » وقد جمعه من بضع وثلاثين كتاباً من كتب الإمام محمد بن المنصور المرادي الزيدي ، وهو من أجلّ ما كتب في الفقه ونصوص الأئمة الزيدية ، وفيه بحث الأذان . وله كتاب علي انفراد باسم « الأذان بحيّ علي خير العمل » له طرق متعدّدة عند الزيدية ، وقد أشار محمد يحيي سالم عزّان إلي بعض طرقه إلي هذا الكتاب في مقدّمة تحقيقه ص (32) ، وكذا العلامة السيّد محمّد بن حسين بن عبدالله الجلال ، حيث قال في آخر نسخته : يقول الفقير إلي الله المعترف بالذنب والتقصير محمد بن حسين بن عبدالله الجلال : أروي كتاب « الأذان بحيّ علي خير العمل » من عدّة طرق عن مشايخي رحمهم الله بطريق الإجازة العامّة ، وأرويه عن سيّدي العلامة قاسم بن حسين أبو طالب بالسماع من فاتحته إلي خاتمته إلاّ اليسير منه فبالإجازة العامّة ، وهو يرويه عن عدد من مشايخه ذكرتهم في مؤلّفي المسمّي (الأنوار السنّية في إسناد علوم الأمة المحمديّة) منهم شيخه العلامة عليّ بن حسين المغربي عن شيخه السيّد العلامة عبدالكريم بن عبدالله أبو طالب عن شيخه العلامة بدر الال ... إلي آخر مشايخه - عن المؤلّف أبي عبدالله محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً . وقد طبع هذا الكتاب في اليمن في شهر صفر عام 1399 هـ ، السيّد يحيي عبدالكريم الفضل عن نسخة العلامة الجلال . قال المحقق في مقدّمته للكتاب : وقد روي التأذين ب- « حيّ علي خير العمل » ، أكثر من عشرة من الصحابة ، وجاءت رواية الأذان من أكثر من مائة طريق ، وكلّ منها بإسناد متصل (انظر : المقدمة 5 - 6) . وقد نقل عن هذا الكتاب كثير من الأعلام أمثال الإمام القاسم بن محمّد في كتاب الاعتصام ، والشوكاني في نيل الأوطار ، وأخرج مسنده في كتابه (إتحاف الأكابر) ، ورواه وأخرج مسنده العلامة عبدالواسع الواسعي في كتابه (درر الأسانيد) ، وكذا العلامة مجد الدين المؤيّد والعلامة الجلال وغيرهم . ومن المؤسف أنّ النسخة المطبوعة التي بأيدينا مغلوطة ، ولم تُعرض وتقابل مع نسخ خطية أخرى للكتاب ، وإن كتب علي المطبوع حقّقه السيّد يحيي عبدالكريم الفضيل . ولأجله استعنت في بعض الأحيان بنسخة أخرى من تحقيق محمّد يحيي سالم عزّان ، وفي أحيان أخرى

بكتاب الاعتصام بحبل الله المطبوع فيه كتاب الأذان بكامله . وقد أراني المحقق الحجة السيّد محمد رضا الجلالي نسخة من كتاب (الأذان بحَيِّ علي خير العمل) بخط العلامة المحدث السيّد محمد بن الحسين الجلال مجيزاً له رواية هذا الكتاب ، وقد أخبرني بأنه يعزم علي تحقيقه وطبعه فسرتني عزمه علي تحقيقه آملين له التوفيق والسداد .

أبي محذورة من أن رسول الله علّمه الأذان ، وفيه التّأذين بحَيِّ علي خير العمل (1).

ومن المعلوم أنّ أبا محذورة تَعَلَّمَ الأذان من رسول الله - حسبما يقولون - في

1- انظر : « الأذان بحَيِّ علي خير العمل » للحافظ العلوي 26 - 27 ، 29 . وكذا : تحقيق عزّان 50 - 54 .

وأخر السنّة الثامنة من الهجرة بعد رجوعه من حنين (1)، ومعناه ثبوتُ حيّ علي خير العمل وشرعيتها حتّى ذلك التاريخ، ولم يأمر رسول الله بإبدالها بـ « الصلاة خير من النوم » .

ويضاف إلي ذلك أنّ رواية الحافظ العَلوي عن بلال تنفي الزيادة التي جاء بها الطبراني والبيهقي عنه رضوان الله تعالى عليه ؛ لأنّ الحافظ العَلوي كان قد قال :

حدّثنا عليّ بن محمّد بن إسحاق المقرئ الخزاز، أخبرنا أبو زرعة أحمد بن الحسين الرازي، حدّثنا أبو بكر بن تومردا، أخبرنا مسلم بن الحجاج، حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن عرعة، حدّثنا معن بن عيسى، حدّثنا عبدالرحمن بن سعد المؤدّن، عن محمّد بن عمّار بن حفص بن عمر، عن جدّه حفص بن عمر بن سعد، قال : كان بلال يؤدّن في أذان الصبح بحيّ علي خير العمل (2).

في حين نرى نفس هذا الحديث قد ورد في الطبراني والبيهقي (3) من طريق يعقوب بن حميد، عن عبدالرحمن بن سعد [المؤدّن]، عن عبدالله بن محمّد وعمر وعمّار ابني حفص، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال : أنّه كان ينادي بالصبح فيقول : « حيّ علي خير العمل » ، إلا أنّ فيما أخرجه الطبراني والبيهقي زيادة :

فأمّره النبيّ صلي الله عليه وآله أن يجعل مكانها « الصلاة خير من النوم » وترك « حيّ

1- سبل السلام 1 : 120 ، كتاب المسند للشافعي 31 ، مسند أحمد 3 : 408 ، سنن النسائي 2 : 5 .

2- الأذان بحيّ علي خير العمل 28 . وبتحقيق عزّان 56 . والاعتصام بحبل الله 1 : 290 .

3- المعجم الكبير 1 : 353 والنصّ عنه ، وفي السنن الكبرى 1 : 425 وفيه قال الشيخ : هذه اللفظه لم تثبت عن النبيّ صلي الله عليه وآله فيما علّم بلالاً وأبا محذورة ونحن نكره الزيادة فيه وبالله التوفيق .

علي خير العمل» .

والمتمم في رواية معن بن عيسى عن عبدالرحمن بن سعد التي أوردها الحافظ العلوي يراها أوثق من رواية يعقوب بن حميد التي أوردها الطبراني والبيهقي باتفاق الجميع ؛ لأنَّ معن بن عيسى ثقة ثبت وكذا غيره من رجال السند .

ومما يحبذ هنا هو أنَّ تقوم بتحقيق بسيط عن رجال الإسنادين وما رَوَّه عن بلال وأبي محذورة ، واختلاف النقل عنهما ، كي نتعرف علي ملابسات مثل هذه الأمور في الشريعة والأحكام :

وقفه مع الحديثين

وقفه مع الحديثين (1)

ذكرت كتب الحديث والتاريخ أسماء أربعة من الذين أذنوا علي عهد رسول الله ، وهم :

1 - بلال بن رباح الحبشي

2 - أبو محذورة القرشي

3 - عبدالله بن أمّ مكتوم

4 - سعد القرظ

وقد أذن أبو محذورة بعد السنة الثامنة من الهجرة (2) ، وقيل بعد فتح مكة (3) ،

1- أحدهما : الذي رواه الطبراني والبيهقي بإسنادهما عن عبدالرحمن بن سعد القرظ ، وفيه : كان بلال يؤذّن في أذان الصبح بحّي علي خير العمل ، وأنّ رسول الله أمره أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم ، وهو يخالف ما رواه الحافظ العلوي من طريق مسلم بن الحجاج والذي يخلو من هذه الزيادة . الثانية : حديث أبي محذورة المختلف فيه ، والذي رواه رجال الصحاح والسنن ليس فيه « حّي علي خير العمل » ، أمّا الحافظ العلوي وأحمد بن محمد بن السري فقد رَوَّياه وفيه التأذين بحّي علي خير العمل ، وهو الذي يتفق مع مرويات أهل البيت ، وعليه إجماع العترة حسبما ستعرف بعد قليل .

2- سبل السلام 1 : 120 ، كتاب المسند للشافعي 31 ، مسند أحمد 3 : 408 ، سنن النسائي 2 : 5 .

3- الطبقات الكبرى لابن سعد 5 : 450 .

ونقل عن سعد القرظ أنه كان يؤذّن بقبا(1)).

وربّما تكون روايات الأذان عند المذاهب الأربعة والاختلافات في فصوله وأعداده ، راجعة إلى اختلاف عمل هؤلاء الصحابة في الأذان أو اختلاف النقل عنهم ، مضافاً إلي ما جاء عن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه فيه .

فالاختلاف أمر ملحوظ في الأحاديث ، وقد يُنقل عن الصحابي الواحد نقلان متخالفان ؛ فالتكبيرتان والأربع في أوّل الأذان مثلاً ورد كلّ منهما عن عبد الله بن زيد ، والتثويب وعدمه جاء عن أبي محذورة ، واختص خبر الترجيع(2)) بأبي محذورة دون غيره من المؤذنين ، فما سبب كلّ هذا الاختلاف والكل ينسب فعله إلى الصحابة ؟

« فمالك والشافعي ذهبوا إلى أنّ الأذان مشني مشني والإقامة مرّة مرّة ، إلّا أنّ الشافعي يقول في أوّل الأذان (الله أكبر) أربع مرات ويرويها محفوظاً عن عبد الله بن زيد وأبي محذورة ، وهي زيادة مقبولة والعمل بها في مكّة ومن تبعهم من أهل الحجاز .

لكن مالكاً وأصحابه ذهبوا إلى تثنية التكبير ، وقد رووا ذلك من وجوه صحاح من أذان أبي محذورة ومن أذان عبد الله بن زيد وعليه عمل أهل المدينة من آل سعد القرظ »(3)).

1- تلخيص الحبير 3 : 199 ، تهذيب الأسماء للنووي 1 : 55 .

2- الترجيع في الأذان هو تكرير الشهادتين جهراً ، هكذا فسره الصاغاني ، انظر : تاج العروس 5 : 351 .

3- انظر : فتح المالك 1 : 7 . وفتح الباري لابن رجب الحنبلي 3 : 413 .

واتفق مالك(1) والشافعي(2) علي الترجيع في الأذان ، لكن الحنابلة(3) والأحناف(4) قالوا : لا ترجيع في الأذان ، وكلُّ استند فيما ذهب إليه إلي نقله عن بعض الصحابة !!

قال الأثرم : سمعت أبا عبدالله [يعني أحمد بن حنبل] يُسألُ : إلي أيّ الأذان يذهب ؟ قال : إلي أذان بلال ...

قيل لأبي عبدالله : أليس حديث أبي محذورة بعد حديث عبدالله بن زيد ؛ لأنّ حديث أبي محذورة بعد فتح مكّة ؟

فقال : أليس قد رجع النبيّ إلي المدينة فأقرّ بلالاً علي أذان عبد الله بن زيد(5) .

بلي ، إنّ فعل الصحابي كان هو الحجة رغم الاختلافات ، لكن لنا أنّ نتساءل عن هذا الاختلاف هل أنّه حصل بالفعل في زمن الصحابي ، أم أنّه من صنع المتأخرين ، وما هي ملابسات هذه الأحاديث المختلفة ؟ بل ما هي قيمة رجال إسنادها ؟!

ونحن إيماناً بضرورة دراسة مثل هذه الأمور سلّطنا بعض الضوء علي رجال خبري بلال وأبي محذورة .

فقد ادّعي في طريق الطبراني والبيهقي أنّ رسول الله

صلي الله عليه وآله قال لبلال : « اجعل مكانها الصلاة خير من النوم » ، مع أنّ هذه الزيادة غير موجودة في طريق الحافظ العلوي .

1- فتح المالك 1 : 8 .

2- المجموع للنووي 3 : 90 .

3- المغني لابن قدامة 1 : 416 . فتح الباري لابن رجب 3 : 414 .

4- المبسوط للسرخسي 1 : 128 ، الهداية شرح البداية 1 : 41 باب الأذان .

5- المغني لابن قدامة 1 : 416 - 417 .

وفي رواية أبي محذورة « فاجعل في آخرها : الصلاة خير من النوم » ، وهي أيضاً غير موجودة في طريق الحافظ العلوي .

فأيّ النقلين هو الصواب إذن؟!

مع ما رواه الطبراني والبيهقي عن بلال

قد مرّ عليك قبل قليل (1) ما رواه الطبراني عن شيخه محمّد بن عليّ الصانع ، والبيهقي بإسناده عن أبي الشيخ الإصفهانيّ - في كتاب الأذان - عن محمّد بن عبدالله بن رسته ، كلاهما عن يعقوب بن حميد بن كاسب :

حدّثنا عبدالرحمن بن سعد بن عمّار بن سعد القرظ ، عن عبدالله بن محمّد ، وعمر وعمّار ابني حفص ، عن آبائهم ، عن أجدادهم ، عن بلال ...

وفي هذا الإسناد : يعقوب بن حميد بن كاسب ، فهو أبو يوسف ، مدنيّ الأصل ، مكّيّ الدار ؛ هذا ما قاله ابن أبي حاتم الرازي ، ثمّ قال : سألت يحيى بن معين عن يعقوب بن كاسب ، فقال : ليس بشيء .

وقال أبو بكر بن خيثمة : سمعت يحيى بن معين يقول وذكر ابن كاسب ، فقال : ليس بثقة ، قلت : من أين قلت ذلك ؟ قال : لأنّه محدود (2) .

قلت : أليس في سماعه ثقة ؟ قال : بلي .

أخبرنا عبدالرحمن ، قال : سمعت أبي يقول : ضعيف الحديث .

أخبرنا عبدالرحمن قال : سألت أبا زرعة عن يعقوب بن كاسب ، فحرّك رأسه ، قلت : كان صدوقاً في الحديث ، قال : لهذا شروط . وقال في حديث رواه

1- مرّ في صفحة : 185-186 .

2- المحدود : من أقيم عليه الحدّ .

يعقوب : قلبي لا يسكن إلي ابن كاسب(1).

وقال أبو بكر : سمعت يحيى بن معين وذكر ابن كاسب يقول : ليس بثقة ، فقلت له : من أين قلت ذلك ؟ قال : لأنه محدود ، قلت : أليس هو في سماعه ثقة ؟ فقال : بلي ، فقلت له : أنا أعطيك رجلاً تزعم أنه وجب عليه حدٌ وتزعم أنه ثقة ، قال : من هو ؟ قلت : خلف بن سالم ، قال : ذلك إنما شتم بنت حاتم مرة واحدة ، وما به بأس لولا أنه سفيه .

قلت لمصعب الزبيري: إن يحيى بن معين يقول في ابن كاسب : إن حديثه لا يجوز لأنه محدود ، فقال : ليس ما قال ، إنما حدّه الطالبيون في التحامل وليس حدود الطالبين عندنا بشيء لجورهم ، وابن كاسب ثقة مأمون صاحب حديث ، أبوه مولي للخيزران ، وكان من أمناء القضاة زماناً(2) .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : تفرّد بأشياء وله مناكير ، حدّث عنه البخاري وابن ماجّة وعبدالله بن أحمد وإسماعيل القاضي ، وأبو بكر بن أبي عاصم وطائفة ، ذكره البخاري فقال : لم نر إلا خيراً ، وقال أبو حاتم : ضعيف(3) .

وفي ميزان الاعتدال : قال البخاري : لم نر إلا خيراً ، هو في الأصل صدوق وشدّ مضر بن محمّد الاسدي فروي عن ابن معين : ثقة ، وروي عباس عن يحيى : ليس بثقه(4) ، فقلت : لم ؟

قال : لأنه محدود ...

والنسائي : ليس بشيء .

1- الجرح والتعديل 9 : 206 .

2- التعديل والتجريح للباحي 3 : 1425 .

3- تذكرة الحفاظ 2 : 466 .

4- في تهذيب الكمال 32 : 322 عن عباس الدوري عن ابن معين : ليس بشيء .

وأبو حاتم : ضعيف .

قال الذهبي: كان من علماء الحديث لكن له مناكير وغرائب ، وحديثه في صحيح البخاري في موضعين : في الصلح ، وفيمن شهد بدرًا ...

قال الحلواني : رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقيات علي ظهور كتبه ، فسألته عنه ، فقال : رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها ، فطالبناه بالأصول فدافعنا ، ثم أخرجها بعد فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخط طريي ؛ كانت مراسيل فأسندها وزاد فيها(1) .

وفي سير أعلام النبلاء :

« ... وكان من أئمة الأثر علي كثرة مناكير له - إلي أن يقول - : وقال ابن عدي : لا بأس به وبرواياته ، هو كثير الحديث ، كثير الغرائب ، كتبت مسنده عن القاسم بن عبدالله عنه ، صدقته علي الأبواب ، وفيه من الغرائب والنسخ والأحاديث العريضة ، وشيوخ أهل المدينة ممن لا يروي عنهم غيره ... »(2) .

وقال ابن حبان في الثقات : مات سنة أربعين أو أحد وأربعين ومائتين ، كان ممن يحفظ وممن جمع وصنف ، واعتمد علي حفظه فربما أخطأ في الشيء بعد الشيء ، وليس خطأ الإنسان في شيء يهيم فيه ما لم يفحش ذلك منه بمخرجه عن الثقات إذا تقدمت عدالته(3) .

قلت : كيف يقول ابن حبان هذا وهو يعلم بأن الخدشة فيه جاءت لكونه محدوداً لا من جهة حفظه ؛ لأنّ الثابت عدم قبول شهادة الفاسق وخصوصاً لو أفحش في التحامل علي أهل البيت ، وخصوصاً الإمام علي بن أبي طالب ، وهذا

1- ميزان الاعتدال 7 : 276 - 277 . وانظر : الضعفاء الكبير للعقيلي 4 : 446 .

2- سير أعلام النبلاء 11 : 158 وانظر : كلام ابن عدي في الكامل 7 : 151 .

3- الثقات لابن حبان 9 : 285 .

يشير إلي نصبه بلا أدني شك ؛ لأنّ الطالبين حدّوه لنصبه ، وقد وقفت علي سرّ الحد لقول الزبيري « إنّما حدّه الطالبيون في التحامل » وقول ابن معين في خلف بن سالم « ... إنّما شتم بنت حاتم مرّة واحدة وما به بأس » ، وهما يرشدان إلي أنّ الخدشة جاءت فيه من هذه الجهة ، وهي فسق بلا شك ، لا من جهة نسيانه ، وكيف لا يكون فاسقاً غير معتمد الرواية وهو يغير الأصول ويسند المراسيل؟! أضف إلي كلّ ذلك أنّه كان « أبوه مولي للخيزران وكان من أمناء القضاة زماناً » ؟

وأما عبدالرحمن بن سعد بن عمار بن سعد المؤدّن .

فقد قال ابن أبي حاتم عنه: سئل يحيى بن معين عن عبدالرحمن المؤدّن ، فقال : مديني ضعيف ؛ روي عن أبي الزناد(1) .

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : ضعيف من السابعة(2) .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار : وعبدالرحمن ضعيف(3) .

وقال ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني : ضعيف(4) .

وقال البخاري في تاريخه الكبير : عبدالرحمن بن سعد فيه نظر ، مولي بني مخزوم(5) .

وقال المارديني الشهير بابن التركماني في الجوهر النقي : منكر الحديث(6) .

وضعّفه ابن أبي حاتم ، وقال ابن القطان : هو وأبوه وجدّه مجهولو الحال(7) .

1- الجرح والتعديل 5 : 238 .

2- تحرير تقريب التهذيب 2 : 321 .

3- نيل الاوطار 3 : 346 .

4- الأحاد والمثاني 1 : 65 .

5- تاريخ البخاري الكبير 5 : 287 .

6- الجوهر النقي 3 : 286 .

7- الجوهر النقي 1 : 394 .

وقال الألباني في إرواء الغليل : عبدالرحمن بن سعد ضعيف وأبوه وجده لا يعرف حالهم(1).

وأما عبدالله بن محمد فقد ضعفه ابن معين(2).

وسئل يحيى بن معين عن عبدالله بن محمد وعمّار وعمر ابني حفص بن عمر بن سعد عن آبائهم عن أجدادهم كيف حال هؤلاء؟ قال : ليسوا بشيء(3).

وأما عمر بن حفص بن عمر بن سعد القرظ .

فقد قال ابن معين : ليس بشيء(4).

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: عمر بن حفص بن عمر بن سعد القرظ المدني المؤذن فيه لين ، من السابعة(5).

وأما عمار بن حفص بن عمر بن سعد القرظ ، فهو أخو عمر ، وهو والد محمد ، روي عنه عبدالرحمن بن سعد(6).

قال البخاري : لم يصح حديثه(7).

وقال يحيى بن معين : ليس بشيء(8).

1- إرواء الغليل 3 : 120 .

2- الجواهر النقي 1 : 394 ، 3 : 287 .

3- انظر : تاريخ ابن معين (الدارمي) 169 ، الكامل في الضعفاء 5 : 73 ، الضعفاء للعقيلي 2 : 300 - 301 ، والجرح والتعديل 6 : 103 .

4- الجواهر النقي 3 : 287 الجرح والتعديل 6 : 102 ، المغني في الضعفاء 2 : 464 ، تهذيب الكمال 21 : 302 ، تهذيب التهذيب 6 : 183 .

5- تحرير تقريب التهذيب 3 : 68 .

6- التاريخ الكبير 5 : 287 .

7- ميزان الاعتدال 5 : 211 .

8- لسان الميزان 4 : 271 ، الجرح والتعديل 6 : 392 .

وأما حفص بن عمر بن سعد القرظ ، فلم يسمع من جدّه ولا غيره من الصحابة ، وربما نسب إلي جدّه فيتوهمه الواهم أنه تابعي (1) .

وقد علّق ابن التركماني علي أحد أحاديث حفص بن عمر في كتاب صلاة العيدين بقوله: إنّ حفصاً والد عمر المذكور في هذا السند إن كان حفص بن عمر المذكور في السند الأوّل فقد اضطربت روايته لهذا الحديث ، رواه ها هنا عن سعد القرظ ، وفي ذلك السند رواه عن أبيه وعمومته عن سعد القرظ ، فظهر من هذا أنّ الأحاديث التي ذكرها البيهقي في هذا الباب لا تسلم من الضعف . وكذا سائر الأحاديث الواردة في هذا الباب .. (2)

وحكي الزيلعي عن « الإمام » : وأهل حفص غير مُسمّين ، فهم مجهولون (3) .

كان هذا حال رجال هذا الإسناد .

مع ما رواه الحافظ العلوي عن بلال

أمّا طريق الحافظ العلوي فهو أحسن من هذا بكثير ، وإن كان فيه بعض الملابس ؛ لأنّ الحافظ خرّج حديثه من طريق مسلم بن الحجاج ، وإن لم يكن في صحيحه :

حدثنا إبراهيم بن محمّد بن عرعة ، حدثنا معن بن عيسى ، حدثنا عبدالرحمن بن سعد المؤدّن ، عن محمّد بن عمّار بن حفص بن عمر . وهم خير من أولئك .

فمسلم بن الحجاج ، صاحب الصحيح ، فهو إمام عند القوم .

1- معرفة علوم الحديث : 70 النوع الخامس عشر .

2- الجواهر النقي 3 : 287 .

3- نصب الراية 1 : 265 .

وأما إبراهيم بن محمد بن عرعة بن البرند بن النعمان أبو إسحاق البصري فقال عنه ابن أبي حاتم الرازي : سئل أبي عن إبراهيم بن أبي عرعه فقال : صدوق (1).

وحكي عن علي بن الحسين بن حبان أنه قال : وجدت في كتاب أبي بخط يده قلت له - يعني يحيى بن معين - : أبو عرعة ؟

فقال : ثقه معروف الحديث، كان يحيى بن سعيد يكرمه ، مشهور بالطلب ، كسب الكتاب ؛ ولكنه يفسد نفسه ، يدخل في كل شيء (2) . وجاء فيه بعض التليين .

وأما معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم القزاز أبو يحيى المدني ؛ فهو في طبقة يعقوب بن حميد بن كاسب ، فقد ترجم له المزي في التهذيب (3) ، قال أبو حاتم : أثبت أصحاب مالك وأوثقهم معن بن عيسى ، وهو أحب إلي من عبدالله بن نافع الصائغ ومن ابن وهب (4) .

أما عبدالرحمن بن سعد المؤذن فضعيف حسبما عرفت .

وأما محمد بن عمار بن حفص بن عمر ، فهو أبو عبدالله المدني مؤذن مسجد الرسول، ويقال له: كشاكش، وهو مولي الانصار ويقال : مولي عمار بن ياسر (5) .

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه : ما أري به بأس (6) ، وقال الدوري عن يحيى بن معين : لم يكن به بأس (7) .

-
- 1- الجرح والتعديل 2 : 130 .
 - 2- تاريخ بغداد 6 : 149 - 151 وفيه : سكن بغداد وحدث بها عن يحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدي ومحمد بن جعفر ومحمد بن بكر البرساني ومعن بن عيسى ...
 - 3- تهذيب الكمال 28 : 336 .
 - 4- الجرح والتعديل 8 : 277 - 278 الترجمة 1271 .
 - 5- تهذيب الكمال 26 : 163 ، تهذيب التهذيب 9 : 358 ، التاريخ الصغير 2 : 183 .
 - 6- العلل لأحمد 2 : 485 ، بحر الدم فيمن مدحه أحمد أو ذم 141 .
 - 7- تاريخ بن معين برواية الدوري 1 : 147 .

وقال عليّ بن المديني : ثقة (1).

قال أبو حاتم : شيخ ليس به بأس ، يُكتب حديثه (2).

وقال ابن حجر : لا بأس به ، من السابعة (3).

وحفص بن عمر بن سعد القرظ قد عرفت حاله وهو مُتكلّم فيه ، والخبر موقوف عليه وليس بحجة .

ومع كلّ هذه الملايسات نري هذا الإسناد أنظف ممّا رواه الطبراني في الكبير والبيهقي عن أبي الشيخ الإصفهاني عن محمّد بن عبد الله بن زُسته في السنن .

مع ما رواه السري عن أبي محذورة

ويعضد ثبوت الحيلة الثالثة عن رسول الله ما رواه الحافظ العلوي بطرق متعددة - سيأتيك ذكرها تحت عنوان « تأذين الصحابة وأهل البيت » - عن أبي محذورة وأنها اتفقت جميعاً علي ثبوتها .

وأما رواية الحافظ العلوي بإسناده الذي فيه أحمد بن محمّد بن السري فإليك نصّها :

حدّثنا أبو القاسم عليّ بن الحسين العرزمي إملاءً من حفظه ، قال : حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد بن السري التميمي ، حدّثنا أبو عمران موسى بن هارون بن عبد الله الجمال ، حدّثنا يحيى ابن عبد الحميد الحماني ، حدّثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي محذورة ، قال : كنتُ غلاماً صبيّاً ، فأذنت بين يدي رسول الله

صلي الله عليه وآله

1- لسان الميزان 7 : 369 - 370 ، تهذيب الكمال 26 : 163 .

2- الجرح والتعديل 8 : 43 .

3- تحرير تقريب التهذيب 3 : 295 .

لصلاة الفجر ، فلما انتهيت إلي « حيّ علي الفلاح » قال النبي صلي الله عليه وآله : ألحق فيها « حيّ علي خير العمل » (1).

وهذا النص - كما تراه - واضح لا مغمز في لفظه ولا معناه ، لكنّ المتأخرين من علماء العامّة حرفوا النص عن وجهته فنقلوا الرواية بشكل آخر ، قالوا :

زعم أحمد بن محمد بن السري أنّه سمع موسى بن هارون عن الحماني عن أبي بكر بن عياش عن عبدالعزيز بن رفيع عن أبي محذورة ، قال : كنت غلاماً فقال النبيّ : اجعل في آخر أذانك « حيّ علي خير العمل » (2).

وبناء علي هذا التلاعب قال الحافظ ابن حجر في خبر السري :

« وهذا حدثنا به جماعة عن الحضرمي عن يحيي الحماني وإنّما هو : اجعل في آخر أذانك الصلاة خير من النوم » (3).

لكن كلامه باطل من عدة جهات :

الأولي : أنّ مكان « حيّ علي خير العمل » عند من يقول بها هي وسط الأذان لا في آخره ، وأنّها من أصل الأذان لا زيادة فيه كالصلاة خير من النوم ، وإنّما سوغ لهم هذا التلاعب تحريفهم نص السري عن وجهته ، حيث جعلوا الحيلة الثالثة في آخر الأذان ، ليتسني لهم ادعاء أنّ الرواية وردت بجعل « الصلاة خير من النوم » في آخره لا الحيلة الثالثة .

الثانية : أنّ زيادة « الصلاة خير من النوم » جاءت متأخرة ، وقد قال مالك

1- الأذان بحيّ علي خير العمل 15 - 16 .

2- ميزان الاعتدال 1 : 283 - 284 .

3- لسان الميزان 1 : 268 .

عنها أنّها ضلال(1)، ورجع الشافعي عن القول بها في الجديد(2)؛ لعدم ثبوت ذلك عن أبي محذورة، وهو مؤشّر على عدم شرعيّتها في أصل الأذان، فلو كان الأمر كذلك فالزيادة مشكوك فيها ولا يمكن الأخذ بها، وقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة عن الأسود بن يزيد قوله وقد سمع المؤدّن يقول « الصلاة خير من النوم » فقال: لا يزيدون في الأذان ما ليس سنّة(3).

الثالثة: إنّ ما زعمه ابن حجر من وضع حديث: نار تلتقط مبغضي آل محمّد، واتّهم به أحمد بن محمّد بن السريّ، فباطل.

إذ لا شاهد له علي ذلك إلا استعظامه واستكباره أن يرد مثل هذا الحديث في فضل آل محمّد، ولو أنصف لعلم أنّ مبغضي آل محمّد في النار وأنّه لا استكبار ولا استعظام. وهناك روايات كثيرة تشير إلى هذا المعنى، فقد يكون أحمد بن محمّد بن السري نقل الحديث بالمعنى، وهو جائز عند الفريقين، ومحض الانفراد - لو صحّ - لا يدلّ على الوضع، خصوصاً مع أنّ لحديثه هذا شواهد ومتابعات كثيرة، وأحمد هذا ثقة بإجماعهم، ولم يعيبوا عليه إلا شيئاً لا يصح به قدح.

فأحمد بن محمّد بن السري المعروف بابن أبي دارم المتوفّي 351هـ - قال عنه الحافظ محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي، بعد أن أرّخ وفاته: كان مستقيم الامر عامّة

1- انظر: مواهب الجليل 2: 83 كتاب الصلاة، فضل الأذان والإقامة، حيث صرّح بأن الثيوب ضلال، فتمحّل بعضهم وقالوا إن المراد بالثيوب « حيّ علي خير العمل » وقال آخر المراد هو الثيوب الثاني وهو خنق للحقيقة، خصوصاً وقد حكى عن مالك تجويزه الحيلة الثالثة كما سيأتي في آخر القسم الثالث من هذا الباب فصل « جزئية حيّ علي خير العمل »، والباب الثاني من هذه الدراسة « الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة ».

2- الأمّ 1: 85.

3- مصنف ابن أبي شيبة 1: 189.

دهره، ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يُقرأ عليه المثلث، حضرته ورجل يقرأ عليه: إن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن.

وفي خبر آخر في قوله تعالى: { وَجَاءَ فِرْعَوْنُ } عمر: { وَمَنْ قَبْلَهُ } أبو بكر { وَالْمُؤْتَفِكَاتُ } عائشة وحفصة، فوافقته علي ذلك؛ ثم أنه حين أذن الناس بهذا الأذان المحدث وضع حديثاً منته: تخرج نار من عدن (1) ...

وعليه فالخدشة في ابن أبي دارم جاءت لروايته المثلث لا لسوء حفظه واختلاطه بأخرة..، بل لروايته أشياء لا ترضي الآخرين من القول برفس فاطمة، وشرعية حيي علي خير العمل، وأن النار تلتقط مبغضني آل محمد وغيرها.

وقد تلخص مما سبق: إمكان الخدش في خبري أبي محذورة وبلال المدعيين لنسخ الحيلة الثالثة، والمعارضين بما رواه العلوي. ونلفت نظر القارئ الكريم إلى أن هذين الخبرين بمجردهما قد لا يصلحان لإثبات شرعية حيي علي خير العمل، بل إن ثبوتها عندنا يرجع إلى ما عندنا من طرق صحيحة في ذلك، ويؤيده تأذين أهل البيت والصحابة بذلك، وهو ما ستعرفه بعد قليل، الأمر الذي يتفق مع سيرة بلال وحياته الفكرية التي ستقف عليها في الفصل الثاني من هذا الباب « حذف الحيلة وامتناع بلال عن التأذين ».

مشيرين إلى أن الملاحظات العلمية التي تعرضنا لها آنفاً ينبغي أن تحدد من إسراف من يدعي النسخ ويلهج بوجود النسخ بلا دليل مُرض، وهذا هو الذي أشار إليه الشريف المرتضي (ت 436 هـ) بقوله:

1- لسان الميزان 1 : 268 . ودعوي ابن حجر وغيره أنّ هذا من مختلقات السري لا يثبت أمام الحقيقة العلمية، إذ روي هذا التأويل كثير من المحدثين ومن كتبوا في المثلث .

وقد روت العامة أنّ ذلك مما كان يقال من بعض أيّام النبيّ وإنّما ادّعي أنّ ذلك نُسِخَ ورُفِعَ ، وعليّ من ادّعي النسخ الدلالة له وما يجدها .

وممّا يضحك الثكلي أنّ البعض أسرف للغاية ؛ حيث رفض جزئية حيّ عليّ خير العمل ، مدّعياً أنّ الشيعة هم الذين أوجدوها وحشروها في كتب أهل السنة والجماعة لأنّ بقية الفرق الإسلاميّة لا تقول بذلك ، كما أنّ صحاحهم ومسانيدهم قد خلت من « حيّ عليّ خير العمل » .

وأمام احتمال طرح مثل هذه الشبهة ، نقول : إنّ هذه القضية لم تختصّ بالطالبيّين دون غيرهم عليّ ما ضبطته لنا صفحات تاريخ السنّة والسيرة ، بل أقرّها عدد من الصحابة وعملوا بها ، ويكفينا أن نذكر هنا اسم ابن عمر فقط لأنّه الصحابي الذي كان مورد اعتماد أهل السنة والجماعة في فترات متعاقبة من التاريخ ، حتّى أنّ المنصور العبّاسيّ قد وجّه مالكا حين تدوين كتاب « الموطأ » بقوله : هل أخذت بأحاديث ابن عمر ؟

قال : نعم .

قال المنصور : خذ بقوله وان خالف عليّاً وابن عباس (1) .

وعليّ ضوء هذا الأمر الحكومي يمكننا القول : إنّ الدولة العبّاسيّة قد اعتبرت فقه ابن عمر معياراً ومقياساً شاخصاً لتدوين السنّة ، لأنّه لم يكن شخصاً عادياً ، بل كانت شخصيته ذات أبعاد مبطنّة ، وفي هذا المجال رأيناه يضيف عليّ حياته هالة من القدسيّة في اقتفاء آثار النبيّ ومتابعته .

ويتلخص إشكال أهل السنة والجماعة في ثلاث نقاط :

إشكالهم الأوّل : ادّعاء أنّ مصادرهم الحديثيّة المعتبرة قد خلت من الروايات

التي تؤكد ثبوت « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، وأنّ السنن الكبرى للبيهقي ، ومصنّف ابن أبي شيبة - اللّذين ضمّا بين طيّاتهما مثل تلك الروايات - ليسا من الكتب الرئيسيّة التسعة ، إذ هما من المصادر الثانويّة ، لذا فهم لا يقولون بشرعيّة « حيّ علي خير العمل » لأنّ صحيح البخاريّ ومسلم لم يذكر روايات تؤيد ذلك !

إشكالهم الثاني : ادعاء أنّ رواة تلك الروايات المثبته ل- « حيّ علي خير العمل » هم من الضعفاء ، فتكون الروايات غير معتبرة من ناحية السند .

إشكالهم الثالث : إمكان القول بأنّ عمل رسول الله هو الحجّة علينا لا عمل الصحابة ، فلا حجّة في التزام ابن عمر الإتيان ب- « حيّ علي خير العمل » في أذانه ، لأنّ المسلم مكلف باتّباع رسول الله لا غيره !

هذه هي جملة إشكالاتهم

أمّا ما يخصّ إشكالهم الأوّل - من أنّ صحاحهم وسننهم المعتبرة لم تذكر روايات تؤيد شرعيّة « حيّ علي خير العمل » وعلي الأخصّ فيما تمّ تدوينه في كتابي الشيخين البخاريّ ومسلم - فقد أجاب أحد الزيديّة عليه إجابة نقضيّة بقوله :

« وقالوا إن صحّت في الأذان الأوّل فهي منسوخة بالأذان الثاني ، لعدم ذكره فيها .

وردّ هذا : بأنّه لا يلزم من عدم ذكره في الصحيحين عدم صحّته ، وليس كلّ السنّة الصحيحة في الصحيحين ، وبأنّه لو كان منسوخاً لما خفي عليّ بن أبي طالب وأولاده كما في مسنداتهم ، وهم السفينة الناجية بقول جدّهم سيّد البريّة : « أهل بيتي فيكم كسفينة نوح : من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوي » .

وما ذكره في كتاب (الأذان بحّي علي خير العمل) أنّها كانت ثابتة في

الأذان أيام النبي، وفي خلافة أبي بكر، وفي صدر من خلافة عمر ثم نهى عنها» (1).

وبعد ذكر جواب هذا الزيدي علي الإشكال الأول، نقول: إن من الثابت المعلوم أن ليس باستطاعة كتبهم التسعة أن تضم جميع الأحاديث والروايات المروية علي مر التاريخ، بل ولم يدع أصحاب تلك الكتب أنفسهم الإمام بكل ما روي أو جمعهم لكل ما صح عن رسول الله.

بلي، إنهم ادعوا أن أحاديثهم منتقاة من الأحاديث الصحيحة، وبهذا المعنى صرح كل من النسائي والبخاري وابن ماجه وغيرهم، فهذا يقول إنه انتقي صحيحه من ستمائة ألف حديث صحيح، وذاك يقول إنه أخذها من ثلاثمائة ألف حديث صحيح.. وهكذا.

وصحيح أنهم يصفون الأحاديث التي انتقوها بأنها صحيحة، ولكنهم بذات الوقت لا ينكرون صحة بقية الأحاديث المتروكة عندهم - التي لم يشملها تدوينهم - فهم والحال هذه لا ينفون وجود أحاديث صحيحة عند الآخرين.

فلو لاحظت أحاديث عبدالله بن زيد الأنصاري المعتمدة عندهم في تشريع الأذان فلا تجدها في صحيحي البخاري ومسلم، ولم يأت بهما الحاكم في مستدركه، فما يعني هذا إذا؟

ونحن قد بينا أن ثمة اتفاقاً بين الفريقين علي ثبوت «حيي علي خير العمل» في عهد رسول الله واستمر ذلك إلي أن جاء المنع من قبل عمر بن الخطاب، وبهذا تتأكد شرعية وثبوت «حيي علي خير العمل» إلي أن حكم عمر بن الخطاب بعدم

1- انظر: هامش مسند زيد بن علي: 84 عن الأذان بحيي علي خير العمل: 63 بتحقيق عزان. والنص عن طبعة دار الحياة لمسند الإمام زيد.

شرعيتها، وعلي هذا الأساس فإنّ « حيّ علي خير العمل » هي السنّة الحقة وما خالفها ليس من سنّة الرسول المصطفى صلي الله عليه و آله .

أمّا الإجابة علي إشكالهم الثاني فهي غير مبتورة عن الإجابة علي الإشكال الأول، إذ أنّ امتداد الإجابة بمثابة الردّ الفاصل علي إشكالهم الثاني، لأنّهم يقولون بأنّ الروايات التي وردت فيها الحيلة الثالثة « حيّ علي خير العمل » ضعيفة السند، لأنّ أغلب رواياتها من الضعاف ... وهنا لابدّ لنا من الخوض في بحث منهجي مبنائي معهم ليكون حديثنا أكثر علمية وأدقّ توجيهاً، فنقول :

هل ضوابط الجرح والتعديل المتبعة في توثيق وتضعيف الرجال هي ضوابط قرآنية، أو هي مبنية علي الهوي والهوس، أو تتحكّم بها الطائفية، كأن يكون للشافعية ضوابطهم الخاصة بهم، وكذا للمالكية والحنفية وغيرهم .

فقد خدش ابن معين وأحمد بن صالح في الإمام الشافعي (1) .

وذكر الخطيب البغدادي أسماء الذين ردّوا علي الإمام أبي حنيفة (2) .

وقال الرازي في رسالة ترجيح مذهب الشافعي ما يظهر منه أنّ البخاري عدّ أبا حنيفة من الضعفاء في حين لم يذكر الشافعي (3) .

وحكي عن أبي علي الكرايسي أنّه كان يتكلم في الإمام أحمد، وكذا قدح العراقيّ شيخ ابن حجر في ابن حنبل ومسنده (4) .

وذكر الخطيب في تاريخه أسماء عدّة قد خدشوا في الإمام مالك (5) .

1- انظر : هامش تهذيب الكمال 24 : 380 .

2- تاريخ بغداد 13 : 370 وفيه اسم 35 رجلاً تكلموا في الإمام أبي حنيفة .

3- طبقات الشافعية 2 : 118 .

4- انظر : فيض القدير 1 : 26 .

5- تاريخ بغداد 1 : 224، وتهذيب الكمال 24 : 415 .

وقد خدشوا في الإمام البخاري والنسائي وغيرهما .

فما المعتبر في الجرح والتعديل إذاً؟

في سياق جوابنا علي إشكالهم الثاني ، نقول أيضاً : لو سلّمنا فرضاً بضعف تلك الروايات ، فإنّ كثرتها وتعدّد طرقها، تجعلها معتبرة ، ويمكن الأخذ بها بناءً علي قاعدة : (الحديث الضعيف يقوّي بعضه بعضاً) (1) . وأنّهم كثيراً ما أخذوا بروايات رجالها ضعفاء ، فمثلاً أنّهم عملوا بقوله صلي الله عليه وآله « علي اليد ما اخذت حتّي توديه » (2) علي رغم ضعف سندها وانحصارها بسمرة بن جندب .

هذا كلّه بصرف النظر عن أنّ هناك جمّاً غفيراً من علماء المسلمين - من طوائف الاثني عشرية والاسماعيلية والزيدية - رووا بطرق صحاح وحسان ثبوت الحيلة الثالثة في زمن رسول الله صلي الله عليه وآله وعدم نسخها ، وحينئذ فنحن نري انجبار الروايات الضعيفة بهذه الطرق الصحيحة والحسنة .

ويتأكّد لك سبب ندرة الروايات الدالّة علي الحيلة الثالثة في مدرسة الخلفاء أو تضعيفهم لرواياتها لو سائرت البحث معنا حتّي الفصل الرابع « حيّ علي خير العمل تاريخها السياسي والعقائدي » إذ هناك ستقف علي الاسباب السياسية الكامنة وراء هكذا أمور في الشريعة .

أمّا فيما يتعلّق بالإشكال الثالث من أنّ عمل النبيّ الأكرم هو الحجّة وليس

-
- 1- نصب الراية 1 : 93 عن البيهقي أنّه قال : والآثار الضعيفة إذا ضم بعضها إلي بعض أحدثت قوة فيما اجتمعت فيه من الحكم .
 - 2- مسند أحمد 5 : 8 ، 12 ، 13 ، سنن الدارمي 2 : 264 باب في العارية موداة ، ابن ماجة 2 : 802 باب العارية ، سنن أبي داود 2 : 115 باب في الرقيبي ، سنن الترمذي 2 : 368 باب ما جاء في العارية موداة ، مستدرک الحاكم 2 : 47 ، السنن الكبرى للبيهقي 6 : 90 ، 95 ، 100 ، السنن الكبرى للنسائي 3 : 411 .

عمل الصحابة في المورد المشار إليه ، فليس لنا إشكال في أصل هذا الكلام والمبني ، لكن فيه علي أهل السنة إيرادان : نقضي وحلي ؛ إذ أنك تري أهل السنة يتبعون عمل الصحابة ويجعلونه معياراً لهم في الأحكام الفقهيّة ، ولكنهم اتخذوا موقفاً مضاداً لمنهجيتهم الفقهيّة في مسألة « حيّ علي خير العمل » علي الرغم من دعم عمل الصحابة فيها بالنصوص الكثيرة الصريحة والشواهد التاريخيّة المؤيّدّة لها .

فعلي الرغم من التزام الصحابة ب- « حيّ علي خير العمل » في أذانهم، وعلي رغم كثرة الروايات التي تؤكد شرعيّتها ، تري بعضهم يستثنون حكم هذه المسألة علي ضوء طريقتهم فيقولون : الحجّة - في هذه المسألة بالذات - عمل النبي الأعظم وليس عمل الصحابة ، مع أنّ من بينهم من يقول بأنّ (فعل الصحابيّ يخصّص القرآن) (1) .. وهذا تناقض واضح وصريح من جانبهم !

بينما تراهم في حين آخر يقولون بأنّ فعل الصحابيّ هو علامة أو انعكاس لفعل النبي الأكرم ، ولما كان ثمة خلاف بين فقه عليّ عليه السلام وفقه عمر ، وبين ابن عمر وعمر نفسه ، وبين الصحابة الآخرين فيما بينهم أيضاً ، فإنّ هذا مؤشر يدلّ دلالة واضحة علي وجود مذهبين مختلفين : أحدهما يتبع رسول الله صلي الله عليه وآله والنصوص الواردة ، والآخر يعطي لنفسه الاجتهاد ، ويتعبد بسيرة الشيخين وإن خالفت سنة رسول الله صلي الله عليه وآله .

ولو نقّبت في الكتب وتتبع أقوال المورخين في ابن عمر لوقفت علي أنّ المشهور عندهم أنّه كان يتحرّي آثار النبي الأكرم، وقد سَطَّرت في كتاب « منع تدوين الحديث » ثمان وثلاثون حالة اختلف فيها عبدالله بن عمر مع أبيه .

إذ كان ابن عمر في أغلبها يحاول اتّباع سنّة رسول الله ، لكنّ عمر لم يأبه بكلام ابنه ، ملتزماً برأيه ، عاملاً بالقياس أو الاستحسان وما شابه ذلك ..

فبماذا يُفسَّر إذاً خلاف ابن عمر مع أبيه؟ نحن لا نريد بكلامنا هذا القول بأن ابن عمر كان من اتباع نهج التعبد المحض، أو أنه لا يجتهد مقابل النص، لكن الصبغة الغالبة عليه هي شهرته بتحري آثار رسول الله واتباع سننه لا الاجتهاد والرأي.

ولمّا كان عمر هو الذي أمر بـ « الصلاة خير من النوم »، وهو الذي نهى عن « حيّ علي خير العمل »، كان فعل الصحابة في هذا المورد هو الحاكم وهو الحجّة عندهم بخلاف ما يدعون من أن فعل النبي الأكرم هو الحجّة لا غير.

وبهذا، فقد عرفنا شرعية الأذان بحيّ علي خير العمل، وانه لم ينسخ من قبَل رسول الله صلي الله عليه وآله كما يقولون، وما ذُكر من إشكالات كلّها كانت واهية لا تناهض الأدلة، بل وقفت علي بعض تحريفات الأمويين ومن اتبعوهم من المتزلفين المتزلفين وكيف حرّفوا قول أبي محذورة (فلما انتهيت إلي حيّ علي الفلاح قال النبي صلي الله عليه وآله : ألحق فيها حيّ علي خير العمل)، وأبدلوها بـ (اجعل في آخر أذانك حيّ علي خير العمل) فان هذا الكلام باطل وتحريف صريح للنصوص . لأنّ « ألحق فيها حيّ علي خير العمل » يؤكد علي أن مكان الحيلة الثالثة هو بعد الحيعلتين لا كما تقول الرواية المفتعلة بأنّها في آخر الأذان، فـ « الصلاة خير من النوم » تنفق مع كونها آخر الأذان لتأخر تشريعها، أما الحيلة الثالثة فهي بعد الحيعلتين، إلا أن يقولوا بأن الحيلة الثالثة أو الصلاة خير من النوم - كما في الرواية الاخرى - هو آخر الأذان، مسقطين بذلك التكبير والتهيل عن اخر الأذان وهذا ما لا يقوله أحد .

وعليه فيكون الصحيح الذي يتفق مع فصول الأذان هو ما رواه الحافظ العلوي بإسناده عن ابي محذورة لا ما حرفه الذهبي وابن حجر، فتدبر

القسم الثاني: أذنين الصحابة وأهل البيت

إشارة

إنّ المطالع في كتب السير والتاريخ والحديث عند المذاهب الإسلاميّة يقف علي أسماء عدة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وأهل بيت رسول الله صلي الله عليه وآله كانوا يؤدّون ب- « حيّ علي خير العمل » وإن كانت بعض تلك النصوص تشير إلي تأذنينهم بها في الفجر خاصة، لكنّ هناك نصوصاً أخرى تدل علي شموليتها لجميع الاوقات .

وإليك الآن أسماء بعض من أذن بها للرسول الأكرم، وأسماء بعض كبار الصحابة وأهل بيت النبوة، جننا بها من طرق الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وطرق الزيدية، والإسماعيلية وأهل السنة والجماعة، اعتقاداً منا بضرورة الوقوف علي جميع الطرق عند جميع المذاهب الإسلاميّة، كي لا تكون رؤيتنا ضيقة منحصرة بمذهب دون آخر، بل لتكون شموليّة موسّعة تكشف عن وجهات نظر الجميع .

1 - بلال بن رباح الحبشي (ت 20 هـ)

أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في سننه، بسندهما عن عمّار وعمر ابني حفص بن عمر، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال أنّه كان يؤدّن بالصبح فيقول: « حيّ علي خير العمل »، فأمر النبي أن يجعل مكانها « الصلاة خير من النوم » وترك « حيّ علي خير العمل » (1).

1- المعجم الكبير 1 : 352، السنن الكبرى للبيهقي 1 : 425 مجمع الزوائد 1 : 330 كنز العمال 8 : 345/23188 .

وقد مرَّ عليك قبل قليل كلام الحافظ العلوي وتحققنا في هذه الرواية ، وأن جملة (فأمره النبيّ ...) إلي آخره ، لم تكن في الإسناد الأصلي ، ويؤيّد صحة كلام الحافظ العلوي وروايته ما روي - عندنا - عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال : إنّ بلالاً كان عبداً صالحاً فقال : لا أوذن لأحد بعد رسول الله ، فترك يومئذ « حيّ علي خير العمل » (1).

وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول : إنّ خير أعمالكم الصلاة ، وأمر بلالاً أن يؤذن بحيّ علي خير العمل ؛ حكاها في الشفاء (2) .

وفي كنز العمّال : كان بلال يؤذن بالصبح فيقول « حيّ علي خير العمل » (3) .

2- علي بن أبي طالب (ت 40 هـ)

روي الإمام المؤيد بالله الزبيدي في كتابه شرح التجريد ، من طريق عباد بن يعقوب ، عن عيسى بن عبدالله ، عن أبائه ، عن عليّ عليه السلام أنّه قال : سمعت رسول الله يقول : « إنّ خير أعمالكم الصلاة » وأمر بلالاً أن يؤذن بحيّ علي خير العمل (4) .

وروي الحافظ العلوي بسنده عن عيسى بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أبي عليّ عليه السلام إذا خرج إلي سفر لا يكمل الأذان إلي غيره ولا الإقامة ، وكان لا يدع أن يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل (5) .

-
- 1- من لا يحضره الفقيه 1 : 284 ، وسائل الشيعة 5 : 418 ، ولنا تحقيق عن بلال في الفصل الثاني من هذا الباب فراجع .
 - 2- البحر الزخار 2 : 191 ، وانظر : الشفاء 1 : 260 .
 - 3- كنز العمّال 8 : 342 ، ح 23174 .
 - 4- جواهر الأخبار والآثار 2 : 191 ، الاعتصام بحبل الله المتين 1 : 309 .
 - 5- الأذان بحيّ علي خير العمل : 94 الحديث 74 .

وقد أخرج الحافظ العلوي ذلك بعدة طرق عن الإمام عليّ، منها:

حدّثنا محمّد بن الحسين التيملي قراءة، حدّثنا(1) عليّ بن العباس البجلي، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا حسن بن حسين، عن عمرو بن ثابت، عن محمّد ابن عبدالرحمن، قال: كان ابن النباح يجيء إليّ عليه السلام حين يطلع الفجر فيقول: حيّ علي الصلاة، حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، فيقول عليّ عليه السلام: مرحباً بالقائلين عدلاً، وبالصلاة مرحباً وأهلاً، يا ابن النباح: أقم.

حدّثنا محمّد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمّد بن محمّد بن الحسين(2) في لقائه(3)، أخبرنا محمّد بن القاسم بن زكريا، حدّثنا عبّاد بن يعقوب، أخبرنا عمرو بن ثابت، عن ابن أبي ليلى: بنحوه.

حدّثنا محمّد، أخبرنا محمّد بن عمّار العجلي، حدّثنا عليّ بن محمّد بن حنينة(4)، حدّثنا عبّاد بن يعقوب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي ليلى: بنحوه.

حدّثنا أحمد بن زيد بن بشّار، وعليّ بن محمّد [بن بنان] الشيباني، قال: حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الرّفاء المقرّي، حدّثنا محمّد بن الحسن بن محسن الطريفي، حدّثنا الحسن بن يحيى بن عبد الله، حدّثني أبو بكر بن أبي أويس(5) ابن أخت مالك بن أويس، عن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن عليّ بن

1- في الاعتصام 1 : 291 : نبأنا .

2- في تحقيق عزّان : بن كنانة وليس فيها (في لقائه) .

3- في الاعتصام : في كتابه .

4- أثبت عزّان في المتن : نُجبة، وقال في الهامش : في ج : حنية وفي ط- : علي بن محمد بن حنينة، والصواب ما أثبتته، انظر : ترجمته في المعجم [الذي أعدّه في آخر الكتاب] . أما في الاعتصام : حبية .

5- أثبت عزّان في المتن بدل اويس « انس » واحال علي ما ترجمه له في المعجم . وهو الموجود في الاعتصام 1 : 292 كذلك وفي آخره الحيلة مرة واحدة .

أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول في أذان الصبح : حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل .

حدّثنا ميمون بن عليّ بن حميد المقرئ، حدّثنا أبو الحسن أحمد بن الحسن بن الحسين بن عيسى العلوي ، حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى ، حدّثنا المغيرة بن محمّد ، حدّثنا إبراهيم بن محمّد وعبدالرحمن (1) حدّثنا عيسى بن عبدالله و(2) محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أبي عليّ عليه السلام إذا خرج إلي سفر لا يكِل الأذان إلي غيره والإقامة (3) ، وكان لا يدع أن يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل .

حدّثنا (4) جعفر بن محمّد الجعفري ومحمّد بن عبدالله بن الحسين ، حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد ، حدّثنا يعقوب بن يوسف الضبي ، حدّثنا أبو جبارة حصين بن المخارق ، عن يعقوب بن عدي ، عن يحيى بن زيد ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام : أنه كان يأمر مؤذنه أن ينادي في أذانه بحيّ علي خير العمل .

حدّثنا (5) أحمد بن محمّد بن إبراهيم قراءةً ، أخبرنا محمّد بن أبي العباس الورّاق ، حدّثنا محمّد بن القاسم بن زكريّا ، [حدّثنا (6)] عبّاد بن يعقوب ، أخبرنا نصر بن مزاحم ، عن سفيان بن إبراهيم الحريري ، عن صباح المزني ، عن سعيد ، عن

-
- 1- في متن عزّان : « بن عبد الرحمن » وقال في الهامش : وفي ط- : إبراهيم بن عبدالرحمن . وهو الموجود في الاعتصام 1 : 292 .
 - 2- في الاعتصام : عبدالله بن محمد .
 - 3- في نسخة عزّان : ولا الإقامة . وهو الموجود في الاعتصام 1 : 292 كذلك .
 - 4- في الاعتصام : أخبرنا .
 - 5- في نسخة عزّان : اخبرنا ، وقد سقط ما قبله .
 - 6- الزيادة من تحقيق عزّان . والاعتصام 1 : 292 .

الأصبغ بن نباتة، قال: جاء مؤذنو عليّ عليه السلام فحيّوه بالصلاة، فقال: مرحباً بالقائلين عدلاً، وبالصلاة مرحباً وأهلاً. فلما تفرق المؤذنون خرج علينا، فقال: حيّ علي الصلاة، حيّ علي الصلاة، حيّ علي الفلاح، حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، حيّ علي خير العمل.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن الحسين قراءة، حدّثنا الحسين بن محمد الفزاري، حدّثنا جعفر بن عبدالله المحمّدي، حدّثنا مصبح بن الهالقان (1)، حدّثنا إبراهيم بن محمد - يعني ابن أبي يحيى - عن جعفر، عن أبيه، [عن جده (2)] قال: كان عليّ عليه السلام يقول في أذانه: حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، وذكر الحديث.

* طريق الإمام الصادق عليه السلام

أخبرنا أبو العباس أحمد بن زيد بن بشّار، وعليّ بن محمد الشيباني، قالا: حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد بن مسلم، حدّثنا عليّ بن العباس وعليّ بن سلامة، حدّثنا بكار بن أحمد، حدّثنا نصر بن مزاحم، عن الثقة إبراهيم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمد عليه السلام: أن عليّاً عليه السلام كان يقول لكل صلاة: حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل.

* طريق إبراهيم بن محمد

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قراءة، أخبرنا محمد بن أبي العباس الوراق في كتابه، حدّثنا محمد بن القاسم، حدّثنا الحسن بن محمد المزني، حدّثنا هارون بن أبي بروة، حدّثني حسين أخي، عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أن عليّاً عليه السلام كان

1- في الاعتصام: الهالقان.

2- الزيادة من الاعتصام.

يقول لكل صلاة: حيّ علي الصلاة حي علي الصلاة، حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، حيّ علي خير العمل (1). العمل.

* طريق الإمام الباقر عليه السلام

أخبرنا محمّد قراءةً، حدّثنا محمّد [قراءة (2)]، حدّثنا حسن، حدّثنا حسين ابن نصر، حدّثنا خالد بن عيسى، عن عاصم بن جميل (3)، عن جعفر، عن أبيه: أن علياً عليه السلام كان يقول في الأذان لكل صلاة: حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة، حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل.

أخبرنا محمّد [بن أحمد (4)]، أخبرنا محمّد [بن أبي العباس (5)]، أخبرنا محمّد [بن القاسم (6)]، حدّثنا حسن [بن محمّد المزني (7)]، حدّثني هارون ابن أبي بردة، عن وهب بن وهب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه [عن جده (8)]: أن علياً عليه السلام كان يُنّي الإقامة كما يُنّي الأذان، وأخبرنا أنه إن أذن في الصباح قال: حيّ علي خير العمل.

أخبرنا (9) أحمد بن زيد بن بشّار، حدّثنا الحسن [بن (10) محمّد الرقا، حدّثنا

- 1- وانظر: الاعتصام 1 : 293 .
- 2- الزيادة من الاعتصام 1 : 293 .
- 3- في تحقيق عزّان : بن حميد الخياط .
- 4- الزيادة من عزّان .
- 5- الزيادة من عزّان .
- 6- الزيادة من عزّان .
- 7- الزيادة من عزّان .
- 8- الزيادة من الاعتصام 1 : 293 .
- 9- في تحقيق عزّان : حدّثنا .
- 10- الزيادة من تحقيق عزّان والاعتصام .

عليّ بن العباس وعليّ بن الحسين بن سلامة، قالوا: حدّثنا بكّار، حدّثنا حسن(1) بن حسين [العُرني]، عن صالح بن أبي الأسود، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان في أذان عليّ عليه السلام: حيّ عليّ خير العمل.

.. حدّثنا ابن النّحاس، حدّثنا عليّ، حدّثنا بكّار بهذا... وقال: كان في الأذان حيّ عليّ خير العمل.

حدّثنا عبدالله بن مخالّد(2) البجلي، أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد، حدّثني أحمد بن يحيى بن المنذر الحجري، حدّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى، حدّثني الحسن بن عليّ الينبعي عن أبيه، قال: سمعت محمّد بن عليّ عليه السلام يؤذن حيّ عليّ خير العمل، فقلت له: أيش هذا الأذان؟ قال: هذا أذان خير البرية بعد النبيّ عليه السلام جدّك

عليّ بن أبي طالب عليه السلام (3).

وجاء في حاشية الدسوقي ما نصه: « كان عليّ عليه السلام يزيد « حيّ عليّ خير العمل » بعد « حيّ عليّ الفلاح » وهو مذهب الشيعة الآن »(4).

ومعني كلامه أنّه عليه السلام لم يزد شيئاً إضافياً عليّ فصول الأذان، بل إنّه كان يأتي بأمر لم يعمل به الخلفاء.

طرق أخرى

وفي الاعتصام بحبل الله: وقد ذكر الفقيه صالح بن الصديق النمازي في شرحه (الانهار علي اثمار الازهار) قال ابن الرفعة من أصحاب الشافعي في مطلبه : قال

1- في الاعتصام : حسين .

2- في الاعتصام 1 : 294 : مجالد .

3- الأذان بحّيّ عليّ خير العمل للحافظ العلوي : 48 - 53 ، وبتحقيق عزّان من ص 92 - 98 . والاعتصام 1 : 294 .

4- حاشية الدسوقي 1 : 193 .

القاضي حسين في التعليق: روي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يقول « حيّ عليّ خير العمل » وبه أخذت الشيعة (1).

وروي الحافظ العلوي من طريق ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : سمعت رسول الله يقول : لمّا انتهى بي إلي سدره المنتهي ، فرأيت من جلال الله ما رأيت ، قال لي : يا محمّد « حيّ عليّ خير العمل » ، قلت : يا رب وما خير العمل ؟ قال : الصلاة قربان أمّتك ... (2)

وعن يحيى بن زيد ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام أنّه كان يأمر مؤذّنه أن ينادي في أذانه بحيّ عليّ خير العمل (3).

وعن حسين بن عبدالله بن ضميرة ، عن جدّه ضميرة ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه كان يقول في أذان الصبح « حيّ عليّ خير العمل حي عليّ خير العمل » (4).

وروت الزيدية عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه : أنّ علياً عليه السلام كان يثني الإقامة كما يثني الأذان ، وأخبرنا أنّه إن أذن في الصبح قال : حيّ عليّ خير العمل .

وعنه أيضاً ، قال : إنّ علياً عليه السلام كان يقول لكل صلاة « حيّ عليّ الفلاح ، حيّ عليّ خير العمل » (5).

وفي من لا يحضره الفقيه : وكان ابن النّبّاح يقول في أذانه : « حيّ عليّ خير العمل حيّ عليّ خير العمل » فإذا رآه عليّ قال : مرحباً بالقائلين عدلاً ، وبالصلاة مرحباً وأهلاً (6).

1- الاعتصام بحبل الله 1 : 308 .

2- الأذان بحيّ عليّ خير العمل للحافظ العلوي : 61 بتحقيق عزّان . والاعتصام بحبل الله 1 : 290 .

3- كتاب الأذان بحيّ عليّ خير العمل : 92 / الحديث 69 ، بتحقيق عزّان .

4- كتاب الأذان بحيّ عليّ خير العمل : 93 / الحديث 73 ، بتحقيق عزّان .

5- الأذان بحيّ عليّ خير العمل : 96 الحديث 77 وقد مرّ آنفاً .

6- من لا يحضره الفقيه 1 : 288 ح / 890 وانظر : كتاب الأذان بحيّ عليّ خير العمل : 94 الحديث 75 .

3 - أبو رافع (كان حياً في عهد الإمام الحسن)

قال الحافظ العلوي : أخبرنا عليّ بن محمّد [إسحاق] (1) الخزاز ، أخبرنا الحسن بن محمّد بن سعيد المقرئ ، حدّثنا الحسن بن حياّس (2) ، حدّثنا محمّد بن سليمان [لوّين] ، حدّثنا شريك ، عن عاصم بن (3) عبيدالله ، عن عليّ ابن الحسين ، عن أبي رافع ، قال : كان النبيّ صلي الله عليه وآله إذا سمع الأذان قال كما يقول ، فإذا بلغ حيّ علي خير العمل قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله (4) .

4 - عقيل بن أبي طالب (ت في خلافة معاوية)

روي الحافظ العلوي بسنده عن عبيدة السلماني : أنّ عقيل بن أبي طالب كان يؤذّن بـ « حيّ علي خير العمل » إلي أن فارق الدنيا (5) .

5 - الحسن بن عليّ بن أبي طالب (ت 50 هـ)

قال القاسم بن محمّد - وهو من أعلام الزيدية - : ذكر في كتاب السنام ما لفظه : الصحيح أنّ الأذان شرع

بحيّ علي خير العمل ؛ لأنّه اتفق علي الأذان به يوم الخندق ، ولأنّه دعاء إلي الصلاة ؛ وقد قال صلي الله عليه وآله : خير أعمالكم الصلاة ، وقد اتفق أيضاً علي أنّ ابن عمر والحسن والحسين عليهما السلام وبالأول جماعة من الصحابة أدنوا به ،

1- الزيادة من الاعتصام 1 : 289 .

2- تحقيق عزّان : حبّاش . وفي الاعتصام 1 : 289 : حبّاش .

3- في الاعتصام 1 : 289 : عن .

4- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 28 ، وبتحقيق عزّان : 55 . الاعتصام 1 : 289 ، وفيما يلي عن الاعتصام 1 : 294 مثله .

5- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 54 ، وتحقيق عزّان : 109 .

حكاه في شرح الموطأ وغيره من كتبهم(1)).

وقد روي الحافظ العلوي عن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن أبي العباس الوراق بحرانة، حدّثنا محمد بن القاسم، حدّثنا حسن بن محمد، حدّثنا محمد بن عليّ الكندي، عن زكريّا بن يحيى، عن عبدالرحمن بن أبي حمّاد، عن يوسف بن يعقوب، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أذاني وأذان آبائي النبيّ صلي الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين .. حيّ عليّ خير العمل(2)).

وفي الاعتصام 1 : 294 عن الأذان للحافظ العلوي: أخبرنا محمد بن طلحة الثعالبي ببغداد، حدّثنا محمد بن عمر الجعابي القاضي، حدّثنا إسحاق بن محمد - يعني ابن مروان - حدّثنا أبي، حدّثنا زيد بن المعدل، حدّثنا عبدالله بن يزداد المرادي، عن النعمان بن قيس، عن عبيدة السلماني قال: كان عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وابن عباس، وعبدالله ابن جعفر، ومحمد ابن الحنفية: يؤذنون إليّ أن فارقوا الدنيا فيقولون: حيّ عليّ خير العمل، ويقولون: لم تزل في الأذان.

6 - أبو محذورة (ت 59 وقيل 79 هـ)

روي محمد بن منصور في كتابه الجامع، بإسناده عن رجال مرضيين، عن أبي محذورة - أحد موذّني رسول الله صلي الله عليه وآله - أنّه قال: أمرني رسول الله صلي الله عليه وآله أن أقول في الأذان « حيّ عليّ خير العمل »(3)).

1- الاعتصام بحبل الله المتين 307 - 313 . وانظر: الروض النضير 1 : 542 .

2- الأذان بحّيّ عليّ خير العمل للحافظ العلوي: 54، وبتحقيق عزّان: 136 الحديث 171 . والاعتصام 1 : 294 .

3- البحر الزخّار 2 : 192، أمالي أحمد بن عيسي 1 : 92، وكذلك ميزان الاعتدال 1 : 139، لسان الميزان 1 : 268 .

وروي محمد بن منصور: أن [أبا] القاسم عليه السلام أمره أن يؤذن ويذكر ذلك [يعني حيّ علي خير العمل] في أذانه، قال: إن رسول الله أمره به؛ هكذا في الشفاء(1).

وأخرج الحافظ العلوي من عدة طرق خير الحيلة الثالثة، منها طريق الحماني أنف الذكر، والأخري:

1 - حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن النحاس(2) قراءة، حدثنا عليّ ابن عباس البجلي، [حدثنا بكار بن أحمد، حدثنا مخول بن إبراهيم، عن(3) محمد بن بكر، عن زياد بن المنذر، قال: حدثني شيخ من أصحابنا، عن رجل حدثه عن أبي محذورة، قال: أمرني رسول الله أن أقول في الأذان: حيّ علي خير العمل(4).]

2 - أخبرنا أحمد بن عليّ بن العطار ومحمد بن الحسين بن عزال قراءة عليهما، قالا: حدثنا عليّ بن أحمد بن عمرو، حدثنا محمد بن المنصور المقري، حدثني أحمد بن عيسى، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود مثله(5).

3 - حدثنا أحمد بن زيد بن يسار، أخبرنا الحسن بن محمد بن سعيد بن مسلم [الرفاء]، حدثنا محمد بن الحسن الأريسي(6)، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا مخول بن إبراهيم، حدثني محمد بن بكر الأرحبي، عن أبي الجارود، قال:

-
- 1- جواهر الأخبار والآثار 2: 191 .
 - 2- في تحقيق عزّان : النّحاس .
 - 3- الزيادة عن تحقيق عزّان : 51 ح 2 .
 - 4- الاعتصام بحبل الله 1 : 284 .
 - 5- علق عزّان : 51 ح 3 اخرجه محمد بن منصور في الامالي 1 : 196 (234 راب الصدع) وفيه : امرني رسول الله ان اقول في الأذان حيّ علي خير العمل ... وانظر : الاعتصام بحبل الله 1 : 284 .
 - 6- في تحقيق عزّان : الاويسي انظر : : 52 ح 4 .

العمل ، حيّ علي خير العمل ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله (1) .

6 - وبهذا الإسناد عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : تأذين من مضى يخالف تأذيتهم (2) اليوم ، وكان أبو محذورة يؤذن علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله فأدركته أنا وهو يؤذن ، وكان يقول في أذانه بين الفلاح والتكبير حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل .

وروي الإمام المؤيد بالله في شرح التجريد من طريق أبي بكر المقري ، قال : حدّثنا الطحاوي الفقيه ، قال : حدّثنا أبو بكر ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، قال : حدّثنا ابن جريج ، قال : حدّثنا عثمان بن السائب (3) ، قال : أخبرني أبي ، عن عبد الملك بن أبي محذورة ، عن أبي محذورة مؤذن النبي ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله : اذْهَبْ فَأُذِّنْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقُلْ : اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ... إلي أن ذكر « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل » (4) . وهو نفس خبر الحافظ

1- في تحقيق عزّان : 53 زيادة ثم ارجع فمد صوتك ب- « الله أكبر » إلي أن تنتهي إلي الشهادتين ، ثم قل : حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وهذه الزيادة موجودة في الاعتصام 1 : 289 كذلك ، وفي أول الأذان تكبيرتان .

2- في الاعتصام 1 : 289 : تأذيتكم .

3- في الاعتصام 1 : 280 : السائب .

4- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 27 وما في مسند المؤيد بالله موجود في معاني الآثار المطبوع ، إلا أنّه سقط منه لفظ « حيّ علي خير العمل » وهو يعني أن المؤيد لم يرو الرواية عن كتاب الطحاوي وإنما رواها عن طريق أبي بكر المقري عن الطحاوي ، وقد تابعه العباس بن أحمد بن محمود الرازي كما هو مذكور ، ويقوّيه ما أورد الحافظ المرادي (انظر : حيّ علي خير العمل لمحمد سالم عزّان : 20) . والاعتصام بحبل الله 1 : 280 وفيه علمني رسول الله الأذان كما أودن الآن الله أكبر ، الله أكبر ، وذكر فيها الحيلة الثالثة ، ثم قال : وذكره الهادي بلفظه في الاحكام والمنتخب ، وقال في المنتخب الذي صح لنا عن رسول الله هذا .. وروي في الشفا مثل هذا عن ابن ابي محذورة .

العلوي الا أنّ العلوي رواه عن طريق يونس بن بكر ، حدّثنا ابن وهب ، حدّثني عثمان بن الحكم المدائني ، عن ابن جريج .

وقال الإمام يحيى بن حمزة من أنمة الزيدية في الانتصار : الحجّة التالية ما رواه محمّد بن منصور في كتاب الجامع بإسناده عن رجال مرضيين ، عن أبي محذورة أحد مؤذني رسول الله صلي الله عليه وآله أنّه قال : أمرني رسول الله ...

وقال الإمام محمّد بن المطهّر في المنهاج : ورؤينا أنّ أبا محذورة أمره النبي أن يقول « حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل » .

وروي الحافظ العلوي بإسناده عن طريق يحيى بن حميد الحماني ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن عبدالعزيز بن ربيع ، عن أبي محذورة ، قال : كنت غلاماً صبيّاً فأذنت بين يدي رسول الله لصلاة الفجر ، فلمّا انتهيت إليّ حيّ علي الفلاح ، قال النبي : ألحق بها « حيّ علي خير العمل » (1) .

7 - الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت 61 هـ)

قال القاسم بن محمّد - وهو من أعلام الزيدية - : ذكر في كتاب السنن ما لفظه : الصحيح أنّ الأذان شرّع بحّي عليّ خير العمل ؛ لأنّه اتفق عليّ الأذان به يوم الخندق ، ولأنّه دعاء إليّ الصلاة ؛ وقد قال صلي الله عليه وآله : خير أعمالكم الصلاة ، وقد اتفق أيضاً عليّ أنّ ابن عمر والحسن والحسين عليهما السلام وبلاياً وجماعة من الصحابة أدنوا به ، حكاها في شرح الموطأ وغيره من كتبهم (2) .

وقد روي الحافظ العلوي عن محمّد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا محمّد بن أبي العباس الورّاق بحرّانة ، حدّثنا محمّد بن القاسم ، حدّثنا حسن بن محمّد ، حدّثنا محمّد

1- الأذان بحّي عليّ خير العمل تحقيق عزّان : 50 . والاعتصام 1 : 283 .

2- الاعتصام بحبل الله المتين 307 - 313 . وانظر : الروض النضير 1 : 542 .

بن علي الكندي ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبدالرحمن بن أبي حماد ، عن يوسف بن يعقوب ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أذاني وأذان آبائي النبي صلي الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين : حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل (1).

8 - زيد بن أرقم (ت ما بين 66 إلي 68 هـ)

حكى الشوكاني في نيل الأوطار، عن المحبّ الطبري في إحكام الأحكام : أنّ زيد بن أرقم كان يؤذّن بحيّ علي خير العمل (2).

9 - عبدالله بن عباس (ت ما بين 68 إلي 70 هـ)

روي الحافظ العلوي عن محمّد بن طلحة الثعالبي (3) ببغداد ، حدّثنا محمّد ابن عمر الجعابي القاضي ، حدّثنا إسحاق بن محمّد - يعني ابن مروان - حدّثنا أبي ، حدّثنا زيد بن المعدلة (4) ، حدّثنا عبدالله بن نزار المرادي ، عن النعمان بن قيس ، عن عبيدة السلماني ، قال : كان عليّ بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وعقيل بن أبي طالب ، وابن عباس ، وعبدالله بن جعفر ، ومحمّد بن الحنفية ، يؤذّنون إليّ أن فارقوا الدنيا ، فيقولون : حيّ علي خير العمل .. ويقولون : لم يزل في الأذان (5).

-
- 1- الأذان للحافظ العلوي: 54 ، وبتحقيق عزّان : 136 الحديث 171 . وقد مرّ عليك في صفحة 215 و 219 ما جاء في الاعتصام عن الحسن والحسين وغيرهم من الطالبين.
 - 2- نيل الاوطار 2 : 44 ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 5 : 283 .
 - 3- بتحقيق عزّان : النعالي .
 - 4- في تحقيق عزّان : المُعدّل .
 - 5- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 54 ، وتحقيق عزّان : 109 وفيه : لم تزل في الأذان .

10 - عبدالله بن عمر (ت 73 وقيل 74 هـ)

اختلفت الروايات عنه، ففي بعضها أنه كان يقول بحَيِّ علي خير العمل دوماً، وفي أخرى أنه كان يقولها أحياناً أو في السفر خاصة . وقد وضَّحنا في كتابنا وضوء النبيّ (البحث الروائي) سرّ مثل هذا الاختلاف في المرويّات، وسيأتي مزيد توضيح إن اقتضى الأمر . فأما الآثار الدالّة علي تأذين ابن عمر بها دوماً، فهي :

1 - عن محمّد بن سيرين ، عن ابن عمر ، أنّه كان يقول ذلك في أذانه(1) .

2 - وفي مصنّف عبدالرزّاق ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن رجل : أنّ ابن عمر كان إذا قال في الأذان « حيّ علي الفلاح » قال « حيّ علي خير العمل » ثمّ يقول : الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله(2) .

3 - وعن زيد بن محمّد ، عن نافع : أنّ ابن عمر كان إذا أدّن قال « حيّ علي خير العمل »(3) .

4 - وعن ابن عون، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أدّن قال « حيّ علي خير العمل » أخرجه المؤيّد بالله(4) .

وقال الحافظ محمّد بن إبراهيم الوزير : وروي ابن حزم في كتاب الإجماع ، عن

1- السنن الكبرى للبيهقي 1 : 425 ، الاعتصام بحبل الله 1 : 308 .

2- المصنّف 1 : 460 / ح 1786 .

3- الاعتصام بحبل الله 1 : 295 . وراب الصدع 1 : 198 وفي الايضاح للقاضي نعمان : 109 و... وفيها بهذا الاسناد [أي الذي مر في الكتب الجعفرية] عن جعفر بن محمد بن نافع ابن عبدالله بن عمر إذا اقام الصلاة فبلغ (حيّ علي الفلاح) قال (حيّ علي خير العمل) .

4- أخرجه المؤيّد بالله في شرح التجريد - مخطوط - من طريق عمّار بن رجاء عن أزهر بن سعد انظر : الأذان بحَيِّ علي خير العمل للحافظ العلوي بتحقيق عزّان : 103 .

ابن عمر أنه كان يقول في أذانه « حيّ علي خير العمل » (1).

ثم قال: وبحث عن هذين الاسنادين في « حيّ علي خير العمل » فوجدتهما صحيحين إلي ابن عمر وزين العابدين (2).

أما الأقوال المشيرة إلي تأذينه بها في بعض الأحيان ، فهي :

1 - مالك بن أنس ، عن نافع: كان ابن عمر أحياناً إذا قال « حيّ علي الفلاح » قال علي إثرها: « حيّ علي خير العمل » (3).

2 - عن الليث بن سعد ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر لا يؤذّن في سفره ، وكان يقول : « حيّ علي الفلاح » وأحياناً « حيّ علي خير العمل » . ورواه محمّد بن سيرين عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك في أذانه ، وكذلك رواه نسير بن ذعلوق عن ابن عمر وقال : في السفر (4).

3 - وعن عبيدالله والليث بن سعد ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه « حيّ علي خير العمل » (5) ورواه أيضاً عطاء عن ابن عمر (6).

4 - عبدالرزاق ، عن ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان يقيم الصلاة في السفر يقولها مرّتين أو ثلاثاً يقول « حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة ، حيّ علي خير العمل » (7).

1- انظر : مراتب الإجماع ، لابن حزم : 27 .

2- الروض النضير 1 : 542 وانظر : الأحكام لابن حزم 4 : 593 ، ومقدمة الأذان بحيّ علي خير العمل بتحقيق عزّان : 14 .

3- السنن الكبرى للبيهقي 1 : 424 ؛ الاعتصام بحبل الله 1 : 297 ، 308 ، 312 .

4- السنن الكبرى للبيهقي 1 : 424 - 425 ، وانظر : مصنف بن أبي شيبة 1 : 196 .

5- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي 3 : 497 .

6- السنن الكبرى للبيهقي 1 : 424 ، الاعتصام بحبل الله 1 : 299 ، 310 .

7- مصنّف عبدالرزاق 1 : 464 / ح 1797 .

قال ابن حزم: ولقد كان يلزم من يقول بمثل هذا عن الصاحب - فمثل هذا لا يقال بالرأي - أن يأخذ بقول ابن عمر هذا، فهو عنه ثابت بأصح إسناد (1).

وروي الحافظ زين الدين العراقي عن الإمام علاء الدين مغلطاي في كتاب (التلويح شرح الجامع الصحيح) أنه قال ما لفظه: أمّا حيّ علي خير العمل فذكر ابن حزم أنه صحّ عن عبدالله بن عمر، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف انهما كانا يقولان في أذانهما حيّ علي خير العمل. وقال مغلطاي: وكان عليّ بن الحسين يقولها (2).

وقال المحقق الجلال: وصحّ ابن دقيق العيد وغيره أن ابن عمر وعليّ بن الحسين ثبتا علي التأذين بها إلي أن ماتا (3).

وفي المختصر من شرح ابن دقيق العيد علي العمدة ما لفظه: وقد صحّ بالسند الصحيح أن زين العابدين وعبدالله بن عمر أذنا بحيّ علي خير العمل إلي أن ماتا (4).

وإليك الآن بعض الطرق التي ذكرها الحافظ العلوي في كتابه الأذان بحيّ علي خير العمل، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب.

* زيد عن نافع

أخبرنا أبو الطيّب محمّد بن الحسين التيملي قراءة، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عليّ بن مهدي العطار، حدّثنا قاسم بن وهب التميمي، حدّثنا قاسم أبو بكر البجلي، حدّثنا إسماعيل بن هارون الخزاز، عن عاصم العمري، عن زيد بن محمّد ابن (5) نافع: أن ابن عمر كان إذا أذن قال: حيّ علي خير العمل.

1- المحلي 3 : 160 - 161 .

2- الروض النضير 1 : 541 . والاعتصام بحبل الله 1 : 311 .

3- ضوء النهار 1 : 468 .

4- الروض النضير 1 : 542 .

5- في الاعتصام : عن .

* محمد بن عجلان عن نافع

حدَّثنا محمد بن حميد بن محمد [بن الحسين] (1) بن حميد اللخمي ، حدَّثنا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمي القاري ، حدَّثنا موسى بن إسحاق ، حدَّثنا منجاب (2) بن الحارث ، عن علي بن شهر (3) ، عن حاتم ، عن محمد بن عجلان ، عن نافع ، قال : سمعت ابن عمر يقول : حيّ علي خير العمل .

حدَّثنا الحسين بن محمد بن الحسن المقرئ ، حدَّثنا علي بن الحسين بن يعقوب ، حدَّثنا علي بن أحمد بن حاتم ، حدَّثنا محمد [بن أحمد] (4) بن مروان ، حدَّثنا عثمان بن سعيد ، عن (5) حاتم ، بن إسماعيل ، عن محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يقول : حيّ علي خير العمل .

حدَّثنا عبدالله بن بشر بن مخالدا (6) البجلي ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد ، حدَّثنا أحمد بن يحيى بن المنذر الحجري ، حدَّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى ، حدَّثني أبو بكر بن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يؤذّن فيقول : حيّ علي خير العمل ، ويقول : كانت في الأذان ، فخاف عمر أن يتكل (7) الناس عن الجهاد .

أخبرنا محمد بن طلحة الثعالبي البغدادي ببغداد ، وكتبه أبي بخطه ، حدَّثنا

-
- 1- الزيادة من الاعتصام .
 - 2- في الاعتصام 1 : 296 : منجّاب ، وضبطه في الهامش : بكسر النميم وسكون النون وفتح الجيم التيمي ، أبو محمد الكوفي .
 - 3- في الاعتصام : مسهر .
 - 4- الزيادة من الاعتصام .
 - 5- في الاعتصام : حدَّثنا بدل عن .
 - 6- في الاعتصام : مجالد .
 - 7- في الاعتصام : ينكل .

القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي الحافظ ، حدّثنا حامد بن سعيد بن زهير ، حدّثنا شريح بن يونس ، حدّثنا أبو سعيد الصنعاني ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنّه كان يقول - يعني في أذانه - : [حيّ علي الصلاة] (1) حيّ علي خير العمل .

أخبرني محمد بن طلحة الثعالبي ، حدّثنا محمد بن عمر الجعابي الحافظ ، حدّثنا أحمد المؤمّل ، حدّثنا محمد بن عليّ بن خلف ، حدّثنا إسماعيل بن أبان ، حدّثني ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنّه كان يؤذّن فيقول في أذانه : حيّ علي خير العمل .

وقد رواه أيضاً جعفر بن محمد الطبري عن ابن عمّار ، عن مؤمّل ، عن سفيان ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر .

* مالك بن أنس عن نافع

أخبرنا أبو العباس أحمد بن زيد بن بشار قراءةً ، حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد المقرئ ، حدّثنا جعفر بن محمد الحسن البغدادي ، حدّثنا محمد بن عليّ بن خلف ، حدّثنا عبد الوهّاب بن عطا الجفاف (2) ، أخبرنا مالك بن أنس ، عن نافع : أن ابن عمر كان يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل (3) .

1- الزيادة من الإعتصام 1 : 296 .

2- في الاعتصام : الخفاف .

3- وانظر : الاعتصام 1 : 312 فانه وبعد ذكره اسناد البيهقي الشافعي عن مالك بن أنس عن ابن نافع ... قال : ومن طريقهم إلي الطبري الشافعي في كتابه (غاية الاحكام في احاديث الاحكام) ما لفظه : حديث الحيعلة بحيّ علي خير العمل أخرجه سعيد بن منصور قال الطبري : ورواه ابن حزم في كتاب (الاجماع) عن ابن عمر : أنّه كان يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل . انتهى ما ذكره في التوضيح ، وفي شرح العمدة لابن دقيق العيد .

* ابن عون عن نافع

حدّثنا ميمون بن حميد المقرئ ، أخبرنا إسحاق بن محمد المقرئ ، حدّثنا أبو زيد الحسن بن [محمد بن (1)] السكن التميمي ، حدّثنا جعفر بن محمد السدوسي ، حدّثنا أزهر بن سعدان ، حدّثنا ابن عون ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أذن قال : حيّ علي خير العمل (2) .

حدّثنا حسن بن حسين بن حبيش المقرئ ، أخبرنا أبو العباس محمد ابن أحمد بن مرزوق ، حدّثنا أبو زيد الحسن بن محمد بن السكن : بهذا .

حدّثنا أبي ، حدّثنا علي بن سفيان (3) بن يعقوب الهمداني (4) ، حدّثنا أبو زيد الحسن بن محمد بن السكن : بهذا .

* ابن جريج عن نافع

حدّثنا (5) أبو عمر عبدالواحد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مهدي البغدادي ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الفارسي قراءة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد ، حدّثنا عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، عن ابن جريج ، عن نافع : أن ابن عمر كان يقول : - يعني في الأذان - حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل .

1- الزيادة من الاعتصام .

2- جاء في الاعتصام 1 : 281 قال المؤيد بالله فيه أيضاً : أخبرنا أبو العباس الحسن قال : أخبرنا محمد بن علي الصباغ ، ويوسف بن محمد الكسائي ، وأحمد بن سعيد الثقفي قالوا أخبرنا عمار بن رجا قال : حدّثنا أزهر بن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقول في اذان : حيّ علي خير العمل ، وهو في أصول الاحكام والشفاء .

3- في الاعتصام : شفير .

4- في الاعتصام : الهمداني .

5- في الاعتصام : أخبرنا .

* عثمان بن مقسم عن نافع

أخبرنا محمد بن طلحة التعالبي (1)، حدّثنا محمد بن عمر بن زياد بن عجلان، حدّثنا محمد بن إسماعيل الراشدي، حدّثنا أمية بن الحارث، حدّثنا عثمان بن مقسم، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يقول في أذانه: حيّ علي خير العمل.

* عبيدالله بن عمر عن نافع

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قراءةً، حدّثنا أحمد بن محمد بن الهيثم في كتابه، حدّثنا أبو علي الخراساني، حدّثنا أبو بكر، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا عبيدالله، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه: حيّ علي خير العمل.

أخبرنا محمد (2) بن أبي العباس الورّاق، حدّثنا محمد بن الحسين بن جعفر (3)، حدّثنا عبيدالله [بن إسماعيل القرشي، حدّثنا أبو أسامة، حماد بن أسامة عن عبيدالله] (4)، عن نافع، قال: كان ابن عمر ربّما زاد في أذانه: حيّ علي خير العمل.

أخبرنا عليّ بن محمد الشيباني، ومحمد بن أحمد [بن إبراهيم] (5) قراءةً عليهما، قالوا: أخبر الحسن بن محمد بن إسماعيل بن إسحاق في كتابه، حدّثنا جعفر بن محمد الحسني (6)، حدّثنا عيسى بن مهران، أخبرنا عبدالرحمن بن صالح الأزدي،

1- في الاعتصام: الثعالبي وبعده: حدّثنا محمد بن عمر الجعابي، حدّثنا أحمد بن زياد ابن عجلان، حدّثنا محمد بن إسماعيل الراشدي

...

2- في الاعتصام 1 : 298 أخبرنا محمد، أخبرنا محمد بن العباس .

3- في الاعتصام: حفص .

4- الزيادة من الاعتصام 1 : 298 .

5- الزيادة من الاعتصام .

6- في الاعتصام 1 : 298 الجنبي وقال في الهامش: بفتح الجيم وسكون النون بعدها موحدة اسمه عمرو بن هاشم انتهى من الطبقات .

حدّثنا أبو مالك الحسني ، عن عبيدالله بن عمر ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر ربّما قال في أذانه : حيّ علي خير العمل .

* جورية بن أسماء عن نافع

أخبرنا عليّ بن محمّد بن بنان في كتابه، حدّثني ثوبة بن أحمد بن عيسى بن ثوبة بن مهران (1) الأَسدي الموصلي في الكوفة في مجلس السكوني ، حدّثنا أبو يعلي أحمد بن عليّ بن المثنى ، حدّثنا عبدالله (2) بن محمّد بن أسماء ، حدّثنا جورية (3) ، عن نافع : أن ابن عمر كان لا يؤدّن في السفر ولكن يجعلها إقامة ويقول : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل ، مرّتين .

أخبرنا عليّ بن محمّد الشيباني ، أخبرني الحسين بن محمّد الرّفاء ، حدّثني جعفر بن محمّد الحسني ، حدّثنا عيسى بن مهران ، حدّثنا أبو غسان الهذلي ، حدّثنا جورية بن أسماء ، [عن عتبة (4)] ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل ، مرتين .

* يحيى بن أبي كثير عن نافع

أخبرنا عمر بن عبدالواحد بن مهدي البغدادي في كتابه إليّ ، حدّثنا محمّد ابن إسماعيل الفارسي ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبادي (5) ، حدّثنا عبدالرزاق بن همام ، حدّثنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن رجل (6) : أن ابن عمر كان إذا

1- في الاعتصام : بهران .

2- في الاعتصام : عبيدالله .

3- في الاعتصام : جورية .

4- لم توجد في الاعتصام 1 : 298 .

5- في الاعتصام : عباد .

6- لم يذكر اسمه في الأصل ، وقال عزّان : ويبدو أنّه نافع لأنّ الرواية عنه .

قال : في الأذان : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، قال : حيّ علي خير العمل ، ثمّ يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

* عطاء عن ابن عمر

أخبرنا محمّد بن طلحة التغالي ، وكتبه إلي بخطّه ، حدّثنا القاضي محمّد بن عليّ (1) الجعابي الحافظ ، حدّثنا إسحاق بن محمّد - يعني ابن مروان - حدّثنا أبي ، حدّثنا المغيرة بن عبد الله (2) ، عن مقاتل بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عمر : أنه كان يؤذّن بحيّ علي خير العمل ، ثمّ ترك ذلك وقال (3) : أخاف أن يتكل الناس (4) .

11 - جابر بن عبد الله (ت 68 إلي 79 هـ)

قال الحافظ العلوي : أخبرنا محمّد بن جعفر التميمي مناولةً ، أخبرنا عبدالعزيز بن يحيي الجلودي ، حدّثنا محمّد بن سهل ، حدّثنا عمر بن عبد الجبار ، حدّثنا أبي ، حدّثنا عليّ بن جعفر ، عن أبيه ، عن جده ، عن جابر ، قال : كان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله يقول المؤذّن بعد قوله « حيّ علي الفلاح » « حيّ علي خير العمل » ، فلمّا كان عمر بن الخطاب في خلافته نهى عنه كراهة أن يُنكّل عن الجهاد (5) ؟

- 1- في الاعتصام : عمر .
- 2- في الاعتصام : عبيد الله .
- 3- القائل عمر بن الخطاب .
- 4- الأذان بحيّ علي خير العمل للحافظ العلوي : 55 - 62 . وانظر : الطريق الأخير في صفحة 25 من الكتاب نفسه وبتحقيق عزّان من صفحة : 100 - 108 .
- 5- الأذان بحيّ علي خير العمل للحافظ العلوي : 30 ، والاعتصام 1 : 291 .

12 - عبدالله بن جعفر (ت 80 وقيل 90 هـ)

روي الحافظ العلوي بسنده عن عبيدة السلماني : أن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب كان يؤذّن بـ « حيّ علي خير العمل » إلي أن فارق الدنيا (1).

13 - محمد بن علي بن أبي طالب (ت ما بين 73 - 93 هـ)

روي الحافظ العلوي من طريق علي بن حزور ، عن محمد بن بشر ، قال : جاء رجل إلي محمد بن الحنفية ، فقال له : بلغنا أنّ الأذان إنّما هو رؤيا رآها رجل من الأنصار ، فقصّها علي رسول الله ، فأمر بلالاً فأذّن بتلك الرؤيا ! فقال له محمد بن الحنفية : إنّما يقول بهذا الجاهل من الناس ، إنّ أمر الأذان أعظم من ذلك ، إنّ لما أسري برسول الله صلي الله عليه وآله سمع ملكاً يقول : « الله أكبر الله أكبر » فقال عزّ وجلّ : أنا كذلك أنا الأكبر لا شيء أكبر مني ، إلي أن قال :

ثمّ قال : « حيّ علي خير العمل » ، فقال الله : هي أزكي الأعمال عندي وأحبّها إليّ (2) .

وروي الحافظ العلوي من طريق عبيدة السلماني ، عن محمد بن الحنفية أنّه كان يؤذّن إلي أن فارق الدنيا فيقول : « حيّ علي خير العمل » (3) .

14 - أنس بن مالك (ت ما بين 91 إلي 93 هـ)

قال الحافظ العلوي : أخبرنا أبو الطيّب أحمد بن محمد بن بنان ، أخبرنا الحسن

1- الأذان للحافظ العلوي : 54 ، وتحقيق عزّان : 109 . والاعتصام 1 : 294 .

2- الأذان بحّي علي خير العمل : 57 بتحقيق عزّان ، والخبر طويل اقتطفنا منه بعض المقاطع . والاعتصام بحبل الله 1 : 285 . وانظر الايضاح للقاضي نعمان : 105 .

3- الأذان بحّي علي خير العمل بتحقيق عزّان : 109 الحديث 107 .

بن محمد بن الحسن الشكري ، حدّثني أبو عبدالله الحسن (1) بن محمد بن سعيد ببغداد ، حدّثنا محمد بن الغيصي (2) بدمشق ، حدّثنا إبراهيم بن عبدالله ، حدّثني عمّي عبدالرزاق الإمام ، عن معمر بن (3) ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله : بينا أنا نائم إذ أتاني جبريل فهمزني برجله فاستيقظت ، فلم أر شيئاً ، ثم أتاني الثانية فهمزني فاستيقظت فأخذ بضبعي ، فجعلني في شيء كوكر الطير ، فما أطرفت بصري [طرفة] حتّي رجعت إلي الأرض ، فأتي بي مكاناً ، فقال [لي : أتدري أين أنت ؟ فقلت : لا يا جبريل ، فقال : هذا بيت المقدس ، بيت الله الأقصى ، إلي (4) المحشر والمنشر ؛ ثم قام جبريل فجعل سبابته اليمنى في أذنه اليمنى ، وأذن مثني مثني ، يقول في أحدها (5) : « حيّ علي خير العمل » حتّي إذا مضى (6) أذانه أقام الصلاة مثني مثني ، وقال في آخرها : « قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة » ، فبرق نور من السماء ، ففتحت به قبور الأنبياء ، فأقبلوا من كلّ أوب يلبّون دعوة جبريل ، فوافي أربعة آلاف نبي وأربعمائة وأربعة عشر نبياً ، وأخذوا مصافهم ، ولا أشك أنّ جبريل سيقدّمنا ، فلمّا استوّوا في مصافهم أخذ جبريل بضبعي فقال لي : تقدّم يا محمد فصلّ ياخوانك ، فالخاتم أولي من المختوم ، وذكر بقية الحديث ... (7)

- 1- في الاعتصام 1 : 288 : الحسين .
- 2- في الاعتصام : الفيض .
- 3- في الاعتصام : عن .
- 4- في الاعتصام : إليه .
- 5- في الاعتصام : وقال في آخرها .
- 6- في الاعتصام : قضى .
- 7- الأذان بحّي علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 26 . والاعتصام 1 : 288 - 289 .

15 - علي بن الحسين بن علي (ت 94 هـ)

جاء في مصنف ابن أبي شيبة وسنن البيهقي ومصادر أخرى ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر ، عن أبيه ، ومسلم بن أبي مريم : إنَّ علي بن الحسين عليه السلام كان يؤذَنُ فإذا بلغ : « حيَّ علي الفلاح » قال : « حيَّ علي خير العمل » ويقول : هو الأذان الأوَّل (1).

وقال الحلبي في سيرته : ونقل عن ابن عمر وعلي بن الحسين أنَّهما كانا يقولان في أذانيهما بعد « حيَّ علي الفلاح » ، « حيَّ علي خير العمل » (2).

وجاء في الاعتصام بحبل الله : ... ومن شرح المختصر لابن دقيق العيد علي العمدة ما لفظه : وقد صح بالسند الصحيح أن زين العابدين وعبدالله بن عمر أذنا بحيي علي خير العمل إلي أن ماتا (3).

وقد أخرج الحافظ العلوي من عدة طرق أذان علي بن الحسين رواية وإجازة :

* حديث حاتم عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين .

أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن النخاس قراءة ، حدَّثنا علي بن العباس البجلي ، حدَّثنا بكَّار بن أحمد ، حدَّثنا حسن بن حسين ، عن حاتم بن إسماعيل ،

1- مصنف ابن أبي شيبة 1 : 195 والنص عنه ، السنن الكبرى للبيهقي 1 : 425 ، الاعتصام بحبل الله 1 : 299 ، 308 ، 31 وغيرهما . مسند زيد بن علي : 83 عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنَّه كان يقول ... نحوه .

2- السيرة الحلبية 2 : 305 باب الأذان ، المحلّي 3 : 160 ، وفيه وقد صح عن ابن عمر وأبي امامة بن سهل بن حنيف أنهم كانوا ... دعائم الاسلام 1 : 145 ، جواهر الأخبار والآثار للصعدي 2 : 192 .

3- الاعتصام بحبل الله 1 : 312 .

عن جعفر، عن أبيه: أن علي بن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ: «حيّ علي الفلاح» قال: «حيّ علي خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأول(1).

حدّثنا محمد بن عبدالله الجعفي ومحمد بن الحسين بن غزال، قالوا: حدّثنا محمد بن عمّار بن محمد العجلي العطار لفظاً، حدّثنا الحسين بن الحكم الحبري، حدّثنا جندل بن [الف] (2)، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، [عن] (3) علي بن الحسين: أنه كان إذا بلغ في أذانه «حيّ علي الفلاح» كان يقول: «حيّ علي خير العمل»، وكان يقول: هو الأذان الأول(4).

حدّثنا ميمون، حدّثنا علي بن حميد المقرئ(5)، أخبرنا إسحاق بن محمد النجار المقرئ، حدّثنا أبو زيد الحسن بن السكن التميمي، حدّثنا جعفر بن محمد السدوسي(6)، حدّثنا حاتم بن إسماعيل المدني(7)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان علي بن الحسين إذا أذن قال: «حيّ علي خير العمل»، ويقول: هو الأذان الأول:

1- الاعتصام 1 : 287 .

2- في تحقيق عزّان : والق .

3- في تحقيق عزّان : أن .

4- أخرجه ابن أبي شيبة 1 : 195 ح 2239 عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه ومن طريق مسلم بن أبي مريم عن علي بن الحسين وأخرجه البيهقي 1 : 425 من طريق موسى بن دواد عن حاتم به . والاعتصام 1 : 287 . وفي الإيضاح للقاضي نعمان : 108 وفي الكتب الجعفرية من رواية ابن علي محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي عن أبي الحسن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عن أبيه : ان علي بن الحسين

5- في الاعتصام 1 : 287 حدّثنا ميمون بن حميد ، أخبرنا إسحاق بن محمد المقرئ حدّثنا أبو زيد .

6- في الاعتصام 1 : 287 الدوسي .

7- في الاعتصام : المدني .

حدَّثنا حسن بن حسين بن حبيش المقرئ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن [مرزقي] (1) المقرئ ، حدَّثنا أبو زيد الحسن بن السكن : بمثله .

حدَّثنا أبي رضي الله عنه ، حدَّثنا محمد بن الحسين [(2) بن سعيد الأزدي ، حدَّثنا عبدالله بن زيدان ، حدَّثنا محمد بن ثوبة] (3) ، حدَّثنا حفص الهلالي عن حاتم المدني (4) ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، قال : ذُكر عنده « حيّ علي خير العمل » ، قال : كان أذان الناس الأوّل .

حدَّثنا جعفر بن محمد الحسن ، حدَّثنا عيسى بن مهران ، أخبرنا العبد الصالح مخول بن إبراهيم ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر ، عن أبيه ، قال : كان علي بن الحسين يزيد في أذانه ، إذا قال : « حيّ علي الفلاح » قال : « حيّ علي خير العمل » . ويقول : يا بُنيّ ، هو الأذان الأوّل .

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا أحمد بن محمد الكندي ، حدَّثنا أبو علي الخراساني ، حدَّثنا أبو بكر عبدالله بن محمد العباسي ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل المدني ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، ومسلم بن أبي مريم : أنّ علي بن الحسين كان يؤذن ، فإذا بلغ « حيّ علي الفلاح » ، قال : « حيّ علي خير العمل » . ويقول : [هو] الأذان الأوّل ، يعني أذان النبي صلي الله عليه وآله .

[وفيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب ، عن أحمد بن محمد بن سعيد] (5) .

حدَّثنا جعفر بن علي بن نجيح ، حدَّثنا أبو غسان ، حدَّثنا حاتم ، عن جعفر ابن

1- في تحقيق عزّان : المرزوقي .

2- الزيادة من الاعتصام 1 : 287 ، وفي تحقيق عزّان : الحسن .

3- في الاعتصام 1 : 287 : بن نوار .

4- في الاعتصام : المدني .

5- الزيادة من الاعتصام 1 : 300 .

محمد ، [عن أبيه] (1) ومسلم بن أبي مریم : أن علي بن الحسين كان يؤذن ، فإذا بلغ « حي علي الفلاح » قال : « حي علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأول .

[وفيما أجاز لي جعفر بن محمد بن حاجب ، عن أحمد بن محمد بن سعيد] (2)، حدّثنا محمد بن أحمد بن النضر ، حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، قال : كان يؤذن فإذا بلغ « حي علي الفلاح » قال : « حي علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأول .

حدّثنا الحسين بن محمد بن الحسن المقرئ ، حدّثنا مسلم التميمي ، حدّثنا جعفر بن محمد الأزدي (3)، حدّثنا محمد بن جميل ، حدّثنا إبراهيم - يعني ابن محمد بن ميمون - عن حاتم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، ومسلم بن أبي مریم : أن علي بن الحسين كان يؤذن ، فإذا بلغ « حي علي الفلاح » قال : « حي علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأول .

حدّثنا علي بن محمد بن بنان ، حدّثنا الحسن بن محمد السكوني ، حدّثنا الحضرمي ، حدّثنا محمد بن عبيد النحاس ، حدّثنا حاتم ، عن جعفر ، عن أبيه ، ومسلم بن أبي مریم : أن علي بن الحسين كان يؤذن ، فإذا بلغ « حي علي الصلاة » ، « حي علي الفلاح » قال : « حي علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأول .

أخبرنا أحمد بن زيد بن بشار ، حدّثنا الحسن بن محمد الرقا ، حدّثنا جعفر ابن محمد الأزدي (4)، حدّثنا محمد بن جميل ، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون ، وحدّثنا حاتم : بمثله .

1- من الاعتصام 1 : 300 .

2- الزيادة من الاعتصام .

3- في الاعتصام 1 : 301 : الاودي .

4- في الاعتصام 1 : 301 : الاودي .

حدّثنا محمّد بن أحمد بن عبد الله قراءةً، أخبرنا [أحمد بن (1)] محمّد بن هارون في كتابه إليّ، أخبرنا محمّد بن الحسين بن حفص، حدّثنا محمّد بن عبيد، حدّثنا حاتم، حدّثنا جعفر بن محمّد، عن أبيه، ومسلم بن أبي مريم: أن عليّ بن الحسين كان يؤذن، فإذا بلغ « حيّ عليّ الفلاح » قال: « حيّ عليّ خير العمل »، ويقول: هو الأذان الأول، يعني أذان النبيّ صلي الله عليه وآله.

أخبرنا محمّد بن أحمد قراءةً، أخبرنا محمّد بن أحمد بن هارون في كتابه إليّ (2)، أخبرنا محمّد بن القاسم بن زكريا، حدّثنا حسن بن عبد الواحد، حدّثنا محمّد بن عليّ الكندي، حدّثنا زكريا بن يحيى، حدّثنا عبدالرحمن بن أبي حمّاد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، أخبرني جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ ابن الحسين عليه السلام، قال: الأذان الأول - يعني أذان النبيّ صلي الله عليه وآله - « حيّ عليّ خير العمل »، وكان عليّ بن الحسين يقوله في أذانه.

[قال وفيما أجاز لي جعفر بن محمّد بن حاجب، عن أحمد بن محمّد بن سعيد] (3)، حدّثنا الحسن بن عليّ بن بويغ (4)، حدّثنا إسماعيل بن أبان، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، ومسلم بن أبي مريم: أن عليّ بن الحسين كان إذا بلغ « حيّ عليّ الفلاح » قال: « حيّ عليّ خير العمل »، ويقول: هو الأذان الأوّل.

أخبرنا زيد بن جعفر بن حاجب في كتابه إليّ، حدّثنا محمّد بن أحمد بن عليّ بن

1- الزيادة من الاعتصام.

2- ليس في الاعتصام 1 : 301 إليّ.

3- الزيادة من الاعتصام 1 : 302.

4- وفي الاعتصام 1 : 302 : برقع وقال في الهامش: المشهور في كتب الحديث بزيع ياء ثم زاي ثم غين معجمة وفي نسخة برقع انتهى عن هامش الاصل.

الوليد ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن عبيد المقرّي ، حدّثنا عبّاد بن يعقوب ، أخبرنا حاتم ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، ومسلم بن أبي مريم : أن عليّ بن الحسين كان يؤذن ، فإذا بلغ « حيّ علي الفلاح » قال : « حيّ علي خير العمل » : ويقول هو الأذان الأوّل .

أخبرنا عليّ بن محمّد بن بنان ، حدّثنا ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة بن مهران ، حدّثنا عليّ بن الحسين المستملي ، وجماعة ، قالوا : حدّثنا جعفر بن محمّد الغرباني (1) ، حدّثنا قتيبة بن سعد ، حدّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر ابن محمّد ، عن أبيه ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأوّل .

حدّثنا زيد بن حاجب ، حدّثنا محمّد بن عمّار ، حدّثنا الحسين بن الحكم ، حدّثنا جندل بن والف (2) ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر ، عن أبيه ، وعن ابن أبي مريم : عن عليّ بن الحسين : أنه كان إذا بلغ في أذانه « حيّ علي الفلاح » قال : كان يقول : « حيّ علي خير العمل » ، وكان يقول : هو الأذان الأوّل .

* يحيي بن العلي عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين (3) .

أخبرنا محمّد بن الحسين بن النحاس قراءةً ، [حدّثنا] عليّ بن العباس البجلي ، حدّثنا بكّار بن أحمد ، حدّثنا الحسن بن حسين وسعيد بن عثمان ، عن أبي يحيي بن العلي (4) ، عن جعفر ، عن أبيه ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : « حيّ علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأوّل .

1- في الاعتصام 1 : 302 : الفرياني .

2- في الاعتصام 1 : 302 : والقي .

3- هذا السطر كتب بالاسود في الاعتصام .

4- في الاعتصام : حسن بن حسين ، وسعيد بن عثمان عن يحيي بن العلاء .

حدّثنا محمّد بن الحسين بن غزال ، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عمّار العطار ، حدّثنا جعفر بن عليّ بن نجيج ، حدّثنا حسن بن حسين ، عن يحيى بن العلي (1) ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : « حيّ علي خير العمل » ، ويقول : هو الأذان الأوّل .

* عبدالله بكير وعمرو بن جميع عن جعفر عن علي بن الحسين .

أخبرنا محمّد بن الحسين بن النّحاس قراءةً ، حدّثنا عليّ بن العباس البجلي ، حدّثنا بكار ، حدّثنا حسن بن حسين ، حدّثنا عبدالله بن بكير ، وعمرو بن جميع ، عن جعفر ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول : « حيّ علي خير العمل » بعد « حيّ علي الفلاح » .

* حسين بن مخارق عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام

أخبرنا محمّد بن عبدالله الجعفي قراءةً ، حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد ابن سعيد ، أخبرنا يعقوب بن يوسف بن زياد الضبّي ، حدّثنا أبو جُنادة حُصين ابن مخارق ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه : أن عليّ بن الحسين كان يقول : في أذانه : حيّ علي خير العمل ، مرّتين .

* سفيان بن السمط عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده .

حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسين الخزّار ، حدّثنا عليّ بن الحسين بن يعقوب ، حدّثنا أحمد بن عيسى العجلي العطار ، حدّثنا جعفر بن عنبسة الإشكري ، حدّثنا أحمد بن عمر البجلي ، حدّثنا سلام بن عبدالله الهاشمي ، عن سفيان بن السمط ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : أوّل من أذن في السماء جبريل حين أسري بالنبيّ صلي الله عليه وآله فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، فذكره إلي قوله : « حيّ علي خير

العمل ، حيّ علي خير العمل » ، فقالت الملائكة : أمر القوم بخير العمل ، وأقام الصلاة ، وقال جبريل : يا محمّد ، إن الله أمرنا بالسجود لأبيك آدم فلسنا نتقدم ولده ، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّي بالملائكة (1) .

* مندل بن علي عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين .

[ومما أجاز لي جعفر بن محمّد بن حاجب بروايته عن أحمد بن محمّد بن سعيد [(2)] ، حدّثنا أحمد بن يوسف ، وأخبرني مندل بن محمّد ، قالاً : حدّثنا الحسين بن محمّد ، حدّثنا مندل بن [(3)] عليّ - واسمه عمرو بن عليّ - القرني (4)] ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه : أن عليّاً - وهو عليّ بن الحسين - كان يقول : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل .

* غياث بن إبراهيم بن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين .

أخبرنا جعفر بن محمّد بن حاجب إجازةً ، عن أحمد بن سعيد ، حدّثني محمّد بن الفضل ، حدّثني أبي ، حدّثنا غياث ، عن جعفر ، عن أبيه : أن عليّ ابن الحسين كان إذا أذن قال : حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل .. يقول : أي بني هذا الأذان الأول - يعني [أذان النبي] (5) - حتّي نهي عنه عمر .

* عن عبد الله بن سنان عن جعفر عن عليّ بن الحسين عليهما السلام

أخبرنا جعفر بن محمّد بن حاجب إجازةً ، عن أبي العباس بن سعيد ، حدّثنا

1- الاعتصام 1 : 285 ، 304 .

2- الاعتصام 1 : 304 .

3- الزيادة من الاعتصام .

4- في الاعتصام : العنزي .

5- الزيادة من الاعتصام 1 : 304 .

الحسن بن جعفر بن مدرار ، حدّثنا عمي طاهر بن مدرار ، حدّثنا عبدالله بن سنان ، عن جعفر بن محمّد ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل ، ويقول : هو الأذان الأوّل .

* محمّد بن مسلم عن جعفر عن عليّ بن الحسين عليهما السلام

فيما أجاز لي جعفر بن محمّد بن حاجب ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد ، حدّثني الحسن بن جعفر بن مدرار ، حدّثنا العلاء بن رزين ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل .

* محمّد بن عبدالله بن عليّ بن الحسين عن جعفر .

فيما أجاز لي جعفر بن محمّد بن حاجب ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد ، أخبرني جعفر بن محمّد بن عمر قراءةً ، حدّثني عبدالله بن جميل ، حدّثني عبدالله بن محمّد - يعني ابن عبدالله بن عليّ بن الحسين - عن أبيه ، عن جعفر ابن محمّد ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل .

* أبو العباس بن الفضل بن عبدالملك السقّاف عن جعفر بن محمّد .

فيما أجاز لي جعفر بن محمّد بن حاجب ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد ، حدّثنا الحسن بن القاسم ، حدّثنا عبدالله بن صالح ، حدّثني داود بن حصين ، عن أبي العباس ، عن أبي عبدالله ، قال : كان عليّ بن الحسين يقول في الأذان : حيّ علي خير العمل .

* أبو مريم عبدالغفار بن القاسم الأنصاري عن جعفر بن محمّد .

أخبرنا محمّد بن أحمد بن إبراهيم قراءةً ، أخبرنا محمّد بن محمّد بن هارون في كتابه ، حدّثنا محمّد بن القاسم بن زكريا ، حدّثنا حسن بن عبدالواحد ، حدّثنا حسن بن سعيد ، حدّثنا أبي ، حدّثنا أبو مريم ، حدّثنا جعفر ابن محمّد ، عن عليّ بن

الحسين: أنه كان يقول إذا أذن: حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، ويجعل في آخر أذانه وإقامته «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله»

* عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن أبي جعفر عن عليّ بن الحسين .

حدّثنا عبدالله بن مخالّد بن بشر البجليّ، أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد، حدّثنا أحمد بن يحيى بن المنذر الحجريّ، حدّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى، حدّثني أبيّ، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين وأبي جعفر: أنّهما كانا يؤذنان: حيّ عليّ خير العمل .

* أبو الجارود زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن عليّ بن الحسين .

أخبرنا أبو الطيب محمّد بن الحسين بن النّحاس قراءةً، حدّثنا عليّ بن العباس، حدّثنا بكّار (1)، حدّثنا نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، قال: سمعت أبيّ بن الحسين يؤذّن: «حيّ عليّ الفلاح حيّ عليّ خير العمل» في الأذان والإقامة .

حدّثنا أحمد بن زيد بن بشار، حدّثنا الحسن بن محمّد الرّفّا، حدّثنا جعفر ابن محمّد الأزديّ، حدّثنا محمّد بن جميل، حدّثنا نصر بن بنحوه .

حدّثنا محمّد بن عبدالله ومحمّد بن الحسين بن غزال، قالوا: حدّثنا (2) الحسين بن محمّد [بن (3) الفرزدق، حدّثنا جعفر بن عبدالله المحمّديّ، حدّثنا محمّد بن صلة (4)]

1- الاعتصام 1 : 286 وفيه : بكار بن أحمد بن أحمد، حدّثنا عليّ بن أبي حنيفة ومخول ابن إبراهيم قالوا : حدّثنا محمد بن بكر عن زياد بن المنذر قال : سمعت أبا جعفر يقول كان أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول إذا أذن : حيّ علي الفلاح، حيّ عليّ خير العمل، قال : وكانت من الأذان، وكان عمر لما خاف أن يتشبّط الناس عن الجهاد ويتكلوا؛ امرهم فكفوا عنها .

2- في الاعتصام 1 : 304 : أخبرنا .

3- الزيادة من الاعتصام 1 : 305 .

4- في الاعتصام : جيلة .

الطحان، حدّثنا محمّد بن بكر الأرحبي وعكرمة بن يزيد الأحمسي، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبي عليّ ابن الحسين (1) إذا قال: «حيّ علي الفلاح» قال: «حيّ علي خير العمل»، وكان في الأذان الأوّل، وكان عمر لما خاف أن يتشبّط الناس عن الجهاد ويتكلوا علي الصلاة أمرهم أن يكفوا عنها (2).

حدّثنا أحمد بن عليّ العطار ومحمّد بن الحسن (3) بن غزال قراءةً عليهما، قال: حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو، حدّثنا محمّد بن منصور، حدّثني أحمد ابن عيسى، عن محمّد بن بكر، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان عليّ بن الحسين إذا قال: «حيّ علي الفلاح» [حيّ علي الفلاح]، قال: «حيّ علي خير العمل» [حيّ علي خير العمل] (4)، وكان في الأذان فأمرهم عمر أن يكفوا عنها مخافة أن يتشبّط الناس عن الجهاد ويتكلوا علي الصلاة.

حدّثنا أحمد بن زيد بن بشّار، حدّثنا الحسن بن محمّد الرقّاء المقرّي، حدّثنا جعفر بن محمّد الأزدي (5)، حدّثنا محمّد بن جميل، حدّثنا محمّد بن جبلة، عن محمّد بن بكر، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبي عليّ بن الحسين إذا قال: «حيّ علي الفلاح، حيّ علي الفلاح»، قال: «حيّ علي خير العمل، حيّ علي خير العمل»، قال: وكان في الأذان، وكان عمر لما خاف أن يتشبّط الناس عن الجهاد، ويتكلوا علي الصلاة، أمرهم يكفوا عنها.

1- في الاعتصام: أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر يقول كان أبي عليّ بن الحسين ...

2- الاعتصام 1: 287، 305.

3- في الاعتصام 1: 286: حسين.

4- الزيادة من الاعتصام 1: 281 وبدل: ان يكفوا عنها (فكفوا عنها).

5- في الاعتصام 1: 305: الاودي.

حدّثنا حسين بن محمّد البجلي ، حدّثنا محمّد بن [مسلم (1)] بن محمّد بن مسلم التميمي ، حدّثنا جعفر بن محمّد الأزدي (2) ، حدّثنا محمّد بن جميل : بمثله .

16 - أبو أمامة بن سهل بن حنيف (ت 100 هـ)

ذكر المحبّ الطبري - إمام الشافعية في عصره - في كتابه المسمّى ب- (إحكام الأحكام) ما لفظه : ذكر الحيلة بحيّ علي خير العمل عن صدقة بن يسار عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنّه كان إذا أدّن قال : « حيّ علي خير العمل » . أخرجه سعيد بن منصور (3) .

وروي الحافظ العلوي من طريق صدقة بن يسار ، قال : كنت فيما بين مكّة [والمدينة] فصحبت رجلاً - صحبته سائر يومي لم أدر من هو - فإذا هو أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، فسمعتة يؤدّن في أذانه « حيّ علي خير العمل » (4) .

وفي الاعتصام بحبل الله ، عن الأذان للعلوي : حدّثنا محمّد ، أخبرنا محمّد ابن أبي العباس من كتابه ، قال : حدّثنا محمّد بن القاسم ، حدّثنا حسن بن محمّد ، حدّثنا حرب بن حسن المحاربي ، حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن صدق ابن يسار المكي ، قال : صحبت ذات يوم أبا امامة بن سهل بن حنيف ، قال : فقال سائر القوم ابن بدري ، قال : فحضرت الصلاة : فسمعتة يقول في أذانه : حيّ علي خير العمل ، خير علي خير العمل (5) .

1- لا توجد هذه الزيادة في الاعتصام 1 : 305 .

2- في الاعتصام 1 : 305 : الاودي .

3- الاعتصام بحبل الله 1 : 309 ، 311 ، الروض النضير 1 : 541 ، دلائل الصدق 3 : 100 .

4- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 55 بثلاثة طرق ، وصفحه 112 بتحقيق عزّان . والاعتصام بحبل الله 1 : 295 .

5- الاعتصام 1 : 295 .

وروي البيهقي: أن ذكر «حيّ علي خير العمل» في الأذان رُوي عن أبي أمامة [ابن سهل بن حنيف] (1).

وقد مرّ عليك كلام علاء الدين المتقي في كتاب التلويح في شرح الجامع الصحيح: وأما «حيّ علي خير العمل» فذكر ابن حزم أنه قد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهم كانوا يقولون في أذانهم «حيّ علي خير العمل».

وما أضافه صاحب التلويح علي قوله هذا: وكان عليّ بن الحسين يقولها (2).

وكلام ابن حزم: قد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أنهم كانوا يقولون في أذانهم «حيّ علي خير العمل» (3).

17 - محمد بن عليّ الباقر (ت 114 هـ)

روي الحافظ العلوي بسنده عن أحمد بن عيسى، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر [الباقر] قال: كان أبي عليّ بن الحسين إذا قال: «حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح» قال: «حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل»، قال: وكانت في الأذان فأمرهم عمر أن يكفّوا عنها مخافة أن يتبّط الناس عن الجهاد ويتكلوا علي الصلاة (4).

1- سنن البيهقي 1: 425. وانظر فتح الباري لابن رجب 3: 417 عنه.

2- انظر: دلائل الصدق 3: 100، والاعتصام بحبل الله 1: 311، والمحلي 3: 160.

3- المحلي 3: 160.

4- انظر: كتاب الأذان بحيّ علي خير العمل: 22، وبتحقيق عزّان: 114 الحديث 113 وفيه الحيعلتين مرّة مرّة، وفي ص 21 عن زياد بن المنذر، ورأب الصدع للمراذي 1: 196 الحديث 235.

وفي الاعتصام عن الأذان للحافظ: أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين التملي قراءة، حدّثنا علي بن العباس البجلي، حدّثنا جعفر بن محمد بن الحسين الزهري، وبكار بن أحمد، قال: حدّثنا حسن بن حسين، عن خالد بن إسماعيل المخزومي، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: كان أبي إذا أذن بالصلاة قال: حيّ علي الفلاح، حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل، حيّ علي خير العمل، ثم يقول: يا بني هذا النداء الأوّل (1).

وروي الحافظ العلوي عن الباقر من اثنين وعشرين طريقاً، منها من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر، قال: أذاني وأذان آبائي - النبي صلي الله عليه وآله، وعليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين - «حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل» (2).

وروي الإمام محمد بن منصور المرادي المقري، عن محمد بن جميل، عن نصر بن مزاحم، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، أنّه كان يقول «حيّ علي خير العمل» في الأذان والإقامة (3).

وقد مر عليك سابقاً ما أخرجه الشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار عن ابن أذينة، عن زرارة والفضيل بن يسار، عن الإمام الباقر تحت عنوان «أهل البيت وبدء الأذان».

1- الاعتصام بحبل الله 1 : 306 .

2- كتاب الأذان بحّي علي خير العمل : 54 ، وبتحقيق عزّان : 131 - 136 .

3- رأب الصدع 1 : 197 الحديث 238 . وانظر : الأذان بحّي علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 78 - 82 ، وبتحقيق عزّان : 132 الحديث 160 .

18 - زيد بن علي (ت 121 هـ)

روي الحافظ العلوي من طريق طيبة بن حيان ، قال : كان زيد بن عليّ يأمر المؤذّن أن يقول في الأذان « حيّ عليّ خير العمل » .

ومن طريق يزيد بن معاوية بن إسحاق ، قال : كنا بجبّانة سالم وقد أمّننا أهل الشام ، فأمر زيد بن عليّ معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أذن ب- « حيّ عليّ خير العمل » (1) .

وروي زيد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، أنّه كان يقول في أذانه : « حيّ عليّ خير العمل حيّ عليّ خير العمل » (2) .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ في كتاب « الأذان بحيّ عليّ خير العمل » : حدّثنا أبو العباس أحمد بن زيد بن بشارة قراءة ، قال : حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد ، حدّثنا الحسن بن محمد الأوسي ، حدّثنا أحمد بن يزيد بن رشد ، حدّثنا أبو معمر سعيد بن جنتم (3) ، قال : سمعت زيد بن عليّ يقول : إن عمر نحيّ من النداء في الأذان : « حيّ عليّ خير العمل » وقد أبلغت العلماء أنّها كان يؤذّن بها رسول الله حتّي قبضه الله عزّ وجلّ إليه ، وكان يؤذّن بها لأبي بكر حتّي مات ، وطرفاً من ولاية عمر حتّي نهى عنها (4) .

1- كتاب الأذان بحيّ عليّ خير العمل ، بتحقيق عزّان : 37 الحديث 172 و 173 .

2- مسند الإمام زيد : 83 .

3- ما في المتن هو طبق نسخة الفضيل ، أما في تحقيق عزّان : حدّثنا أحمد بن زيد بن بشار البيسائي ، حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد الرّفاء ، حدّثنا محمد بن الحسن بن عبد الحميد بن محسن الأوسي ، حدّثنا أحمد بن رشد ، حدّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم قال ...

4- الأذان بحيّ عليّ خير العمل ، للحافظ العلوي : 83 وبتحقيق عزّان : 138 وانظر : مسند الإمام زيد : 93 ثمّ اخرج هذا الخبر برجاله ومعناه ، وفي أمالي أحمد بن عيسى : فأمرني أن أقول : « حيّ عليّ خير العمل » .

19 - يحيى بن زيد بن علي (ت 125 هـ)

قال الحافظ العلوي ، أخبرنا محمد بن الحسين النحاس قراءة ، حدّثنا علي بن العباس البجلي ، حدّثنا بكار بن أحمد الهمداني ، حدّثنا مخول بن إبراهيم ، عن محمد بن بكر الأرحبي ، عن زياد ابن المنذر ، قال : حدّثني حسان ، قال : أدّنت لي يحيى بن زيد بخراسان فأمرني أن أقول « حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل » (1).

أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن علي بن العطار المقري ومحمد بن الحسين بن غزال قراءةً عليهما ، قالوا : حدّثنا علي بن أحمد بن عمرو الجني ، حدّثنا محمد بن منصور المقري ، حدّثني أحمد بن عيسى ، عن محمد بن بكر ، عن أبي الجارود ، عن حسان ، قال : أدّنت لي يحيى بن زيد بخراسان فأمرني أن أقول : « حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل » .

أخبرنا علي بن محمد بن بنان ، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد الرقا ، حدّثنا جعفر بن محمد الحسني ، حدّثنا عيسى بن مهران ، حدّثنا مخول ، حدّثنا صباح المزني ، قال : أدّنت لي يحيى بن زيد بخراسان ، قال : ما زال مؤدّتهم ينادي ب- « حيّ علي خير العمل » حتّى قتل (2) .

-
- 1- الأذان بحّي علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 86 وبتحقيق عزّان : 144 وانظر : أمالي أحمد بن عيسى 1 : 197 الحديث 236 ، وعنه في الاعتصام بحبل الله 1 : 281 ، وانظر الايضاح للقاضي نعمان : 109 كذلك ، ولالإمام المهدي محمد بن المطهر الزيدي في المنهاج الجلي إسناد آخر لهذه الروايات فراجع .
- 2- انظر : كتاب الأذان بحّي علي خير العمل : 87 .

20 - محمد بن زيد بن علي (لم تقف علي وفاته)

قال الحافظ العلوي: حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أخبرنا محمد بن أبي العباس الوراق في كتابه إليّ ، قال : حدّثنا محمد بن قاسم بن وهيب ، عن أحمد بن مفضل ، عن محمد بن زيد بن عليّ ، [قال : تقول] في الأذان مرتين : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمّداً رسول الله أشهد أن محمّداً رسول الله ، حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

حدّثنا عليّ بن محمد بن بنان الشيباني ، أخبرنا عليّ بن الحسين بن يعقوب الهمداني ، حدّثني عليّ بن العباس ، حدّثنا قاسم بن وهيب ، حدّثنا أحمد بن مفضل ، قال : سألت محمد بن زيد بن عليّ عن الأذان ، فقال : مرتين مرتين الله أكبر الله أكبر فذكر مثل ما قبله (1).

21 - محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ت 135 هـ)

روي الحافظ العلوي ، عن محمد بن الحسين بن النخاس قراءة ، حدّثنا عليّ ابن العباس ، حدّثنا بكار بن أحمد ، حدّثنا إسماعيل بن أبان ، عن غياث بن إبراهيم ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه : أنه كان يقول في أذانه : « حيّ علي خير العمل » (2).

وجاء في كتاب الاعتصام بحبل الله : وفي شرح التجريد قال : والدليل علي

1- الأذان بحّيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 88 ، وبتحقيق عزّان : 146 ح 184 و 185 .

2- الأذان بحّيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 84 ، وصفحته 138 بتحقيق عزّان .

صحة ما أخبرنا به أبو العباس الحسيني رضي الله عنه ، قال : أخبرنا عليّ بن الحسين الظاهري ، قال : حدّثنا محمّد بن محمّد بن عبدالعزيز ، قال : حدّثنا عباد ابن يعقوب ، قال : أخبرنا عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده عليّ : قال : سمعت رسول الله يقول : (إنّ خير أعمالكم الصلاة) وأمر بلالاً أن يؤذّن بحَيِّ علي خير العمل(1).

قال الحافظ العلوي : أخبرنا أبي رضي الله عنه ، حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن المحمد العطار ، حدّثنا أبي ، حدّثنا الحسن بن يحيى العلوي ، حدّثنا أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبدالله ، عن الحسين بن زيد ، قال : رأيت محمّد ابن عمر بن عليّ بن أبي طالب يؤذّن بحَيِّ علي خير العمل(2).

22 - إبراهيم بن عبدالله بن الحسن (ت 145 هـ)

قال الحافظ العلوي : حدّثنا عبدالله بن محمّد بن هشام ، وأبو القاسم ميمون ابن عليّ المقري ، قال : أخبرنا إسحاق بن محمّد المقري ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك ، قال : حدّثنا عباد بن يعقوب ، حدّثنا سالم الخزاز ، قال : كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن يأمر أصحابه إذا كانوا في البادية يزيدون في الأذان « حيّ علي خير العمل »(3).

حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسن المقري ، حدّثنا عليّ بن الحسين بن يعقوب الهمداني ، حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن وهيب القرشي ، حدّثنا عباد عن سالم ، قال :

1- الاعتصام 1 : 281 عن شرح التجريد .

2- الأذان بحَيِّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 84 ، وصفحه 138 الحديث 175 بتحقيق عزّان .

3- الأذان بحَيِّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 88 ، وبتحقيق عزّان : 147 ح 186 .

كان إبراهيم بن عبدالله يأمرهم إذا كانوا في البادية أن يزدوا في الأذان « حيّ علي خير العمل » (1).

23 - جعفر بن محمد الصادق (ت 148 هـ)

روي الحافظ العلوي من طريق معاوية بن عمّار ، قال : سمعت جعفر بن محمد يقول في الأذان « حيّ علي خير العمل » (2).

وفي الاعتصام بحبل الله عن كتاب الأذان : أخبرنا أبو العباس أحمد بن زيد ابن بشار ، وعليّ بن محمد الشيباني ، قالا : حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد ابن مسلم ، حدّثنا عليّ بن العباس وعليّ بن سلامة ، حدّثنا بكار بن أحمد ، حدّثنا نصر بن مزاحم ، عن الثقة إبراهيم بن أبي يحيى ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام كان يقول لكل صلاة : حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل (3).

ومن طريق عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله ، قال : سألته عن الأذان ، فذكره وقال فيه « حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح » « حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل » (4).

1- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 89 ، وبتحقيق عزّان : 147 ح 187 .

2- كتاب الأذان بحيّ علي خير العمل : 85 .

3- الاعتصام بحبل الله 1 : 293 .

4- كتاب الأذان بحيّ علي خير العمل : 85 . وبتحقيق عزّان : 141 ، ثم قال الحافظ العلوي : وقد روي حديث الأذان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عليهما السلام جماعة قد تقدّم أحاديثهم في باب عليّ بن الحسين . فاستغنيانا عن إعادتها هنا ، منهم : هاني بن إسماعيل المدني ، ومحمد بن عبدالله بن علي بن الحسين ، وعبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، وأبو مريم الأنصاري ، ومندل بن علي العثري ، ويحيى بن العليّ الرازي ، وغيث بن إبراهيم ، وسفيان بن السمط ، وعبدالله بن بكير ، وعمرو بن جميع ، وحسين بن مخارق ، وعبدالله بن سنان ، ومحمد بن المسلم ، وأبو العباس ، وخالد بن إسماعيل المخزومي . ورواه عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر عن أبيه عن جدّه جماعة من الثقات منهم : حسن بن حسين المغربي ، ومخول بن إبراهيم ، وأبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ، وإبراهيم بن محمد بن ميمون ، ومحمد بن عبيد النحاس ، وأبو بكر بن أبي شيبه ، وعبدالرحمن بن أبي حمّاد ، وإسماعيل بن أبان ، وجندل بن والف [والقبلي] ، وجعفر بن محمد السدوسي ، وموسي بن داود وقتيبة بن سعيد .

وقد روي هذا الخبر الشيخ الطوسي بإسناده عن النضر، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله [الصادق] في التهذيب(1) والاستبصار(2).

وعن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن حماد بن عثمان، عن إسحاق بن عمار، عن المعلي بن خنيس، قال: سمعتُ أبا عبدالله يؤذّن فقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله صلي الله عليه وآله أشهد أن محمداً رسول الله صلي الله عليه وآله، حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة، حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح، حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله لا إله إلا الله(3).

وعن فضاله، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي وكليب الأسدي؛ جميعاً عن أبي عبدالله أنّه حكى لهما الأذان وفيه: «حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل»(4).

24 - الحسين بن عليّ صاحب فخّ (ت 169 هـ)

كان الحسين يؤذّن بها ويأمر أصحابه بالتأذين بها، قال الحافظ العلوي: أخبرنا محمد بن الحسين بن النحاس قراءة، حدّثنا عليّ بن العباس البجلي، حدّثنا بكّار،

1- التهذيب 2: 59 ح 209.

2- الاستبصار 1: 305 ح 1133.

3- الاستبصار 1: 306 ح 1136. وانظر: التهذيب 2: 61 ح 212.

4- انظر: التهذيب 2: 60 ح 211، والاستبصار 1: 306 ح 1135.

حدّثنا عنّته بن حسين العصافي ، قال : كان حسين بن عليّ صاحب فحّ يقول في أذانه « حيّ علي خير العمل » (1).

وروي أبو الفرج الاصفهاني خبر (صاحب فح) مع الوالي العمري ، وفيه : ان الحسين بن عليّ (صاحب فح) ويحيي بن عبدالله بن الحسن « قتل سنة 175 هـ - في حبس الرشيد » .

وسليمان بن عبدالله بن الحسن « قتل بفح سنة 169 هـ » .

وإدريس بن عبدالله بن الحسن « ت 177 هـ - بالمغرب » .

وعبدالله بن الحسن الافطس « قتل ما بين 170 - 178 هـ » .

وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا .

وعمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن الحسن .

وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ « قتل بفح 169 هـ » .

وعبد الله بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

وجّهوا إليّ فتيان من فتيانهم ومواليهم فاجتمعوا .. ستة وعشرين رجلاً من ولد عليّ ، وعشرة من الحاج ، ونفر من الموالي ، فكانوا جميعاً وراء التّأذين العلني بحّي علي خير العمل (2) .

وسياّتي مزيد كلام عنه وما فعله بالوالي العمري بعد قليل (3) .

1- الأذان بحّي علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 89 ، وبتحقيق عزّان : 148 ح 188 .

2- انظر : مفصل الخبر في الفصل الرابع (حيّ علي خير العمل تأريخها العقائدي والسياسي) ومقاتل الطالبين : 447 / 443 .

3- في الفصل الرابع « حيّ علي خير العمل ، تاريخها السياسي والعقائدي » .

25 - موسى بن جعفر الكاظم (ت 183 هـ)

سيأتي بعد قليل (1) ما رواه الصدوق عنه في العلل عنه عليه السلام وأنه أجاب محمّد بن أبي عمير عن العلة الظاهرة والباطنة ل- « حيّ علي خير العمل » .

26 - علي بن موسى الرضا (ت 203 هـ)

روي الصدوق بإسناده عن الفضل بن شاذان فيما ذكره من العلل عن الرضا عليه السلام في الأذان بالخصوص ، وقال فيما قال :... وإتما هو نداء إلي الصلاة في وسط الأذان ودعاء إلي الفلاح وإلي خير العمل ، وجعل ختم الكلام باسمه كما فتح باسمه (2) .

وروي في العلل وفي عيون أخبار الرضا بأسانيد أخرى قوله « وإتما هو نداء إلي الصلاة ، فجعل النداء إلي الصلاة في وسط الأذان ، فقدّم قبلها أربعاً : التكبيرتين والشهادتين ، وأخر بعدها أربعاً يدعو إلي الفلاح حثّاً علي البرّ والصلاة ، ثم دعا إلي خير العمل مرغباً فيها وفي عملها وفي أدائها ، ثم نادي بالتكبير والتهليل ليتم (3) ... » .

27 - علي بن جعفر بن محمّد بن علي (ت 210 هـ)

قال الحافظ العلوي : حدّثنا أبي رضي الله عنه ، حدّثنا محمّد بن جعفر المُقري ، حدّثنا محمّد بن الحسين الأسناني (4) ، حدّثنا أحمد بن جناب ، عن علي بن جعفر بن محمّد ، قال : قال في الأذان : « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل » (5) .

1- في الفصل الثالث « حيّ علي خير العمل ، دعوة للولاية وبيان لاسباب حذفها » .

2- من لا يحضره الفقيه 1 : 300 ح 914 ، علل الشرائع 1 : 259 .

3- علل الشرائع 1 : 259 / الباب 182 . والنصّ عنه ، عيون أخبار الرضا 2 : 104 . علة تشريع الأذان .

4- في تحقيق عزّان : الاثناني .

5- الأذان بحّي علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 89 ، وبتحقيق عزّان : 149 .

28 - أحمد بن عيسى (ت 247 هـ)

قال الحافظ العلوي : أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن عليّ العطار البجلي ، ومحمد بن عليّ بن الحسين بن غزال الحارثي قراءةً عليهما ، قالوا : حدّثنا علي ابن أحمد بن عمرو الحسني (1) ، حدّثنا محمد بن منصور المقرئ ، قال : سألت أحمد بن عيسى ، قلت : إذا أذنت تقول : « حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل » ؟ قال : نعم .

قلت : في الأذان والإقامة .

قال : نعم ولكنّي أخفيها (2) .

واخري : قلت لأحمد بن عيسى ، تقول إذا أذنت « حيّ علي خير العمل » ؟

قال : نعم .

قلت : في الأذان والإقامة ؟

قال : نعم (3) .

29 - الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ (ت 260 هـ)

قال الحافظ العلوي : أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن عليّ بن الحسن الهذلي قراءةً ، حدّثنا عليّ بن أحمد بن عمرو الحسني ، حدّثنا الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ ، قال : أجمع آل رسول الله صلي الله عليه وآله علي أن يقولوا في الأذان والإقامة : « حيّ علي

1- في تحقيق عزّان : الجبان .

2- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 90 ، وبتحقيق عزّان : 149 الحديث 190 وراب الصدع 1 : 197 الرقم 237 وانظر الايضاح للقاضي نعمان : 109 وفيه معني قوله : (اخفيها) بمعني التقيه لان ذلك هو السنة .

3- المصدر السابق .

خير العمل « وأن ذلك عندهم سنة . وقد سمعنا في الحديث أن الله سبحانه وتعالى بعث ملكاً من السماء إلي الأرض بالأذان وفيه « حيّ علي خير العمل » . ولم يزل النبي صلي الله عليه وآله يؤذّن بحيّ علي خير العمل حتّي قبضه الله ، وكان يؤذّن بها في زمن أبي بكر ، فلمّا ولي عمر قال : دعوا « حيّ علي خير العمل » لئلاّ يشتغل الناس عن الجهاد ، فكان أول من تركها (1) .

وبعد كلّ هذا نقول : لو صحّ النسخ فلماذا نري إصرار بعض الصحابة والتابعين وكلّ أهل البيت علي شرعيّتها وضرورة الإتيان بها ؟

وهل يصح أن ينسخ حكم « حيّ علي خير العمل » ولا يعلمه عبدالله بن عمر وعليّ بن الحسين وأبو أمامة بن سهل بن حنيف سنوات بعد رسول الله ، فلو كان ثمة نسخ لَمَا خَفِيَ عليهم ، وما معني كلام الإمام عليّ بن الحسين : « هذا هو الأذان الاول » ؟ أليس المعنيّ به هو الأذان الأول قبل التحريف ؟

إنّ إجماع أهل البيت وتأذين بعض الصحابه ب- « حيّ علي خير العمل » ليؤكّد شرعيّة الإتيان بها وعدم نسخها .

1- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي : 91 ، وبتحقيق عزّان : 150 الحديث 192 .

القسم الثالث: إجماع العترة

مرّ عليك سابقاً في (تأذين الصحابة وأهل البيت) أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يقول ويأمر مؤذّنه أن يقول: حيّ علي خير العمل.

والمدقق في حديث تشريع الأذان الذي رواه الإمام عليّ عن النبيّ يقف عليّ جزئية «حيّ علي خير العمل» فيه، إذ جاء في حاشية الدسوقي ما نصه:

(كان عليّ يزيد حيّ علي خير العمل بعد حيّ علي الفلاح، وهو مذهب الشيعة الآن) (1).

ومعني كلامه أنّه عليه السلام كان يأتي بأمر أعرض عنه الخلفاء، وهو فعل أبنائه من بعده كذلك حتّى استقرّت السيرة به عند الشيعة؛ للاعتقاد بعدم الفصل بين فعل الإمام عليّ ومذهب الشيعة الآن، لأنّ الشيعة يستقون فقههم وأحكامهم من الإمام عليّ وأبنائه المعصومين عليهم السلام.

وقد روي الحافظ العلوي (أبو عبدالله) بإسناده عن عبيدة السلماني، قال:

كان عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر، ومحمّد بن الحنفية يؤذنون إليّ أن فارقوا الدنيا فيقولون ب- «حيّ علي خير العمل» ويقولون: لم تزل في الأذان (2).

1- حاشية الدسوقي 1 : 193 .

2- الأذان بحيّ علي خير العمل : 109 الحديث 107 ، الاعتصام 1 : 294 .

وعنه كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام قوله :

أذاني وأذان آبائي - عليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين - حيّ علي خير العمل حيّ علي خير العمل (1).

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي في ترجمة عمر بن إبراهيم بن محمّد المتوفي سنة 539 - من أحفاد الإمام زيد الشهيد - نقلاً عن السمعاني أنّه قال :

وكان خشن العيش، صابراً علي الفقر، قانعاً باليسير، سمعته يقول: أنا زيدي المذهب ولكّني أفتي علي مذهب السلطان - يعني أبا حنيفة - إلي أن يقول السمعاني: وكنت أأزّمه طول مقاممي بالكوفة في الكور الخمس، ما سمعت منه طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته، غير أنّي كنت يوماً قاعداً في باب داره وأخرج لي شذرة من مسموعاته وجعلت أفقد فيها حديث الكوفيين فوجدت فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحي علي خير العمل، فأخذته لأطالعه، فأخذه من يدي وقال: هذا لا يصلح لك، له طالب غيرك، ثمّ قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كلّ شيء، فإنّ لكلّ نوع طالباً (2).

فلو جمعت هذا النص مع الذي مر عليك من أنّ زيدا كان يأمر مؤذنه بالحيلة الثالثة عندما يأمن أهل الشام، وكذا من أنّ يحيي بن زيد كان يأمر أصحابه بخراسان أن يحيعلوا فما زال مؤذنه ينادي بها، ومثله كلام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وانه كان يأمر أصحابه - إذا كانوا بالبادية - أن يزدوا في الأذان حيّ علي خير العمل (3).

1- مقدمة الأذان بحيّ علي خير العمل لعزّان: 18 .

2- معجم الادباء 15 : 259 .

3- حيّ علي خير العمل بتحقيق عزّان: 147 ح 186 و 187 .

وما قاله أحمد بن عيسى في جواب من سأله عن التأذين بحَيِّ علي خير العمل؟

قال: نعم، ولكن أُخفيها (1).

فلو جمعت هذه النصوص بعضها إلي بعض لوقفت علي الظروف التي كان يعيشها الطالبون، وهي ظروف لم تكن مؤاتية لإبداء آرائهم، حتَّى تري عمر بن إبراهيم رغم كونه زدياً يفتي علي مذهب السلطان؛ لأن الفقه السائد يومئذ كان فقه أبي حنيفة، فلا يرتضي أن يطلع السمعاني علي الجزء المصحح بالأذان

بحَيِّ علي خير العمل، فيأخذه منه ويقول له: « هذا لا يصلح لك، له طالب غيرك » ثم يعلل سر وجود مثل هذه الكتب والأجزاء مصححة عنده بأنه ينبغي « للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً » لأن عمر بن إبراهيم كان يعرف السمعاني واهتماماته، وقد أشار السمعاني نفسه إلي توجهاته الشخصية بقوله: « ... وجعلت أفتقد فيها حديث الكوفيين فوجدت ... » وفي هذا كفاية لمن أراد التعرف علي ملابسات الشريعة وما دار بين الكوفة والشام والحجاز و.. من التخالف والتضاد.

هذا شيء عن ملابسات (حَيِّ علي خير العمل)، وهي تدلّ علي دور الحكومة بعدم التأذين بها. والآن مع أقوال بعض العلماء عن إجماع العترة علي التأذين بحَيِّ علي خير العمل.

قال الشوكاني في نيل الأوطار: (... والتثويب زيادة ثابتة فالقول بها لازم، والحديث ليس فيه ذكر « حَيِّ علي خير العمل »، وقد ذهبت العترة إلي إثباته وأنه بعد قول المؤذن « حَيِّ علي الفلاح »، قالوا: يقول مرتين: حَيِّ علي خير العمل،

1- حَيِّ علي خير العمل بتحقيق عزّان: 150 ح 190 واخرجه محمد بن منصور في الامالي [لابن عيسى] 1 : 194 رقم 237 قال سألت أحمد ... الخ .

ونسبه المهدي في البحر إلي أحد قولِي الشافعي ، وهو خلاف ما في كتب الشافعية ، فإنّ لم نجد في شيء منها هذه المقالة(1) ، بل خلاف ما في كتب أهل البيت(2) .

قال في الانتصار: إنّ الفقهاء الأربعة لا يختلفون في ذلك ، يعني في أنّ « حيّ علي خير العمل » ليس من ألفاظ الأذان ، وقد أنكر هذه الرواية الإمام عزّ الدين في شرح البحر وغيره ممّن له اطلاع علي كتب الشافعية .

« احتج القائلون بذلك » بما في كتب أهل البيت - كامالي أحمد بن عيسي ، والتجريد ، والأحكام ، وجامع آل محمّد - من إثبات ذلك سنداً إلي رسول الله صلي الله عليه و آله .

قال في الأحكام : وقد صحّ لنا أنّ « حيّ علي خير العمل » كانت علي عهد رسول الله يؤدّن بها ، ولم تُطرح إلّا في زمن عمر . وهكذا قال الحسن بن يحيي ؛ روي ذلك عنه في جامع آل محمّد .

1- يؤيد صحّة كلام المهدي ما قاله القاسم بن محمّد بن عليّ نقلاً عن توضح المسائل للمقري « قد ذكر الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً بالقول به » ، وما قاله الشافعي عن التثويب وأنّه لم يثبت عن ابي محذورة . ولو جمعنا هذين القولين وضممنا أحدهما إلي الآخر لا تضح لنا ما نريد قوله من الملازمة وعدم الفصل بين القول (بحيّ علي خير العمل) وعدم القول (بالصلاة خير من النوم) ، وكذا العكس ، إذ قد ثبت عن ابن عمر تأذينه ب- (حيّ علي خير العمل) وكراهيته للتثويب ، ومثله الأمر بالنسبة إلي الإمام علي ، فالقائل بشرعية « حيّ علي خير العمل » لا يقبل شرعية « الصلاة خير من النوم » ، والقائل بشرعية « الصلاة خير من النوم » ينكر شرعية « حيّ علي خير العمل » ، فإنكار الشافعي للتثويب يرجح المنسوب إليه من القول ب- « حيّ علي خير العمل » . هذا وقد أشار الإمام المهدي أحمد بن يحيي المرتضي (المتوفي 840 هـ-) في البحر الزخار 2 : 191 إلي أنّ أخير قولِي الشافعي هو القول بالحيعة الثالثة وذلك بعد أن اشار إلي إجماع العترة بذلك فقال : (.. العترة جميعاً ، وأخير قولِي الشافعي حيّ علي خير العمل) ، فتامل .

2- هذا قصور أو تقصير من الشوكاني ، فقد عرفت إجماع العترة علي التأذين ب- « حيّ علي خير العمل » ، وكان ينبغي له أن يحقّق في المسألة قبل أن يقطع برأيه هذا .

وبما أخرج البيهقي في سننه الكبرى بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر أنه كان يؤذّن بحَيِّ علي خير العمل أحياناً .

وروي فيها عن عليّ بن الحسين أنه قال : هو الأذان الأوّل .

وروي المحبّ الطبري في أحكامه عن زيد بن أرقم أنه أذّن بذلك ، قال المحبّ الطبري : رواه ابن حزم ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أبي أمامة ابن سهل البدري ، ولم يرو ذلك من طريق غير أهل البيت مرفوعاً ، وقول بعضهم : وقد صحّح ابن حزم والبيهقي والمحبّ الطبري وسعيد بن منصور ثبوت ذلك عن عليّ بن الحسين ... «(1)» .

وجاء في كتاب الاعتصام بحبل الله : ... وفي الجامع الكافي : قال الحسن بن يحيى بن الحسين [بن زيد المتوفّي 260] : أجمع آل رسول الله علي أن يقولوا في الأذان والإقامة (حيّ علي خير العمل) وأن ذلك عندهم سنّة ، قال : وقد سمعنا في الحديث أنّ الله سبحانه بعث ملكاً من السماء إلي الأرض بالأذان ، وفيه : حيّ علي خير العمل .. ولم يزل النبيّ صلي الله عليه وآله يؤذّن بحَيِّ علي خير العمل حتّي قبضه الله إليه ، وكان يؤذّن بها في زمان أبي بكر ، فلما وليّ عمر قال : دعوا حيّ علي خير العمل لا يشتغل الناس عن الجهاد . وكان أوّل من تركها(2) .

وقال الاستاذ عزّان في مقدمة كتاب (الأذان بحَيِّ علي خير العمل) : ... وقال الإمام المؤيّد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (المتوفّي 411 هـ) : ومذهب يحيى - يعني الهادي - وعامة أهل البيت التآذين بحَيِّ علي خير العمل(3) .

وقال القاضي زيد بن محمّد الكلاري - وهو من أتباع المؤيّد بالله ولم يعاصره - :

1- نيل الاوطار 2 : 43 - 44 .

2- الاعتصام بحبل الله 1 : 278 عن الجامع الكافي مخطوط .

3- شرح التجريد مخطوط .

التأذين به - أي بحَيِّ علي خير العمل - إجماع أهل البيت لا يختلفون فيه ، ولم يرد عن أحد منهم منعه وإنكاره ، وإجماعهم عندنا حجة يجب اتباعها (1).

وقال الإمام محمد بن المطهر المتوفي 728 هـ - : ويؤذن بحَيِّ علي خير العمل ، والوجه في ذلك إجماع أهل البيت (2) ...

وقال العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي المتوفي 1048 هـ - : أجمع أهل البيت علي التأذين بحَيِّ علي خير العمل (3).

وقال العلامة الشرفي المتوفي 1055 : وعلي الجملة فهو - أي الأذان بحَيِّ علي خير العمل - إجماع أهل البيت ، وإنما قطعه عمر (4).

وقال العلامة المحقق الحسن بن أحمد الحلال المتوفي 1084 هـ - - بعد أن ذكر اتفاق العترة علي التأذين بحَيِّ علي خير العمل - : وإجماع العترة وعليّ ، وهما معصومان عن تعمد البدعة (5).

وقال شيخنا (6) السيّد العلامة مجد الدين حفظه الله : وقد صحّ إجماع أهل البيت: علي الأذان بحَيِّ علي خير العمل (7).

وذكر في أمالي أحمد بن عيسي : ذهب آل محمد أجمع إلي أثبات حيّ علي خير العمل مرتين في الأذان بعد حيّ علي الفلاح .

1- شرح القاضي زيد للتحرير مخطوط .

2- المنهج الحلي شرح مسند الإمام زيد بن علي 1 : 77 مخطوط .

3- شرح الهداية : 294 .

4- ضياء ذوي الابصار مخطوط 1 : 61 .

5- ضوء النهار 1 : 469 .

6- الكلام لعزّان .

7- المنهج الاقوم في الرفع والضم : 35 .

وفي شرح الأزهار : ومنهما : حيّ علي خير العمل ، يعني أنّ من جملة ألفاظ الأذان والإقامة حيّ علي خير العمل ؛ للأدلة الواردة المشهورة عند أئمة العترة وشيعتهم وأتباعهم وكثير من الأمة المحمدية التي شحنت بها كتبهم .

قال الهادي إلي الحق يحيي بن الحسن في الأحكام : وقد صحّ لنا أن حيّ علي خير العمل كانت علي عهد رسول الله يؤذنون بها ، ولم تُطرح إلا في زمن عمر بن الخطّاب ، فإنه أمر بطرحها وقال : أخاف أن يتكل الناس عليها ويتركوا الجهاد ، وفي المنتخب : وأمّا « حيّ علي خير العمل » فلم تزل علي عهد رسول الله حتّي قبضه الله ، وفي عهد أبي بكر حتّي مات ، وانما تركها عمر وأمر بذلك فقيل له : لم تركتها ؟ فقال : لئلا يتكل الناس عليها ويتركوا الجهاد(1) . انتهى ما قاله عزّان .

وقال الصنعاني : إن صحّ إجماع أهل البيت - يعني علي شرعية حيّ علي خير العمل - فهو حجة ناهضة(2) .

وقال المقبلبي عن أئمة الزيدية : ولو صحّ ما ادعي من وقوع إجماع أهل البيت في ذلك لكان أوضح حجة(3) .

ونحن في الفصل الرابع « حيّ علي خير العمل وتاريخها العقائدي والسياسي » من هذا الباب سنوكّد هذا الإجماع عند أهل البيت ، وعند الشيعة بفرقها الثلاث ، ونوضّح سير هذه المسألة وكيف صارت شعاراً لنهج التبعيد المحض في العصور المتأخرة بعد أن أُذّن بها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله ، وكيف صار حذفها وإبدالها

1- الاحكام 1 : 84 ، شرح الازهار 1 : 223 ، البحر الزخار 2 : 191 ، الأذان للعلوي بتحقيق عزّان : 153 .

2- هذا ما حكاه عزّان في كتابه « حيّ علي خير العمل بين الشرعية والابتداع » : 68 عن كتاب منحة الغفار المطبوع بهامش ضوء النهار .

3- انظر : مقدمة الأذان بحيّ علي خير العمل لعزّان : 17 .

ب- « الصلاة خير من النوم » شعاراً لخصومهم ، وهو دليل قوي علي ما نريد قوله من وقوع الملبسات في هذه الشعيرة الإسلامية .

مؤكدين بأننا بياننا لهذه الأقسام الثلاثة أردنا أن نوضح وجهة نظرنا في جزئية هذا الفصل من فصول الأذان ، ولا نريد أن نحكم آراءنا فوق كلام الباري وأقوال الرسول كما يفعله بعض متعصبي المذاهب الذين يرجحون كلام إمام مذهبهم علي القرآن والسنة المطهرة ، مثل ما فعله الصاوي في حاشيته علي تفسير الجلالين إذ قال :

« ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة ، والحديث الصحيح ، والآية ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ ، وربما آذاه ذلك للكفر ؛ لأنَّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر » (1) .

يستبين ممَّا سبق أنَّ الشيعة لم ينفردوا بهذا القول ، بل هناك نقول عن الشافعي وبعض الأعلام في القول بجزئية « حيّ علي خير العمل » . ومن المفيد أن نقف قليلاً عند هذا الأمر لنؤكد علي صحة ما قلناه من أنَّ هذا الفصل « حيّ علي خير العمل » كان جزءاً من الأذان علي عهد رسول الله إذ أمر النبي مؤذنه بالتأذين به ، لكن المقدرات السياسية بعد رسول الله صلي الله عليه وآله شاءت محوه وإزالته .

وممَّا يؤيد قولنا هذا ما قاله القاسم بن محمد بن عليّ نقلاً عن « توضيح المسائل » لعماد الدين يحيي بن محمد بن حسن بن حميد المقرئ ما لفظه : ومنها إثبات حيّ علي

1- حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين 3 : 10 ط دار احياء التراث العربي ، وقد رد الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي القاضي الأول بالمحكمة الشرعية بدولة قطر علي كلام الصاوي في كتاب أسماه (تنزيه السنة والقرآن عن كونهما مصدر الضلال والكفران) هذا ما قاله العلامة الخليلي مفتي سلطنة عمان في كتابه الحق الدامغ : 10 .

خير العمل ، قال : رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى في بحره عن أخير قولَي الشافعي قال : وقد ذكر الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً بالقول به . وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية إنه كان « حيّ علي خير العمل » من ألفاظ الأذان .

قال الزركشي في كتابه المسمي بالبحر ما لفظه :

«ومنها ما الخلاف فيه موجود [في المدينة] كوجوده في غيرها ، وكان ابن عمر - وهو عميد أهل المدينة - يري أفراد الأذان ويقول فيه « حيّ علي خير العمل » انتهى بلفظه (1) .

إلي أن قال القاضي يحيى بن محمد بن حسن بن حميد [المقري] : فصّح ما رواه الروياني أنّ للشافعي قولاً مشهوراً في إتيان « حيّ علي خير العمل » (2) .

وفي الروض النضير : وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية أنّه كان « حيّ علي خير العمل » من ألفاظ الأذان (3) .

وفي الاعتصام بحبل الله : وروي الإمام السروجي عن شرح الهداية للحنفية أحاديث « حيّ علي خير العمل » بطرق كثيرة (4) .

وبعد هذا اتضح سقم ما انفرد به أهل السنة والجماعة من القول بکراهة الإتيان بحيّ علي خير العمل في الأذان (5) ؛ لأنّ فعل ابن عمر وإن قلنا بعدم دوامه فهو بيان

1- الاعتصام بحبل الله المتين 1 : 307 .

2- الاعتصام بحبل الله 1 : 308 .

3- الروض النضير 1 : 542 .

4- الاعتصام 1 : 311 .

5- انظر المجموع للنووي 3 : 98 .

لجواز الإتيان بها ، وفعل أبي أمامة بن سهل بن حنيف يؤكد جزئيتها وأنها كانت علي عهد النبي صلي الله عليه وآله وكذا تأذين الإمام عليّ وعليّ بن الحسين ، فهو دليل علي مشروعية هذا الفصل ، ويضاف إليها أقوال العلماء فإنّها تدل في أقل التقادير علي عدم حرمة الإتيان بها .

ففي كتاب « الكبير يت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر » علي هامش يواقيت الجواهر للشعراني ، التصريح بعدم الكراهية ، قال فيه [أي الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية] : ما عرفتُ مستند من كره قول المؤذن « حيّ علي خير العمل » فإنّه روي أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله أمر بها يوم حفر الخندق ...

وحكي الشيخ حسن فخر الدين البلستاني عن صاحب (حاشية منهية) من علماء الهند : إنّ ابن تيمية زعم في منهجه علي بدعة « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، فهذا تشدّد منه نحن لا نوافق معه في ذلك (1).

وقال مهمّش مراتب الإجماع ما هذا نصه : فلا يكون هذا - حيّ علي خير العمل - بدعة الروافض كما يزعم ابن تيمية (2) .

وبهذا عرفت أنّ « حيّ علي خير العمل » فصل قد أُذّن به علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله وعمل به الصحابة وأهل البيت ، وذهب بعض الأعلام إلي شرعيته وعدم كراهة الإتيان به .

نعم ، إنّ أتباع النهج الحاكم تركوه ، ولم يرووا فيه إلا القليل ، وقالوا عن الموجود أنّه قد نسخ !؟

1- حاشية منهية : 2 . انظر : كلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 4 : 165 .

2- مراتب الاجماع لابن حزم : 27 ، انظر : منهاج السنة النبوية 6 : 293 - 294 .

هذا وقد تمخض من كل ما سبق أمور :

1 - اتفاق الفريقين علي أصل شرعيتها في عهد رسول الله صلي الله عليه وآله ، وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوي النسخ ، وقد تحدي السيد المرتضي أن يأتوه بالناسخ ، بقوله :

وإنما ادعي أن ذلك نُسَخ ورفِع ، وعلي من ادعي النسخ الدلالة وما يجدها .

2 - ذكرنا في القسم الثاني الدليل الثاني من أدلتنا علي جزئية الحيلة الثالثة وهو فعل الصحابة وأهل البيت ، فذكرنا فيه اسم ثلاثين شخصاً أذنبوا ب- « حيّ علي خير العمل » من الصحابة والتابعين وأهل البيت .

3 - إجماع العترة واتفاق الشيعة بفرقها الثلاث علي الحيلة .

4 - واخيراً ختمنا الكلام عن جزئية الحيلة الثالثة بما حكى عن الشافعي وبعض الاعلام من القول بجزئيتها . وسوف نُثبت لاحقاً - إن شاء الله - وجود ملازمة بين القول ب- « حيّ علي خير العمل » وعدم القول ب- « الصلاة خير من النوم » ؛ لأنّ القائل بشرعية أحدهما لا يقول بشرعية الآخر . وحيث ثبت عن الشافعي رجوعه - في أواخر أيام حياته - عن التثويب لعدم ثبوت صحة حديث أبي محذورة عنده يرجح المنسوب من القول ب- « حيّ علي خير العمل » إليه ، ومثله الكلام عن مالك وغيرهم من الأحناف والمذاهب الأخرى .

الفصل الثاني: حذف الحيلة وامتناع بلال عن التأذين؟

قبل البدء في بيان بحوث هذا الفصل لابد من معرفة معني ما قاله أحد الصادقين (1) فيما رواه عنه أبو بصير ، أنه قال : إن بلالاً كان عبداً صالحاً فقال : لا أُؤدّن لأحد بعد رسول الله صلي الله عليه وآله ، فترك يومئذ « حيّ علي خير العمل » (2) .

ولو ثبت هذا الخبر وصح الحديث لصار زمن سقوط حيّ علي خير العمل من الأذان بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله وفي عهد أبي بكر بالذات ، وهذا يخالف المشهور بين الطالبين والمتفق عليه عند الشيعة الإمامية ، والزيدية ، والاسماعيلية ، فإنهم جميعاً قد أطبقوا علي إسقاطها في عهد عمر بن الخطاب ، فما يعني ما رواه أبو بصير إذاً ؟

الحديث الأنف هو بصدد التعريف ببلال الحبشي مؤدّن رسول الله صلي الله عليه وآله وأنه كان صلب العود شجاعاً في مبادئه ، وعبداً صالحاً ، ومعناه : لو كان بلال مؤدناً في العصور اللاحقة لما ترك حيّ علي خير العمل ؛ وذلك لإيمانه وتقواه وثباته علي العقيدة ، لكن لما ترك بلال - بل اضطرّ إلي ترك - الأذان بعد رسول الله صلي الله عليه وآله كان في ذلك فرصة للآخرين بالزيادة والنقيصة فيه (3) .

ولك الحق أن تسأل عن علّة ترك بلال للأذان بعد رسول الله صلي الله عليه وآله ، وعن الأقوال التي قيلت في ذلك ، وهل يصح حقاً ما نقل عن بلال بأنه طلب من أبي بكر

1- أي الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهم السلام .

2- من لا يحضره الفقيه باب الأذان والإقامة 1 : 184 ح 872 .

3- كزيادة (الصلاة خير من النوم) فيه أو نقيصة (حيّ علي خير العمل) منه .

أن يذهب إلي الشام كي يربط علي ثغور المسلمين ، أو أنه قال : لا أطيق أن أؤذن بعد رسول الله صلي الله عليه وآله ، أو غير ذلك ؟

إنّ الدقّة في معرفة سير الأحداث تفرض علينا أن نقول : إنّ ترك بلال للأذان لم يكن لمجرّد حالة نفسية وردّة فعل تجاه وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله ، لأنّ بلالاً كان أتقي وأورع من أن يترك منصباً نصبه فيه رسول الله صلي الله عليه وآله طيلة حياته ، ذلك لأنّ النبيّ صلي الله عليه وآله لم ينصّب به مؤذناً شخصياً له ، بل أعطاه دور مؤذنّ الإسلام ، فكيف يترك هذا الدور الشريف لمجرّد موت النبيّ صلي الله عليه وآله وهو أعلم الناس بما قاله رسول الله صلي الله عليه وآله في فضل الأذان والمؤذنين .

بل كيف تعقل صياغة عذر ترجيحه للجهد في الشام علي التأذين للمسلمين ، مع أنّ الرسول الأكرم صلي الله عليه وآله أمر المسلمين أن ينضوا تحت لواء أسامة وفيهم أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة ، ومن الثابت أنّ بلالاً كان مستثني من هذا الأمر الجهادي ، حيث أطبق التاريخ والمؤرخون علي أنّه كان عند رسول الله صلي الله عليه وآله يؤذنّ له حتّي آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة ، فكيف ترك التأذين ورجّح الجهاد؟!

إن هذا ما لا يعقل في حق بلال ، خصوصاً وأنّه لم يُعهد عنه اتخاذه موقفاً مرتباً عند موت النبيّ صلي الله عليه وآله كما حدث ذلك لعمر بن الخطّاب(1) ، بل تلقّي الحادث كباقي المسلمين بألم وأسي ، واضعاً نصب عينيه قوله تعالي : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيِ آعْقَابِكُمْ } (2) ، وقوله تعالي : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } (3) .

1- تاريخ الطبري 3 : 202 - 203 في أحداث سنة 11 هـ ، وأسد الغابة 3 : 221 .

2- آل عمران : 144 .

3- الزمر : 30 .

فما قيل في ترك بلال للأذان لمجرد وفاة النبي

صلي الله عليه وآله لا- يمكن الركون إليه بحال من الأ-حوال ، خصوصاً وأنّ بلالاً- لو بقي علي أذانه لكان ذلك أقوى للمسلمين وأثبت لنفوسهم ، حيث يظّلون يعيشون مع الرسول وذكرياته السماوية العطرة ، بل يكون ذلك أبعث للمسلمين علي الجهاد ، لأنّه يذكّرهم بأيام كان ينادي فيها بمحضر النبي بالصلاة جامعة للجهاد والخروج والقتال .

علي أنّنا نري أنّهم يستعوضون عن بلال بسعد القرظ الذي لم يؤذن علي عهد رسول الله إلّا ثلاث مرّات بقاء - ان صح النقل - وأبي محذورة الذي كان يستهزئ بالأذان وبرسول الله(1) ، فلماذا لم يخرج سعد القرظ للجهاد إذا كان الجهاد أفضل من التأذين؟!

وإذا كان بلال قد ترك الأذان لترجيح الجهاد عليه ، فلماذا لا نري له أيّ مشاركة في قتال المرتدين؟! ولماذا لم يرد اسمه مع أبي بكر في حروب الردّة؟ ونحن نعلم بأنّ حروب الردة قد طالت - بين موت النبي صلي الله عليه وآله وبدء فتوح الشام - فاصلة زمنية تقارب سنة(2) أو أقل .

ولماذا لم يؤذن بلال في هذه المدّة لأبي بكر ، إذ كان بوسعه أن يؤذن له ، حتّي إذا بدأت مسيرة جيوش المسلمين للشام تركه واشتغل بالجهاد؟

إنّ بقاء بلال في المدينة ولو فترة قصيرة لم يؤذن فيها لأبي بكر ، إنّما يعني شيئاً؟ فما هو؟ حتّي إذا بدأت الجيوش بالزحف نحو الشام ، خرج بلال - طائعاً أو مكرهاً - إلي الشام وبقي فيها .

1- هذا ما سنوضّحه لك في الباب الثاني من هذه الدراسة « الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة » فانتظر .

2- بدأت حروب الردة بعد أربعين أو ستين يوماً من وفاة النبي ، وانتهت بمقتل مسيلمة في ربيع الاول سنة 12 هـ .

وعليه لا يصحّ التبرير المطروح من ترك بلال الأذانَ ترجيحاً للجهاد عليه ، بل يبدو أنّ هذا العذر والتبرير اختُلِقَ لدعم فكرة حذف الحيعة الثالثة ترجيحاً للجهاد عليها - وهي فكرة عمر بن الخطّاب التي صرّحت بها روايات عديدة - بدعوي أنّ الجهاد - لا الصلاة - هو خير العمل ، ومعني كلامهم أن بلالاً ترك الأذانَ ترجيحاً للجهاد عليه !!

فإذا لم يصح هذا التبرير فلنا أن نقول : إنّ هناك أمراً آخر دعاه إلي اتخاذ هذا الموقف . فما هو ؟

يبدو أنّ وراء ترك بلال للأذان سرّاً كامناً ، لأنّه ترك الأذان بمجرد تسلّم أبي بكر للخلافة ، ويظهر أنّه بقي في المدينة مدّة يسيرة قد لا تتجاوز وقت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله أو تتجاوزها بأيام قلّاتل .

وما قيل من أنّ بلالاً أذن لأبي بكر مدّة خلافته ، ثمّ رجّح الجهاد في زمان عمر فهو شيء لا يصحّ ؛ لأنّ بلالاً كانت له مشاركات في فتوح الشام ، وهذا يعني أنّه كان مع جيوش المسلمين ، وقد تفتّن ابن كثير إلي ذلك قائلاً :

ولمّا توفي رسول الله صلي الله عليه وآله ترك بلال الأذان ، ويقال : أذن للصدّيق أيام خلافته ، ولا يصحّ (1) .

وقد علق النووي في المجموع علي كلام ابن قسيط الذي قال بأن بلالاً كان يسلم علي ابي بكر وعمر في آذانه يقول : وهذا النقل بعيد أو غلط ، فان المشهور المعروف عند أهل العلم بهذا الفن ان بلالاً لم يؤذن لابي بكر ولا عمر وقيل اذن لابي بكر رضي الله عنهم ، ورواية ابن قسيط هذه منقطعه فانه لم يدرك ابا بكر ولا عمر ولا بلالاً رضي الله عنهم (2) .

1- البداية والنهاية 4 : 7/104 احداث سنة عشرين من الهجرة .

2- المجموع 3 : 125 .

وكان امتناع بلال من التأذين لأبي بكر بعد النبي

صلي الله عليه وآله لم يرق لرجال النهج الحاكم ، لأنه تبدو منه معالم معارضته للخلافة الجديدة ، من هنا وضعوا شتي المختلقات لتوجيه عدم تأذينه له ، وكان الأقرب للواقع أنه اضطرّ إلي ترك المدينة متّجهاً نحو الشام ، إذ كانت الشام منفي المعارضين ، وكان ستار الجهاد خير وسيلة لإبعاد المعارضين ، حيث ذهب سعد بن عباد الأنصاري مكرهاً إلي الشام فقتل هناك غيلة ، ونفي في زمان عثمان أبو ذر ومالك الأشر وغيرهما من المعارضين إلي الشام وحبوس معاوية (1) ، ولا يستبعد أن يكون بلال قد رأي - نتيجة ضغوط أبي بكر وعمر عليه كما ستعلم - أن الذهاب إلي الشام أسلم له ، وأبعد عن عيون السلطة .

ويؤكد لنا أن وراء امتناع بلال من التأذين لأبي بكر أمراً مخفياً ، عدم امتناعه من التأذين لأهل البيت ، حيث أذن لفاطمة الزهراء بعد رسول الله صلي الله عليه وآله مرة ، وأذن لولديها الحسن والحسين عليهما السلام مرة أخرى بعد وفاة فاطمة ، وذلك ما لم يختلف فيه المؤرخون وأرباب السير .

روي الصدوق : أنه لما قبض النبي صلي الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان وقال : لا أؤذن لأحد بعد رسول الله

صلي الله عليه وآله ، وإن فاطمة قالت ذات يوم : إنني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي بالأذان ، فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان ، فلما قال : « الله أكبر الله أكبر » ذكرت أباه صلي الله عليه وآله وأيامه فلم تتمالك من البكاء ، فلما بلغ إلي قوله « أشهد أن محمداً رسول الله » شهقت فاطمة شهقةً وسقطت لوجهها وغشي عليها ، فقال الناس

1- تاريخ اليعقوبي 2 : 172 وفيه نفي أبي ذر إلي الشام ، وتاريخ الطبري 4 : 317 - 326 / احداث سنة 33 وذكر فيه تسير عثمان جماعة من أهل الكوفة إلي الشام منهم مالك الأشر .

لبلال : أمسك يا بلال ، فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا ، وظنوا أنّها قد ماتت ، ففَقَطع أذانه ولم يُتَمِّه ، فأفاقت فاطمة وسألته أن يُتَمِّم الأذان فلم يفعل ، وقال لها : يا سيّدة النسوان ، إني أخشي عليك مما تُنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان ، فأعفته عن ذلك (1).

وهذا يدلّ علي وجود بلال في المدينة قبل وفاة الزهراء 2 ، ولم يكن قد خرج منها بعدُ إلي الشام ، وهذا يؤكد أنّ أبا بكر بقي أربعين يوماً (2) - علي أقل التقادير - يدبّر أموره قبل أن يجهز لقتال المرتدين ، وظل يقاتل المرتدين مدّة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد عن سنة قبل أن يسيّر الجيوش التي فتحت الشام بعد أن كان جيش أسامة رجع عن وجهة الشام دون قتال .

وقد علمت أنّ بلالاً لم يشارك في قتال المرتدين ، بل صرّحوا بأنّه أقام في المدينة إلي أن خرجت بعوث الشام (3) .

كان بلال إذاً في المدينة ولم يؤذّن لأبي بكر ، فلماذا لم يؤذّن لأبي بكر؟! إنه تساؤل يفرض نفسه ، ويبحث عن اجابة .

روي إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء ، حدثني أبي محمد بن سليمان ، عن أبيه سليمان بن بلال ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، قال : إنّ بلالاً رأي في منامه النبيّ صلي الله عليه وآله وهو يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما أنّ لك أن تزورني يا بلال؟

1- من لا يحضره الفقيه 1 : 298 / ح 907 ، وانظر : الدرجات الرفيعة : 365 - 366 .

2- وقيل : ستين يوماً ، وقيل سبعين يوماً ، انظر : تاريخ الطبري 3 : 241 ، واليعقوبي 2 : 127 .

3- انظر : كنز العمال 13 : 305 ح 36873 ، مختصر تاريخ دمشق 5 : 265 . بل قال ابن أبي حاتم أنّه خرج إلي الشام في خلافة عمر . انظر : المراسيل : 108 ، وعنه في تهذيب الكمال 17 : 373 .

فانتبه حزينا وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة [من الشام] ، فأتي قبر النبي صلي الله عليه وآله فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه .

فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمّهما ويقبّلهما ، فقالا له : يا بلال ، نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذنه لرسول الله صلي الله عليه وآله في السّحر ، ففعل ، فعلا سطح المسجد ، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلمّا أن قال : « الله أكبر الله أكبر » ارتجت المدينة .

فلما أن قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » زاد تعاجيجها ، فلما أن قال : « أشهد أن محمداً رسول الله » خرج العواتق من خدورهنّ ، فقالوا : أبعث رسول الله صلي الله عليه وآله و آله !؟ فما روي يوماً أكثر باكيةً وبكية بعد رسول الله صلي الله عليه وآله من ذلك اليوم (1) .

لقد ثبت أن بلالاً أذن لفاطمة بعد وفاة رسول الله

صلي الله عليه وآله وقبل خروجه إلي الشام ، وأذن للحسن والحسين بعد وفاة فاطمة عند رجوعه من الشام لزيارة قبر رسول الله صلي الله عليه وآله ، بل روي أنّه كان يرجع كلّ سنة مرّة إلي المدينة فينادي بالأذان للمسلمين إلي أن مات (2) ، فلماذا لم يؤذن للخليفة الأوّل ، ومن بعده للثاني !؟

إنّ حقيقة امتناع بلال من التأذين تتجاوز مسألة ترحيله إلي الشام للمشاركة في الجهاد ، بل إنّ المسألة لتصل إلي معارضته لأصل خلافة أبي بكر وعمر ولأئمة أبي

1- تاريخ دمشق 7 : 136 ترجمة رقم 493 قال : انبأنا أبو محمد بن الاكفاني ، نا عبدالعزیز بن أحمد ، نا تمام بن محمد ، نا محمد بن سليمان ، نا محمد بن الفيض ، نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء ، ثم ذكر باقي الاسناد ، والنص عنه ، ومختصر تاريخ دمشق 4 : 118 ، 5 : 265 ، أسد الغابة 1 : 208 . وانظر : تهذيب الكمال 4 : 289 ، حيث أبدل « الحسن والحسين » ب- « بعض الصحابة » .

2- انظر : الدرجات الرفيعة : 367 ، نقلاً عن كتاب المنتقى .

- كما يبدو - أن يؤذّن لهما بالأذان الذي بُدّل فيه وُغَيّر ، والذي سَخَرُوا له من بعد سعد القرظ مولّي قريش ، الذي ظل مؤذّناً حتّى للحجّاج الثقفّي ، ولم يكن له أيّ دور في المدينة في زمان النبيّ صلي الله عليه وآله .

قال النووي في تهذيب الاسماء : جعل النبيّ صلي الله عليه وآله سعد القرظ مؤذّناً بقباء ، فلما ولي أبو بكر الخلافة وترك بلال الأذان نقله أبو بكر إلي مسجد رسول الله صلي الله عليه وآله ليؤذّن فيه فلم يزل يؤذّن فيه حتّى مات في أيّام الحجّاج بن يوسف الثقفّي ، وتوارث بنوه الأذان . وقيل : الذي نقله عمر بن الخطاب(1) .

ولكنّ بلالاً - مع ذلك لم يمتنع عن التآذين لأهل البيت والمسلمين المخلصين - ولذلك قال جعفر بن محمّد : رحم الله بلالاً فإنّه كان يحبنا أهل البيت(2) - ، بل إنّه امتنع عن التآذين لرجال النهج الحاكم ورؤوس الخلافة وحدهم .

روي الشيخ المفيد بسنده عن الصادق عليه السلام أنّه قال : وكان بلال مؤذّن رسول الله صلي الله عليه وآله ، فلما قبض رسول الله صلي الله عليه وآله لم يزل يؤذّن لأحد من الخلفاء(3) .

1- تهذيب الأسماء 1 : 207 .

2- الاختصاص : 73 . ويدل علي اختصاص بلال بعليّ وأهل البيت وعدم إيمانه بشرعية خلافة أبي بكر ، ما روي في تفسير الحسن العسكري : في ان بلالاً - كان يعظّم أمير المؤمنين عليه السلام ويوقره أضعاف توقيره لأبي بكر ، فقليل له في ذلك مع أنّ أبا بكر كان مولاه الذي اشتراه واعتقه من العذاب ، فأجاب من ذلك بأحسن جواب ، فكان فيما قال : ان حقّ عليّ أعظم من حقه ، لأنّه أنقذني من رق العذاب الذي لو دام عليّ وصبرت عليه لصرت الي جنات عدن ، وعليّ أنقذني من رق العذاب الأبدي ، واوجب لي بموالاتي له وتفضيلي إيّاه نعيم الأبد «تفسير العسكري 621/ ح 365» . هذا وقد بقي بلال إلي آخر لحظات عمره الشريف موالياً لمحمّد وآل محمّد ، وقد ردد قبل موته نفس الشعار الذي رده عمار في صفين من بعد : غداً سنلقي الأحبّة محمّداً وحزبه « مختصر تاريخ دمشق 5 : 267 » .

3- الاختصاص : 73 .

وقال المزي: ويقال: إنه لم يؤذن بعد النبي صلي الله عليه وآله، إلا مرة واحدة، في قدمة قدمها لزيارة قبر النبي صلي الله عليه وآله، وطلب إليه الصحابة ذلك فأذن، ولم يُتم الأذان... (1)

وفي كتاب أصفياء أمير المؤمنين، روي عن ابن أبي البخري، قال: حدّثنا عبدالله بن الحسن: أن بلالاً أبي أن يبايع أبا بكر، وإن عمر جاء وأخذ بتلابيبه، فقال: يا بلال، إن هذا جزاء أبي بكر منك؟! إنه أعتقك فلا تجيء تباعه؟!!

فقال بلال: إن كان أبو بكر أعتقني لله فليدعني له، وإن كان أعتقني لغير ذلك فما أنا ذا (2).

وأما بيعته فما كنت أباع أحداً لم يستخلفه رسول الله، وإن بيعة ابن عمه يوم الغدير في أعناقنا إلي يوم القيامة، فأينا يستطيع أن يبايع علي مولاة؟

فقال له عمر: لا أم لك، لا تقم معنا!

فارتحل إلي الشام (3)...

1- انظر كلام المزي في تهذيب الكمال 4 : 289 ، ومثله ما حكاه الحصني الشامي « ت 829 هـ - » في كتابه دفع الشبه عن الرسول : 182 عن الحافظ عبدالغني المقدسي في كتابه الكمال في ترجمة بلال - وأنه قد قال بهذا القول قبل المزي - . وقد يكون مقصود المزي والمقدسي من جملة « طلب إليه الصحابة » هو طلب الحسن والحسين ، إذ لم يقل أحد بأنه أذن للصحابة علي نحو العموم ، وكذا لا يصح ما قاله بأن بلالاً لم يؤذن بعد النبي إلا مرة واحدة ؛ لثبوت تأذينه لفاطمة الزهراء قبل رحلته إلي الشام .

2- لا يخفي عليك أن رسول الله صلي الله عليه وآله هو الذي اشترى بلالاً وأعتقه ، لكن بواسطة أبي بكر إذ كانت عنده علاقات حسنة مع كفار قريش ولم يكن وترهم .

3- الدرجات الرفيعة : 367 ، عن كتاب أصفياء أمير المؤمنين . وقد روي الوحيد البهبهاني قريباً من هذا في التعليقة (انظر : معجم رجال الحديث 4 : 272) ..

وفي كتاب كامل البهائي - لعماد الدين الطبري (1) - : إن بلالاً امتنع عن بيعه أبي بكر والأذان له (2) .

فعلي هذا يكون بلال قد عارض خلافة أبي بكر ، وامتنع من التأذين له مع بقائه بالمدينة ، لعدم إيمانه بشرعية خلافته ، ولأنه وعمر أرادا منه ما يباه ، خرج إلي الشام مكرهاً لا ترجيحاً للجهد علي منصبه النبوي في التأذين ، ولاردة فعل منه تجاه وفاة الرسول المصطفى صلي الله عليه وآله .

فإن بلالاً لم يبايع لهما ، وبقي معارضاً للغاصبين في صفّ عليّ وغيره من عيون الصحابة ، وقد أذن في هذه المدّة لفاطمة ، وكان علي اتصال بأهل البيت ، ثم إنهم بعد وفاة فاطمة وإجبار عليّ علي البيعة ، ونفي سعد بن عبادة إلي الشام ، وكسرهم سيف الزبير ، ووو... أجبروا بلالاً علي مغادرة المدينة تحت غطاء القتال في جبهات الشام ، وكان قد عاد إلي المدينة لزيارة قبر النبي صلي الله عليه وآله ، فأذن للحسن والحسين .

وبهذا ، فإنّ مختلقة تأذينه لعمر (3) في الجابية بالشام ، قد وضعت للتغطية علي

1- الذي فرغ من تأليفه سنة 675 هـ- ق .

2- الأربعين للماحوزي : 257 ، نقلاً عن كامل البهائي .

3- وضعت روايات مفادها أنّ بلالاً أذن لعمر في الجابية ، وقد وردت بأربعة طرق : أولها : ما رواه الطبري في تاريخه 4 : 65 / أحداث سنة 17 هـ- ، قال : « كتب إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف [بن عمر التميمي] ، عن مجالد عن الشعبي » . وهذا الإسناد فيه سيف بن عمر الوضع المتهّم بالزندقة . ثانيها : ما رواه البيهقي في سننه 1 : 419 ، وابن عساكر في تاريخه 10 : 471 ، والذهبي في سيره 1 : 357 ، وكلها تنتهي إلي « أبي الوليد أحمد بن عبدالرحمن القرشي ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت مالك بن أنس ... » . وهذا الإسناد فيه أحمد بن عبدالرحمن القرشي الذي لم يسمع من الوليد بن مسلم قط ، وكان شبه قاصّ ، وقالوا عنه : لا تقبل شهادته علي تمرتين . ناهيك عن الوليد بن مسلم الذي كان رقاعاً للحديث كثير الخطأ وروي عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل ، وكان رديء التديس . ثالثها : ما ذكره البخاري في التاريخ الصغير والذهبي في سيرة 1 : 357 والنص عن البخاري : « حدّثنا يحيي بن نصر ، حدّثنا قراد ، أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه » . وهذا الإسناد فيه هشام بن سعد الذي ضعفه أحمد بن حنبل وابن سعد ويحيي بن معين والنسائي ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال ابن حبان : كان ممن يقلب الاسانيد وهو لا يفهم ، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم ، وبطل الاحتجاج به . رابعها : ما أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة عن أولاد سعد القرظ . وفي هذا الإسناد أولاد سعد القرظ المجهولون كما مرّ عليك . ولا يفوتك أنّ أولاد سعد القرظ أرادوا التغطية علي نزاع بلال مع الخلفاء الذي أدّي إلي تركه الأذان ، حتّي جاءوا بسعد القرظ فجعلوه بديلاً عن بلال رحمه الله ، واستمرّ التأذين الرسمي في ذريته كما عرفت .

نزاع بلال مع عمر في شأن كيفية توزيع الأراضي المفتوحة وأمثالها ، حيث قام بلال إلى عمر فقال : لتقسمتها أو لتتضاربنّ عليها بالسيف(1) .

ولما أبيع عمر ذلك ، ودعا علي بلال ومن معه بالهلاك(2) ، سأل بلال عمر البقاء في الشام واعتزال باقي الفتوحات ، ففعل ذلك عمر(3) ، فبقي بلال في دمشق إلى أن مات بها .

وقد كان أبو بكر قد أغضب بلالاً في زمن النبي صلي الله عليه وآله ، فأمر النبي أبو بكر أن يترضاه ، قالوا :

مرّ أبو سفيان ببلال وسلمان وصهيب ، فقالوا : ما أخذت سيوفُ الله من عنق هذا بعدُ مأخذها ، فقال أبو بكر الصديق : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدّها؟!

فذهب أبو بكر إلى رسول الله صلي الله عليه وآله فأخبره بذلك ، فقال له النبي صلي الله عليه وآله :

1- السنن الكبرى للبيهقي 6 : 318 .

2- الروض الأنف 6 : 581 ، المبسوط للسرخسي 10 : 16 .

3- اسد الغابة 2 : 79 ، تاريخ دمشق 16 : 21 ، الاصابة 4 : 72 .

يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ، قال : فرجع أبو بكر ، فقال : يا إخوة ، لعلكم غضبتم . قالوا : يغفر الله لك يا أبا بكر (1)!

وقد كان بين بلال وعمر اختلاف في وقت الأذان ، أذي بهم من بعد أن يخلتقوا صحة أذان ابن أم مكتوم الأعمى في الفجر ، مخطئين أذان بلال لعدم تشخيصه الفجر الصادق ، لضعف في بصره!! (2)

روي الأوزاعي أنّ بلالاً أتى عمر بن الخطاب فقال : الصلاة الصلاة ، فردّها عليه ، فقال له عمر : نحنُ أعلمُ بالوقت منك ، فقال له بلال : لأنا أعلم بالوقت منك ، إذ أنت أضلّ من حمار أهلك (3)!

وفي زحمة هذا التضادّ السياسي الفقهي بين بلال من جهة ، وأبي بكر وعمر وأتباعهما من جهة ، يبدو أنّهم طلبوا منه حذف « حيّ علي خير العمل » وإبدالها ب- « الصلاة خير من النوم » ، فرفض بلال ذلك ، ولذلك رفضوا بلالاً ورفضهم ، ونسبوا إلي بلال ضعف البصر واللثغة في اللسان وغيرها من الأمور الجارحة ، وجاءوا بدله بسعد القرظ وأبي محذورة ، ووضعوا أحاديث نسبوها إلي بلال ، وكأنّه أذن ب- « الصلاة خير من النوم » في زمان النبيّ ، مع أنّ الصحيح نسبته إلي بلال عكس ذلك ، فإنّه أذن ب- « حيّ علي خير العمل » لا الصلاة خير من النوم .

علي أنّ بلالاً كان هو أقرب المشاهدين لما واجهوا به النبيّ قبيل وفاته ، وكيف تخلفوا عن جيش أسامة ، وقدّموا أبا بكر للصلاة .

كان بلال علي علم بما يجري من حوله ، ولذلك اعتزل القوم ونجا بدينه وأذانه

1- مختصر تاريخ دمشق 5 : 261 .

2- هذا ما تقف عليه في الباب الثاني من هذه الدراسة : « الصلاة خير من النوم » فراجع .

3- مختصر تاريخ دمشق 5 : 266 - 267 .

الذي رواه لنا أهل البيت عن جبرئيل عن الباري والذي ليس فيه « الصلاة خير من النوم » .

لكنَّ عمر بن الخطاب لما استتبَّ له الأمر ، سعي لتطبيق ما يرحوه ، فحذف الحيلة الثالثة وأبدلها بالصلاة خير من النوم ، وهو الواقع الذي رواه الأعلام من المسلمين :

قال سعد التفتازاني في حاشيته علي شرح العضد ، والقوشجي في شرح مبحث الإمامة وغيرهم : إنَّ عمر بن الخطاب خطب الناس وقال : أيها الناس ، ثلاث كُنَّ علي عهد رسول الله أنا أنهي عنهنَّ وأحرمهنَّ وأعاقب عليهن ، وهي : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحيي علي خير العمل (1) .

وقال الحافظ العلوي : أخبرنا محمَّد بن طلحة النعالي البغدادي ، حدثنا محمَّد بن عمر الجعابي الحافظ ، حدثنا إسحاق بن محمَّد [بن مروان] ، حدثنا أبي ، حدثنا المغيرة بن عبد الله ، عن مقاتل بن سليمان ، عن عطاء ، حدثنا أبي [السائب بن مالك] عن عمر أنه كان يؤذن بحيي علي خير العمل ، ثم ترك ذلك وقال : أخاف أن يتكل الناس (2) .

وجاء في كتاب الاحكام - من كتب الزيدية - : قال يحيي بن الحسين صلوات الله عليه : وقد صحَّ لنا أنَّ « حيي علي خير العمل » كانت علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله يؤذن بها ولم تطرح إلا في زمن عمر بن الخطاب ، فإنه أمر بطرحها وقال : أخاف أن يتكل الناس عليها ، وأمر بإثبات « الصلاة خير من النوم » مكانها .

1- شرح التجريد : 374 ، كنز العرفان 2 : 158 ، الغدير 6 : 213 ، والبياضي في الصراط المستقيم 3 : 277 عن الطبري في المسترشد : 516 .

2- الأذان بحيي علي خير العمل للحافظ العلوي ، بتحقيق عزَّان : 99 ، وانظر : صفحه 63 منه .

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه : والأذان فأصله أن رسول الله صلي الله عليه وآله علّمهُ ليلة المسري ، أرسل الله إليه ملكاً فعلمه إياه ، فأما ما يقول به الجهال من أنّه رؤيا... (1).

وعن نافع ، عن ابن عمر : أنّه كان يؤذن فيقول : حيّ علي خير العمل ، ويقول كانت في الأذان فخاف عمر أن ينكل الناس عن الجهاد .

وعن الباقر قال ، كان أبي عليّ بن الحسين يقول إذا أذن : حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل . قال : وكانت في الأذان ، وكان عمر لمّا خاف ان يتشبث الناس عن الجهاد ويتكلموا ، أمرهم فكفوا عنها(2).

وعن الإمام زيد بن عليّ : أنّه قال : ممّا نقم المسلمون علي عمر أنّه نحي من النداء في الأذان حيّ علي خير العمل ، وقد بلغت العلماء أنّه كان يؤذن بها رسول الله حتّي قبضه الله عزّ وجلّ ، وكان يؤذن بها لأبي بكر حتّي مات ، وطرفاً من ولاية عمر حتّي نهى عنها(3).

وعن جعفر بن محمّد قال : كان في الأذان حيّ علي خير العمل ، فنقصها عمر(4).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : كان الأذان بحيّ علي خير العمل علي عهد رسول الله ، وبه أمروا أيام أبي بكر وصدراً من أيام عمر ، ثمّ أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقبل له في ذلك فقال : إذا سمع الناس أن الصلاة

1- الإحكام 1 : 84 .

2- انظر : الأذان بحيّ علي خير العمل : 79 .

3- الأذان بحيّ علي خير العمل : 29 - 30 وهامش السنه للإمام زيد : 83 .

4- النصوص عن ابن عمر والباقر ، وزيد ، وجعفر بن محمد موجودة في الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي بتحقيق عزّان : 63 .

خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه . وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد ، والعامّة تروي مثل هذا... (1)

وروي القاضي زيد الكلاري في شرح التحرير ، عن الإمام القاسم بن إبراهيم أنّه قال : فأما « حيّ علي خير العمل » فكانت في الأذان ، فسمعتها عمر يوماً فأمر بالإسك فيه عنها وقال : إذا سمعها الناس ضيّعوا الجهاد لموضعها واتكّلوا عليها (2) .

وقال في المنتخب : وأما « حيّ علي خير العمل » فلم تزل علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله حتّي قبضه الله عزّوجلّ ، وفي عهد أبي بكر حتّي مات ، وإئتما تركها عمر وأمر بذلك ، فقيل له : لم تركتها ؟

فقال : لئلا يتكل الناس عليها ويتركوا الجهاد (3) .

وعن الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ ، قال : لم يزل النبيّ صلي الله عليه وآله يؤذن بحيّ علي خير العمل حتّي قبضه الله ، وكان يؤذن بها في زمن أبي بكر ، فلمّا ولي عمر قال : دعوا « حيّ علي خير العمل » لا يشتغل الناس عن الجهاد ، فكان أوّل من تركها (4) .

1- دعائم الإسلام 1 : 142 ، بحار الأنوار 81 : 156 . وجاء في كتاب الايضاح للقاضي نعمان المتوفى 363 هـ - والمطبوع في (ميراث حديث شيعه) 10 : 108 .. فقد ثبت انه اذن بها علي عهد رسول الله حتي توفاه الله تعالي وان عمر اقطعه وقد يزيد الله في فرائض دينه بكتابه وعلي لسان نبيه ما شاء لا شريك له وانا ذاكر ما جاءت به الرواية من الأذان بحي علي خير العمل - وبدأها بهذا الخبر - : في كتب ابن الحسين علي بن فرسند [ورسند] روايته عن احمد عن الحسين عن لولو عن بشر عن ابي جعفر محمد بن علي قال : اسقط عمر من الأذان حي علي خير العمل فنهاه علي فلم ينته .

2- الأذان بحيّ علي خير العمل بتحقيق عزّان : 153 .

3- الأذان بحيّ علي خير العمل بتحقيق عزّان : 153 . وانظر الايضاح للقاضي نعمان : 108 .

4- الأذان بحيّ علي خير العمل ، للحافظ العلوي بتحقيق عزّان : 63 - 64 .

وقال الفضل بن شاذان (المتوفّي 260 هـ -) مخاطباً أهل السنّة : ... ورويتم عن أبي يوسف القاضي - رواه محمّد بن الحسن عن أصحابه - وعن أبي حنيفة ، قالوا : كان الأذان علي عهد رسول الله وعلي عهد أبي بكر وصدراً من خلافة عمر يُنادي فيه « حيّ علي خير العمل » .

فقال عمر بن الخطاب : إني أخاف أن يتكل الناس علي الصلاة إذا قيل : « حيّ علي خير العمل » ويدعوا الجهاد ، فأمر أن يطرح من الأذان « حيّ علي خير العمل » (1) .

إنّ كل هذه النصوص دالّة علي أنّ إسقاط « حيّ علي خير العمل » من الأذان كان في عهد عمر بن الخطّاب ، وأنّ الصحابة كانوا قد أدنوا بها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله ، وعلي عهد أبي بكر ، وصدراً من خلافة عمر ، وأنّ عمر سمعها يوماً فأمر بالإمساك فيها عنها وقال : إذا سمعها الناس ضيّعوا الجهاد .

إنّ عمر نفّد في أثناء تسلّمه أزمّة الأمور ما كان يطمح إليه من حذف « حيّ علي خير العمل » التي كانت في أذان المسلمين ، وقد سمعت أنّ مما نقمه المسلمون علي عمر حذفه « حيّ علي خير العمل » .

ويبدو أنّه لم يتسنّ لعمر أن يحذفها بعد وفاة النبي صلي الله عليه وآله مباشرة وإن حاول ذلك ، وكان الجهاد قائماً علي سوقه أيضاً ، لكنّه نجح في ذلك عند استلامه الخلافة مسكناً المعارضين بالقوة والشدة المعهودتين منه .

ومن هنا تعرف أنّ المقصود من كلمة بلال « لا أوذن لأحد بعد رسول الله » أنّها تعني : أنني لا أوذن لأحد اغتصب الخلافة ظلماً بعد رسول الله ، ومن جدّ في حذف ما يدل علي الإمامة والولاية وإسقاطها من الأذان (2) .

1- الايضاح : 206 وراجع كتاب العلوم 1 : 92 والاعتصام بحبل الله المتين 1 : 296 ، 299 ، 304 .

2- هذا ما سنبحثه في الفصل القادم « حي علي خير العمل دعوة إلي الولاية » .

وبهذا فليس هناك تخالف بين مارواه أبو بصير وما قالته الشيعة - بفرقها الثلاث - وذلك للدور الذي لعبه عمر بن الخطاب إبان عهد الخليفة الأول في رسم الخطوط العامة للحكم الذي يرتضيانه ، إذ أقرّ تلك التطلعات بعد بسط نفوذه في خلافته ، ممّا دعا بلالا الي أن يترك الأذان ويقول : « لا أوذن لأحد بعد رسول الله » .

وخلاصة القول : أنّ الحيلة الثالثة « حيّ علي خير العمل » كانت علي زمن رسول الله صلي الله عليه وآله ، وزمن أبي بكر ، وصدرًا من خلافة عمر ، ثمّ حذفها عمر في أيام حكومته ، وأنّه كان يقصد إلي ذلك منذ حروب الردة ، ثمّ أراد تطبيقها بعد وفاة النبيّ صلي الله عليه وآله ، لكنّه اصطدام بمعارضة بلال مؤذن النبيّ صلي الله عليه وآله الذائع الصييت ، الذي رفض أن يؤذن لرموز الخلافة المغتصبة ، فأبعده وأبدلوه بسعد القرظ ، فتسني لهم ما أرادوا من بعد ، فتمهّدت لهم الأرضية لذلك بعد إقصاء بلال عن منصبه الذي وضعه فيه النبيّ صلي الله عليه وآله . وقد دلّت كلّ النصوص والأحداث التاريخية علي أنّ حذفها كان في حكومة عمر ، ودلّ خبرُ أبي بصير عن أحد الصادقين - الذي صدرنا هذا الفصل به - علي أنّ عمر كان قاصداً هذا القصد من قبل ، ثمّ نفّذه في أيام استخلافه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى - كما ستعرف في الباب الثاني « الصلاة خير من النوم شرعة أم بدعة » - أنّ إضافة « الصلاة خير من النوم » أيضاً كانت من مبتكرات عمر بن الخطاب ، الذي رفع الحيلة الثالثة وجعل مكانها « الصلاة خير من النوم » فسار الأمويون والمجتهدون من بعده علي مساره ، وأحكموا ما ذهب إليه عمر ، حتّي صار في العصور اللاحقة تلازم بين إثبات الحيلة الثالثة ورفض التثويب عند نهج التعبد ، وفي المقابل ثمة تلازم بين حذف الحيلة الثالثة وإثبات التثويب عند نهج الاجتهاد والحكومات . وقد تطور الأمر - كما سيأتيك - إلي أن صار ذلك شعاراً سياسياً لكل من طرفي النزاع .

وفي هذا المقام نلاحظ ما رواه زيد النرسي - في أصله - عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام ، حيث قال : « الصلاة خير من النوم » بدعة بني أمية ، وليس ذلك من أصل الأذان «(1)» ، فإن الإمام الكاظم كان ناظراً إلي استفحال هذا التثويب وشيوعه واتخاذ طابع العموم والانتشار في زمن بني أمية الذين ساروا في هذا المجال علي خطي عمر بن الخطاب ، وأيدوا نهج الاجتهاد والرأي في مقابل نهج التعبد المحض ، وبذلك لا يكون ثمة تخالف بين القول بأنها بدعة وضعت في عهد عمر بن الخطاب والقول بأنها بدعة أموية ؛ لأن الثانية حكمت ما شرع في عهد الشيخين .

وبعد هذا نتساءل : هل تصح هذه العلة « أي علة الخوف من ترك الناس للجهد » لحذف هذا الفصل من فصول الأذان ، أم أنّ هناك دافعاً آخر وراء هذا الأمر ؟ هذا ما سنوضحه في الفصل اللاحق .

الفصل الثالث: حيّ علي خير العمل دعوة إلي الولاية ، وبيان لأسباب حذفها

إشارة

ذكرت كتب الحديث والتاريخ أنّ لـ « حيّ علي خير العمل » مَعْنَيْنِ : ظاهريّ وباطنيّ :

أمّا المعني الظاهري لجملة « حيّ علي خير العمل » فهو : أنّ خير الأعمال الصلاة والدعوة إليّ إتيانها ، وهذا هو الفهم الاوّلي المتبادر للذهن .

وتدلّ عليه رواية الصدوق في علل الشرائع وعيون أخبار الرضا فيما رواه من العلل عن الإمام الرضا عليه السلام ... فقال : أخبرني عن الأذان ، لِمَ أمروا به ؟

قال : لعلل كثيرة ، منها : أن يكون تذكيراً للساھي ، وتنبهياً للغافل ، وتعرفاً لمن جهل الوقت ... إليّ أن يقول : فجعل النداء إليّ الصلاة في وسط الأذان ، فقدّم قبلها أربعاً : التكبيرتين والشهادتين ، وأخر بعدها أربعاً : يدعو إليّ الفلاح حتّى عليّ البر والصلاة ، ثمّ دعا إليّ خير العمل مرغّباً فيها وفي عملها وفي أدائها ، ثمّ نادي بالتكبير والتهلّيل ليتمّ بعدها أربعاً ... (1).

أما المعني الباطني المكنون - الذي يعرفه أهل البيت ومن نزل في بيوتهم الكتاب والوحي - فهو ما رواه الصدوق في معاني الأخبار وعلل الشرائع ، بإسناده عن محمّد بن مروان ، عن الباقر عليه السلام ، قال : أتدري ما تفسير « حيّ علي خير العمل » ؟

1- علل الشرائع : 259 الباب 182 ، عيون أخبار الرضا 2 : 103 .

قال ، قلت : لا .

قال : دعاك إلي البرّ ، أتدري برّ من ؟

قلت : لا .

قال : دعاك إلي برّ فاطمة وولدها(1) .

وقال الحافظ العلوي : أخبرنا محمّد بن أحمد قراءة ، أخبرنا محمّد بن أبي العباس الوراق في كتابه ، أخبرنا محمّد بن القاسم ، حدّثنا حسن بن عبد الواحد ، حدّثني حرب بن حسن ، حدّثنا الحارث بن زياد - يعني الطحان - حدّثنا محمّد بن مروان ، قال : سمعت أبا جعفر وسأله رجل عن تفسير الأذان قال ، فقال له : الله أكبر ، قال : فهو كما قال الله أكبر من كلّ شيء ... حتّي بلغ : حيّ علي خير العمل ، قال : أمّا قوله : حيّ علي خير العمل ، قال : فأمرك بالبرّ ، تدري برّ من ؟

قال الرجل : لا .

قال : بر فاطمة وولدها (2) .

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام : سئل عن معني « حيّ علي خير العمل » . فقال : خير العمل الولاية(3) .

هذا وقد علّل الإمام الكاظم سبب حذف عمر بن الخطاب لهذه العبارة من الأذان بسببين : ظاهري وباطني .

إذ روي الصدوق في كتاب علل الشرائع بسنده الحسن بل الصحيح عن ابن أبي عمير أنّه سأل أبا الحسن (الكاظم) عن « حيّ علي خير العمل » لِمَ تركت من الأذان ؟

1- معاني الاخبار : 42 ، علل الشرائع : 368 الباب 89 ، وعنهما في بحار الأنوار 81 : 141 .

2- الأذان بحيّ علي خير العمل للحافظ العلوي بتحقيق عزّان : 135 الحديث 169 .

3- التوحيد للصدوق : 241 ، وعنه في بحار الانوار 81 : 134 .

قال : تريد العلة الظاهرة أو الباطنة ؟

قلت : أريدهما جميعاً .

فقال : أمّا العلة الظاهرة فلنأخذ يدع الناس الجهاد اتكّالاً علي الصلاة ، وأمّا الباطنة فإنّ « خير العمل » الولاية ، فأراد من أمره بترك « حيّ علي خير العمل » من الأذان أن لا يقع حتّ عليها ودعاءً إليها(1) .

فما وجه الترابط بين الصلاة والدعوة إلي برّ فاطمة وولدها ؟

بل ما يعني بمجيء الولاية وبرّ فاطمة وولدها في الأذان للصلاة ؟

وهل حقاً أنّ جملة « خير العمل » هي الولاية أم أنّها : الصلاة ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟.. وهل هناك تناف بين الرؤيتين .

وهل يصحّ مضمون الرواية القائلة بأنّ عمر أراد من أمره بتركها أن لا يقع حتّ علي الولاية ودعاءً إليها ؟ أم هناك شيء آخر ؟

وما هي المقدمات التي تساعدنا علي تفهّم مقصود الإمام أبي الحسن الكاظم في عدّة حذف عمر بن الخطاب لعبارة « حيّ علي خير العمل » .

بل بماذا تفسّر الشيعة هذه المقولة وما جاء عن أبي جعفر الباقر بأن الإسلام بُني علي خمس : الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والولاية ، ولم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية(2) .

بل كيف تكون الولاية أهمّ من كلّ شيء ؟ وهل هي أهمّ من الشهادتين كذلك ؟ ولماذا تُرجع الشيعة كلّ شيء إلي الولاية ؟

إنّ أئمة أهل البيت قد أجابوا عن هذه التساؤلات ، وأنّ المعنيّ عندهم ب- « ما

1- علل الشرائع : 368 العلة 89 . وعنه في بحار الأنوار 81 : 140 .

2- المحاسن 1 : 445 - 446 باب الشرايع ، والكافي 2 : 18 باب دعائم الإسلام ح 1 و3 و8 .

نُودي بشيء كالولاية» وأمثالها لا يعني أنها أهم من الشهادتين ، بل إنّ أمر الشهادتين مفروغ منه ؛ لأن الإمام قال : (بني الإسلام علي خمس) ومعناه : أنّ الإسلام المؤلّف من الشهادتين قد بني علي خمس : الصلاة ، الصوم ، الزكاة ، الحج ، الولاية ، وأن الولاية أفضلها ، وما نودي بشيء كالولاية ، لكون الإمامة امتداداً للنبوة ، لا أنّها قبال النبوة والتوحيد - كما يصوّره البعض - فلا يمكن معرفة الله إلا بالنبوي ، ولا- يمكن معرفة النبيّ صلي الله عليه وآله والله جل جلاله معرفةً مقبولةً صالحةً إلا بالإمام المفترض طاعته ، وهذا ما وضّحته كتب الإمامية ، وأشار إليه العلماء في كتبهم الكلامية .

إذ الاعتقاد بالإمامة لا يُترك بحال ، فهي ليست كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ التي قد يرخص في تركها في ظروف خاصة ؛ فالحائض مثلاً تترك الصلاة ، والمرضى معفو عن الصوم ، والزكاة والحجّ ساقطان عن الفقير ، أما الولاية فهي واجبة علي المكلف سواء كان صاحبياً أم مريضاً ، وذا مال أو معسراً⁽¹⁾ . . . لأنّها من الأصول التي يبتني عليها قوام الشريعة ، وبها تقام الأحكام ، وقد مرّ عليك كلام الإمام الزيدي يحيى بن الحسين - في كتابه الأحكام - عن الأذان ، وأنّه من أصول الدين ، إشعاراً منه بمكانة هذه الشعيرة وما تحمله من مفاهيم وأفكار .

فالأذان وإن كان من شعائر الدين ، لكنّ فصوله تنطوي علي أهم أصول الدين ، والاعتقاد بالإمامة عندنا من أصول المذهب ، وقد وضّح الإمام الباقر عليه السلام

1- جاء في الخصال : 278 ح 21 باب الخمسة بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال : « قال أبو جعفر عليه السلام : بني الإسلام علي خمس : اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان ، والولاية لنا أهل البيت ، فجعل في أربع منها رخصة ، ولم يجعل في الولاية رخصة . من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة ، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج ، ومن كان مريضاً صلي قاعداً وافطر شهر رمضان ، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمه » .

مكانة الإمامة بين العبادات الخمس ، وقد سأله عنها زرارة بقوله : وأي شيء من ذلك أفضل ؟

قال : الولاية أفضل ؛ لأنها مفتاحهنّ ، والوالي هو الدليل عليهنّ - إلي أن قال - إنّ أفضل الأشياء ما أنت عليه إذا فاتك لم يكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّبه ...

وعليه فمبحث الإمامة والولاية من المسائل المهمة والمختلف فيها بين المسلمين ، بل من المسائل المتجدرة في تاريخ الإسلام ، وقد كتب فيها الأعلام مصنفات كثيرة ولا يسع هذه الدراسة الإحاطة بجوانبها ، لكننا نكتفي بالإشارة إلي قليل من مجموع مئات الأدلة المستدل بها علي الإمامة ، تأتي بها كي نوضّح معني ومقصود الإمام الكاظم ، وكيف : أنّ الولاية خير من الجهاد والصلاة وسواهما .

بعض أدلة الولاية

وليكن الكلام أولاً عن آية المودّة ؛ مفهومها ومعطياتها ، وهل تعني المحبة كما يقولون أم تعني شيئاً أكثر من مجرد المحبة ؟

بل هل هناك اختلاف بين قوله : { مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } ، وقوله : { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } ؟

وعلي أي شيء تدل هذه الآية الأخيرة بالتحديد ؟

وهل يعقل أن يحصر شخصٌ رساليّ عظيم كرسول الله صلي الله عليه وآله أجر رسالته - التي ما أودى نبي مثل ما أودى صلي الله عليه وآله هو عليها - بحبّ أقربائه وعشيرته ؟

وهل إنّ قرار الرسول هذا جاء لتحكيم أسرته وعشيرته وتقوية الروح القبلية والنزعة العشائرية التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية - والعياذ بالله - ؟

أم أنّه صلي الله عليه وآله أراد بذلك أموراً أخرى تعبّر عن إرادة السماء ؟

ثم من هم أقرباؤه المعنيون في هذه الآية؟

المعلوم أنّ النبيّ صلي الله عليه وآله أوجب مودةً قرباه لا لتعظيم الجانِبِ القبلي والعشائري، إذ الثابت عن رسالة السماء أنّها تخالف هذه النزعة الجاهلية الضيّقة؛ حيث ذمّ الباري عمّ النبيّ وزوجة عمّه في سورة نزلت في عمّ رسول الله، أبي لهب، دون اعتبار لنسبه منه صلي الله عليه وآله: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } .

إذاً لا يكون المعنيُّ بالقربي عشيرته وأقرباءه بما هم أقرباؤه وعشيرته، بل المعنيُّ بذلك فئة خاصة منهم، لهم سمات وخصائص تجعلهم أمناء علي دين الله وواسطة للفيض الإلهي، وهؤلاء هم الصادقون والمطهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس، وقد نوهنا بطرف من منزلتهم فيما مضى .

إذاً لا يعقل أن يأمر الله ورسوله المؤمنين بالتودد إلي من ليس بأهل للمودة، وإلي من هو منحرف عن الجادة - والعياذ بالله - بل إنّ أمره بالتودد إليهم يشير إلي أنّ هؤلاء القربي خصائص يميّزون بها ليست للآخرين، كالعلم والفضل والتقوي والصبر... وهذه المقومات هي التي جعلت من هؤلاء قدوة، وقد عرفهم سبحانه في آية التطهير وحصرهم بمن تحت الكساء وهم بعد النبيّ محمّد صلي الله عليه وآله: عليّ وفاطمة والحسن والحسين .

من يعرف الدين الإسلامي يعلم بأنّ الإسلام يهتم بالقيم والمثل لا العلاقات والاتجاهات القبلية والعشائرية، فقد جعل رسول الله سلمانَ الفارسي من أهل بيته لما امتلكه من مؤهلات وخصائص ذاتية ومعنوية مع عدم امتلاكه أي علائق مع النبيّ صلي الله عليه وآله من الوجهة القبلية والإقليمية .

قال أبو فراس في هذا المعني من النسب الإيماني :

كانت مودةً سلمان لهُ رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحماً

المسألة إذاً أعظم مما تصوّره مدرسة الخلفاء ونهج الاجتهاد والرأي من أن الآية تعني المحبّة بما هي محبة مجرّدة، وأنّ رسول الله أراد الاهتمام بعشيرته وأقربائه وذويه، بل إنّ آية المودّة تشير إلي مبدأ آخر واضح للمفكّر اللبيب، لأنّ الشارع لا يأمر بمحبة من هو ليس بأهل أو بمحبة الفاسق والفاجر - والعياذ بالله - بل سبحانه يأمر بمودّة من له خصوصية أن يكون واسطة للفيض الإلهي وصيانة الأحكام، وإجراء الحدود علي وجهاتها الصحيحة، وحفظ الثغور، وتقسيم الفيء، وردّ الشبهات، وغيرها من مستلزمات صيانة الدين الحنيف وحفظه، وهو دليل علي سلامة القربي المعنيين في الآية من العيب والنقص، إذ جعلهم عدلاً للقرآن الذي لا يأتيه ريب، وعلّق أجر رسالته - التي لاقي الصعاب من أجلها - علي مودتهم .

قال الزمخشري في الكشف بعد طرحه سؤالاً وجوابه: وروي أنّها لما نزلت، [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما. وبدل عليه ما روي عن عليّ رضي الله عنه: شكوت إلي رسول الله حسد الناس لي، فقال: أما ترضي أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة، أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن إيماننا وشمانلنا، وذريّتنا خلف أزواجنا (1).

وعن النبيّ صلي الله عليه وآله: حرمت الجنّة علي من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي. ومن اصطنع صنيعة إلي أحد من ولد عبدالمطلب، ولم يُجازِه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة (2).

1- انظر: فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل 2: 624 ح 1068 وفيه زيادة: وشيعتنا من ورائنا .

2- انظر: مسند زيد بن علي: 463 و466 الباب 4 في فضل الحسنين (نشر دار الحياة) وهذا المطلب غير موجود في ما اعتمدها في تخريج الروايات عن مسند زيد، فانه ينتهي إلي آخر كتاب الفرائض، وهو من منشورات دار الكتب العلمية .

وروي أنّ الأنصار قالوا: فَعَلْنَا وَفَعَلْنَا؛ كأنّهم افتخروا. فقال عبّاس - أو ابن عبّاس رضي الله عنهما - : لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله فأثامهم في مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلّة فأعزّكم الله بي؟

قالوا: بلي يا رسول الله.

قال: ألم تكونوا ضلّالاً فهداكم الله بي؟

قالوا: بلي يا رسول الله.

قال: أفلا تجيبوني؟

قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك؟ أو لم يكذبوك فصدّقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟

قال: فما زال يقول حتّى جثوا علي الرُّكب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية وقال رسول الله:

من مات علي حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد يُزفّ إلي الجنّة كما تُزفّ العروس إلي بيت زوجها، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد فُتح له في قبره باباً إلي الجنّة، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات علي حبّ آل محمّد مات علي السنة والجماعة، ألا ومن مات علي بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه « آيس من رحمة الله »، ألا ومن مات علي بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات علي بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة « (1) ».

1- تفسير الكشاف 3: 403، وفي تفسير القرطبي 16: 21 - 23 في ذيل الآية حكى عن الثعلبي هذه الرواية فذيلها ب- (ومن مات علي بغض آل بيتي فلا نصيب له من شفاعتي).

وقد نقل الرازي كلام الزمخشري في تفسيره معلقاً عليه بقوله :

وروي صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله ، مَنْ قرأبتك هؤلاء الذين وَجبت علينا مودتهم ؟

فقال : علي وفاطمة وابناهما .

فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ، ويدل عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى : {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثاني : لا شك أن النبي كان يحب فاطمة ، قال صلي الله عليه وآله : فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها ، وثبت بالنقل المتواتر أنه كان يحب علياً والحسن والحسين .

وإذا ثبت ذلك وجب علي كل الأمة مثله ؛ لقوله : {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ، ولقوله تعالى : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} ، ولقوله : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} ، ولقوله سبحانه : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} .

الثالث : إن الدعاء لآل مناصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة ، وهو قوله : « اللهم صلّ علي محمد وعلي آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد » .

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدلّ علي أن حب آل محمد واجب ، وقال الشافعي رضي الله عنه :

يا راکباً قف

بالمحصب من مني

واهتف بساكن خيفها

والناهض

سحراً إذا فاض

الحجيج إلي مني

فيصاً كملتظم

الفرات الفاض

إن كان رفضاً

حُب آل محمد

فليشهد

الثقلان آتي رافضي (1)

ولو تدبرت في خبر أبي عبيدة عن الإمام الصادق - والمرووي في تفسير علي بن إبراهيم القمي - لعرفت مزية فاطمة الزهراء علي عائشة وعلي غيرها من نساء النبي، قال الصادق عليه السلام: كان رسول الله يكثر تقبيل فاطمة 2، فغضبت من ذلك عائشة، وقالت يا رسول الله: إنك تكثر تقبيل فاطمة! فقال رسول الله:

يا عائشة، إنه لما أسري بي إلي السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبي وناولني من ثمارها فأكلته، فلما هبطت إلي الأرض، حوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلما هبطت إلي الأرض فواقعت بخديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبي منها (2).

وحسب هذا دليلاً لمعرفة صحة ما نقول من أن مودتها ميزان للإسلام والإيمان.

وعليه، فالأجر علي الرسالة لا بد أن يرتبط بأصل الرسالة، ولا معني لما يقال من إرادة التودد العاطفي البحت لذوي القربي، بل المعني به هو أن هذه النخبة الصالحة هي التجسيد الواقعي للدين وصمّام الأمان للرسالة، وأن التودد إليهم سيعود بالنفع علي الناس قبل النفع علي القربي، لأنها لا تزيد القربي مقاماً ومنزلة إذ منزلتهم محفوظة من عند الله، فهم مستودع العلم وظرف الرسالة، وهذا ما

1- التفسير الكبير للرازي 27 : 166 ، وديوان الشافعي : 84 .

2- تفسير علي بن ابراهيم كما في نور الثقلين 3 : 131 ، مجمع الزوائد 9 : 202 ، وانظر : الدر المنثور 4 : 153 والمستدرک للحاكم 3 : 156 ، والمناقب لابن المغازلي : 357 ، وتاريخ الخميس 1 : 277 .

صَرَّحَ به الذكر الحكيم بقوله {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} لا (المودة للقربي)، وفي هذا إيماء لطيف إلي أنهم غير محتاجين إلي مودة الناس، بل إن مودتهم تودّي بالناس إلي الخير والصلاح، لأنّ التودّد الذي تكون القربي ظرفاً له سيربطهم بالرسالة وصاحبها ارتباطاً وثيقاً ترجع خيراته إلي الناس، وهو لطف من الله للبشر، إذ جعل مودة أهل بيت رسوله سبباً لنجاتهم من الهلكة، وهي من قبيل جعل حب الإمام عليّ وبغضه مقياساً لمعرفة المؤمن من المنافق، وقد كان المنافقون من الصحابة يُعرفون ببغضهم لعليّ بن أبي طالب، فقد ثبت عن أبي سعيد الخدري قوله:

«إنا كنا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب» (1).

وورد عن عبادة بن الصامت قوله: كنا نبور أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب، فإذا رأينا أحداً لا يحبّه علمنا أنّه ليس منّا وأنّه لغير رشدة (2).

وجاء عن ابن مسعود قوله: ما كنا نعرف المنافقين علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب (3).

إذاً كان عليّ بن أبي طالب محكاً للأنصار ولغيرهم (4)، وهذا بخلاف قوله صلي الله عليه وآله في الأنصار (لا يحبّهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) (5).

1- أسد الغابة 4 : 30 .

2- الغريبين للهروي 1 : 222 مادة « بور » ، ذكر اول الحديث ، تاج العروس 3 : 61 مادة (بور) ، وغيرهما .

3- الدر المنثور 6 : 66 .

4- ومن هنا أنشأت عائشة تقول في حق علي عليه السلام : إذا ما التّبّر حُكّ علي محكّ تبيّن غشّه من غير شكّ وفينا التبر والذهب المصفّي عليّ بيننا شبه المحكّ الكنز المدفون للسيوطي : 68 .

5- صحيح مسلم 1 : 85 ح 129 كتاب الايمان .

ففي النصّ الأوّل كان شخص عليّ بن أبي طالب هو المعيار لمعرفة المؤمن من المنافق ، بخلاف الأنصار الذين يرجع حبّهم إلي ما فعلوه من نصرتهم لنشر الدين الإسلامي والسعي في إيواء المسلمين وقيامهم في مهمّات الدين .

قال النووي في شرح مسلم (إنّ من عرف مرتبة الأنصار وعرف من عليّ ابن أبي طالب قربه من رسول الله صلي الله عليه وآله وحبّ النبيّ له ، وما كان منه في نصرته الإسلام وسوابقه ثمّ أحبّ الأنصار وعليّاً لهذا ، كان ذلك من دلائل صحّة إيمانه وصدقه في إسلامه ، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ...) (1) .

وكلام النووي كما تراه فيه غفلة عن الفرق الشاسع بين الأمر بحبّ عليّ عليه السلام والأمر بحبّ الأنصار ، لأنّ حبّ عليّ عليه السلام مطلوب بذاته ، بخلاف حبّ الأنصار فإنّه مطلوب لسوابقهم ، ويؤكد ذلك أنّ في الأنصار منافقين ومنحرفين وأصحاب ارتباطات باليهود - وإن كانت غالبيتهم من أنصار الإمام عليّ عليه السلام ومخالفين لقريش - فلا يعقل أن يكون حبّهم جميعاً لذواتهم ، وإنّما كان الحب لهم كمجموعة لها مواقف محمودّة .

ومثل الإمام عليّ كانت الصديقة فاطمة الزهراء ، إذ علّق الباري عزّ وجلّ رضاه وغضبه علي رضاها وغضبها ؛ لقوله صلي الله عليه وآله : « إنّ الله يغضب لغضبك ويغضبك ويرضك لرضاك » (2) ، فصار رضي فاطمة معياراً لرضي الله ، وهو دليل علي نزاهتها المطلقة وعصمتها وطهارتها التامة من كلّ ما يشين ، إذ لا يعقل تعلق رضي الله برضي إنسان غير معصوم .

1- شرح مسلم 1 - 2 : 423-424 ، كتاب الايمان / باب 33 .

2- المعجم الكبير 1 : 108 و 22 : 401 ، مجمع الزوائد 9 : 203 ، مستدرک الحاكم 3 : 154 ، الإصابة 8 : 266 .

ولا- يفوتتكم ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي ذر الغفاري ، قال : قال رسول الله : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصي الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصي علياً فقد عصاني » .

وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه(1) .

وفي هذا الحديث دلالة علي كمال الإمام عليّ وعصمته ، لأننا نعلم أن رسول الله لا يدهن ولا يجامل ولا يبالغ ، وبذلك يكون معني الحديث أن إرادة الإمام عليّ منبعثة من إرادة الله ولا يمكن أن تتخلف عن إرادته جل وعلا ، وكراهته منبعثة عن كراهة الله ، ولا يمكن أن تتخلف إحداهما عن الأخرى ، إذ لو أمكن التخلف لكان قوله « من أطاعه فقد أطاع الله » غلطاً ، ولكان قوله : « من عصاه فقد عصي الله » باطلاً ، معاذ الله(2) ، حيث إن طاعة الرسول هي طاعة لله ، وعصيانه هو عصيان لله ، فيكون من أطاع علياً فقد أطاع الله ورسوله ، ومن عصاه فقد عصي الله ورسوله ..

وهكذا الحال بالنسبة إلي الإمامين الحسن والحسين ، فهما إمامان قاما أو قعدا ، وسيّدا شباب أهل الجنّة ، فهؤلاء هم القربي المعنيون في آية المودّة .

وعلي هذا فالدعوة إلي المودّة في القربي ونقل فضائلهم هي مقدّمة إلي لزوم الأخذ بنهجهم والاهتداء بهداهم ؛ لتعلّق أجر الرسالة بها ، بل هو تعبير آخر عمّا جاء في حديث الثقلين « ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » لأنّ مفهوم السنّة لغة : هو الطريق ، والصراط ، والجادة ، واصطلاحاً : هو اتّباع الرسول قولاً وفعلاً وتقريراً .

1- المستدرک علي الصحيحين 3 : 121 .

2- الحق المبين : 79 للمرجع الديني الشيخ الوحيد الخراساني .

وقد أرشدنا الرسول صلي الله عليه وآله إلي لزوم أتباع العترة، فيكون الابتعاد عن هؤلاء ابتعاداً عن النبي صلي الله عليه وآله والإسلام، وهو عين الضلالة والهلكة، لأنّه لا هدي إلا بالقرآن والنبي والعترة، فعلي مع القرآن، والقرآن مع عليّ « لا يفتقران حتّي يردا عليّ الحوض »(1).

ولو تأملت في هذه العبارة لعرفت مكانة الإمام عليّ ولرأيت في رتبة المعية مع القرآن، وهي نسبة تقوم بطرفين، ويستحيل أن تقوم بطرف واحد، وعندما قال النبي: « عليّ مع القرآن »، فقد أثبتّها، فلماذا أعاد إثباتها بصيغة أخرى، فقال: « والقرآن مع عليّ »؟

حاشا أفصح من نطق بالضاد من اللغو في كلامه، وحاشا أفصح من نطق بالضاد من التكرار في كلامه، [دون معني متوخي، فإنه صلي الله عليه وآله [أراد أن يفهمنا أن مسألة معيتهما] هي [معية من نوع خاص، ويشير إلي أبعادها العميقة، ذلك أن المعية بين شيئين أو أكثر، عندما تطلق، فيقال: زيد مع عمرو، فهي أعم من أن يكون هذا الطرف في الإضافة متقدماً رتبة علي ذلك أو متأخراً عنه، بل تدل علي أنهما معاً يقطع النظر عن رتبة كل منهما.

وربما كان فيها إشارة إلي أنّ المقرون أقل رتبة من المقرون به، لهذا أعاد النبي صلي الله عليه وآله صياغة هذه المعية، ليقول للمفكرين: لا ينبغي أن تفهموا من قولي: « عليّ مع القرآن » أن علياً أقل رتبة من القرآن، بل القرآن مع عليّ أيضاً، فهما وجودان متعادلان»(2).

ويؤيد هذا الاستنتاج ما جاء عن النبي: « عليّ مني وأنا من عليّ »(3)،

1- المستدرک 3 : 124 قال صحيح ولم يخرجاه، الجامع الصغير 2 : 177، كنز العمال 11 : 603 .

2- الحقّ المبين : 105 للمرجع الديني الشيخ الوحيد الخراساني .

3- سنن الترمذي 5 : 300 ح 3803، مصنف بن أبي شيبة 7 : 504 ح 58، سنن ابن ماجه 1 : 44 ح 119 .

وقوله صلي الله عليه وآله لعليّ: « أنت مني وأنا منك » (1).

ولو جمعنا آية المودة، مع آية التطهير، مع حديث الثقلين، وما جاء في أهل الكساء، وقوله: لا يزال الدين عزيزاً حتّى يكون منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (2)، وقوله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية (3)، وغيرها من الآيات والروايات، لعرفنا دلالة هذه النصوص عليّ الولاية التي هي بمعنى الإمامة، لا-بمعنى الصاحب والمحبّ، وما شابه ذلك من المفاهيم التي تطرحها مدرسة الخلفاء ونهج الاجتهاد والرأي.

عرفنا إذاً أنّ الخطاب في آية المودة هو لعموم المسلمين الذين آمنوا برسالة النبيّ محمّد صلي الله عليه وآله، لا لخصوص المشركين من قريش حسبما قاله البعض؛ لكون الآية مدنية وإن كانت السورة مكية، فلا يُعقل أن يخاطب الرسول أعداءه من المشركين ويطلب منهم أجراً عليّ رسالته.

وكذا لا-يصحّ ما قاله البعض الآخر: من أنّ الآية تشير إليّ معني تودّد المسلمين في التقرب إليّ الله، ومعني كلامهم هذا أنّ القربي استعملت بمعني مطلق التقرب، وهذا باطل لغوياً حيث لم يرد هذا المعني في المعاجم.

ويضاف إليه: كيف يمكن للرسول أن يوقف أجر رسالته عليّ نفسها، لأنّ المسلم وبتّابعه الرسالة يحصل له القرب إليّ الله، فلا معني للتودّد والإلحاح في القرب إليه؛ لأنّه توقيف الشيء عليّ نفسه، وإن كان كذلك فلا يكون أجر الرسالة بل هو نتيجة الرسالة.

هذا، وإنّك لو طالعت التاريخ الإسلامي لعرفت أنّ مفهوم القربي كان في

1- صحيح البخاري 3 - 4 : 363 - 364 كتاب الصلح / باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ...

2- صحيح مسلم 6 : 4 كتاب الامارة، سنن بي داود 4 : 106 ح 4280 .

3- وسائل الشيعة 16 : 246 كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الصدر الأوّل يطلق علي وفاطمة والحسين ، ثمّ أطلقت علي أبنائهم المعصومين لاحقاً .

روي الحاكم النيسابوري في المستدرک عن الإمام الحسن قوله : وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم علي كلّ مسلم فقال تبارک وتعالی : {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} ، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت(1) .

وقال أبو إسحاق السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارک وتعالی : {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} فقال : قربي النبيّ ، رواهما ابن جرير الطبري(2) .

وعن ابن عباس أنّه قال : لما نزلت هذه الآية : {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : فاطمة وولدها : (3) .

وثبت عن عليّ بن الحسين أنّه قال للشامي ردّاً علي تنكيل الشامي به : أما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ ؟

قال الشامي : نعم .

فقال عليّ بن الحسين : أما قرأت هذه الآية {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} .

قال : بلي .

1- المستدرک علي الصحيحين 3 : 173 .

2- تفسير ابن كثير 4 : 113 سورة الشوري .

3- تفسير ابن أبي حاكم 10 : 3277 .

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : فنحن أولئك ، فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقاً خاصّة دون المسلمين ؟

فقال : لا .

فقال عليّ بن الحسين : أما قرأت هذه الآية : {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} ؟

قال : نعم .

قال عليّ بن الحسين : فنحن أولئك الذين أمر الله عزّ وجلّ نبيه أن يؤتيهم حقهم .

فقال الشامي : إنكم لأنتم هم ؟

فقال عليّ بن الحسين : نعم ، فهل قرأت هذه الآية : {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ} .

فقال الشامي : بلي .

فقال عليّ بن الحسين : فنحن ذوو القربى ، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصّة دون المسلمين ؟

فقال : لا .

قال عليّ بن الحسين : أما قرأت هذه الآية : {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} .

قال : فرجع الشامي يده إلي السماء ثم قال : اللهم إني أتوب إليك - ثلاث مرات - اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد ، وأبرأ إليك ممن قتل أهل بيت محمد ، ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرتُ بها قبل اليوم (1) .

وهذا النصّ يؤكّد لنا وضوح دلالة هذه الآيات المباركة ، حيث إنّ الشيخ

الشامي فهم معانيها بأدني تأمل ، وبمجرد إيضاح الإمام السجّاد عليه السلام له المراد من هذه الآيات . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية يبين هذا النص مدي التعظيم الإعلامي الأموي علي أهل البيت ، وتحريفات السلطة لمعاني هذه الآيات المباركة ، ولذلك كأنّ الشيخ الشامي من قبل لم يشعر بها وبمعانيها . ولم يعرف المصداق الأكمل لها في زمانه .

ومثله روي حكيم بن جبير ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : كنت أجالس أشياخاً لنا إذ مر علينا عليّ بن الحسين وقد كان بينه وبين أناس من قريش منازعة في امرأة تزوّجها منهم لم يرض منكحها ، فقال أشياخ الأنصار : ألا دعوتنا أمس لما كان بينك وبين بني فلان ، إنّ أشياخنا حدّثونا أنّهم أتوا رسول الله صلي الله عليه وآله فقالوا : يا محمّد ، ألا نخرج إليك من ديارنا ومن أموالنا لِمَا أعطانا الله بك وفضّ لنا بك وأكرمنا بك ؟ فأنزل الله تعالي : { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ } ونحن ندلكم علي الناس ، أخرجه ابن منده (1) .

وجاء في الكافي في حديث طويل عن الباقر عليه السلام فيه قوله : { قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ } يقول : أجر المودة الذي لم اسألكم غيره فهو لكم تهتدون به وتنجون به من عذاب يوم القيامة ، وقال لاعداء الله ، اولياء الشيطان أهل التكذيب والانكار : { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } (2) .

وبعد هذا فلنا أن الله تعالي قد ألمح في قوله { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ } (3) ، إلي ما تلاقيه هذه المجموعة الصالحة من قربي الرسول من أمته بعده .

1- أسد الغابة 5 : 367 .

2- الكافي 8 : 379 / ح 574 ، البرهان 7 : 79 .

3- سورة الشوري الآية : 23 .

فعن خالد بن عرفطة ، قال : قال رسول الله : إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي (1) .

وقال الإمام الباقر : بلية الناس علينا عظيمة ؛ إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا (2) .

وجاء عن إبراهيم النخعي قوله : علي بن أبي طالب محنة علي المتكلم ؛ إن وفي حقه غلا ، وإن بنخسه حقه أساء ، والمنزلة الوسطي دقيقة الوزن حادة الشأن صعبة الترفي إلا علي الحاذق الدين (3) .

وقال الشعبي : ما ندري ما نضع بعلي ؛ إن أحببناه افتقرنا ، وإن أبغضناه كفرنا (4) .

واشتهر عن محمد بن إدريس الشافعي قوله : ماذا أقول في رجل أخفت أصدقاؤه فضائله خوفاً ، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً ، وشاع له من بين ذين ما ملأ الخافقين (5) .

من هذا يتبين لنا أن آية المودة هي معني آخر لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } (6) والأخيرة صريحة في نزولها في حجة الوداع ويوم غدیر خم .

1- كنز العمال 11 : 124/30877 .

2- الإرشاد 2 : 167 ، مناقب آل أبي طالب 4 : 206 ، بحار الأنوار 46 : 288 ح 11 عن الإرشاد .

3- مناقب آل أبي طالب 3 : 215 باب في حساده .

4- المناقب للخوارزمي : 350 الفصل 19 وعنه في بحار الأنوار 29 : 481 .

5- حلية الأبرار 2 : 136 (للبحراني) ، مشارق أنوار اليقين للبرسي : 171 ، وقيل هي للخليل بن أحمد اللغوي الشهير كما جاء في ملحقات السيد المرعشي علي إحقاق الحق 3 : 406 ، 4 : 2 . وقد نسب العلامة الحلي هذه المقولة لأحد الفضلاء دون ذكر اسمه انظر : كشف اليقين : 4 .

6- المائدة : 67 .

ولا يصحّ ما قالوه من أنّها نزلت في أوّل البعثة لَمَّا خاف رسول الله صلي الله عليه وآله من التبليغ ، فهَدَّده الله وطمأنه .

أو ما قالوه من أنّها نزلت في مكّة قبل الهجرة فاستغني بها النبي عن حراسة عمّه أبي طالب .

أو ما قالوه من نزولها في المدينة في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة أحد .

لأنّ القول الأوّل يكذب كونه السورة مدنية ؛ فلا يعقل أن يأتي خبرٌ كان في أوّل البعثة في آخر سورة من القرآن ، ولو صحّ ذلك القول وما يليه وأنّ الله كان قد عصم رسول الله صلي الله عليه وآله ، فما معني صلاة الخوف وما فعله صلي الله عليه وآله مع الأعداء في السنوات الأخيرة من حياته الشريفة ؟

وأكثر من ذلك ، هو أنّ الرسول لو كان قد حمي هذه الحماية في بدء الدعوة واستغني عن حماية أبي طالب ، فما معني تلك النصوص الصادرة عنه

صلي الله عليه وآله إلي القبائل والتي يطلب منهم أن يحموه ؟ بل ما معني هجرته من مكّة إلي المدينة المنورة ؟

فالآية صريحة في نزولها في آخر حياته الشريفة ، وبعد حجة الوداع ، إذ لو كانت في بدء الدعوة فلا معني لعبارة {بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} إذ لم ينزل إليه إلا الشيء اليسير ، وهذه الجملة تدلّ علي الماضي الحقيقي وهو يتطابق مع نزولها في آخر حياته صلي الله عليه وآله ، وخصوصاً حينما نري توقّف أمر الرسالة عليه {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} !

وعليه فالآيتان - آية التبليغ وآية المودّة - دالتان علي شيء واحد مرتبط بأجر الرسالة وتبليغها ، وهما أمران مَوْلَوِيَّان من الباري جل شأنه {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} و {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} ، وكلاهما يرتبط بأمر الولاية والخلافة الإلهية ، لأنّ رسول الله صلي الله عليه وآله كان يخاف من رجوع أمته القهقري

- وهي كائنة لا محالة - وذلك لاجتماع قريش علي العصبية والقبلية وسعيهم لإبعاد الإمام علي عن الخلافة وإمرة المؤمنين ؛ لأنه وتر قريشاً وكسر شوكتها وعظمتها .

علي أنك لو تأملت كلمات الأنبياء: قبل النبي محمد المصطفى صلي الله عليه وآله لرأيتهم يوقفون أجرهم علي الله ، ففي سورة الشعراء حكاية عن قول نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قولهم : {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (1) .

وقوله : {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (2) .

وقوله : {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (3) .

وقوله : {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (4) .

وقوله : {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (5) .

وهكذا نجد أن كلمات هؤلاء الأنبياء الكرام: كانت واحدة متطابقة تعبر عن معني واحد محدد معلوم ، هو أنهم لم يطلبوا من الناس أجراً علي الرسالة ، وإنما أجرهم « علي رب العالمين » .

1- الشعراء : 109 .

2- الشعراء : 127 .

3- الشعراء : 145 .

4- الشعراء : 164 .

5- الشعراء : 180 .

أما الرسول المصطفى فيقول : {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ} (1) وقال تعالى : {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} (2) .

وقال علي لسان نبيّه صلي الله عليه وآله : {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبَّهُ سَبِيلًا} (3) فما يعني ذلك ، وعلي أي شيء يدل ؟

إن المقدمة السابقة قد تكون وضحت جواب هذا الأمر ، خصوصاً بعدما عرفت أنّ رسالة المصطفى هي الرسالة الخاتمة ، فلا يمكن إبقاء هذه الرسالة إلا بـ {ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} و {مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبَّهُ سَبِيلًا} وهما القرآن والعترة ، وذلك لوجود نصوص كثيرة تشير إلي أنّ أهل البيت هم (الذكر) و(السبيل) إلي الله ، وهو ما اصطُح عليه في كلام النبيّ

صلي الله عليه وآله بالثقلين ، فيصير معني الآية وكلام النبيّ لزوم اتّخاذ السبيل إلي الله وهم القربي ، وأنّ اتّخاذ هذا السبيل سيعود نفعه علي الناس ، (عليكم) . أمّا أجر رسول الله فهو علي الله لقوله سبحانه في سورة سبأ {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَيَّ اللَّهُ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (4) . ومعني الآية : أنني قمت بواجبي ، وأدّيت ما عليّ ، ولا أسألكم عليه من أجر بعد المودّة إن أجري إلا علي الله ، لكن لو أردتم الانتفاع من هذه الرسالة والنجاة فاتصلوا بالسبب الممدود بين الأرض والسماء وهو القرآن والعترة .

وبهذا فلا تناف بين قوله : {لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} وبين قوله : {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَيَّ اللَّهُ} (5) .

1- الانعام : 90 .

2- يوسف : 104 .

3- الفرقان : 57 .

4- سبأ : 47 .

5- للإمام الباقر توضح بهذا الصدد انظر : روضة الكافي 8 : 379 .

إنّ هذا ليقترّب بنا من فهم المعني العميق ل- « حيّ علي خير العمل » الذي نصّ عليه أهل البيت: الذين هم أعلم الناس بدين الله بما فازوا به من تطهير الله تعالى إليّهم تطهيراً شاملاً، في المعرفة والمعتقد، وفي المواقف والعمل. وهذا المعني الذي يتضمّنه « حيّ علي خير العمل » هو الولاية أو برّ فاطمة وولدها أو ما شابه ذلك، لما اتّضح لك في الصفحات السابقة من أنّ الأذان هو بيان لأصول العقيدة، ولما كانت الولاية امتداداً للرسالة فلا غرابة في أن تكون أجر الرسالة، خصوصاً مع ما نعرف من تأكيدات رسول الله صلي الله عليه وآله علي أهل بيته وقرباه المنتجبين.

لقد أكّد رسول الله علي العترة بدءاً من { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (1).

ومروراً بحجة الوداع التي خطب فيها رسول الله خمس مرات، وختماً بالكتاب الذي منعه من كتابته في آخر حياته الشريفة.

قال الحلبي في سيرته: « خطب النبيّ خمس خطب: الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة، والثانية يوم عرفة، والثالثة يوم النحر، والرابعة يوم القرّ بمني، والخامسة يوم النّفر الأول بمني » (2).

وقد روي مسلم وأحمد وغيرهما - خطبته صلي الله عليه وآله عند مرجعه من حجة الوداع إلي المدينة - عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله صلي الله عليه وآله يوماً خطيباً بماء يدعي حُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: ألا أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله منه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث علي كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي.

1- الشعراء: 214، وانظر: في تفسيرها كتب التفاسير والتواريخ اخبار أول البعثة.

2- السيرة الحلبية 3: 333.

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟

قال : نساؤه من أهل بيته ؟! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده .

قال : ومن هم ؟

قال : هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس .

قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟

قال : نعم(1) .

وعن أبي هريرة : من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدیر خُمّ لما أخذ النبي بيد علي بن أبي طالب

فقال : ألسنتُ وليّ المؤمنين ؟

قالوا : بلي يا رسول الله .

قال : من كنتُ مولاه فعليّ مولاه .

فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولي كل مسلم ! فأنزل الله عز وجل { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (2) .

عُودِ عَلِيَّ بَدء

كانت هذه مقدمة أتينا بها كي نوضح وجه أفضلية الولاية علي العبادات الأربع الأخرى ، إذ الصلاة تتركها الحائض ، والصوم يتركه المريض

، والزكاة والحج ساقطان عن الفقير ، أما الولاية فهي واجبة علي الصحيح والمريض والغني والمعسر ، لأنها مفتاحهنّ ، وبأهل البيت تُعرف

الأحكام ، وتقبل العبادات ، ويُعبد

1- صحيح مسلم 7 : 122 ، مسند أحمد 4 : 367 .

2- تاريخ دمشق 42 : 233 ، الدر المنثور 2 : 259 ، تاريخ بغداد 8 : 290 .

الله ، فهم باب الله الذي منه يُؤتي « وبالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف »(1) لأنه الضمان الإلهي للشيعة . ونحن نعلم بأن الشيعة مرت بمرحلتين :

1 - التأسيس علي يد الرسول الأكرم صلي الله عليه وآله .

2 - الصيانة من الانحراف ، وهو دور الأئمة المفترض في الطاعة ، وهو ما كان يؤكّد عليه الرسول للأمة ، يحذّرها من الابتعاد عنهم لأنّ ذلك سيؤدّي بهم إلي الضلال .

وقد كان النهج الحاكم في تعارض مع هذه الصفوة الطاهرة ، فما من الصفوة إلا مقتول أو مسموم ، وقد ثبت في علم السياسة والاجتماع أنّ جميع الثورات الفكرية ، إذا مات زعمائها ، وتولّي إدارتها غير الأكفاء انحرفت عن مسارها الذي اختطّه لها صاحبها ، أمّا إذا واصل المسيرة الأكفاء الذين يختارهم صاحب الثورة والتغيير ، فإنها تبقى حيّة نابضة ، ولا تنحرف عن منهاجها الأصلي . هذا عن القسم الأول من السؤال .

أمّا ارتباط برّ فاطمة وولدها بالأذان والصلاة - كما في بعض الروايات - (2) فهو معني تفسيري للجملّة ، ومن قبيل بيان المعاني المشكّلة والمتشابهة أو الخفية والمجملّة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فالإمام قد يكون أراد بتوضيحه ذلك بيان ما هو المقصود في العلم الإلهي ، وبيان ما حدث بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله من عقوق لفاطمة ؛ فبعد إقصاء عليّ عليه السلام عن الخلافة - أي ترك الولاية التي هي خير العمل -

1- انظر : الكافي 1 : 224 ، كمال الدين وتمام النعمة : 677 ، معاني الأخبار : 97 .

2- كرواية معاني الاخبار : 42 ، وعلل الشرائع 2 : 256 .

عَقَّوا فاطمة فغصبوا منها فدكاً(1)، ورَوَّعوها، وهددوها بحرق دارها(2) حتَّى ماتت غاضبة عليهما(3)، كما عَقَّوا ولدها فمضوا مسمومين مقتولين مشردين. ولو تمسك القوم بالولاية التي هي خير العمل لَبَرَّوا فاطمة وولدها، ولما خرجت الخلافة من أهلها، ومن هنا نعلم أن تفسير الحيلة الثالثة تارة بالولاية، وأخري ببرِّ فاطمة وولدها، إنّما هما وجهان لعملة واحدة، وعبارتان تدلان علي معني مشترك واحد، وهو أنّ محمّداً وعليّاً وأولادهم المعصومين هم خير البرية.

ولعلّ القارئ الكريم قد وقف علي جذور هذا الأصل الديني من القرآن والعترة فيما وضّحناه سابقاً في البحوث التمهيدية، من أنّ تشريع الأذان سماويّ، وهو يحمل في طياته سمات معنوية وأسراراً عالية، وأنّه بيان لأصول العقيدة وكتليات الإسلام، لأنّ الأذان ليس إعلماً لوقت الصلاة فقط، بل إنّ آثاره تجري في عدة أمور، فهو بيان لما ابتني عليه الدين الإسلامي من التوحيد والنبوة - والإمامة في نظر الإمامية - .

1- انظر: شرح نهج البلاغة 16 : 209 - 253 و17 : 216، الاحتجاج 1 : 267، الاختصاص : 183 .

2- جاء في تاريخ الطبري 3 : 202 بسند معتبر، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلي البيعة. وقد كانت فاطمة في البيت، فقالوا لعمر: إنّ في البيت فاطمة! قال: وإنّ (انظر الإمامة والسياسة 1 : 12، اعلام النساء 4 : 114).

3- جاء في صحيح البخاري 2 : 504 كتاب الخمس باب 837 باب فرض الخمس ح 1265 بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنّها اخبرته: أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلي الله عليه وآله سألت ابا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله، فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتّى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر.

إن إكمال الدين وإتمام النعمة لا يكون إلا بإمامة عليّ وولده ، وهذا ما دلّلت عليه الكتب الكلامية ، ودلّت عليه الآيات الكريمة التي منها آية التطهير وآية الولاية { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ... } وآية المباهلة ، وسورة الدهر ، وغيرها من عشرات الآيات والأحاديث - إن لم نقل المئات - دالة عليه ، وهذا ما يجب أن يعتقد به كلّ مسلم ؛ إذ عرفت أنّ لا صلاة كاملة ومقبولة إلا بولايتهم .

إنّ عبارة « حيّ علي خير العمل » الدالة علي الإمامة هي جزء من الأذان ؛ لما تضافرت به روايات الإمامية الاثني عشرية ، والزيدية ، والإسماعيلية ، ولوجودها حتّى في مصادر أهل السنّة ، وقد أذن بها كبار الصحابة ، وحكي عن الإمام الشافعي والإمام مالك القول بجزئيتها ، وسنزيد المسألة وضوحاً وجلاءً في الباب الثالث (أشهد أنّ عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع) من هذه الدراسة ، ضمن بحثنا عن شرعية الشهادة الثالثة أو بدعيّتها .

ما وراء حذف الحيلة الثالثة

نصّ التفتازاني والقوشجي وغيرهما علي دافع الخليفة عمر بن الخطّاب إلي حذف هذا الفصل من الأذان ، واتّفق الزيدية والإسماعيلية والإمامية علي ثبوت هذا الحذف عنه ، في حين جري التعقيم علي هذه النقطة في أغلب كتب أهل السنّة ، علي الرغم من تأكيد كثير من النصوص التاريخية والحديثية المتناثرة في المصادر علي حذف عمر لحيّ علي خير العمل للدافع الذي أعلنه .

إنّ ما ذكر من تعليل لحذف الحيلة الثالثة قد يكون وجيهاً عند عمر بن الخطّاب ؛ لانسجامه مع نفسيّته ومنهجه في فهم النصوص ، وللظروف التي كان يعيشها من غزوات وحروب وتوسيع لرقعة الدولة ، وهو ممّا يستوجب بالطبع جمع الطاقات وتوظيفها للغرض المنشود ، وعدم السماح للمتقاعدين في التشبث بعلم

قد تبعدهم عن الجهاد ، من جملةها الاتكال علي الصلاة أو الولاية باعتبارهما خير العمل .

لكنّ هذا السبب في منع عمر بن الخطاب ترد عليه عدة أمور :

أولها : إنّ الغزوات والحروب كانت أعظم وأكثر علي عهد رسول الله ، وكانت ظروف انبثاق الدولة الإسلاميّة الفتية وبداية انطلاقها لنشر دين الله أدعي إلي حذف هذه الحيلة من قبل رسول الله صلي الله عليه وآله - لو صحّ هذا التعليل - من الظروف التالية التي عاشها الخليفة بعد استقرار أمور الدولة بشكلها الذي كانت عليه . فلماذا لم يحذف رسول الله صلي الله عليه وآله هذا الفصل وحذفها عمر (1) !؟

إنّ هذا ليثير تساؤلاً حول صحّة هذا التعليل الذي فسّر به عمر حذفه هذا ، أو يومئ إلي وجود سبب آخر غير معلن في هذا السياق .

ثانيها : لو قبلنا التعليل السابق تنزلاً لصحّت مشروعية الحذف لفترة معينة ، لا أنّه يكون تشريعاً لكلّ الأزمان ، ذلك أن سريان المنع إلي يومنا هذا ربّما يشير إلي أمر آخر .

ثالثها : إنّ هذا التعليل من قبل الخليفة لا يتفق مع ما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وآله من قوله : « اعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة » وهو لا يتفق أيضاً مع قوله صلي الله عليه وآله عن الصلاة : « إنّها عمود الدين إن قبّلت قبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها » ، فلو صحّ تعليل الخليفة وأنّه أراد أن لا يتكل الناس علي الصلاة ويدعّوا الجهاد ، للزم

1- وهذا التعليل والرد ، ورد نظيرهما في إتمام عثمان للصلاة بمني ، بحجّة خوفه أن يظن الناس أنّ صلاة القصر هي المفروضة ، فأجابه الصحابة بأن النبي صلي الله عليه وآله كان يقصر الصلاة وينبّه المسلمين علي أنّ ذلك مخصوص بمني . فلو صحّ تعليل عمر ، لكان يمكنه أن يقر الحيلة الثالثة في الأذان وينبّه المسلمين علي ضرورة الجهاد ، كما كان رسول الله صلي الله عليه وآله يفعل ذلك . وهذا التشابه في أدوار الخليفين الثاني والثالث يوقفك علي مسار تيار الحكّام المجتهدين .

من ذلك تخطئة كلّ النصوص الدالة علي أنّ الصلاة خيرُ موضوع وخير الأعمال ، وأنها وسيلة لقبول الأعمال وردّها .

رابعاً : من المعلوم أنّ المسلمين صاروا بعد رسول الله صلي الله عليه وآله نهجين : أحدهما : نهج الخلفاء ، والآخر نهج أهل البيت . وكان هؤلاء علي تخالف في كثير من القضايا السياسية والفقهية ، فلمّا منع عمر الحيعلة الثالثة نَسَبَ نهجَ الخلفاء إلي رسول الله صلي الله عليه وآله المنع تأييداً للخليفة عمر بن الخطاب ، حتّي إذا جاء الخلفاء اللاحقون منعوا هذا الفصل من الأذان واستقبحوه من الناس ، ولأجله تري انحسار الروايات الدالة علي الحيعلة في كتب الجمهور ، لكنّ الطالبين أصروا علي الإتيان بها علي الرغم من هذا المنع .

وبذلك تحزّب أبناء السنّة والجماعة لمذهب عمر بن الخطاب وحكموا رأيه في مقابل موقف الإمام عليّ وأولاده الذين خالفوا هذا المنع وأصروا علي الحيعلة الثالثة رغم كلّ الظروف والمشاكل ، كما ستقف عليها لاحقاً .

خامساً : إنّ المطلع علي مجريات الأحداث في زمن رسول الله صلي الله عليه وآله ثمّ من بعده يقف علي حقيقة جلية ، هي أنّ قریشاً لم تكن ترضي باجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم ، وكانت تطمع في الخلافة من بعده صلي الله عليه وآله ، فكانوا يشترطون علي رسول الله أن يبایعوه بشرط أن يجعل لهم نصيباً في الخلافة من بعده ، لكنّه صلي الله عليه وآله كان يقول : « إن الأمر لله يجعله حيث يشاء »(1) وليس الأمر بيدي .

وجاء عن ابن عباس : إن عمر بن الخطاب قال له في أوائل عهده بالخلافة : يا عبدالله ، عليك دماء البُدن إن كتمتنيها هل بقي في نفسه [يعني عليّ بن أبي طالب] شيء من أمر الخلافة ؟

1- انظر : حديث عامر بن صعصعة في سيرة ابن هشام 2 : 289 ، وحديث قبيلة كندة في سيرة ابن كثير 2 : 159 ، وهما يدلّان علي ما نقوله .

قلت : نعم .

قال : أيزعم أن رسول الله نصّ عليه ؟

قلت : نعم . وأزيدك : سألتُ أبي عمّا يدّعيه ، فقال : صدّق .

قال عمر : لقد كان من رسول الله في أمره ذرؤٌ من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً ، وكان يربّع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك إشفاقاً وحيطةً علي الإسلام ... فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك(1) .

وقال العيني في عمدة القاري : واختلف العلماء في الكتاب الذي هم بكتابته فقال الخطابي : يحتمل وجهين ، أحدهما انه اراد أن ينص علي الإمامة بعده فترتفع تلك الفتن العظيمة كحرب الجمل وصفين(2) .

ولو جمعنا ما جاء عن ابن عباس ، مع ما قاله عمر لرسول الله صلي الله عليه وآله عند مرضه - حينما قال صلي الله عليه وآله : انتوني بدواة وقلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً ، فقال عمر : إنّ الرجل ليهجر(3) - مع ما قاله رسول الله لعمر لما أتاه بجوامع من التوراة : والذي نفسُ محمّد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم(4) ، مع قول رسول الله في حديث الثقلين « ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » ، لو جمعنا كلّ ذلك لوقفنا علي حقائق مذهلة ، ولعرفنا موقف النهج الحاكم بعد رسول

1- شرح ابن أبي الحديد 12 : 21 وقال : ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً .

2- عمدة القارئ 2 : 171 .

3- وفي نصّ البخاري « إنّ الرجل قد غلب عليه الوجد » ، وكلاهما إساءة للرسول المصطفى .

4- سنن الدارمي 1 : 115 باب ما يتقي من تفسير حديث النبي صلي الله عليه وآله ، مسند أحمد 4 : 266 ، المصنف لعبد الرزاق 6 :

113 باب مسألة أهل الكتاب ، أسد الغابة 3 : 127 .

الله من أهل بيت الرسالة وموت الزهراء وهي واجدة علي أبي بكر وعمر (1). ولعرفنا أيضاً مدي المفارقة بين ترك بر فاطمة وترك الدعوة للولاية وبين تأكيدات الرسول علي الاهتمام بالعترة تلويحاً وتصريحاً، من مثل وقوفه صلي الله عليه وآله كل يوم - مدة ستة أشهر - علي باب فاطمة بعد نزول آية التطهير يناديها للصلاة بقوله « الصلاة الصلاة، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (2).

ومما يحسن بنا أن نتفطن له هو أن هذا الموقف من رسول الله إنّما يُنبئ عن وجود ترابط عميق بين بر فاطمة وولدها ومسألة الصلاة، وبمعني آخر بين الولاية والعبادة، إذ أنّ وقوف الرسول المصطفي علي باب فاطمة لمدة ستة أشهر لا يمكن تصوّره لغواً بأيّ حال من الأحوال؛ لأنّه صلي الله عليه وآله كان يقف داعياً المطهّرين من عترته إلي الصلاة، مُعلِّماً بوجود لون من التواشج بين الصلاة والعترة. ورسول الله حلقة الوصل والربط بين ركيزة التوحيد « الصلاة، الصلاة » وبين الولاية {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ...}. ونلاحظ في هذا النص: قول الله « القرآن »، وفعل الرسول « الوقوف »، ونتيجة لزوم الاعتقاد بمنزلة العترة والقربي وأن مودتهما وطاعتهما عبادة منجية.

سادساً: إن الخلفاء المتأخرين أيضاً أدركوا سرّ الحيلة الثالثة فحرصوا أشدّ الحرص علي حذفها، ولم يرضوا بها ممن خطب لهم ولَسَسَ خِلَعَهُم وانضوي تحت

1- صحيح البخاري 5 - 6 : 253 ، كتاب المغازي باب غزوة خيبر ح 704 ، صحيح مسلم 3 : 1379 ، كتاب الجهاد باب قول النبي لا نورث إنما تركناه صدقة ، تاريخ المدينة لابن شبة 1 : 197 .

2- مسند أحمد 3 : 259 ، 285 ، سنن الترمذي 5 : 351 ح 3205 ، كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الاحزاب ، المستدرک للحاكم 3 : 158 ، مصنف ابن أبي شيبة 6 : 391 ح 32262 ، كتاب الفضائل باب في فضل فاطمة عليها السلام .

لوائهم، بل أصروا علي ضرورة حذفها؛ لأنها رمز يشير إلي بطلان حكوماتهم. وسيأتيك ذلك في الفصل الرابع لدي الكلام عن تاريخ الحيلة في مكة وحلب سنة 463 هـ. وحسبك منها ما كان من القائم بأمر الله العباسي، حين أخبره نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بأن محمود بن صالح خطب له بحلب ولبس الخلع القانمية، حيث قال له: أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون ب- «حي علي خير العمل»!!

كلّ هذه النصوص تؤكد أنّ المراد الأساسي من «خير العمل» هو بر فاطمة وولدها، والولاية والإمامة التي بها قوام الصلاة والصوم والزكاة والحجّ وسواها... لا شيء آخر، فصار الخليفة - حسب كلام الإمام المعصوم، والاستقراء التاريخي - لا يرضي أن يقع (دعاء إليها وتحريض عليها)، لأن ذلك يعني التشكيك بشرعية خلافته وخلافة من قبله، وهو المعني من كلامه عليه السلام (ما نودي بشيء كالولاية).

وجاء في الغيبة للنعماني عن عبدالله بن سنان أنّه

عليه السلام قال في معرض كلامه عن علامات ظهور القائم من آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف: وأنه سيكون في السماء نداء «ألا إنّ الحقّ في عليّ وشيعته».

قال عليه السلام ف- {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} علي الحق وهو النداء الأول (1)، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا (2).

ولو قرأنا تفسير الأئمة لقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصَّعَّدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} لعرفنا المنزلة العظيمة للولاية وسبب معاقبة عمر للقاتل بها، لأنّ

1- دون النداء الثاني الذي ينادي به إبليس لعنه الله.

2- الغيبة للنعماني 173 - 174 باب ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم.

الكلم الطيب لو كان قد سعد إليه سبحانه وتعالى بنفسه ، فما معني العمل الصالح يرفعه إذن؟!

روي الكليني بسنده إلي الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} قال : ولا يتنا أهل البيت - وأهوي بيده إلي صدره - فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً (1).

وعن الرضا عليه السلام في قوله تعالى : {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} قال : الكلم الطيب هو قول المؤمن : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله وخليفة محمد رسول الله حقاً حقاً وخلفاؤه خلفاء الله » ، والعمل الصالح يرفعه ، فهو دليله ، وعمله اعتقاده الذي في قلبه بأن هذا الكلام صحيح كما قلته بلساني (2).

وعن فاطمة الزهراء بنت محمد ، قالت : قال رسول الله صلي الله عليه و آله : لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ صَرَّتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني ، فسمعت أذاناً مثني مثني ، واقامة وتراً وتراً ، فسمعت منادياً ينادي : يا ملائكتي وسكان سماواتي وارضتي وحملة عرشي اشهدوا اني لا إله إلا انا وحدي لا شريك لي ، قالوا : شهدنا وأقرنا ، قال : اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وارضتي وحملة عرشي بأن محمداً عبدي ورسولي ، قالوا : شهدنا واقرنا ، قال : اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وارضتي وحملة عرشي بأن علياً وليي وولي المؤمنين بعد رسولي ، قالوا : شهدنا وأقرنا... (3)

وبهذا يفضي بنا البحث إلي أنّ التعليل الحقيقي لمنع عمر بن الخطاب للحيلة

1- الكافي 1 : 340 .

2- تفسير الإمام العسكري 328 ح 184 وعنه في تأويل الآيات : 469 والنص عنه .

3- تفسير فرات الكوفي : 342 في آخر تفسير سورة الأحزاب .

الثالثة هو اطلاعه علي المقصود من عبارة « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، ودلالاتها علي ولاية أهل البيت ، لصرف الانتباه عنها ، وذلك بكتمانها وحذفها ، فمَنَعَهَا تحت غطاء الحفاظ علي كيان الدولة الإسلامية وتوسيع رقعتها بالجهاد ، لكن الطالبين قد أدركوا هذا الأمر وأصبروا علي الإتيان بها رغم كل الظروف الحالكة ، وهذا ما ستقرأه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

ولذلك كان الإمام عليّ عليه السلام في أيام خلافته يلمح ويشير إلي أنّ حذف « حيّ علي خير العمل » كان جوراً عليه وعلي الإسلام ، فكان إذا سمع مؤذنه يقول « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل » قال : مرحباً بالقائلين عدلاً(1) ، معرضاً بمن رفعها ، لأنّ عليّاً هو خير العمل وهو العدل الذي يدور مع القرآن حيثما دار ويدور معه القرآن أيضاً .

والذين ظنّوا أنّ الصلاة تقتصر علي شكلها الظاهري دون المحتوي الذي هو الطاعة(2) سعوا إلي ترسيخ فكرة أن هل البيت ومودتهم ليست خير العمل ، فكان لحذفها من الأذان مغزّي عرفه أهل البيت فأنكروا حذفها ، كما عرفه مخالفوهم فأصروا علي حذفها .

ومن خلال هذه الدلائل العديدة استبان لنا أنّ « خير العمل » كناية عن إمامة عليّ عليه السلام التي هي امتداد لنبوة النبيّ ، وامتداد للتوحيد ، وهذا ما رواه الباقر والصادق عليهما السلام من أئمة أهل البيت في قوله تعالى : { فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ

1- الفقيه 1 : 288/ح 890 .

2- أي طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة وليّه ، والأخيران منتزعان من الأولي ، وقد مرّ عليك قوله صلي الله عليه وآله : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصي علياً فقد عصاني ، وقوله صلي الله عليه وآله : فاطمة بضعة مني ... فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذي الله جلّ وعلا .

عَلَيْهَا { قالوا : هو « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي أمير المؤمنين ولي الله » ، إلي ها هنا التوحيد(1) .

وقد سئل الشريف المرتضي : « هل يجب في الأذان بعد قول « حيّ علي خير العمل » « محمد وعلي خير البشر » ؟ فأجاب قائلاً : « إن قال : محمد وعلي خير البشر - علي أنّ ذلك من قوله خارج من لفظ الأذان - جاز »(2) .

1- تفسير القمّي 2 : 155 عن الباقر ، ونحوه عن الصادق عليه السلام في التوحيد وبصائر الدرجات . ولا يخفي عليك أن للتوحيد مراتب ، فهناك توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الطاعة ، فإنه سبحانه وتعالى مع كونه : (لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) - و (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ، و (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، وهو الذي (يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) ، - فإنّ هذا المعني غير معارض بمثل قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) . وإن قوله تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) لا يعارض ما جاء من الشفاء بالقرآن في قوله تعالى : (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) وبالغسل (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) . وكذا قوله : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) فإنه لا يعارض قوله : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلَهُ مِنْ شِئَاءِ) وإلي غيرها من عشرات الآيات . فلا تخالف إذاً بين نسبة الأفعال إلي الله جل جلاله ونسبتها في الوقت نفسه إلي غيره ، فلا - يخالف قوله : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) مع قوله : (وَازْرُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ) وكلاهما من كلام الباقر . ومن هنا تأتي مسألة التوحيد ، فتوحيد الطاعة هو يعني لزوم إطاعة من أمر الله بطاعته ، ومن لا يطيع الرسول وأولي الأمر المفروض طاعتهم فانه لم يطع الله لقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) وهذا لا يخالف قوله : (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیُعْبَدُوا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فطاعة من أمر الله بطاعته هي طاعة لله ، ومن لم يطع الله ورسوله ومن أمر الله بطاعته لم يوحد الله تعالى حقّ توحیده . وعليه فطاعة أحدهما جاء علي وجه الاستقلال ، والآخر علي أنه مظهر أمره سبحانه ، وليس هذا بشرك أو مغالاة كما يدعون ، بل هو عين الإيمان وكمال الدين .

2- رسائل المرتضي 1 : 279 ، مسأله 17 ، وجواهر الفقه لابن البراج : 257 مسألة 15 .

وهذا يعني أنّ هذا التفسير لحي علي خير العمل كان سائداً في لسان المتشركة منذ زمن أهل البيت وحتى يومنا هذا .

وقد أفتي القاضي ابن البرّاج باستحباب ذكر هذا التفسير ، فقال : ويستحب لمن أذن أو أقام أن يقول في نفسه عند « حيّ علي خير العمل » : « آل محمّد خير البرية » ، مرتين (1) .

وكون عليّ عليه السلام هو المراد من « حيّ علي خير العمل » ، والنبيّ من « حيّ علي الفلاح » ، وطاعة الرب وعبادته من « حيّ علي الصلاة » ، فيه من وجوه البلاغة ما لا يخفي ، إذ فيه من أنواع البديع ما يسمّى بالتلميح ، وهو أن يشار في الكلام إلي آية من القرآن أو حديث مشهور أو شعر مشهور أو مثل سائر أو قصة أو معني معروف ، من غير ذكر شيء من ذلك صريحاً . وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعني المقصود .

قال الطيبي في التبيان : ومنه قوله تعالى : { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَيَّ بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً } قال جار الله الزمخشري : قوله : { وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً } فيه دلالة علي تفضيل محمّد صلي الله عليه وآله وهو خاتم الأنبياء ، وأنّ أمته خير الأمم ، لأنّ ذلك مكتوب في الزبور ، قال تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } ، قال : وهو محمّد صلي الله عليه وآله وأمته (2) .

فهنا ألمح الله سبحانه وتعالى لعباده بأن الصلاة له لا لغيره ، وأنّ الفلاح الذي قامت به الصلاة هو اتباع رسول الله محمّد صلي الله عليه وآله ، لا الاجتهاد مقابل النص ، وان

1- المهذب لابن البراج 1 : 90 باب الأذان والإقامة وأحكامهما .

2- انوار الربيع 4 : 266 . ومن هذا الباب تلميح أبي العلاء المعري للشريف المرتضي بقصيدة المتنبي : لك يا منازل في القلوب منازل .

انظر : أنوار الربيع 4 : 292 - 293 . هذا وقد أخذ الطيبي والزمخشري هذا عن تفسير النسفي 2 : 290 سورة الاسراء .

خير العمل هو الإيمان بالإمامة والولاية لعلي

عليه السلام التي هي امتداد للنبوة والتوحيد ، وبها قوام العبادات التي عمودها الصلاة .

وهناك عشرات إن لم تكن مئات الأدلة علي أنّ خير العمل ولاية عليّ ، وان ضربته يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين ، وأنّ الاعمال لا تُقبل إلّا بولايته ، ومعانٍ أخرى متصلة بهذا الموضوع . وقولنا في الأذان « حيّ عليّ خير العمل » فيه تلميح لكل تلك المعاني التي صدع بها رسول الله صلي الله عليه وآله في حق عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه .

والواقع أن كون أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب هو خير البشر بعد رسول الله صلي الله عليه وآله إنّما هو معنيّ قرآنيّ نطقت به آية من سورة « البيّنة » المباركة ، وصرّح به النبيّ صلي الله عليه وآله في تفسير الآية ، وتداولته المصادر السنّيّة ، وكان هذا المعنيّ ممّا آمن به كبار من الصحابة المعروفين ، حتّي صار في عهد النبيّ صلي الله عليه وآله جزءاً من الثقافة الإيمانيّة القرآنيّة الساندة .

فقد روي الطبري بإسناده عن محمّد بن عليّ الباقر لما نزل قوله تعالى : { أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } قال النبيّ : أنت يا عليّ وشيعتك (1) .

والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب بإسناده عن جابر بن عبد الله مرفوعاً عن النبيّ صلي الله عليه وآله قال : عليّ خير البشر من شك فيه فقد كفر (2) .

وغيرها من عشرات الطرق والأسانيد عن الصحابة والتابعين .

وبعد كلّ هذا تعلم أنّ قول « محمّد وآل محمّد خير البرية » أو « محمّد وعليّ خير البشر » عند الشيعة الثالثة أو بعدها إنّما هو توضيح لمعناها الذي حاول الحكام

1- تفسير الطبري 30 : 264 ، ورواه السيوطي في الدر المنثور 6 : 379 ، والحسكاني في شواهد التنزيل 2 : 459 - 473 ح 1125 - 1148 بأسانيد وطرق كثيرة .

2- الفردوس 3 : 62 ح 4175 ، وانظر ترجمة الإمام عليّ لابن عساكر 2 : 457 ح 989 بأسناده عن عائشة .

كتمه ، وأن هذا التوضيح والتفسير ما هو إلا استلهاهم من نصوص القرآن والسنة ، وسير علي الخطوات الصحيحة التي رسمها رسول الله صلي الله عليه وآله لأمة .

وستعلم بما لا مزيد عليه - في الباب الثالث من هذه الدراسة « اشهد أن علياً ولي الله بين الشرعية والابتداع » - أن إتيان الأئمة: وأتباعهم بهذه العبارات ما هو إلا تفسير لمعني الحيلة الثالثة ، وهو من قبيل الإتيان بتفسير بعض الآيات تفسيراً مرتبطاً بنص الآية ونسقتها ، وهذا النوع من التفسير مما تحفل به كتب الفريقين بلا أدني ريب(1) ، وهو التفسير المقبول الذي اصطلح علي تسميته البعض ب- « التفسير السياقي » .

1- انظر : قراءه عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة للآية : (حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةَ الوُسْطَى) هكذا : (حافظوا علي الصلوات والصلوة الوسطي و صلاة العصر وقوموا لله قانتين) . وحديث عائشة موجود في صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب الدليل لمن قال : الصلاة الوسطي هي صلاة العصر ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب وقت صلاة العصر ، وسنن الترمذي ، كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة ، وسنن النسائي ، كتاب الصلاة ، باب المحافظة علي صلاة العصر ، وموطأ مالك ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الوسطي ، وتفسير الآية في الدر المنثور 1 : 302 و303 ، وفي فتح الباري 9 : 265 ، ومسند أحمد 6 : 73 و878 منه . أما حديث حفصة فانظر فيه : موطأ مالك كتاب الصلاة ، باب الصلاة الوسطي ، ومصنف عبدالرزاق ، كتاب الطهارة ، باب صلاة الوسطي ح 2202 ، وتفسير الطبري 2 : 343 ، والدر المنثور 1 : 302 ، والمصاحف لابن أبي داود : 85 - 86 . أما حديث أم سلمة ، فانظر فيه : الدر المنثور 1 : 303 ، والمصاحف لابن أبي داود : 87 . وقد قرأ ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب قوله تعالي : (فَمَا اسَّ تَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) . وانظر : قراءة ابن عباس في المعجم الكبير 10 : 320 ، والسنن الكبرى 7 : 205 ، والمستدرک للحاكم 2 : 305 ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي 5 : 130 ، والكشاف 1 : 519 . وفي قراءة ابن مسعود . انظر نيل الأوطار 6 : 274 ، وشرح النووي علي صحيح مسلم 6 : 118 . وفي قراءة أبي بن كعب . انظر جامع البيان للطبري 5 : 19 ، والدر المنثور 2 : 139 . وهي قراءة علي كذلك .

الفصل الرابع: حيّ علي خير العمل تاريخها العقائدي والسياسي

اشارة

قد يقترح البعض ضرورة إكثارنا من ذكر مصادر أهل السنة والجماعة حين الكلام عن جزئية « حيّ علي خير العمل » وعدم الاكتفاء بما نقلناه، بل عدم استساغة ما روته طرق الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والزيدية، والإسماعيلية وبعض علماء أهل السنة عن أهل البيت والصحابة، بزعم أنّ ذلك ليس ملزماً للآخرين .

هذا الكلام قد يكون له مساغ لو ضربنا بمعطيات التاريخ عرض الجدار؛ إذ الموقف تجاه المتغيّرات في التاريخ والحديث، وما فعلته ريشة الحكام بالنصوص والموازن، وختقهم لكلّ ما هو أصيل مما لا يعجبهم، وخصوصاً بعد أن اتّضح لنا دور الأمويين في التحريف والتعتيم، كلّ ذلك يدلّك علي سرّ انحسار مثل نصوص الحيعلة الثالثة في مدرسة الخلفاء .

بل إنّ تصريح الإمام الباقر والإمام زيد وغيرهما بأنّ عمر بن الخطاب كان وراء رفع « حيّ علي خير العمل » إنّما ينم عن الظروف القاسية العصيبة التي جعلت المعاجم الحديثية السننية تكاد تخلو من أمثال هذه الأحاديث رغم ثبوتها علي عهد رسول الله؛ فأينما أنّه لا محيص من الرجوع إلي التاريخ، للوقوف علي مجريات

الأحداث ، ومنها الوقوف علي صحّة وأصالة ما قالته الشيعة وما جاء في الروايات اليتيمة في كتب الفقه والحديث عند أهل السنّة والجماعة ، ومن خلال عرضنا للمسألة من وجهة نظر تاريخية سيقف القارئ علي جواب القول السابق وأمثاله .

إنّ ثبوت « حيّ علي خير العمل » لم يقتصر علي العلويين - حسنيين كانوا أم حسنيين - بل تعدّاهم إلي بعض أهل السنة والجماعة ، وقد مرّ عليك ما كان بأيديهم من بقايا هذا الأذان الأصيل .

ومن المعلوم أنّ المسلمين انقسموا بعد وفاة رسول الله إلي نهجين :

الأوّل : نهج الصحابة .

والثاني : نهج أهل البيت .

وعُرف النهجان بالتخالف فيما بينهما في كثير من المسائل ، بحيث تجاوز حدّ النزاع حول الإمامة والخلافة ليشمل كافة مجالات الشريعة وأحكامها .

وبمعني آخر : إنّ الخلاف الحاصل بين النهجين قد تجاوز الصعيد السياسيّ ليشمل أصعدة أخرى فكرية وعقائدية واجتماعية . وفي حال اعتبار مصدر تشريع الأحكام في الفقه من الأمور المهمّة والحساسة جدّاً ، فلا عجب أن تري بين قادة النهجين أحكاماً فقهية متضادة ، قد تصل إلي حدّ التناقض في المسألة الواحدة ، فتجد ما يقوله عمر بن الخطاب يخالف ما يقوله عليّ بن أبي طالب تماماً ، فعلي الرغم من التزام وتعبّد عليّ

عليه السلام بمنهج رسول الله في جواز المتعة مثلاً ، تري اجتهاد عمر شاخصاً أمامك في قبال شريعة رسول الله ، محرّماً للمتعتين ، قائلاً : « أنا أحرّمهما وأعاقب عليهما » .

لقد أخذ أهل السنّة الكثير من فقههم من مجتهدي الصحابة الاوائل ، وخصوصاً الخلفاء ، وانتهجوا سيرة الشيخين ، ولهذا فإنّ الكثير من موارد المنع في فقه أهل السنّة والجماعة يرجع أساساً إلي سنّه عمر بن الخطاب وغيره من مجتهدي

الصحابة . وقد تمحّل له علماء هذا النهج فحملوا كلّ ما لا يرتضونه من الروايات والأحكام المغايرة لاجتهادات السلف علي النسخ والوضع . ولكي يضيفوا صبغة شرعية علي تلك الأحكام تراهم ينسبون روايات إلي رسول الله تؤيد ما ذهبوا إليه .

وإيماناً منا بضرورة دراسة ملابسات مثل هذه الأمور في الشريعة ورفع الستار عنها ، خصصنا هذا الفصل كي نؤكّد علي أن الصراع حول جزئية « حيّ علي خير العمل » بين الطالبين والنهج الحاكم له جذوره وأصوله العقائدية والتاريخية ، ولم يكن صراعاً سياسياً بحتاً ، وهذا إن دلّ علي شيء فإنما يدلّ علي عمق الخلاف بين الفريقين .

إذ أن استمرار الصراع العقائدي السياسي لمدة طويلة من الزمن ينبئ عن وجود أصل شرعي مُختلف فيه عندهم .

ولمّا كان النهج الحاكم - علي مرّ العصور - يدعو إلي « الصلاة خير من النوم » تبعاً للخليفة الثاني والأمويين من بعده ، ولمّا كان الطالبين لا يؤمنون بشرعية هذا الجزء ، فمن المؤكّد أن يكون عدم إتيان الحفاظ والمحدثين بما يدلّ علي شرعية « حيّ علي خير العمل » في الصحاح والسنن قد كان خاضعاً لأمر سياسية .

إنّ الطالبين قد وقفوا أمام مثل هذه الهجمات بكلّ قوّة ، وبذلوا كلّ ما يمكنهم في التعبير عن عدم الرضوخ أمام تغيير السنّة ، وقد كلّفهم ذلك الكثير الكثير ، وتحملوا المصاعب العظام من أجل الحفاظ علي سنّة رسول الله صلي الله عليه وآله ومنها الإتيان ب- « حيّ علي خير العمل » في أذانهم . وقد جرت بين الطرفين مناوشات كلامية اتّهم فيها كلّ طرف منهما الآخر بالانحراف والبدعة ، محافظاً علي شعارتيه ، ورفضاً شعارية الطرف الآخر بكلّ عنف .

ومن يتصفّح التاريخ يجد بين طياته صوراً حيّة لمدي قوّة تمسك الطالبين بهذا الجزء من الأذان ، حتّي وصلت الحال في بعض الفترات إلي أن يكون هو الشعار المحرّك للشوار والثورة في مراحل مختلفة من التاريخ .

لقد تمسك الطالبيون بـ « حيّ علي خير العمل » وقدّموا قرابين نفيسة من أجل إبقائها سنّة حتّى صارت شعاراً للشيعة في كلّ الأصقاع ، وصبغة عقائديّة يُميّزون بها عن غيرهم ، وقد استمدّوا العزم من مواقف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي قال حين سمع أذان ابن النبتاح بـ « حيّ علي خير العمل » : « مرحباً بالذي قال عدلاً ، وبالصلاة مرحباً وسهلاً » (1) .

وقد تجلّت مواقف الشيعة بوضوح في موقف الحسين بن عليّ - صاحب فخّ - وغيره من الطالبين (2) الذين أصرّوا علي إعلانها جهاراً في الأذان .

-
- 1- من لا يحضره الفقيه 1 : 288 ح 890 ، وانظر : كتاب الأذان بحّي علي خير العمل : 48 ، 50 للحافظ العلوي .
 - 2- وإليك مجمل الحركات الشيعيّة في العصر العباسي الأول « 132 - 232 » : 1. حركة محمّد النفس الزكيّة في المدينة سنة 145 هـ ، في عهد المنصور العباسي . 2. حركة إبراهيم - أخي النفس الزكية - في البصرة سنة 145 هـ . 3. حركة الحسين بن علي (صاحب فخّ) في المدينة سنة 169 هـ ، في عهد الخليفة الهادي . 4. حركة يحيى بن عبدالله - أخي النفس الزكيّة - في بلاد الديلم سنة 175 هـ ، في عهد هارون الرشيد . 5. حركة إدريس بن عبدالله - أخي النفس الزكيّة - في بلاد المغرب سنة 172 هـ ، في عهد الرشيد . 6. حركة محمّد بن إبراهيم وأبي السّرايا في الكوفة سنة 199 هـ ، في عهد المأمون . 7. حركة محمّد بن جعفر الصادق في مكة سنة 200 هـ ، في عهد المأمون . 8. حركة أبي عبدالله (أخي أبي السرايا) في الكوفة سنة 202 هـ ، في عهد المأمون . 9. حركة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في اليمن سنة 200 هـ ، في عهد المأمون . 10. حركة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب في اليمن سنة 207 هـ ، في عهد المأمون . 11. حركة محمّد بن القاسم بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في خراسان سنة 219 هـ ، في عهد المعتصم .

وعليه فلا- يصحّ ما قاله البعض من عدم صحّة تلك الأخبار أو نسخها أو ... ، بل الأمر يرجع إلي أمور أعمق مما يقولون ، والحوادث التاريخية تؤكّد ما قلناه .

إنّ متابعة السير التاريخي للأذان وما آل إليه في « حيّ علي خير العمل » يكشف لنا عن أمور عديدة متمادية الأطراف ترجع جذورها إلي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله . ويمكن تلمّس ذلك بوضوح من خلال دراسة التاريخ والسيرة والحديث ، وهذه المسألة من الأهميّة بمكان ، بحيث إنك كلّما بحثت في مسألة من مسائلها تفتّحت لك أبواب مسائل أُخري ذات ارتباط عميق بها ، ولا يمكنك تركها أو التهاون بها ، فالمسألة أكبر من كون « حيّ علي خير العمل » شعار الشيعة و« الصلاة خير من النوم » شعار السنّة .

صحيح أنّ الحركات التغييرية التي قادها الشيعة عبر فترات التاريخ المختلفة تُبيّن أنّهم قد أظهروا مسألة « حيّ علي خير العمل » في الأذان كعنصر تحدّيّ وتعاملوا معها كشعار لهم - كما حصل في الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة الزيدية في طبرستان ، والبويهية في بغداد ، والحمدانية في حلب - إلا أنّ ذلك لا يتجاوز ظاهر المسألة .

ذلك أنّ مصادر الحديث والتاريخ والسيرة تُظهر لنا بأنّ « حيّ علي خير العمل » لها ج ذور وأصالة شرعية ، فهي أوسع من أن تنضيق في زاوية كونها شعار فرقة أو طائفة أو مذهب .

نعم ، كان بلال يؤذّن بها في عهد رسول الله

صلي الله عليه وآله ، وقد أذن مرّة أو مرّتين للزهراء والحسين في زمن أبي بكر ولم يُتمّ أذانه . ويظهر من جمع الأدلة المازّة وما قلناه أنّه كان يؤذّن ب- « حيّ علي خير العمل » ، ولذلك امتنع عن الأذان في زمن الشيخين أبي بكر وعمر ؛ إذ جاء في الخطط للمقريزي (ت 845 هـ -) وغيره : (... وأنّ عمر أراد أن يؤذّن له فأبي عليه) (1) لماذا؟!)

1- الخطط المقريزية 2 : 270 . وانظر الفصل الثاني من هذا الباب « حذف الحيلة ، وامتناع بلال عن التأذين » .

إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكره المقرئ في باب (ذكر الأذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف) وربطنا ذلك بما توصّنا إليه من السير التاريخي لمسألة الأذان فيما يخصّ المسألة المبحوثة وشعاريّتها ، وما أثير حولها من محاولات عامدة للحؤول دون ترسيخها في قلوب المسلمين ، وجمعنا ذلك مع ما بحوزتنا من رواياتنا ورواياتهم فسنحصل علي ثمرة يانعة تشفي غليل المتطّلع الي الحقيقة ، وعلي نتيجة جليّة لا غبار عليها ، ويستبين عندئذ أنّها لا تعدّي كونها في أصلها شعيرة إلهيّة وشعاراً إسلامياً أصيلاً يحمل وراءه نهجاً إسلامياً فكرياً يتبع « الرمز » القدوة الحسنة الذي دعا القرآن الكريم إلي الاقتداء به ، ويرمي بعيداً كلّ ما يمتّ بصلة إلي الاجتهاد بالرأي والاستحسان المقابل لمنهجية التعبد المحض ؛ ذلك أن « حيّ علي خير العمل » سنّة نبويّة ، أمّا « الصلاة خير من النوم » فهي دعوة مُستحدثة لا تمثل جانباً من رؤية الإسلام .

ولدي مرورنا بالنصوص والأحداث سنوضح - وفق منهجنا - ملاسبات المسألة خلال الصراع الأموي العلوي ثمّ الصراع العباسي العلوي ، والسلاجوقي البويهي ، والأيوبي الفاطمي ، وكيفية نشوء الحركات الشيعية في الأمصار ، وذلك فيه التجسيم الحقيقي للصراع بين الرفض والإذعان ، أو قل صراع الأصوليين الإسلاميين ضد الحكّام الأمويين أو العباسيين ومن حذا حذوهم .

لأنّ أصحاب النهج الحاكم - أمويين وعباسيين وغيرهم - كانوا يدعون إلي اتّباع سيرة الشيخين علي نحو الخصوص . أما الثوار والمعارضون من الطالبين فكانوا يذهبون إلي شرعية خلافة الإمام عليّ وأولاده المعصومين ويدعون الناس إلي اتّباع نهج عليّ وولده .

وقد بدأ الخلاف بين النهجين أولاً في موضوع الخلافة ومن هو الأحقّ بها ، وهل هناك تنصيب من الله ، أم أنّ الأمر شورى بين الأمة - أو أصحاب الحّلّ

والعقد منهم - ثم انجرّ هذا الخلاف إلي الشريعة ، فوجدنا أحكاماً تُغيّر وأخري تُستحدث ، إما دعماً لمواقف الخليفة ، أو للتعرف علي رجال الطالبين ، أو لغيرهما من العلل والأسباب .

وقد استفحل هذا الخلاف بعد مقتل عثمان بن عفان ، فانقسم المسلمون إلي فئتين كبيرتين :

فجّل أهل البصرة وأهل الشام كانوا ذوي أهواء عثمانية في الانتماء الفكري والسياسي ، وأهل الكوفة والأنصار من أهل المدينة وعدد كبير من أهل الحجاز كانوا علويي الفكرة والعقيدة .

وبعد استشهاد الإمام عليّ وصلح الإمام الحسن تم استيلاء معاوية بن أبي سفيان علي الحكم ، فغلبت العثمانية علي مجريات الأحداث وانحسر الطالبيون فبدؤوا يعيشون حالة التقيّة .

وإنّما جننا بهذا الكلام كي نوضح بأن عملنا في هذا الفصل سيكون في محورين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، لأنهما وجهان لعملة واحدة ، هما :

1 - المحور السياسي .

2 - المحور التشريعي .

فقد نعرض أن يتغاضي الحاكم الأموي عن شعارية « حيّ علي خير العمل » في بعض الأحيان ، لكن ذلك لا يعني رضاه وسكوته عن ذلك في كلّ الحالات ، لأنّ الحيلة الثالثة كما علمت لها جانبان تشريعي صلاتيّ وعقائدي سياسي ، فإذا كان الإتيان بها منحصرأ في حدّ المسألة التشريعية سكت الحكام عنها علي مضمّن ، وإن اتّخذت طابعها العقائدي السياسي قامت قيامتهم واستبدّ بهم الغيظ ؛ لأنّ معناها العقائدي السياسي هو فرع لمعناها التشريعي الصلاتي الذي هو « محمّد وآل محمّد خير البرية » و« الولاية » و« برّ فاطمة وولدها » ، وهذا

البعد التشريعي يتلوه البعد السياسي الذي يعني أنهم أحق بالخلافة والحكم من الآخرين .

فلو دعا الإمام الباقر أو الصادق إلي جزئيتها في العهد الأموي ، أو أتى بها علي بن الحسين ، فقد يسكت الحاكم عنه علي مريض ، لكن ليس معني هذا سكوتهم كذلك عن الطالبيين الثوار لو أذنوا ب- « حيّ علي خير العمل » ؛ لأنّ الأمويين لو أرادوا معارضة الإمامين الصادق والباقر وقبلهما الإمام علي بن الحسين ، لفتحت أمامهم جبهة جديدة هم في غني عنها في تلك المرحلة من تاريخ المعارضة ، ولدخل الأمر في إطاره السياسي قبل أوّانه .

ذلك أنّ الأمة الإسلامية بدأت تعي الأوضاع بعد شهادة الإمام الحسين سنة 61 هـ- ، وأخذت تتّضح لها معالم الظلم والمكر الأموي وسعيه لهدم الإسلام ، لأنّ ما فعله يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بعثرة رسول الله واستحلاله المدينة المنورة لثلاثة أيام وضربه مكّة وغير ذلك كان كلّ واحد منها كافياً لإحداث هذا التحول الفكري لديّ عامة الناس .

نعم ، هاجت عواطف الشيعة وغيرهم بمقتل الإمام الحسين ، فتلاوموا وتنادموا لعدم إغاثتهم الإمام عليه السلام ، وقد كانت حصيلة هذا الهياج الجماهيري هو نشوء حركة شيعية باسم حركة التّوايين (61 - 64 هـ-) (1) ثمّ تلتها حركة المختار ابن أبي عبيد الثقفي « 64 - 67 هـ- » ثمّ قيام زيد بن عليّ « 122 هـ- » بالعراق ، وابنه

1- وصف الطبري في تاريخه 5 : 558 هذه الحركة بقوله « فلم يزلّ القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس في السرّ من الشيعة وغيرها إلي الطلب بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والتّفر بعد التّفر ، فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتّي مات يزيد بن معاوية » عام 64 هـ- ، فالثوار قدموا ثورتهم بموته في حين كان ضمن مخططهم الثورة علي يزيد وعلي النظام الحاكم عام 65 هـ- ، فلم يفلحوا في ذلك .

يحيي « 125 هـ » بخراسان ، وعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الذي قاد حركته في سنة « 128 هـ » في إصفهان .

فالأُمويّون والعباسيّون في حدود المسألة التشريعيّة لا يمكنهم الوقوف أمام تأذين عليّ بن الحسين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق ب- « حيّ علي خير العمل » ، لوجود أمثال عبدالله بن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف وغيرهما ممن أذن بها .

علي أنّه يمكن حمل سكوت الأمويين هذا علي أنّهم استهدفوا من عملهم هذا هدفاً سياسياً ، وهو التعرّف علي الطالبين وتجمّعاتهم ، وقد وضحنا سابقاً في كتابنا (وضوء النبي) أنّ الطالبين هم المعارضون الحقيقيون للحكومتين الأموية والعباسية .

واستقراراً علي هدفهم هذا سعوا أن يجمعوا الأمة علي فقه يخالف فقه الإمام عليّ بن أبي طالب ؛ الذي فيه الجهر بالبسملة ، والجمع بين الصلاتين ، وعدم مسح الخفّين ، والمسح علي الرجل ، والتكبير علي الميت خمساً ، وغيرها من الأمور الشرعية ذات البعد الشعاري التي استخدمها النهج الحاكم للتعرف علي جماعات الطالبين .

وفي هذه الظروف وهذا الخضمّ كان من الطبيعي أن تكون الحيلة الثالثة من تلك المسائل الشرعية السياسية التي كان للحكام من وراء حذفها ومحاربتها هدف بل أهداف .

وفي قبالة ذلك التيار الجارف نجد أنّ الإمامين الباقر والصادق كانا يدعوان إلي الحيلة الثالثة ، ويؤكدان علي شرعيّتها بدون خوف واكتراث من السلطة ، لكن الأمر نفسه لم يكن عند الثوار في ظروف التعبنة السريّة ، بل كانوا يتّقون ويخافون من تعرف السلطة علي مواقعهم العسكريّة وتجمّعاتهم الثوريّة ، فلم يقولوا ب- « حيّ علي خير العمل » إلّا في الصحراء وحين يأمنون مكر السلطة .

ومن المعلوم أنّ الدولة العباسية أسست علي شعار الرضا من آل محمّد (1) وأنّهم قد تذرّعوا بطلب ثار الشهداء من أبناء فاطمة : الحسين بن عليّ ، زيد بن عليّ بن الحسين ، وولده يحيي وسواهم .

لكنّهم سرعان ما قلبوا للعلويين ظهر المجنّ فلم يقفوا بما عاهدوا عليه الأمة ، ولم يحافظوا علي الدلالة الصادقة لمقولة « الرضا من آل محمّد » ، بل نقضوا ما بايعوا عليه محمّد بن عبدالله بن الحسن « النفس الزكية » قبل الانتصار .

وبعد خيانة العباسيين لشعار الرضا من آل محمّد ، ادّعوا أنّهم أولي بالخلافة من العلويين ؛ لمكان العباس عم الرسول ، وأنه أولي بالنبي من عليّ وفاطمة وأبنائها ! وهنا كان من الطبيعي أن تغيظهم الحيلة الثالثة المشيرة إلي أولوية عليّ وأولاده المعصومين بالخلافة من بني العباس وغيرهم .

وبما أنّ الحكومتين الأموية والعباسية كانتا تقدّمان الشيخين علي الإمام عليّ وتأخذان بسيرتهما ، فمن المنطقي جدّاً أن لا يرتضي العلويون السكوت عما فعله هؤلاء من ظلم لأهل البيت ومن طمس ل- « خير العمل » ، فلذلك كان العلويون يقفون أمام الاجتهادات المحدثّة من قبل الخلفاء كحذف « حيّ علي خير العمل » وتشريع صلاة التراويح ، والتكبير علي الميّت أربعاً ، وإخفات البسملة . بل ربّما كان العلويون يبعدون المرمي ويصيّبون المقتل فيصرّحون بأنّ السبب الأوّل في ضياع حقهم في الخلافة وضياع أحكام الدين ما هو إلا ما فعله الشيخان بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وآله .

من هنا جدّ العلويون لإعادة السنّة إلي موضعها - كما كانت في عهد رسول الله وكما أرادها الإمام عليّ - فأخذوا يعلنون « حيّ علي خير العمل » علي المآذن ،

1- انظر : تاريخ الطبري 7 : 358 احداث سنة 129 و 7 : 390 احداث سنة 130 هـ - وغيرهما .

ويجهرون بالبسملة ، ويكبرون علي الميِّت خمساً ، وينادون ب- « من مات عن بنت وأخ وأخت فالمال كله لها » ويصرخون بالصحيح من دين الله في عشرات المسائل التي حرّفها المحرّفون .

وجاء في جامع علي بن اسباط عن الحسن بن جهنم قال : ذكرت لابن عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام ما نحن فيه وما للناس فيه من اذلال بني العباس قلت : ومتي الفرج ؟ قال : النداء بحي علي خير العمل علي المنارة(1) .

وهذا يشير إلي أنّ الخلاف بين الحكّام والعلويين كان أصولياً ، وليس كما يصوّره البعض بأنّه خلاف حول الخلافة بما هي خلافة فقط ، بل إنّ اختلافهم كان علي الشريعة حكومةً وأحكاماً .

إنّ وقوف الطالبين أمام الحكام ما هو إلا انعكاس لنهج أصيل يقف في مواجهة الخلفاء ، وما جزئية « حيّ علي خير العمل » إلا نموذج مصغّر لهذا الصراع الفكري العقائدي في الشريعة ، وإليك الآن بعض النصوص في ذلك :

زيد بن علي بن الحسين « 122 هـ »

روي الحافظ العلوي بسنده إلي يزيد بن معاوية بن إسحاق ، قال : كنّا بجبّانة سالم(2) ، وقد أمنا أهل الشام ، فأمر زيد بن عليّ معاوية بن إسحاق فقال : أذن ب- « حيّ علي خير العمل ، حيّ علي خير العمل »(3) .

1- الايضاح للقاضي النعمان المطبوع في « ميراث حديث شيعه » دفتر دهم صفحة 109 .

2- أهل الكوفة يسمّون مكان دفن الأموات جبّانة ، كما يسميها أهل البصرة المقبرة ، وجبانه سالم تنسب إلي سالم بن عمارة بن عبدالحارث (انظر : معجم البلدان 2 : 99 - 100) .

3- الأذان بحيّ علي خير العمل : 83 للحافظ العلوي .

بِحَيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ « 125 هـ »

أخرج الحافظ العلوي بسنده عن زياد بن المنذر، قال: حدّثني حسان، قال: أذنت ليحيي بن زيد بخراسان، فأمرني أن أقول: حيّ علي خير العمل، [حي علي خير العمل].

وبإسناده عن صباح المزني، قال: أذن رجل كان مع يحيي بن زيد بخراسان، قال: ما زال مؤذّنهم ينادي

بِحَيِّ عَلِيٍّ خَيْرَ الْعَمَلِ حَتَّى قُتِلَ (1).

إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ « 145 هـ »

أخرج الحافظ العلوي بإسناده عن سالم الخزاز، قال: كان إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن يأمر أصحابه إذا كانوا في البادية أن يزيدوا في الأذان «حيّ علي خير العمل» (2).

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (صَاحِبُ فَخٍّ) « 169 هـ »

روي أبو الفرج الإصفهاني أنّ إسحاق بن عيسى بن عليّ، ولي المدينة في أيام موسى الهادي، فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب، يُعرف بعبد العزيز بن عبد الله، فحمل علي الطالبيين، وأساء إليهم، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض [عليه] كلّ يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كلّ واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه، فضمن الحسين بن عليّ، ويحيي ابن عبد الله

1- الأذان بحَيِّ عَلِيٍّ خَيْرَ الْعَمَلِ لِلْحَافِظِ الْعُلُوِيِّ : 87 وانظر : إمالي أحمد بن عيسى 1 : 97 الحديث 236 .

2- الأذان بحَيِّ عَلِيٍّ خَيْرَ الْعَمَلِ ، لِلْحَافِظِ الْعُلُوِيِّ : 88 ، 89 ، وبتحقيق عزّان : 147 ح 186 ، 187 .

ابن الحسن : الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن ، ووافي أوائل الحاج ، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا دار ابن أفلح بالبيعة وأقاموا بها ، ولقوا حسيناً وغيره ، فبلغ ذلك العمريّ فأنكره ، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبدالله ، وابن جندب الهذلي الشاعر ، ومولي لعمر ابن الخطاب وهم مجتمعون ، فأشاع أنه وجدهم علي شراب ، فضرب الحسن ثمانين سوطاً ، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً ، وضرب مولي عمر سبعة أسواط ، وأمر بأن يدار بهم في المدينة مكشّفي الظهر ليفضحهم ، فبعثت إليه الهاشميّة - صاحبة الراية السوداء في أيام محمد بن عبدالله - فقالت له : لا ولا كرامة ، لا تشهر أحداً من بني هاشم ، وتشتع عليهم وأنت ظالم ، فكفّ عن ذلك وخليّ سيّلتهم ... إلي أن يقول : ثمّ عرضهم يوم الجمعة ... فدعا باسم الحسن بن محمد ، فلم يحضر ؛ فقال ليحيي والحسين بن عليّ : لتأتياني به أو لأحبسنكما ، فإنّ له ثلاثة أيّام لم يحضر العرض ، ولقد خرج أو تعيّب ... أر يد أن أتياني بالحسن بن محمد .

فقال له الحسين : لا تقدر عليه ، هو في بعض ما يكون فيه الناس ، فابعث إلي آل عمر بن الخطّاب ، فاجمعهم كما جمعتنا ، ثمّ عرضهم رجلاً رجلاً ، فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك ، فقد أنصفتنا .

فحلف [العمريّ] علي الحسين بطلاق امراته وحرية مماليكه ، أنّه لا يخلي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته ، وأنّه إن لم يجي به ليركبني إلي سويقه فيخربها ويحرقها وليضربنيّ الحسين ألف سوط ...

فوثب يحيي مَغضَباً ، فقال له : أنا أعطي الله عهداً .. ثمّ وجّه [الحسين] فجاءه يحيي ، وسليمان ، وإدريس - بنو عبدالله بن الحسن - وعبدالله بن الحسن الأفظس ، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا ، وعمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن الحسن ، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، وعبدالله بن

جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .. ووجّهوا إليّ فتيان من فتيانهم ومواليهم ، فاجتمعوا .. ستّة وعشر من رجلاً من ولد عليّ ، وعشرة من الحاجّ ، ونفر من الموالي .

فلَمَّا أذُن المؤذّن للصبح دخلوا المسجد ، ثمّ نادوا : (أحد ، أحد) ، وصعد عبدالله بن الحسن الأبطس المنارة التي عند رأس النبيّ صلي الله عليه وآله ، عند موضع الجنائز ؛ فقال للمؤذّن : أذّن ب- « حيّ علي خير العمل » ، فلَمَّا نظر إليّ السيف في يده أذّن بها . وسمعه العمريّ ، فأحسّ بالشرّ ، ودهش ... ووَلّي هارباً ... فصلّي الحسين بالناس الصبح ؛ ودعا بالشهود العدول الذين كان العمريّ أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه ، ودعا بالحسن ؛ وقال للشهود : « هذا الحسن قد جئت به ، فهاتوا العمريّ وإلّا والله خرجت من يميني ، وممّا عليّ » . ولم يتخلّف عنه أحد من الطالبين(1) .

غير أنّهم حرّفوا الخلاف العقائدي السياسي إليّ خلاف سياسي بحت ، فتراهم يشككون في أهداف ثورة صاحب فخر ويتهمونهم وكلّ الثوار بأنهم ثاروا للدفاع عن شخص سكيّر - والعياذ بالله - وهو الحسن بن محمّد بن عبدالله بن الحسن (ابن النفس الزكية)(2) !

ومثله قالوا عن ثورة الإمام زيد وشككوا في دواعي ثورته الخالصة ، زاعمين أنّها جاءت عليّ أثر خلاف ماليّ بينه وبين بعض أعوان السلطة وهو خالد بن عبدالله(3) أو أنّه وابني الحسن تخاصموا في وقف لعليّ(4) أو ما شابه ذلك من التهم

1- مقاتل الطالبين : 443 - 447 وقد روينا مختصراً .

2- تاريخ الطبري 8 : 192 ، 193 ، الكامل في التاريخ 5 : 74 - 75 .

3- تاريخ الطبري 7 : 160 . وقد أجاب الإمام زيد عن هذه التهمة وقال ليوسف بن عمر : أنّي يودعني مالاً وهو يشتم آبائي عليّ منبره . فارس [يوسف] إليّ خالد فاحضره في عباءة فقال له : هذا زيد ، زعمت أنك قد أودعته مالاً ، وقد أنكر . فنظر خالد في وجههما ثمّ قال : أتريد أن تجمع مع إثمك فيّ إثماً في هذا ! كيف أودعه مالاً وأنا أشتمه وأشتم أباه عليّ المنبر ! قال : فشتمه يوسف ، ثمّ رده ، (تاريخ الطبري 7 : 167) .

4- تاريخ الطبري 7 : 163 احداث سنة 121 .

الفارغة التي تباين شخصية هؤلاء الأفاضل، وما هذا إلا كصنيع الأمويين مع النصوص والأحداث .

لقد سعت حكومة عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان والحكومة الأموية، إلى تجريد الحيعلة الثالثة من طابعها السياسي، بل حاولوا إدخالها في إطار اختلاف وجهات النظر والاجتهاد بين الصحابة كما يسمونه، لكن الأمر أخذ يختلف في العهد العباسي الأول ثم من بعده في الحكومات اللاحقة، إذ راح يتبلور أكثر فأكثر كون الحيعلة الثالثة شعاراً دينياً سياسياً للثوار، وأخذت الحكومة تتحسس منه ولا تستطيع خنقه .

فإبراهيم بن عبدالله بن الحسن - أخو النفس الزكية الذي خرج بالبصرة بعد شهادة أخيه - يأمر أصحابه أن يؤذّنوا بالحيعلة سرّاً كي لا يقف النهج الحاكم وجوايسه عليهم . وهكذا حال الحسين صاحب فخ، فإنه لم يكن تآذينه وأتباعه بالحيعلة الثالثة إلا معني آخر للثورة وليعلنوا أنهم هم الأولي بالله ورسوله وخلافته .

طبرستان (سنة 250 هـ)

خرج بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وكان سبب ظهوره أنّ محمد بن عبدالله بن طاهر لما ظفر بيحيي بن عمر أقطعه

المستعين بالله العباسي من ضواحي السلطان بطبرستان قطائع ، منها قطيعة قرب ثغر الديلم وهما كلار وشالوس ، وكان بحذائهما أرض يحتطب منها أهل تلك الناحية ، وترعى فيها مواشيهم ، ليس لأحد عليها ملك إنما هي موات ، وهي ذات غياض ، وأشجار ، وكلاً .

فوجه محمد بن عبدالله نائبه لحيازة ما أُقطع ، واسمه جابر بن هارون النصراني ، فلما قَدِم جابر عمَد فحاز ما اتّصل به من أرض موات يرتفق بها الناس .

وكان في تلك الناحية يومئذ أخوانٍ لهما بأُسْ المذكوران بإطعام الطعام وبالإفضال ، يقال لأحدهما : محمد ، وللآخر : جعفر ، وهما ابنا رستم ، فانكرا ما فعل جابر من حيازة الموات وكانا مُطاعين في تلك الناحية ، فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات ؛ فخافهما جابر فهرب منهما فلحق بسليمان بن عبدالله بن طاهر وكان عامل طبرستان يومئذ ، وخاف محمد وجعفر ومن معهما من عامل طبرستان ، فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكرونهم العهد الذي بينهم ، ثم أرسل ابنا رستم ومن وافقهما إلي رجل من الطالبين - اسمه محمد بن إبراهيم كان بطبرستان - يدعونه إلي البيعة ، فامتنع ، وقال : لكتي أدلكم علي رجل منّا هو أقوم بهذا الأمر منّي ، فدلّهم علي الحسن بن زيد وهو بالري ، فوجهوا إليه عن رسالة محمد بن إبراهيم يدعونه إلي طبرستان ، فشخص إليها ، فأتاهم وقد صارت كلّ الديلم وأهل كلار وشالوس والرويان علي بيعته ، فبايعوه كلّهم وطرّدوا عمّال ابن أوس عنهم - وكان هذا من عمال سليمان بن عبدالله عامل طبرستان - فلحقوا بسليمان بن عبدالله ، وانضم إلي الحسن بن زيد أيضاً جبال طبرستان .

ثمّ تقدم الحسن ومن معه نحو مدينة أمل ثمّ سارية ، وقيل إنّ سليمان انهزم اختياراً لأنّ الطاهريّة كلّها كانت تشييع ، فلما أقبل الحسن بن زيد إلي طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدّته في التشيع ، وقال :

تَبَّتْ خَيْلُ ابْنِ زَيْدٍ

أَقْبَلَتْ خَيْبًا

تُرِيدُنَا

لِتُحَسِّنَنَا أَلَمَّ رَيْنَا

يَا قَوْمُ إِنْ كَانَتْ

الْأَنْبَاءُ صَادِقَةً

فَالْوَيْلُ لِي وَلِجَمِيعِ

الطَاهِرِيِّينَا

أَمَّا أَنَا فِإِذَا

اصْطَبَقْتُ كِتَابُنَا

أَكُونُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَأْسُ

الْمَوْلِيَيْنَا

فَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ

اللَّهِ مَنْبَسُطٌ

إِذَا احْتَسَبْتَ دِمَاءَ

الْفَاطِمِيِّينَا

فَلَمَّا التَقُوا انْهَزَمَ سَلِيمَانُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ طَبْرِسْتَانُ لِلْحَسَنِ وَجِهَ إِلَيَّ « جِنْدَا » مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ يُقَالُ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ أَيْضًا ، فَمَلَكَهَا وَطَرَدَ عَنْهَا عَامِلَ الطَاهِرِيَّةِ ، فَاسْتَخْلَفَ بِهَا رَجُلًا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَانْصَرَفَ عَنْهَا « (1) » .

وقد جاء في تاريخ طبرستان لابن اسفنديار الكاتب المتوفى 613 هـ - قوله :

« استقرّ الداعي الكبير ابن زيد في أمّ ، وأعلن في أطراف طبرستان وكيلان والديلم أنّه : قد رأينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله وما صحّ عن

أمير المؤمنين ، وإلحاق حيّ علي خير العمل ، والجهر بالبسملة ، والتكبير خمساً علي الميت ، ومن خالف فليس منّا» (2).

وقد حكى الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة عن تاريخ طبرستان : 240 أن الداعي إلي الحق الحسن بن زيد كتب في سنة 252 منشورة عن أمل إلي سائر بلاده ، بإعلاء شعائر التشيع من تقديم أمير المؤمنين عليه السلام ، والأخذ بما صح عنه في جميع الأصول والفروع من قول « حيّ علي خير العمل » والجهر ب- « بسم الله الرحمن الرحيم » وغير ذلك (3).

هكذا نجح الحسن بن زيد في تكوين هذه الدولة التي تُعرف بالدولة الزيدية

-
- 1- انظر : تفاصيل هذا الامر في الكامل لابن الأثير 5 : 314 - 317 حوادث سنة 250 .
 - 2- تاريخ طبرستان لابن اسفنديار الكاتب : 239 وعنه في تاريخ طبرستان للمرعشي 881 هـ .
 - 3- الذريعة إلي تصانيف الشيعة 17 : 270 .

بطبرستان ، واقتطع من ملك بني العباس وآل طاهر طرفاً عظيماً تحميه جبال طبرستان والديلم ، واستمرت هذه الحكومة نحو قرن كامل (250 - 355 هـ) تولي فيها :

- 1 - الحسن بن زيد الداعي 250 - 270 .
- 2 - محمّد بن زيد القائم بالحق 270 - 279 .
- 3 - احتلال الدولة السامية لطبرستان 279 - 301 .
- 4 - تولي الحسن الأطروش بن عليّ بن عمر بن زين العابدين 301 - 304 علي طبرستان مرّة أُخري .
- 5 - الحسن بن القاسم بن عليّ بن عبدالرحمن ومعه أولاد الأطروش 304 - 355 .

ويبدو أنّ المنشور الذي أعلنه الداعي الكبير سنة 252 هـ - ظل ساري المفعول حتّى نهاية هذه الدولة العلوية الزيدية ، فكانت المآذن تؤذن ب- « حيّ علي خير العمل » لأكثر من قرن ، منبّهين علي أنّ هذا المرسوم صدر في وقت مبكر جداً من أوائل حكومة هذا الداعي الكبير ، لما له من هيبة دينية وبُعد سياسي ، وما له من أثر في ترسيخ حكومة تقوم علي أساس الدين من وجهة نظر علوية ، ويؤكد صحّة هذا ما نراه اليوم وبعد أكثر من ألف عام في التراث الزيدي ، فلوراجعت كتبهم الفقهية والحديثية القديمة عرفت ثبوتها عندهم ، وهذا الموقف من الحسن بن زيد وغيره هو امتداد لشرعيتها علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله .

حمص / مصر / بغداد (سنة 290 هـ)

جاء في كتاب بغية الطلب في أخبار حلب لابن العديم المتوفي (660 هـ) :

« ... فصار [صاحب الخال] إلي حمص ودُعي له بكورها وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ويكون أذانهم :

أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن علياً ولي الله ، حيّ علي خير العمل» (1).

وجاء في كتاب « أخبار بني عبيد » لمحمد بن علي بن حماد في ترجمة عبيدالله (322 هـ) - مؤسس الدولة العبيدية في مصر - :

... وكان مما أحدث عبيدالله أن قطع صلاة التراويح في شهر رمضان ، وأمر بصيام يومين قبله ، وقتت في صلاة الجمعة قبل الركوع ، وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة ، وأسقط من أذان صلاة الصبح : « الصلاة خير من النوم » ، وزاد : « حيّ علي خير العمل » ، « محمد وعلي خير البشر » ، ونص الأذان طول مدة بني عبيد بعد التكبير والتشهدين : حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح مرتين ، حيّ علي خير العمل محمد وعلي خير البشر مرتين مرتين ، لا إله إلا الله مرة (2) .

هذان نصان أحدهما عن الطالبين في حلب والآخر في مصر ، وهما يؤكدان أن النزاع الفكري بين الطالبين والنهج الحاكم كان مستمراً عبر جميع القرون ، ولم يختص ببلدة دون أخرى .

ويدلّ علي أصالة الحيلة الثالثة ، وامتداد التأذين بها زماناً ، وانتشارها مكاناً ، ما رواه القاضي التنوخي المتوفّي 384 هـ - عن أبي فرج الاصفهاني فيما حدث في بغداد في نفس تلك الفترة تقريباً ، قال :

أخبرني أبو الفرج الاصفهاني (المتوفّي 356 هـ) قال : سمعت رجلاً من القطيعة (3) ، يؤذن : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد

1- بغية الطلب 2 : 944 .

2- اخبار بني عبيد 1 : 50 .

3- رجّح محقق كتاب نشوار المحاضرة أن يكون المقصود من القطيعة هي قطيعة أمّ جعفر ، وهي محلّة ببغداد عند باب التبن وهو الموضع الذي فيه مشهد الإمام موسى ابن جعفر ، لكن ترجيحه ليس براجح بنظرنا ، لأن أبا الفرج لو أراد تلك القطيعة لقال : رجلٌ من أهل القطيعة أو رجل من قطيعة أمّ جعفر ؛ وذلك لتمييزها عن القطائع الكثيرة الأخرى - والتي ذكرها صاحب معجم البلدان 4 : 376 - كقطيعة إسحاق ، وقطيعة الرقيق ، وقطيعة الربيع ، وقطيعة زهير ، وقطيعة العجم ، وقطيعة عيسي وغيرها . وحيث لا يمكن الترجيح أو القول بأن القطيعة هي علم لقطيعة أمّ جعفر فلا بدّ من احتمال أن تكون القطيعة هي تصحيف للقطعية وهي الفرقة التي قطعت بموت موسى ابن جعفر وإمامة عليّ ابن موسى الرضا عليهم السلام ، وهم في مقابل الواقفية التي وقفت عليّ إمامة موسى بن جعفر الكاظم ولم تقل بإمامة من بعده ، ويترجّح احتمالنا حينما نري التنوخي يأتي ب- « خبر أذان رجل من القطيعة » بعد خبر « حجّام يحجم بالنسيّة إلي الرجعة » وكلاهما يرتبط بأمر تقوله الشيعة الإماميّة الاثنا عشرية . ويتقوى احتمالنا هذا حينما نري الإصفهاني - الزيدي العقيدة - ينقل هذا الخبر ، وهو تأكيد لأذان الإمامية القطعية في الكاظمية ، وأنهم كانوا يؤذنون بالشهادة الثالثة . ولو أحببت أن تتأكد بأن القطيعة هو اصطلاح للشيعة الاثني عشرية راجع كتب الشيخ الصدوق ومقالات الإسلاميين للأشعري 1 : 17 ، والملل والنحل للشهرستاني 1 : 29 ، وخاتمة المستدرک 4 : 248 عن النوبختي في كتاب مذاهب فرق أهل الامة . وعلي فرض أن يكون المراد قطيعة أمّ جعفر ، فهي أيضاً كانت من الأماكن التي يقطنها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، قال الحموي في معجم البلدان 4 : 448 ، وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سنيّ ألبتة . وانظر : حول تشيعها الاثني عشري البداية والنهاية 11 : 307 / احداث سنة 379 ، وموسوعة العتبات المقدسة « الكاظمية » 9 : 115 . هذا وقد أضاف المحقق جملة من بعض النسخ تشمئز منها النفوس ولا تتفق مع السير التاريخي وارتباط هند وابن عمر بمسألة الأذان ، فراجع .

أن محمد رسول الله ، أشهد أن عليّاً ولي الله ، محمد وعلي خير البشر ، فمن أبي فقد كفر ، ومن رضي فقد شكر ، حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح ، حيّ علي خير العمل ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله(1) ...

1- نشوار المحاضرة للتونخي 2 : 133 .

ولتأكيد وجود الخلاف الفقهي العقائدي في تلك البرهة من التاريخ إليك كلام المقرئزي في (المواعظ والاعتبار) عند ذكره مذاهب أهل مصر ونحلهم، قال:

قال أبو عمر الكندي في كتاب (أمراء مصر): ولم يزل أهل مصر علي الجهر بالبسملة في الجامع العتيق إلي سنة ثلاث وخمسين ومائتين (253 هـ-)، قال: ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسين بن الربيع إمام المسجد الجامع بتركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين (263 هـ-)، ولم يزل أهل مصر علي الجهر بها في المسجد الجامع منذ الإسلام إلي أن منع منها أرجون.

إلي أن يقول: ... إلي أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (358 هـ-) بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبني مدينة القاهرة، فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة، وعمل به في القضاء وأنكر ما خالفه، ولم يبق مذهب سواه، وقد كان التشيع بأرض مصر معروفاً قبل ذلك.

قال أبو عمر الكندي في كتاب الموالي، عن عبدالله بن لهيعة أنه قال: قال يزيد بن أبي حبيب: نشأت بمصر وهي علوية فقلبتُها عثمانية(1).

ثم عمد المقرئزي إلي شرح الأدوار التي مرت بها الشيعة في مصر وكيف كانت علوية وصارت عثمانية حتى يصل إلي صفحة 340، وفيها يذكر حوادث سنة (353 و356 هـ-) وأن «جوهراً» أعلن حيي علي خير العمل وفضل الإمام علياً وأولاده علي غيره وجهر بالصلاة عليه وعلي الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم، ممّا سيأتي في ما نقله عن حوادث مصر في تلك السنة.

هذا نموذج بسيط عن مسار الاتجاهين الفكري . وقد أكدنا أكثر من مرة علي أن لكل واحد من النهجين قادة وجماهير .

ولما حكم نهج الاجتهاد والرأي - في الحكومات الأموية والعباسية أو السلجوقية والأيوبية - حكم آراء الخلفاء وفقههم في الشريعة .

أما النهج الشيعي فقد دعا إلي الأخذ بسنة رسول الله عن عليّ وأولاده ، وهؤلاء قد عارضوا النهج الحاكم في زمن الشيخين وعثمان وطيلة الحكم الأموي والعباسي . ولا ننسي أن شعارية « حيّ علي خير العمل » وغيرها قد تجسدت في العصر العباسي الأول والثاني ، أي بنشوء الدول الشيعية كالدولة الإدريسية في المغرب والحمدانية في حلب ، والبويهية في بغداد ، والزيدية في طبرستان ، والفاطمية في مصر و...

وقد اتخذ كل اتجاه أصولاً في عمله ، فأحدهم يمنع من تدوين الحديث والآخر يصرّ عليه وإن وضعت الصمصامة علي عنقه .

والأول يذهب إلي عدم تنصيب النبيّ علي أحد بل ترك الأمة لتختار لإمامتها من تشاء ، والآخر يعتقد بلزوم الوصاية والخلافة وقد عين النبيّ بالفعل علياً إماماً وخليفة من بعده .

والسنيّ يقول باجتهاد النبيّ ، والشيعي لا يرتضي ذلك .. وهلمّ جرّاً .

إذاً يمكن تلمس النهج السني في تصرف الدولتين الأموية والعباسية ، ثم بعدهم السلجوقية والنورية والصلاحية والعثمانية ، وهذه الدول كانت تسعى لتطبيق ما شرّع علي عهد الخلفاء وما دوّن لهم في عهد عمر بن عبدالعزيز - لقول الزهري : (كُنّا نكره تدوين الحديث حتّي أكرهنا السلطان علي ذلك ، فكتبناه وخفنا أن لا نكتبها للناس) - وأخذوا بالمذاهب الأربعة فقط ، اعتقاداً منهم بأن أقوال أربابها هي الدين الحق ، غافلين عن دور الحكّام في تأصيل أصول تلك الأحكام الشرعية ، كتدوين الحديث ، وحصر المذاهب بالأربعة وسوي ذلك .

وفي المقابل نرى النهج العلوي بأمرائه وجماهيره وعلمائه وفقهائه يسعون - عند وصولهم إلي الحكم - لتطبيق ما عرفوه من سنة رسول الله ونهج الإمام عليّ، فيصرون عليّ الإتيان بالحيعة الثالثة مثلاً ويأبون بدعيتها، وهكذا الأمر في غيرها من المسائل المختلف فيها .

وهذا التخالف بين الجناحين يَوْمِيّ إلي أنّ الخلاف بين الحكومات العلوية الشيعية والحكومات السنية عليّ مرّ التاريخ كان يدور في محاور عقائدية فكرية استراتيجية، مضافاً لما بينهما من خلاف حول الخلافة، لأنّ كلّ واحد من الطرفين يستدلّ عليّ صحّة عمله بأقوال وأفعال من يعتقد به من الصحابة أو أهل البيت .

وعليه فلا يجوز أن تتغافل عن جذور الحيعة الثالثة وأشباهاها في كتب الفقه والحديث والتاريخ، بل بذكرنا خلافيات الفريقين يمكن الوقوف عليّ جواب سؤالنا السابق، وأن هذه الأمور هي تشريعات ذات أبعاد سياسية عقائدية .

ولا- يمكننا أن ننكر أنّ الشيعة قد كانوا يَمَسُّون الصحابة في بعض الأحيان؛ لما وقفوا عليه في التاريخ من غضب حقّ الإمام عليّ، ومنع الزهراء من فدك والهجوم عليّ بيتها، ولعن الإمام عليّ عليّ المنابر في زمن معاوية ومن بعده، وضياح أحكام كثيرة من دين الله و...

وهذا يوضح أنّ لكلّ واحد من النهجين شعائره ومقدساته . ويجب أن يتّضح لنا أنّ هذا الموقف من الاعتقاد الشيعي أو ذاك الموقف من الاعتقاد السنيّ إنّما يبتني عليّ ما يحمله كلّ طرف من المتبنيات الفكرية الأيدلوجية والأصول التي اعتمد عليها، والتي تدلّ عليّ شرعيّته عنده وأنّه لم يكن وليد ساعته !

إنّ كلامنا هذا يرمي إليّ بيان البُنيّ التحتية للفريقين، دون الخوض في أصل شرعية حكم الفاطميين أو عدم شرعية حكم العباسيين أو العكس وإليّ البحث عن مدي صحّة ما روي عنه صليّ الله عليه وآله : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، أو أن

حكم البسملة هو الجهر أم الإخفات ، وهل يجوز المسح علي الخفين أم لا ؟ إذ أن شرعية هذه الأحكام وعدمها سبقت هذه المرحلة ، وإن ديمومية هذا الخلاف من قبل الفريقين ينبئ عن وجود أصل مختلف فيه بينهما ، لا كما يصورونه من عدم وجود أصل فيه عن رسول الله صلي الله عليه وآله ، أو عن حكومات غير المتعبدتين .

الأندلس « ما بعد سنة 300 هـ »

ذكر ابن حزم الاندلسي في (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) تحت عنوان : من خطب لبني العباس أو لبني علي بالاندلس ، فقال :

عمر بن حفصون خطب في أعماله بريّة (1) لإبراهيم بن قاسم بن إدريس بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب صاحب البصرة ، ثم خطب لعبيد الله صاحب افرقية ، وأذن في جميع أعماله « بحّي علي خير العمل » (2) .

حلب / مصر (سنة 347 هـ)

قال المقرئ في (المواعظ والاعتبار) : « ... وأول من قال في الأذان بالليل : « محمد وعلي خير البشر » (3) الحسين المعروف « بأمير ابن شكنبة » ، ويقال اشكنبة ، وهو اسم اعجمي معناه : الكرش ، وهو : علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان أول تأذينه بذلك في أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، قاله الشريف محمد بن أسعد الجوباني النسابة .

1- بناحية اكشونيت .

2- رسائل ابن حزم الاندلسي 2 : 84 الرسالة الثانية (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) تحقيق احسان عباس بيروت 1987 .

3- هذا اشتباه من الكاتب ، ذلك ان الزيدية كانت تقول بهذا قبل هذا التاريخ حسبما وضحناه .

ولم يزل الأذان بحلب يزداد فيه « حيّ علي خير العمل ، ومحمد وعليّ خير البشر » إلى أيام نور الدين محمود ، فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعي أبا الحسن عليّ بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي إليها ، ف جاء معه جماعة من الفقهاء ، وألقي بها الدروس ، فلما سمع الأذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان وقال لهم : مُرّوهم يؤذّنوا الأذان المشروع (1) ، ومن امتنع كُتّبوه علي رأسه ، فصعدوا وفعّلوا ما أمرهم به ، واستمر الأمر علي ذلك .

وأما مصر فلم يزل الأذان بها علي مذهب القوم [يعني الشيعة الفاطميين] إلي أن استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسائة ، وكان ينتحل مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، فأبطل الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وصار يؤذّن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكّة ، وفيه تريبع التكبير وترجيع الشهادتين ، فاستمر الأمر علي ذلك إلي أن بنت الأتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة في مصر ، فصار يؤذّن في بعض المدارس التي للحنفيّة بأذان أهل الكوفة ، وتقام الصلاة أيضاً علي رأيهم (2) ...

ومما يجب الإشارة إليه أنّ دولة سيف الدولة الحمدانيّ المتوفّي سنة 356 هـ- اتّسعت وشملت حلب وانطاكية وقنّسرين ومنبج وبالس ومعرّة النعمان ومعرّة مصرين ، وسرمين ، وكفر طاب ، وافامية ، وعزاز ، وحماة ، وحمص ، وطرطوس ، ثمّ تولي بعده أخوه ناصر الدولة . وكانت دولة شيعية اثني عشرية تعلن عن معتقداتها وآراءها بدون عسف وقسر .

1- يعني به الذي ليس فيه « حيّ علي خير العمل ، المفسر بمحمد وعليّ خير البشر » !

2- خطط المقرئزي 2 : 271 - 272 .

روي ابن ظافر في أحداث سنة أربع وخمسين وثلاثمائة أن سيف الدولة صاهر أخاه ناصر الدولة ، فزوج ابنيه أبا المكارم وأبا المعالي بابنتي ناصر الدولة ، وزوج أبا تغلب بابنته « ستّ الناس » وضرب دنانير كبيرة ، في كلّ دينار منها ثلاثون ديناراً وعشرون وعشرة عليها مكتوب : « لا إله إلا الله محمد رسول الله . أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . فاطمة الزهراء . الحسن . الحسين . جبريل : » . وعلي الجانب الآخر « أمير المؤمنين المطيع لله . الأميران الفاضلان : ناصر الدولة ، سيف الدولة . الأميران أبو تغلب وأبو المكارم »(1).

وواضح ممّا تقدم أنّ الشيعة كانوا يعلنون عن معتقداتهم بكلّ رصانة وهدوء وبالذليل والمنطق حين تستقرّ بهم الأمور ، بخلاف من أمروا بالقاء من يؤذّن بالحيعة الثالثة وبفضل محمد وآل محمد من علي رأس المنارة !!

وجاء في الكامل لابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي في حوادث سنة 351 هـ- : وفيها كتبت الشيعة ببغداد علي أبواب المساجد : لعن الله معاوية ، ولعن من غصب فاطمة حقّها من فدك ، ومن منع الحسن أن يدفن مع جدّه ، ومن نفي أبا ذرّ . ثمّ إنّ ذلك مُحي في الليل ، فأراد مُعزّ الدولة إعادته ، فأشار عليه الوزير المهلبّي أن يُكتَب مكان ما مُحي : « لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلي الله عليه وآله » ، وصرّحوا بلعنة معاوية فقط(2).

وفي ثامن عشر ذي الحجّة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (352 هـ) عمّل عيد غدِير خُمّ وضربت الدبادب ، وأصبح الناس إلي مقابر قريش للصلاة هناك ، وإلي مشهد الشيعة(3).

1- أعيان الشيعة 8 : 269 .

2- تاريخ الإسلام : 8 حوادث 351 - 380 هـ ، الكامل في التاريخ 7 : 4 ، المنتظم 14 : 140 .

3- تاريخ الإسلام : 12 حوادث 351 - 380 هـ .

القاهرة (سنة 356 هـ)

جاء في كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) للمقرئزي : « ... وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث يُنسب إلي التشيع فُضرب مائتي سوط ودرة .

ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودرة ، وجعل في عنقه غلّ وحبس ، وكان يُتفقد في كلّ يوم لئلا يُخفف عنه ، ويُبصق في وجهه ، فمات في محبسه ، فحُمِل ليلاً ودفن .

فمضت جماعة إلي قبره ينشوه وبلغوا إلي القبر ، فمنعهم جماعة من الاخشيدية والكافورية فابوا وقالوا : هذا قبر رافضي ، فثارت فنة ، وضرب جماعة ونهبوا كثيراً حتي تفرق الناس .

وفي سنة ستّ وخمسين كتب في صفر علي المساجد ذكر الصحابة والتفضيل ، فأمر الأستاذ كافر الإخشيدية بإزالته ، فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة علي المساجد فقال : ما أحدث في أيامي ما لم يكن ، وما كان في أيام غيري فلا أزيله ، ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها .

ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله إلي مصر وبني القاهرة أظهر مذهب الشيعة ، وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها « حيّ علي خير العمل » وأعلن بتفضيل عليّ بن أبي طالب علي غيره ، وجهر بالصلاة عليه وعلي الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم ...

وفي ربيع الأول سنة اثنين وستين عزّر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة ، فشغبوا وصاحوا : معاوية خال عليّ بن أبي طالب ، فهمّ جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشي علي الجامع ، وأمر الإمام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة

في الصلاة، وكانوا لا يفعلون ذلك، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية، وأمر في المواريث بالرد علي ذوي الأرحام، وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد، ولا ابن أخ ولا ابن عم، ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثي إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجدّة، ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الأم إلا من يرث مع الولد.

وخاطب أبو الطاهر محمّد بن أحمد - قاضي مصر - القائد جوهرًا في بنت وأخ، وأنه حكم قديماً للبنت بالنصف وللأخ بالباقي، فقال: لا أفعل، فلما ألح عليه قال: يا قاضي، هذا عداوة لفاطمة 3!! فأمسك أبو الطاهر فلم يراجعه بعد ذلك... (1)

القاهرة (سنة 358 هـ)

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: أقيمت الدعوة للمعز في الجامع العتيق، وسار جوهر إلي جامع ابن طولون، وأمر بأن يؤذّن فيه ب- « حيّ علي خير العمل » وهو أول ما أذّن، ثم أذّن بعده بالجامع العتيق، وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم (2).

وقال بعده: وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب الخطبة: اللهم صلّ علي محمّد المصطفى، وعلي علي المرتضي، وعلي فاطمة البتول، وعلي الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم صلّ علي الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين (3).

1- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والأثار للمقريزي 2 : 340 .

2- وفيات الاعيان لابن خلكان 1 : 375 وانظر : أخبار بني عبيد 1 : 84 .

3- وفيات الأعيان ، لابن خلكان 1 : 379 .

وجاء في (المنتظم) في حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة : .. ودخل جوهر إلي مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشر ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين ، وخطب لبني عبّيد في الجامعين بفسطاط مصر وسائر أعمالها يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شعبان هذه السنة ، وكان الخاطب في هذا اليوم عبدالسميع بن عمر العباسي .

وقد أشار محقق الكتاب في الهامش إلي نصّ كتاب جوهر لأهل مصر تقتطف منه مقطع « ... وردّ المواريث إلي كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقدم من أمّ مساجدكم وتزيينها ، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤمّ بالناس أرزاقهم ، وأن يجري فرض الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقنوت ليليه والزكاة والحج والجهاد علي ما أمر الله في كتابه وسنة نبيّه ، وإجراء أهل الذمة علي ما كانوا عليه » (1).

وفي كتاب (العبر في خبر من غبر) : ... وجاءت المغاربة مع القائد جوهر المغربي ، فأخذوا ديار مصر ، وأقاموا الدعوة لبني عبّيد ، مع أنّ دولة معزّ الدولة [البويهّي] هذه المدة رافضية ، والشعار الجاهليّ يقيم يوم عاشوراء ويوم الغدير (2) .

وفي (مآثر الإنافة) للقلقشندي قال : ... دخل جوهر قائد المعزّ الفاطمي إلي مصر سنة 358 واستولي عليها وأذن ب- « حيّ علي خير العمل » وقطع الخطبة للعباسيين (3) .

وفي (تاريخ الخلفاء) للسيوطي قال : ... لمّا مات كافور الاخشيدي صاحب مصر اختلّ النظام وقتل الأموال علي الجند ، فكتب جماعة إلي المعزّ [الفاطمي]

1- المنتظم 14 : 197 .

2- العبر في خبر من غبر 2 : 316 .

3- مآثر الانافة للقلقشندي 1 : 307 .

يطلبون منه عسكرياً ليسلّموا إليه مصر ، فأرسل مولاه جوهرًا القائد في مائة ألف فارس فملكها ... وقطع خطبة بني العباس ولبس السواد وألبس الخطباء البياض ، وأمر أن يقال في الخطبة : « اللهم صلّ علي محمد المصطفي ، وعلي علي المرتضي ، وعلي فاطمة البتول ، وعلي الحسن والحسين سبطي الرسول ، وصلّ علي الأئمة آباء أمير المؤمنين المعزّ بالله »(1).

وفي (سير أعلام النبلاء) (2) و(نهاية الأرب) (3) والنصّ للأول : ... وضربت السكّة علي الدينار بمصر وهي : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ خير الوصيين ، والوجه الآخر اسم المعز والتاريخ ، وأعلن ب- « حيّ علي خير العمل » ، ونودي : « من مات عن بنت وأخت فألمال كلّه للبنّت » ، فهذا رأي هؤلاء .

قال الذهبي : ظهر في هذا الوقت الرفض وأبدي صفحته وشمخ بأنفه في مصر والحجاز والشام والمغرب بالدولة العبيديّة ، وبالعراق والجزيرة والعجم ببني بويه ، وكان الخليفة المطيع ضعيف الدست والرتبة مع بني بويه ، وأعلن الأذان بالشام ومصر ب- « حيّ علي خير العمل » .

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير ... دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومي في جيش كثيف من جهة المعزّ الفاطمي إلي ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشر بقيت من شعبان ، فلمّا كان يوم الجمعة خطبوا للمعزّ الفاطمي علي منابر الديار المصريّة وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذّنوا ب- « حيّ علي خير العمل » وان يجهر الأئمة بالتسليمة الأولى (4) .

1- تاريخ الخلفاء : 402 .

2- سير أعلام النبلاء 15 : 160 وتاريخ الإسلام .

3- نهاية الأرب في فنون الأدب / الفن 5 / القسم 5 / الباب 12 اخبار الملوك العبيديون .

4- البداية والنهاية 11 : 284 .

جامع ابن طولون / مصر (سنة 359 هـ)

قال النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب) : ... وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ، صلّي القائد جوهر في جامع ابن طولون وأذن ب- « حيّ علي خير العمل » ، وهو أول ما أُذّن به بمصر ، ثم أُذّن بذلك بالجامع العتيق بمصر في الجمعة (1) .

وقال ابن خلدون في تاريخه : ... دخل جوهر جامع ابن طولون فصلّي فيه وأمر بزيادة « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، فكان أول أذان أُذّن به في مصر (2) .

وقال ابن الأثير في الكامل : ... وفي جمادي الأولى من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة سار جوهر إلي جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن ب- « حيّ علي خير العمل » وهو أول ما أُذّن بمصر ، ثم أُذّن بعده في الجامع العتيق وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم (3) .

وفي (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : ... في ثامن عشر من ربيع الآخر سنة 359 صلّي القائد جوهر في جامع ابن طولون بعسكر كثير ، وخطب عبدالسميع بن عمر العباسي الخطيب وذكر أهل البيت وفضائلهم رضي الله عنهم ، ودعا للقائد جوهر ، وجهر بالقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة ، وأذن ب- « حيّ علي خير العمل » وهو أول ما أُذّن به بمصر ... وقت الخطيب في صلاة الجمعة ، وفي جمادي الأولى من السنة المذكورة أذّنوا في جامع مصر العتيق ب- « حيّ علي خير العمل » (4) .

1- نهاية الأرب في فنون الأدب / الفن 5 / القسم 5 / الباب 12 اخبار الملوك العبيديون .

2- تاريخ ابن خلدون 4 : 48 .

3- الكامل في التاريخ 7 : 31 .

4- شذرات الذهب 3 : 100 .

وقال المقرئ في (المواعظ والاعتبار) : ... وكان الأذان أولاً بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله أكبر ، الله أكبر وباقيه كما هو اليوم ، فلم يزل الأمر بمصر علي ذلك في جامع عمرو بالفسطاط ، وفي جامع العسكر ، وفي جامع أحمد ابن طولون وبقية المساجد إلي أن قديم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبني القاهرة ، فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة صلي القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون ، وخطب به عبدالسميع بن عمر العباسي بقلنسوة وسبني ، وطيلسان دبسي ، وأذن المؤذنون « حيي علي خير العمل » وهو أول ما أذن به بمصر .

وصلي به عبدالسميع الجمعة ، فقرأ سورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون ، وقتت في الركعة الثانية ، وانحط إلي السجود ، ونسي الركوع ، فصاح به علي بن الوليد قاضي عسكر جوهر : بطلت الصلاة ، أعد ظهراً أربع ركعات ، ثم أذن ب- « حيي علي خير العمل » في سائر مساجد العسكر إلي حدود مسجد عبدالله (1) .

وأنكر جوهر علي عبدالسميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة ، ولا قرأها في الخطبة ، فأنكره جوهر ومنعه من ذلك .

ولأربع بقين من جمادى الأولى المذكور أذن في الجامع العتيق ب- « حيي علي خير العمل » ، وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة ، فلم يزل الأمر علي ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين ؛ إلا أن الحاكم بأمر الله في سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذني القصر ، وسائر الجوامع وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي ، وقرأ أبو علي العباسي سجلاً فيه الأمر بترك « حيي علي خير العمل » في الأذان ، وأن يقال في

1- انظر : قريباً منه في أخبار بني عبيد 1 : 85 .

صلاة الصبح : الصلاة خير من النوم ، وأن يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم : « السلام علي أمير المؤمنين ورحمة الله »(1).

فامتثل ذلك ، ثم عاد المؤذنون إلي قول « حيّ علي خير العمل » في ربيع الآخر سنة أحد وأربعمائة ، ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الأذان : « السلام علي أمير المؤمنين » وأمرهم أن يقولوا بعد الأذان : الصلاة رحمتك الله ... «(2).

وفي كتاب (النجوم الزاهرة في أعلام مصر والقاهرة) : ... ثم في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة أذنوا بمصر ب- « حيّ علي خير العمل » واستمر ذلك ، ثم شرع جوهر في بناء جامعته بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر ، وهو أول جامع بنته الراضة بمصر(3).

وفي تاريخ الخلفاء : في ربيع الآخر سنة 359 أذنوا بمصر ب- « حيّ علي خير العمل »(4).

دمشق (سنة 360 هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام : ... وفي صفر أعلن المؤذنون بدمشق « حيّ

1- مرّ عليك أنّ معاوية بن أبي سفيان هو أول من ابتدع هذه المقولة ورسخ أركانها (كما عن كتب الأوائل السيوطي : 26) . وقد كان لهذا الأمر جذر متجذر في زمان عمر ، ذلك أنّه لمّا قدم عمر مكّة أتاه أبو محذورة وقد أذن ، فقال : الصلاة يا أمير المؤمنين ، حيّ علي الصلاة حيّ علي الصلاة ، حيّ علي الفلاح حيّ علي الفلاح ، قال : ويحك أمجنون أنت؟! أما كان في دعائك الذي دعوتنا ما نأتيك حتّي تأتينا . (مصنف ابن أبي شيبة 1 : 307) .

2- المواعظ والاعتبار للمقرئزي 2 : 270 - 271 .

3- النجوم الزاهرة 4 : 32 .

4- تاريخ الخلفاء : 402 .

علي خير العمل « بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله ، ولم يجسر أحد علي مخالفته ، وفي جمادى الآخرة أمرهم بذلك في الإقامة فتألم الناس لذلك فهلك لِعَامِهِ والله أعلم(1) » .

وفي (سير أعلام النبلاء) : ... وفي سنة ستين تمّدك بنو عبيد مصر والشام وأذنوا بدمشق ب- « حيّ علي خير العمل » وغلت البلاد بالرفض شرقاً وغرباً وخفيت السنة قليلاً(2) » .

ثمّ قال في (ج 16 : 467) : ... وقطعت الخطبة العباسية وألبس الخطباء البياض وأذنوا ب- « حيّ علي خير العمل » .

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) : ... استقرّت يد الفاطميين علي دمشق في سنة 360 ، وأذن فيها وفي نواحيها ب- « حيّ علي خير العمل » أكثر من مائة سنة ، وكتب لعنة الشيخين علي أبواب الجوامع بها وأبواب المساجد .

وفي مصر خطب جوهر لمولاه وقطع خطبة بني العبّاس ، وذكر في خطبته الأئمّة الاثني عشر وأمر فأذن ب- « حيّ علي خير العمل »(3) » .

وقال بعد ذلك : وفيها أذن بدمشق وسائر الشام ب- « حيّ علي خير العمل » ، قال ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق : وهو أوّل من تأمّر بها عن الفاطميين :

أخبرنا أبو محمّد الأكفاني ، قال : قال أبو بكر أحمد بن محمّد بن شرام : وفي يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة 360 أعلن المؤذّنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد وسائر المساجد بحيّ علي خير العمل بعد حيّ علي الفلاح ، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ولم يقدروا علي مخالفته ، ولا وجدوا من المسارعة إلي طاعته بَدْءاً .

1- تاريخ الإسلام : 48 حوادث 351 - 380 هـ .

2- سير أعلام النبلاء 15 : 116 ، تاريخ الخلفاء : 402 .

3- البداية والنهاية 11 : 284 .

وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى ، وأن يقولوا في الإقامة « حيّ علي خير العمل » ، فاستعظم الناس ذلك وصبروا علي حكم الله (1).

وجاء في (النجوم الزاهرة) : ... وهي السنة الثانية لولاية جوهر ... علي مصر وهي سنة 360 ، وفيها عمل الرفضة المآتم ببغداد في يوم عاشوراء علي العادة في كل سنة من النوح والطم والبكاء ، وتعليق المسوح ، وغلق الأسواق ، وعملوا العيد والفرح يوم الغدير وهو يوم ثامن عشر من ذي الحجة .

وفي صفر أعلن المؤذنون ب- « حيّ علي خير العمل » بأمر القائد جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز الفاطمي ، ولم يجسر أحد علي مخالفته ، ثم في جمادى الآخرة أمرهم ابن فلاح المذكور بذلك في الإقامة فتألم الناس (2).

وقال أيضاً : ... وفيها (أي سنة 360) قتل جعفر بن فلاح وهو أول أمير ولي دمشق لبني عبيد المغربي ، والعجب أن القرمطي أبا محمد الحسن بن أحمد لما قتله بكى عليه ورثاه لأنهما يجمع بينهما التشيع (3).

وقد كتب المقرئ عن المعز لدين الله : أنه لما دخل مصر أمر في رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة فكتب علي سائر الأماكن بمدينة مصر : « خير الناس بعد رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام » (4).

-
- 1- البداية والنهاية 11 : 287 ، وكلام ابن كثير يشير إلي عمل أهل السنة والجماعة بالتقية لو احسوا الضرورة لذلك ، كما يفعله اليوم الخط السلفي واتباع الطالبان ، فلا يرتضي أحد منهم أن ينسب إلي ابن لادن خوفاً من القتل والسجن !
 - 2- النجوم الزاهرة 4 : 57 .
 - 3- النجوم الزاهرة 4 : 57 .
 - 4- المواعظ والاعتبار 2 : 340 - 341 .

حلب (سنة 367 هـ)

جاء في زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن أبي جرادة الشهير بابن العديم المتوفّي سنة 660 : ... وانهزم (بكجور) إلي القلعة فاستعصي بها وذلك في رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ثم أقام سعد الدولة يحاصر القلعة مدة حتّي نفذ ما فيها من القوت ، فسلمها (بكجور) في شهر ربيع الآخر من سنة سبع وستين وثلاثمائة .

وولي سعد الدولة بكجور حمص وجندها ، وكان تقرير أمر بكجور بين سعد الدولة وبينه علي يد أبي الحسن عليّ بن الحسين بن المغربي الكاتب والد الوزير أبي القاسم .

واستقرّ أمر سعد الدولة بحلب ، وجدّد الحلبيون عمارة المسجد الجامع بحلب ، وزادوا في عمارة الأسوار في سنة سبع وستين . وغير سعد الأذان بحلب وزاد فيه : « حيّ علي خير العمل محمّد وعليّ خير البشر » ، وقيل : أنه فعل ذلك في سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وقيل : سنة ثمان وخمسين . وسير سعد الدولة في سنة سبع وستين وثلاثمائة الشريف أبا الحسن إسماعيل بن الناصر الحسيني يهتئ عضد الدولة بدخوله مدينة السلام(1) .

وقال أبو الفداء في (اليواقيت والضرب في تاريخ حلب) : ... وأقام سعد الدولة يحاصر القلعة مدّة حتّي نفذ ما فيها من القوت ، فسلمها بكجور إليه في شهر ربيع الآخر سنة 367 ، وولي سعد الدولة بكجور حمص وجندها . وكان تقرير أمر بكجور بين سعد الدولة وبينه علي يد أبي الحسن عليّ بن الحسين المغربي الكاتب والد الوزير أبي القاسم .

1- زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم المتوفّي 660هـ- 1 : 159 - 160 ، تحقيق سامي الدهان ، ط- المعهد الفرنسي .

واستقرّ أمر سعد الدولة بحلب ، وجدّد الحلبيون عمارة المسجد الجامع بحلب ، وزادوا في عمارة الأسوار في سنة 367 وغيّر سعد الدولة الأذان بحلب وزاد فيه « حيّ علي خير العمل » ، محمّد وعليّ خير البشر ، وقيل أنّه فعل ذلك في سنة 369 وقيل سنة 58(1) .

ملتان - الهند (قبل سنة 380 هـ)

قال المقدسي المتوفّي (380هـ-) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ضمن حديثه عن إقليم السند :

الملتان تكون مثل المنصورة غير أنّها أعمرة ليست بكثيرة الثمار غير أنّها رخيصة الأسعار ، الخبز ثلاثون متاً بدرهم ، والفانيد ثلاثة أمانان بدرهم ، حسنة تُشاكل دور سيراف من خشب الساج طبقات ، ليس عندهم زنا ولا شرب خمر ، ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه ، أو حدّوه ، ولا يكذبون في بيع ، ولا يبخسون في كيل ، ولا يخسرون في وزن ، يحبّون الغرباء ، وأكثرهم عرب ، شربهم من نهر غزير ، والخير بها كثير ، والتجارات حسنة ، والنعم ظاهرة ، والسلاطين عادلة ، لا تري في الأسواق متجملة ، ولا أحد يحدّثها علانية ... إلي أن يقول :

وأهل الملتان شيعة يحيعلون في الأذان ويثنون في الإقامة ، ولا تخلو القصبات من فقهاء علي مذهب أبي حنيفة وليس به مالكية ولا معتزلة ، ولا-عمل للحنابلة ، إنهم علي طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة ، وصلاح وعقّة ، قد أراحهم الله من الغلوّ والعصبية والهرج والفتنة(2) .

1- اليواقيت والضرب لإسماعيل أبي الفداء : 134 ، تحقيق محمد جمال وفالح بكور .

2- احسن التقاسم ومعرفة الاقاليم : 480 وفيه (يهوعلون) ويبدو أنّه تصحيف : يهوعلون أو يحيعلون ، ومعناه قولهم (حيّ علي خير العمل) في الأذان .

شرح ابن خلدون حال الحاكم بأمر الله العبيدي الذي ولي الخلافة (386 - 411) فقال : ... وأما مذهبه في الرفضة فمعروف ، ولقد كان مضطرباً فيه مع ذلك ، فكان يأذن في صلاة التراويح ثم ينهي عنها ، وكان يري بعلم النجوم ويؤثره . ويُنقل عنه أنه منع النساء من التصرف في الأسواق ، ومنع من أكل الملوخيا ، ورفع إليه أن جماعة من الروافض تعرضوا لأهل السنة في التراويح بالرجم ، وفي الجنائز ، فكتب في ذلك سجلاً قرئ علي المنبر بمصر كان فيه : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم من كتاب الله المبين { لا إكراه في الدين } ...

إلي أن يقول : يصوم الصائمون علي حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ، ولا هم عنها يدفعون ، يخمس في التكبير علي الجنائز المخمسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المرّبعون ، يؤذن ب- « حيّ علي خير العمل » المؤذنون ، ولا يؤذي من بها لا يؤذنون ... ولا يؤذن من بها لا يؤذنون ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة(1).

وقال ابن الأثير في الكامل عن سبب قتله « ... وقيل كان سبب قتله أنّ أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله ، فكانوا يكتبون إليه الرّقاع فيها سبّه ، - إلي أن يقول - : منها أنه أمر في صدر خلافته بسب الصحابة رضي الله عنهم ، وأن تكتب علي حيطان الجوامع والأسواق ، وكتب إلي سائر عماله بذلك ، وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

ثم أمر في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بترك صلاة التراويح ، فاجتمع الناس بالجامع العتيق ، وصلى بهم [إماماً] جميع رمضان ، فأخذه وقتله ، ولم يصل أحد التراويح إلي سنة ثمان وأربعمائة ، فرجع عن ذلك وأمر بإقامتها علي العادة .

وبني الجامع براشدة ، وأخرج إلي الجوامع والمساجد من الآلات والمصاحف ، والستور والحصر ما لم ير الناس مثله ، وحمل أهل الذمة علي الإسلام ، أو المسير إلي مأمئهم ، أو لبس الغيار ، فأسلم الكثير منهم ، ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له : إني أريد العود إلي ديني ، فيأذن له ، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ... (1)

ومما يجب التنويه به هنا هو أن الحكام - بوصفهم حكّاماً - قد يتخذون بعض المواقف لمصلحة ، وقد تتدخل السياسة في بعض تصرفاتهم ، ولا - أستثني الفاطميين من العباسيين أو العكس ، فهم بشر كغيرهم لهم ميولاتهم ونزعاتهم ، ولا يمكن النجاة من ذلك إلا بالإمام المعصوم .

بل الذي ذكرناه أو نذكره ما هو إلا بيان لامتداد النهجين ، وإن استغلّ من قبل الحكام في بعض الحالات .

اليمامة (سنة 394 هـ)

ذكر ناصر خسرو المروزي الملقب بحجة المتوفّي سنة 450 هـ - في رحلته وعند حديثه عن أحوال مدينة اليمامة : ... وأمرؤها علويون منذ القديم ، ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم ومذهبهم الزيدية ، ويقولون في الإقامة (محمّد وعليّ خير البشر وحيّ عليّ خير العمل) . (2)

1- الكامل في التاريخ 7 : 305 حوادث سنة 411 .

2- سفر نامه ناصر خسرو : 122 .

جاء في (النجوم الزاهرة) : أنّ الحاكم بأمر الله العبيدي أرسل إلي مدينة الرسول إلي دار جعفر الصادق من فتحها وأخذ منها ما كان فيها من مصحف وسرير والآت . وكان الذي فتحها ختكين العضدي الداعي ، وحمل معه رسوم الأشراف ، وعاد إلي مصر بما وجد في الدار . وخرج معه من شيوخ العلوية جماعة ، فلما وصلوا إلي الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة وردّ عليهم السرير وأخذ الباقي ، وقال : أنا أحقّ به ، فانصرفوا داعين عليه ، وشاع فعله في الأمور التي خرق العادات فيها ودعي عليه في أعقاب الصلوات ، وظاهر بذلك فأشفق فخاف ، وأمر بعمارة دار العلم وفرشها ، ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنّة شيخين يُعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي ، وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته ، وجمع الفقهاء والمحدثين إليها وأمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة ، ورفع عنهم الاعتراض في ذلك ، وأطلق صلاة التراويح والضحي ، وغيّر الأذان وجعل مكان « حيّ علي خير العمل » « الصلاة خير من النوم » ، وركب بنفسه إلي جامع عمرو بن العاص وصلّي فيه الضحي ، وأظهر الميل إلي مذهب مالك والقول به .. وأقام علي ذلك ثلاث سنين ، وفعل ما لم يفعله أحد .

ثمّ بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الانطاكي والشيخ الآخر وخلقاً كثيراً من أهل السنّة ، لا لأمر يقتضي ذلك ، وفعل ذلك كلّه في يوم واحد ، وأغلق دار العلم ، ومنع من جميع ما كان فعله (1) .

وقال المقرئ في (المواعظ والاعتبار) : ... وفي صفر سنة أربع مائة شهر جماعة

بعد أن ضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا (1) والدليس والترمس ، وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفقرة والنجوي ، وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر ، وأمر بردّ الثوب في الأذان ، وأذن للناس في صلاة الضحى وصلاة التراويح ، وأمر المؤذنين بأسرهم في الأذان بأن لا يقولوا « حيّ علي خير العمل » ، وأن يقولوا في الأذان للفجر : « الصلاة خير من النوم » ، ثم أمر في ثاني عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بإعادة قول « حيّ علي خير العمل » في الأذان وقطع الثوب وترك قولهم « الصلاة خير من النوم » ، ومنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح ، وفتح باب الدعوة ، وأعيدت قراءة المجالس بالقصر علي ما كانت ، وكان بين المنع من ذلك والأذان فيه خمسة أشهر .

وضرب في جمادي من هذه السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسّمك الذي لا قشر له وشرب المسكرات وتبّع السكاري فضيّق عليهم (2) .

وفي السادس والعشرين منه [من المحرم سنة 401 هـ - [قرئ بجامع مصر سجلّ يتضمن النهي عن معارضة الحاكم فيما يفعله وترك الخوض فيما لا يعني ، وإعادة « حيّ علي خير العمل » إلي الأذان وإسقاط « الصلاة خير من النوم » والنهي عن صلاة التراويح والضحي ... (3)

1- لأنه كان قد قرئ في سنة 395 سجّل فيه منع الناس من تناول الملوخيا أكلة معاوية ابن أبي سفيان المفضّلة ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة إلي عائشة ومن المتوكّلية المنسوبة إلي المتوكّل ، والمنع من عجين الخبز بالرّجل ، والمنع من أكل الدليس ، وكان في هذا الكتاب أيضاً : المنع من عمل الفقاع وبيعه في الأسواق ، لما يؤثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كراهية شرب الفقاع ، وضرب في الطرقات والأسواق بالجرس ونودي أن لا يدخل أحد الحمام إلّا بمتزّر ، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ، ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين . (المواعظ والاعتبار 2 : 341) .

2- المواعظ والاعتبار 2 : 342 .

3- نهاية الارب في فنون الادب / الفن 5 / القسم 5 / الباب 12 اخبار الملوك العبيديون .

ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ... وفيها مُنع أهل الكرخ من النَّوح ، وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء ، فلم يقبلوا وفعّلوا ذلك ، فجري بينهم وبين السنّية فتنة عظيمة قُتل فيها وجرح كثير من الناس ، ولم ينفصل الشرّ بينهم حتّى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفّوا حينئذ .

ثمّ شرع أهل الكرخ في بناء سور علي الكرخ ، فلمّا رأهم السنّية من القلائين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور علي سوق القلائين ، وأخرج الطانفتان في العمارة مالاً جليلاً ، وجرت بينهما فتن كثيرة ، وبطلت الأسواق وزاد الشر حتّى انتقل كثير من الجانب الغربي إلي الجانب الشرقي فأقاموا به .

وتقدّم الخليفة إلي أبي محمّد بن النسوي بالعبور وإصلاح الحال وكفّ الشر ، فسمع أهل الجانب الغربي ذلك فاجتمع السنة والشيعة علي المنع منه ، وأذنوا في القلائين وغيرها ب- « حيّ علي خير العمل » وأذنوا في الكرخ ب- « الصلاة خير من النوم » وأظهروا الترحّم علي الصحابة ، فبطل عبوره (1) .

وفي (المنتظم) وضمن بيان حوادث سنة 442 هـ - : ... أنّه ندب أبو محمّد النسوي للعبور وضبط البلد ، ثمّ اجتمع العامة من أهل الكرخ والقلائين وباب الشعير وباب البصرة علي كلمة واحدة في أنه متي عبر ابن النسوي أحرقوا أسواقهم وانصرفوا عن البلد ، فصار أهل الكرخ إلي باب نهر القلائين ، فصلّوا فيه وأذنوا في المشهد « حيّ علي خير العمل » وأهل القلائين بالعتيقة والمسجد باليزّازين ب- « الصلاة خير من النوم » واختلطوا واصطلحوا وخرجوا إلي زيارة المشهدين مشهد عليّ والحسين (2) .

1- الكامل في التاريخ 8 : 53 .

2- المنتظم 15 : 325 .

وفي (تاريخ أبي الفداء) : ... وقعت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، وعَظُم الأمر حتَّى بطلت الأسواق ، وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم محيطاً بالكرخ ، وشرع السنة من القلائين ومن يجري مجراهم في بناء سور علي سوق القلائين ، وكان الأذان بأماكن الشيعة ب- « حيّ علي خير العمل » وبأماكن السنة « الصلاة خير من النوم » (1).

وفي (النجوم الزاهرة) : ... فيها كان من العجائب أنه وقع الصلح بين أهل السنة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة ، وسبب ذلك : أن أبا محمّد النسوي ولي شرطة بغداد وكان فاتكاً ، فاتفقوا علي أنه متي رحل إليهم قتلوه ، واجتمعوا وتحالفوا ، وأذن باب البصرة « حيّ علي خير العمل » ، وقرئ في الكرخ فضائل الصحابة ، ومضي أهل السنة والشيعة إلي مقابر قريش ، فعُدّ ذلك من العجائب ، فإنّ الفتنة كانت قائمة والدماء تُسكب والملوك والخلفاء يعجزون عن ردّهم حتَّى ولي هذا الشرطة ، فتصالحوا علي هذا الأمر اليسير (2).

بغداد (سنة 443 هـ)

قال ابن الأثير في (الكامل) : ... في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديماً ، فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الإحن ، وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السّمّاكين ، وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ، ففرغ أهل الكرخ ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب : « محمّد وعليّ خير البشر » ؛ وأنكر السنّيّة ذلك وادّعوا أنّ المكتوب : « محمّد وعليّ خير

1- تاريخ أبي الفداء 1 : 170 .

2- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 5 : 49 .

البشر ، فمن رضي فقد شكر ، ومن أبي فقد كفر » ؛ وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا : ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه علي مساجدنا ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ، ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضي ، لكشف الحال وإنهائه ، فكتبنا بتصديق قول الكرخيين ، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال ، فلم يقبلوا . وانتدب ابن المذهب القاضي ، والزهيرى ، وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبدالصمد بحمل العامة علي الإغراق في الفتنة ، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلي الحنابلة ، ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة إلي الكرخ ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه ، فعظم الأمر عليهم ، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف ، وصبوا عليه ماء الورد ، ونادوا : الماء للسبيل ؛ فأغروا بهم السنة .

وتشدّد رئيس الرؤساء علي الشيعة ، فمحو : « خير البشر » ، وكتبوا : « عليهما السلام » ، فقالت السنة : لا نرضي إلا أن يُقلع الأجر الذي عليه « محمّد وعلي » وأن لا يؤذّن : « حيّ علي خير العمل » ؛ وامتنع الشيعة من ذلك ، ودام القتال إلي ثالث ربيع الأوّل ، وقُتل فيه رجل هاشمي من السنّة ، فحمله أهله علي نعش ، وطافوا به في الحرّية ، وباب البصرة ، وسائر محالّ السنّة ، واستنفروا الناس للأخذ بثأره ، ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل ، وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدّم .

فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه ، فنقبوا في سوره وتهدّدوا البواب ، فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وسُتور وغير ذلك ، ونهبوا ما في التبر والدور ، وأدركهم الليل فعادوا .

فلما كان الغد كثر الجمع ، فقصدوا المشهد ، وأحرقوا جميع التبر والآراج ، واحترق ضريح موسي ، وضريح ابن ابنه محمّد بن علي الجواد ، والقبتان الساج ،

اللتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بُوَيْه، مُعزّ الدولة، وجمال الدولة، ومن قبور الوزراء والرؤساء، وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقبر الأمين محمّد بن الرشيد، وقبر أمّه زبيدة، وجري من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله .

فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن عليّ لينقلوهما إلي مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلي جانبه .

وسمع أبو تمام نقيب العبّاسيين وغيره من الهاشميين السنيّة الخبر، فجاؤوا ومنعوا عن ذلك، وقصد أهل الكرخ إلي خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه، وقتلوا مدرّس الحنفيّة أبا سعد السرخسيّ، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء . وتعدّت الفتنة إلي الجانب الشرقيّ، فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بَجّ، والأساكفة، وغيرهم .

ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلي نور الدولة دُبَيْس بن مزيد عَظُم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ؛ لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلّهم شيعة، فُقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله، فوسل في ذلك وعُوتب، فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة، واتّفقوا علي ذلك، فلم يمكنه أن يشقّ عليهم كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا، وأعاد الخطبة إلي حالها(1).

وقد ذكر ابن الجوزي هذه الحادثة في (المنتظم) إلي أن يقول: ... وفي يوم الجمعة لعشر بقين من ربيع الآخر خطب بجامع براثا وأسقط «حيّ علي خير العمل» ودق الخطيب المنبر وقد كانوا يمنعون منه، وذكر العبّاس في خطبته(2).

1- الكامل في التاريخ 8 : 59 - 60 حوادث سنة 443 .

2- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 15 : 331 وتاريخ أبي الفداء 2 : 170 - 171 ، وتاريخ الإسلام 30 : 9 .

ذكر ابن الأثير عدّة حوادث في هذه السنة، وقال: « وفيها عمل محضراً ببغداد يتضمّن القدح في نسب العلويين أصحاب مصر، وأنّهم كاذبون في ادّعائهم النسب إلي عليّ عليه السلام، وعزّوهم فيه إلي الديصانيّة من المجوس، والقداحيّة من اليهود، وكتب فيه العلويون، والعباسيون، والفقهاء، والقضاة، والشهود، وعمل به عدّة نسخ، وسُيّر في البلاد، وشُيّع بين الحاضر والباد.... »

وفيها حدثت فتنة بين السّنة والشيعة ببغداد، وامتنع الضبط، وانتشر العيّارون وتسَلَطوا، وجَبّوا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان مقدّمهم الطّقطيّ والزّيبيّ، وأعاد الشيعة الأذان ب- « حيّ علي خير العمل »، وكتبوا علي مساجدهم: « محمّد وعليّ خير البشر »؛ وجري القتال بينهم، وعظم الشرّ (1).

ثمّ صدرّ حوادث سنة خمس وأربعين وأربعمائة بذكر الفتنة بين السّنة والشيعة ببغداد، فقال:

في هذه السنة، في المحرّم، زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السّنة، وكان ابتداءها أواخر سنة أربع وأربعين [وأربعمائة].

فلما كان الآن عظم الشرّ، وأطّرت المراقبة للسلطان، واختلط بالفريقين طوائف من الأتراك، فلما اشتدّ الأمر اجتمع القوّاد وانفقوا علي الركوب إلي المحالّ وإقامة السياسة بأهل الشرّ والفساد، وأخذوا من الكرخ إنساناً علويّاً وقتلوه، فثار نساؤه، ونشّرن شعورهنّ واستعثنّ، فتبعهنّ العامّة من أهل الكرخ، وجري بينهم

1- الكامل في التاريخ 8 : 64، وانظر كلام ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة 402 « الشذرات 3 : 162 ».

وبين القوَّاد - ومَن معهم من العامة - قتال شديد ، وطَرَح الأتراك النار في أسواق الكرخ ، فاحترق كثير منها ، وألحقتها بالأرض ، وانتقل كثير من الكرخ إلي غيرها من المحالِّ .

وندم القوَّاد علي ما فعلوه ، وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك ، وصلح الحال ، وعاد الناس إلي الكرخ ، بعد أن استقرَّت القاعدة بالديوان بكفِّ الأتراك أيديهم عنهم(1) .

وفي (تاريخ أبي الفداء) : ... وفي هذه السنة (ت 444 هـ -) كانت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، واعادت الشيعة الأذان « بحَيِّ علي خير العمل » ، وكتبوا علي مساجدهم : « محمَّد وعليَّ خير البشر »(2) .

بغداد (سنة 448 هـ)

ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ... وفيها أمر الخليفة بأن يؤذَّن بالكرخ والمشهد وغيرها : « الصلاة خير من النوم » ، وأن يتركوا : « بحَيِّ علي خير العمل » ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها(3) .

وقال ابن الجوزي في (المنتظم) : ... وفي هذه السنة أقيم الأذان في المشهد بمقابر قريش ومشهد العتيقة ومساجد الكرخ ب- « الصلاة خير من النوم » ، وأزيل ما كانوا يستعملونه في الأذان من « حَيِّ علي خير العمل » وقلع جميع ما كان علي أبواب الدور والدروب من « محمَّد وعليَّ خير البشر » .

1- الكامل في التاريخ 8 : 65 .

2- تاريخ أبي الفداء 2 : 172 ، البداية والنهاية 12 : 68 ، العبر في خبر من غير 3 : 205 ، تاريخ الإسلام للذهبي 30 : 9 .

3- الكامل في التاريخ 8 : 79 ، وفي النجوم الزاهرة 5 : 59 مثله .

ودخل إلي الكرخ منشدو أهل السنة من باب البصرة فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة ، وتقدم رئيس الرؤساء إلي ابن النسوي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق ، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض ، فقتل وصلب علي باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونُهب داره ، وتزايد الغلاء فبيع الكرّ الحنطة بمائة وثمانين ديناراً(1) .

وفي (البداية والنهاية) : ... وفيها أُلزم الروافض بترك الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وأمروا أن ينادي مؤذّنهم في أذان الصبح وبعد حيّ علي الفلاح ، « الصلاة خير من النوم » مرتين ، وأزيل ما كان علي أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : « محمّد وعليّ خير البشر » ، ودخل المنشدون ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة ، وذلك أنّ نوء الرافضة اضمحلّ ، لأنّ بني بويه كانوا حكاماً وكانوا يقوونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا وذهب دولتهم(2) .

وفي (السيرة الحلبية) : ... وذكر بعضهم أنّ في دولة بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين « حيّ علي خير العمل » ، فلمّا كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك « الصلاة خير من النوم »(3) .

وفي (النجوم الزاهرة) : وفيها أقيم الأذان في مشهد موسي بن جعفر ومساجد الكرخ ب- « الصلاة خير من النوم » علي رغم أنف الشيعة ، وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من « حيّ علي خير العمل »(4) .

1- المنتظم 16 : 7 - 8 .

2- البداية والنهاية 12 : 73 .

3- السيرة الحلبية 2 : 305 .

4- النجوم الزاهرة 5 : 59 .

ومما يجب التنبيه عليه أنّ جماعة من السنة ببغداد قد ثاروا في سنة 447 هـ- وقصدوا دار الخلافة وطلبوا أن يسمح لهم أن يأمرؤا بالمعروف وينهؤا عن المنكر فأذن لهم وزاد شرهم ، ثم استأذنوا في نهب دور البساسيري [ذي الميول الشيعة الذي أجاز الأذان بالحيعة الثالثة] وكان غائباً في واسط فأذن لهم الخليفة .

وهي تلك السنة التي وقعت فيها الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد وأنكرت الحنابلة علي الشافعية الجهر بالبسملة والقنوت في الصبح والترجيع بالأذان(1) .

وذكر ابن الأثير بعض حوادث هذه السنة ، فقال : ... فتبعهم من العامة الجم الغفير وأنكروا الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا من الترجيع في الأذان ، والقنوت في الفجر ، ووصلوا إلي ديوان الخليفة ، ولم ينفصل حال ، وأتي الحنابلة إلي مسجد باب الشعير ، فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفاً وقال : أزيلوها من المصحف حتّي لا أتلوها(2) .

وهذا يشير إلي أن الخلاف الفقهي بين المسلمين لا ينحصر في الحيعلة الثالثة ولا ينحصر بالطالبين ، فقد يذهب بعض أهل السنة إلي خلاف المشهور عندهم لثبوت شرعيتها عنده وهذا ما نريد قوله ، وهو وجود أصل متجذر للمختلف فيه بين المسلمين ، وأن الطالبين كانوا جادّين في الحفاظ علي ما تلقوه ورووه من سنة رسول الله صلي الله عليه و آله ، ونهج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أما عموم اتباع نهج الخلفاء فكانوا يتبعون عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء فيما شرعوه من الأمور التي أشار الامام علي عليه السلام إليها سابقاً .

1- تاريخ أبي الفداء 2 : 174 .

2- الكامل في التاريخ 8 : 72 - 73 حوادث سنة (447) .

بغداد (سنة 450 هـ)

قال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) : .. ثم إن البساسيري(1) وصل إلي بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام علي غاية الضر والفقر ، وكان معه أبو الحسن بن عبدالرحيم الوزير ، فنزل البساسيري بمشرفة الروايا ، ونزل قريش بن بدران وهو في ماتتي فارس عند مشرفة باب البصرة ، وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بازاء عسكر البساسيري ، وعادوا وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر ، وأمر فأذن ب- « حيّ علي خير العمل » وعقد الجسر وعبر عسكره إلي الزاهر(2) .

وجاء في (النجوم الزاهرة) : ... ثم دخل الأمير أبو الحارث أرسلان البساسيري بغداد في ثامن ذي القعدة بالرايات المستنصرية وعليها ألقاب المستنصر هذا صاحب مصر ، فمال إلي البساسيري أهل باب الكرخ وفرحوا به لكونهم رافضة ، والبساسيري وخلفاء مصر أيضاً رافضة ، فانضموا إلي البساسيري وتشفّوا من أهل السنة وشمخت أنوف المنافقين الرافضة وأعلنوا بالأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ببغداد .

واجتمع خلق من أهل السنة علي الخليفة القائم بأمر الله العباسي وقاتلوا معه وفشت الحرب بين الفريقين في السفن أربعة أيام .

وخطب يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ببغداد للمستنصر هذا صاحب

1- كان البساسيري مملوكاً تركياً من ممالك بهاء الدولة بن عضد الدولة [البويهية] ، تقلبت به الأمور حتّي بلغ هذا المقام المشهور ، واسمه أرسلان وكنيته أبو الحارث . انظر : الكامل لابن الأثير 8 : 87 احداث سنة 451 .

2- الكامل في التاريخ 8 : 83 ، وانظر : البداية والنهاية 12 : 82 ، تاريخ ابن خلدون 3 : 449 .

الترجمة بجامع المنصور وأذّنوا بحيّ علي خير العمل ، وعقد الجسر وعبرت عساكر البساسيري إلي الجانب الشرقي (1). .

وذكر ابن الجوزي في المنتظم : ... وعاود أهل الكرخ الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وظهر فيهم السرور الكثير وحملوا راية بيضاء ونصبوها في وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم المستنصر بالله وأقام بمكانه والقتال يجري في السفن بدجلة .

فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة دُعي لصاحب مصر في جامع المنصور ، وزيد في الأذان « حيّ علي خير العمل » وشرع البساسيري في إصلاح الجسر (2) .

وفي (نهاية الأرب في فنون الأدب) عند ذكر استيلاء أبي الحارث البساسيري علي العراق ، قال : ثم وصل البساسيري إلي بغداد في يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام في غاية الضر والفقر ، فنزل بمشرفة دار الروايا وكان معه قريش بن بدران وهو في مائتي فارس ، فنزل مشرفة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بإزاء عسكر البساسيري وعاودوا وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر العلوي صاحب مصر فأذن « حيّ علي خير العمل » وعقد الجسر وعبر عسكره إلي الزاهر واجتمعوا فيه وخطب في الجمعة الثانية للمصري بجامع الرصافة... (3)

وفي تاريخ بغداد : ... فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة دعي

1- النجوم الزاهرة 5 : 6 .

2- المنتظم 16 : 32 حوادث 450 .

3- نهاية الأرب في فنون الادب 23 : 227 .

لصاحب مصر في الخطبة بجامع المنصور وزيد في الأذان « حيّ علي خير العمل » ، وشرع البساسيري في إصلاح الجسر(1).

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : ... ثمّ قدم البساسيري بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية ، ووقع القتال بينه وبين الخليفة ، ودعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور ، وزيد في الأذان « حيّ علي خير العمل » ، ثمّ خطب له في كلّ الجوامع إلا جامع الخليفة ، ودام القتال شهراً ثمّ قبض البساسيري علي الخليفة في ذي الحجة وسيّره إلي غابة وحبسه بها و... (2)

مكة / حلب (سنة 462 هـ)

قال ابن خلدون(3) والذهبي(4) والسيوطي(5) : إنّ محمّد بن أبي هاشم خطب بمكة للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان(6) ، وأسقط خطبة العلوي صاحب مصر وترك « حيّ علي خير العمل » من الأذان .

وقال ابن الأثير : ... وفيها ورد رسول صاحب مكّة محمّد بن أبي هاشم ومعه ولده إلي السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة وإسقاط خطبة العلوي صاحب مصر ، وترك الأذان ب- « حيّ علي

-
- 1- تاريخ بغداد 9 : 401 - 402 ، ومثله في بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم 3 : 1352 ، والبداية والنهاية 12 : 84 .
 - 2- تاريخ الخلفاء 1 : 418 .
 - 3- تاريخ ابن خلدون 3 : 470 .
 - 4- سير أعلام النبلاء 15 : 190 .
 - 5- تاريخ الخلفاء 1 : 421 .
 - 6- ولي هذا خراسان بعد وفاة والده طغري بك دواد سنة 452 ، ودواد كان أخ السلطان ضغريك السلجوقي المعروف .

خير العمل» ، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعاً نفيسة وأجري له كل سنة عشرة آلاف دينار(1).

ثم ذكر في حوادث سنة 463 كيفية استيلاء السلطان ألب أرسلان علي حلب ، إلي أن قال : ... وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية ، والخلع ، فقال له محمود ؛ صاحب حلب : أسالك الخروج إلي السلطان واستعفائه لي من الحضور عنده ، فخرج نقيب النقباء ، وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب ، فقال : أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون « حيّ علي خير العمل » ؟ ولا بد من الحضور ودوس بساطي ، فامتنع محمود من ذلك .

فاشتدّ الحصار علي البلد ، وغلت الأسعار ، وعظم القتال وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد ، فوقع حجر منجنيق في فرسه ، فلما عظم الأمر علي محمود خرج ليلاً ، ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري ، فدخلا علي السلطان وقالت له : هذا ولدي فافعل به ما تحبّ ، فتلقاهما بالجميل وخلع علي محمود وأعادته إلي بلده فأنفذ إلي السلطان مالاً جزيلاً(2) .

وخطب محمود بن صالح بحلب للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان ... فأخذت العامة حُصْرَ الجامع ، وقالوا : هذه حُصْرُ عليّ بن أبي طالب ، فليات أبو بكر بحُصْرٍ يصليّ عليها الناس(3) .

وفي (النجوم الزاهرة) (4) عن الشيخ شمس الدين بن قزاوغلي في المرأة ، قال : ... وضاق يد أبي هاشم محمد أمير مكة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر ،

1- الكامل في التاريخ 8 : 107 .

2- الكامل في التاريخ 8 : 109 .

3- الكامل في التاريخ 8 : 108 .

4- في أحداث سنة 428 .

فأخذ قناديل الكعبة وسقورها وصفائح الباب والميزاب ، وصادر أهل مكة فهربوا ، وكذا فعل أمير المدينة مهناً وقطعاً الخطبة للمستنصر [الفاطمي] وخطبا لبني العباس - الخليفة القائم بأمر الله - وبعثا إلي السلطان ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد بذلك ، وأنهما أذنا بمكة والمدينة الأذان المعتاد وتركوا الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، فأرسل ألب أرسلان إلي صاحب مكة أبي هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار ، وإلي صاحب المدينة بعشرين ألف دينار ، وبلغ الخبر بذلك المستنصر فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء (1) .

وفي أحداث سنة 464 قال : بعث الخليفة بأمر الله الشريف أبا طالب الحسن بن محمد أخا طراد الزينبي إلي أبي هاشم محمد أمير مكة بمال وخلع ، وقال له : غير الأذان وأبطل « حيّ علي خير العمل » ، فناظره أبو هاشم مناظرة طويلة وقال له : هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال له أخو الشريف : ما صحّ عنه وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روي عنه أنه أذن به في بعض أسفاره ، وما أنت وابن عمر ! فأسقطه من الأذان (2) .

وجاء في تاريخ الخلفاء بأن الخطبة أعيدت للعبيدي بمكة في سنة 467 (3) .

الشام (سنة 468 هـ)

جاء في (مآثر الإنافة) للقلقشندي : ... تغلب علي دمشق اتسز بن ارتق الخوارزمي المعروف بالاقسيس ، أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي [ابن أرسلان] في سنة 468 وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب

1- النجوم الزاهرة 5 : 23

2- النجوم الزاهرة 5 : 89 .

3- تاريخ الخلفاء 1 : 423 .

للمقتدي (1) العباسي ، ومنع الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ولم يخطب بعدها بالشام لأحد من الفاطميين وبقي بها إلي ما بعد خلافة المقتدي (2) .

وفي (الكامل) لابن الأثير : ... ودخلها هو [أي الاقسييس] وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمسة بقين من ذي القعدة للمقتدي بأمر الله الخليفة العباسي ، وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين ، وتغلب علي أكثر الشام ، ومنع الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، وفرح أهلها فرحاً عظيماً ، وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم (3) .

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير ، قال : ... الاقسييس هذا هو اتسز بن اوف الخوارزمي ، ويلقب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين وأزال الأذان منها ب- « حيّ علي خير العمل » بعد أن كان يؤذن به علي منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين (106 سنة) ، وكان علي أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين (4) .

وفي تاريخ الخلفاء : ... خطب للمقتدي العباسي بدمشق وأبطل الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وفرح الناس بذلك (5) .

1- ولي المقتدي 467 بعد وفاة والده القائم بالله ، ومما يجب التنبيه عليه أنّ الخطبة للعلويين أعيدت بمكة بعد وفاة القائم بالله وقطع خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة اشهر ، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة (انظر : الكامل في التاريخ 8 : 121) .

2- مآثر الإنافة للقلقشندي 2 : 5 .

3- الكامل في التاريخ 8 : 122 احداث سنة 468 هـ .

4- البداية والنهاية 12 : 120 ، 127 .

5- تاريخ الخلفاء 1 : 424 .

وفي تاريخ ابن خلدون : ... وخطب فيها اتسز للمقتدي العباسي في ذي القعدة سنة ثمان وستين ، وتغلب علي أكثر الشام ، ومنع من الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، ثم سار سنة تسع وستين إلي مصر وحاصرها حتي أشرف علي أخذها ، ثم انهزم من غير قتال ، ورجع إلي دمشق وقد انتقص عليه أكثر الشام ، فشكر لأهل دمشق صونهم لمخلفه وأمواله ورفع عنهم خراج سنة ، وبلغه أنّ أهل القدس وثبوا بأصحابه... (1)

مصر (سنة 478 هـ)

ولي المستنصر بالله الفاطمي من سنة (428 - 487 هـ) وهو معد أبو تميم حفيد الحاكم بأمر الله ، وقد قرب هذا بدر الجمالي لولاية أمور الحضرة .

قال صاحب (النجوم الزاهرة) : ... كان بدر الجمالي أرمني الجنس فأنكأ جباراً قتل خلقاً كثيراً من العلماء وغيرهم ، وأقام الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، وكبر علي الجنائز خمساً ، وكتب سب الصحابة علي الحيطان... (2)

وفي (المنتظم) : وفي شهر ذي القعدة قبض بدر الجمالي - أمير مصر - علي ولده الأكبر وأربعة من الأمراء ... ونفي مذكري أهل السنة ، وحمل الناس أن يكبروا خمساً علي الجنائز ، وأن يسدلوا أيمانهم في الصلاة ، وأن يتختموا في الأيمان ، وأن يثوبوا (3) في صلاة الفجر « حيّ علي خير العمل » ، وحبس أقواماً روهوا فضائل الصحابة (4) .

1- تاريخ ابن خلدون 3 : 473 - 474 .

2- النجوم الزاهرة 5 : 120 .

3- وقد عبّر ابن الجوزي عن الحيلة الثالثة بالثيوب تساهلاً منه ؛ لأنها حلّت محلّ « الصلاة خير من النوم » .

4- المنتظم في تاريخ الامم والملوك 16 : 242 .

ولي الحافظ لدين الله الفاطمي (عبدالمجيد حفيد المستنصر بالله) بعد قتل ابن عمه أبي علي منصور الأمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

قال العلامة أبو المظفر في مرآة الزمان : ... ولما استمر الحافظ في خلافة مصر ضعف أمره مع وزيره أبي علي أحمد بن الأفضل أمير الجيوش ، وقويت شوكة الوزير المذكور وخطب للمنتظر المهدي ، وأسقط من الأذان « حيّ علي خير العمل » ، ودعا الوزير المذكور لنفسه علي المنابر « بناصر إمام الحق ، هادي العصاة إلي أتباع الحق ، مولى الأمم ، ومالك فضيلتي السيف والقلم » فلم يزل حتّي قتل الوزير (1) .

وقد تكلم المقرئ في (اتعاظ الحنفاء) عن أبي علي أحمد بن الأفضل ، فقال : وكان إمامياً متشدداً فالتفت عليه الإمامية ولعبوا به حتّي أظهر المذهب الإمامي وتزايد الأمر فيه إلي التأذين فانفعل بهم ، وحسّ نوا له الدعوة للقائم المنتظر فضرب الدراهم باسمه ونقش عليها « الله الصمد ، الإمام محمّد » ... إلي أن يقول : ... وكان قد أسقط منذ إقامة الجند ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنسب إليه الطائفة الإسماعيلية ، وأزال من الأذان قولهم فيه « حيّ علي خير العمل محمّد وعليّ خير البشر » ، وأسقط ذكر الحافظ من الخطبة ، واخترع لنفسه دعاءً يُدعي به علي المنابر ... (2)

وقال أبو الفداء في تاريخه : ... ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ، فيها قُتل أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي ، وكان أبو

1- النجوم الزاهرة 5 : 238 .

2- اتعاظ الحنفاء في تاريخ الائمة الخلفاء 3 : 143 .

عليّ المذكور قد حجر علي الحافظ وقطع خطبة العلويين وخطب لنفسه خاصة وقطع من الأذان « حيّ علي خير العمل » فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من الممالك وهو يلعب الكرة فقتلوه ونهبت داره(1).

وفي (وفيات الاعيان) : ... وقبض علي الحافظ المذكور واستقل بالأمر وقام به أحسن قيام، وردّ علي المصادرين أموالهم، وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالائمة الاثني عشر، ورفض الحافظ وأهل بيته، ودعا علي المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر علي زعمهم وكتب اسمه علي السكة، ونهي أن يؤذّن ب- « حيّ علي خير العمل »، وأقام كذلك إلي أن وثب عليه رجل من الخاصّة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسائة فقتله، وكان بتدبير الحافظ، فبادر الأجناد بإخراج الحافظ وبابعوه ولقبوه بالحافظ ودعي له علي المنابر(2).

وفي (بدائع الزهور في وقائع الدهور) قوله : ... وكان قد أسقط منذ أقامه الجند ذكراً اسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنسب إليه الطائفة الإسماعيلية، وأزال من الأذان قولهم فيه « حيّ علي خير العمل محمّد وعليّ خير البشر » وأسقط ذكر الحافظ من الخطبة، واخترع لنفسه دعاءً يدعي به علي المنابر(3).

وفي (نهاية الأرب في فنون الأدب) : قال المؤرخ : لما بويع الحافظ لدين الله ثار الجند الأفضلية وأخرجوا ابن مولا هم أبا عليّ أحمد بن الافضل الملقب بكتيفات، وولّوه أمر الجيوش وذلك في يوم الخميس السادس من ذي القعدة منها، فحكم، واعتقل الحافظ صبيحة يوم بيعته، ودعا للإمام المنتظر وقوي أمر ابن الأفضل .

1- تاريخ أبي الفداء 3 : 6 .

2- وفيات الاعيان 3 : 236 . تاريخ ابن خلدون 4 : 71 - 72 .

3- بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط- الهيئة المصرية العامة 1402هـ- .

وفي سنة خمس وعشرين رتب أحمد بن الفضل في الأحكام أربعة قضاة: الشافعية، والمالكية، والإسماعيلية، والإمامية، يحكم كل قاضي بمقتضى مذهبه ويورث بمقتضاه، فكان قاضي الشافعية الفقيه سلطان، وقاضي المالكية اللبني، وقاضي الإسماعيلية أبو الفضل ابن الأزرق، وقاضي الإمامية ابن أبي كامل.

وسار أحمد بن الفضل سيرة جميلة بالنسبة إلي أيام الأمر، وردّ علي الناس بعض مصادراتهم، وأظهر مذهب الإمامية الاثني عشرية، وأسقط من الأذان قولهم «حيّ علي خير العمل» وأمر بالدعاء لنفسه علي المنابر بدعاء اخترعه (1).

وفي تاريخ ابن خلدون: فأشار عليه الإمامية بإقامة الدعوة للقائم المنتظر، وضرب الدراهم باسمه دون الدينار، ونقش عليها: «الله الصمد، الإمام محمد» وهو الإمام المنتظر. وأسقط ذكر إسماعيل من الدعاء علي المنابر وذكر الحافظ، وأسقط من الأذان «حيّ علي خير العمل» (2).

وفي (المواعظ والاعتبار): ... ولما تغلب أبو علي بن كتيبات بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي علي رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة، سجن الحافظ وقيدته، واستولي علي سائر ما في القصر من الأموال والذخائر، وحملها إلي دار الوزارة، وكان إمامياً متشدداً في ذلك، خالف ما عليه الدولة من مذهب الإسماعيلية، وأظهر الدعاء للإمام المنتظر، وأزال من الأذان «حيّ علي خير العمل» وقولهم «محمد وعليّ خير»

1- نهاية الارب في فنون الادب : 7467.

2- تاريخ بن خلدون .

البشر» ، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الذي تنتسب إليه الإسماعيلية ، فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الأمر إلي الخليفة الحافظ وأعيد إلي الأذان ما كان أسقط منه (1).

وفي بعض كلام المؤرخين هذا خطأ ؛ إذ المعروف عن الإمامية والثابت عندهم هو جزئية «حيّ علي خير العمل» فلا يجوز رفعه إن كان كتيفات هذا إمامياً بالمصطلح .

وأما الدعاء للإمام المنتظر وإسقاط ذكر إسماعيل بن جعفر من الخطبة فكانت خطوة سياسية احتمى بها ابن كتيفات ؛ لأنه كان سنياً لكنّه أظهر التمسك بالإمام المنتظر .

وهذا ما صرّح به الذهبي في (العبر في خبر من غير) بأنّ أبويه كانا سنّيين ، قال : ... فحجر علي الحافظ ومنعه من الظهور ، وأخذ أكثر ما في القصر ، وأهمل ناموس الخلافة العبيدية ، لأنه كان سنياً كأبيه ، لكنّه أظهر التمسك بالإمام المنتظر ، وأبطل من الأذان «حيّ علي خير العمل» ، وغير قواعد القوم ، فأبغضه الدعاة والقواد وعملوا عليه (2) .

وقال الياضي في (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) : ... وأهمل ناموس الخلافة العبيدية ؛ لأنه كان سنياً كأبيه ، لكنّه أظهر التمسك بالإمام المنتظر وأبطل من الأذان «حيّ علي خير العمل» وغير قواعد القوم ، فأبغضه الدعاة والقواد وعملوا عليه ، فركب للعب الكرة في المحرم فوثبوا عليه وطعنه مملوك الحافظ بحربة. (3) .

1- المواعظ والاعتبار للمقريزي 2 : 271 ، وانظر : قصة قتل أبي علي بن كتيفات في الكامل في التاريخ 8 : 334 أحداث سنة 526 هـ .

2- العبر في خبر من غير 4 : 68 ، شذرات الذهب 2 : 78 ، سير أعلام النبلاء 19 : 509 - 510 .

3- مرآة الجنان وعبرة اليقظان 3 : 251 .

حلب (سنة 543 هـ)

جاء في (زبدة الحلب من تاريخ حلب) : ... وشرع نور الدين (1) في تجديد المدارس والرباطات بحلب ، وجلب أهل العلم والفقهاء إليها ، فجدّد المدرسة المعروفة بالحلاويين في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، واستدعي برهان الدين عليّ بن الحسن البلخي الحنفي وولاهّ تدريسها ، فغيّر الأذان بحلب ، ومنع المؤذنين من قولهم « حيّ علي خير العمل » ، وجلس تحت المنارة ومعه الفقهاء وقال لهم : من لم يؤذن الأذان المشروع فألقوه من المنارة علي رأسه ، فأذّنوا الأذان المشروع واستمر الأمر من ذلك اليوم... (2)

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (3) في ترجمة عليّ بن الحسن بن محمّد أبي الحسن الحنفي الفقيه : سمع بما وراء النهر وتتنسب إليه المدرسة البلخية ويلقب بالبرهان ، وهو الذي أبطل من حلب الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، مات سنة 548 .

وكان المقدسي قد نوه عن إبطال الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » ، بقوله : ورد الخبر من ناحية حلب بأنّ صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال « حيّ علي خير العمل » في أواخر تأذين الغداة والتظاهر بسب الصحابة وأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، وساعده علي ذلك جماعة من السنة بحلب ، وعظم هذا الأمر علي الإسماعيلية وأهل الشّيعة.. (4)

1- هو نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ، المولود سنة 511 هـ- ، وكان حنفي المذهب داعية إلي مذهبه ، وهو مؤسس الدولة النورية في الشام .

2- زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم 2 : 475 - 476 .

3- سير أعلام النبلاء 20 : 276 .

4- الروضتين في أخبار الدولتين 1 : 202 .

وفي (العبر في خبر من غير) ، قال : أبو الحسن البلخي علي بن الحسن الحنفي ... وكان يلقَّب برهان الدين ... وهو الذي قام في إبطال « حيّ علي خير العمل » من حلب(1).

وجاء في (البداية والنهاية) لابن كثير : افتتح نور الدين أبو القاسم التركي السلجوقي وكان حنفي المذهب .. وأظهر السنّة وأمات البدعة ، وأمر بالتأذين ب- « حيّ علي الصلاة حيّ علي الفلاح » ، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجدّه وإنما كان يؤذن ب- « حيّ علي خير العمل » لأنّ شعار الرفض كان ظاهراً بها(2).

وفي (النجوم الزاهرة)(3) وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين(4) وخطط الشام لمحمد كرد علي(5) وغيرها والنص للثاني : قال أبو يعلي التميمي : وفي رجب من هذه السنة [أي 543 هـ -] ورد الخبر من ناحية حلب بأنّ صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال « حيّ علي خير العمل » في أواخر تأذين الغداة ، والتظاهر بسب الصحابة ، وأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، وساعده علي ذلك جماعة من السنة بحلب ، وعظم هذا الأمر علي الإسماعيلية وأهل التشيع ، وضاق له صدورهم وهاجوا له وماجوا ، ثمّ سكنوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة ...

1- العبر في خبر من غير 4 : 631 ، الدارس في تاريخ المدارس 1 : 368 .

2- البداية والنهاية 12 : 298 .

3- النجوم الزاهرة 5 : 282 .

4- الروضتين في اخبار الدولتين 1 : 201 - 202 .

5- خطط الشام لمحمد كرد علي 2 : 21 .

حلب (سنة 552 هـ)

اشتدّ المرض في شهر رمضان بنور الدين وخاف علي نفسه ، فاستدعي أخاه نصرة الدين أمير أميران ، وأسد الدين شيركوه ، وأعيان الأمراء والمقدمين ، وأوصي إليهم وقرر أن يكون أخوه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده ويكون مقيماً في حلب ، ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصرة الدين ... وأتفق وصول نصرة الدين إلي حلب فأغلق والي القلعة مجد الدين في وجهه الأبواب وعصي عليه ، فثارت أحداث حلب... ، ودخل نصرة الدين في أصحابه وحصل في البلد ، وقامت الأحداث علي والي القلعة باللوم والإنكار والوعيد ، واقترحوا علي نصرة الدين اقتراحات من جعلتها إعادة رسمهم في التأذين « حيّ علي خير العمل ، محمّد وعليّ خير البشر » فأجابهم إلي ما رغبوا فيه وأحسن القول لهم والوعد..(1).

وفي (زبدة الحلب من تاريخ حلب) : ... ثم عاد نور الدين إلي حلب فمرض بها في سنة أربع وخمسين مرضاً شديداً بقلعتها ، وأشفي علي الموت ، وكان بحلب أخوه الأصغر نصر الدين أمير أميران محمّد بن زنكي ، وأرجف بموت نور الدين ، فجمع أمير أميران الناس واستمال الحلبيّ وملك المدينة دون القلعة ، وأذن للشيعّة أن يزيدوا في الأذان « حيّ علي خير العمل محمّد وعليّ خير البشر » علي عاداتهم من قبل ، فمالوا إليه لذلك(2).

1- الروضتين في اخبار الدولتين 1 : 347 ، بغية الطلب في تاريخ حلب 4 : 2024 .

2- زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم 2 : 486 .

جاء في (نهاية الأرب في فنون الأدب) : ... قال المورخ : ولعشر مضين من ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر [أي صلاح الدين الأيوبي] أن يسقط من الأذان قولهم « حيّ علي خير العمل ، محمّد وعليّ خير البشر » وكانت أول وصمة دخلت علي الشيعة والدولة العبيدية ، ويسوا بعدها من خير يصل إليهم من الملك الناصر ، ثم أمر أن يذكر في الخطبة بكلام مجمل ، ليلبس علي الشيعة والعامّة : اللهم أصلح العاضد لدينك ... (1)

ونقل أبو شامة عن ابن أبي طي فيما جري في مصر سنة 566 هـ - قوله : في هذه السنة شرع السلطان - يعني صلاح الدين - في عمارة سور القاهرة لأنه كان قد تهدّم أكثره وصار طريقاً لا يردّ داخلاً ولا خارجاً ، وولاه لقراقوش الخادم ، وقبض علي القصور وسلّمها إليه ، وأمر بتغيير شعار الإسماعيلية وقطع من الأذان « حيّ علي خير العمل » وشرع في تمهيد أسباب الخطبة لبني العباس (2) .

وجاء مثله عند ابن كثير في البداية والنهاية (3) .

وقال ابن الاثير : كان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر العاضد وهو الخليفة بها .. كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية ، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلي ذلك لميلهم إلي العلويين ، فلم يصغ نور الدين إلي قوله وأرسل إليه يلزمه إلزاماً لا فسحة له فيه (4) .

1- نهاية الأرب في فنون الادب الفن 5/القسم 5/الباب 12 أخبار الملوك العبيديون .

2- الروضتين في اخبار الدولتين 2 : 184 .

3- البداية والنهاية 12 : 283 .

4- انظر الكامل 9 : 111 وعنه في الروضتين في اخبار الدولتين 2 : 190 .

مصر (سنة 567 هـ)

جاء في (نهاية الأرب في فنون الأدب) : ... كان انقراض هذه الدولة عند خلع العاضد لدين الله ، وذلك في يوم الجمعة لسبع مضين من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وكان سبب ذلك أنّ صلاح الدين يوسف لمّا ثبتت قدمه في صلب الديار المصرية واستمال الناس بالأموال ، قتل مؤتمن الخلافة جوهراً... ونصب مكانه قراقوس الأسدي الخصي خادم عمّه ، ثمّ كانت وقعة السودان فأفناهم بالقتل ... ثمّ أسقط من الأذان قولهم « حيّ علي خير العمل » ، وأبطل مجلس الدعوة ، وضعف أمر العاضد معه إلي الغاية ، فعند ذلك كتب الملك العادل نور الدين إلي الملك الناصر صلاح الدين يأمره بالقبض علي العاضد وأقاربه والخطبة للخليفة المستضي بنور الله ، وكان المستضيء قد راسله في ذلك فامتنع صلاح الدين... (1)

وذكر ابن العماد في الشذرات هذا الموضوع فيما جري في سنة 569 ، فقال : وفيها مات نور الدين الملك العادل أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ، تملك حلب بعد أبيه ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة وكان مولده في شوال سنة 511 ... وأزال الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وبني المدارس وسور دمشق (2) .

حلب (سنة 570 هـ)

وفي هذه السنة عزم صلاح الدين الأيوبي الدخول إلي الشام [وذلك بعد موت نور الدين] ، فلما استقرت له دمشق نهض إلي حلب ونزل علي أنف جبل جوشن ، وكان علي حلب آنذاك ابن نور الدين ، والأخير جمع أهل حلب وقال لهم : يا أهل

1- نهاية الأرب في فنون الادب الفن 5/القسم 5/ الباب 12 أخبار الملوك العبيديون .

2- انظر : شذرات الذهب : 4 : 228 .

حلب ، أنا ربيكم ونزيلكم ، واللاجئ إليكم ، كبيركم عندي بمنزلة الأب ، وشاتكم عندي بمنزلة الأخ ، وصغيركم عندي يحل محلّ الولد ، قال : وخنفته العبرة ، وسبقته الدمعة ، وعلا نسيجه ، فافتتن النَّاس وصاحوا صيحةً واحدة ، ورموا بعمائمهم ، وضجوا بالبكاء والعيول ، وقالوا : نحن عبيدك وعبيد أبيك ، نقاتل بين يديك ، ونبدل أموالنا وأنفسنا لك . وأقبلوا علي الدعاء له ، والترحم علي أبيه .

وكانوا قد اشترطوا علي الملك الصّالح أنه يُعيد إليهم شرقية الجامع يُصلُّون فيها علي قاعدتهم القديمة ، وأن يُجهر ب- « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، والتذكير في الأسواق وقُدّام الجنائز بأسماء الأئمة الاثني عشر ، وأن يصلُّوا علي أمواتهم خمس تكبيرات ، وأن تكون عقود الأنكحة إلي الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زُهرة الحسيني ، وأن تكون العصبية مرتفعة ، والنّاموس وازع لمن أراد الفتنة ، وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله تعالي ، فأجيبوا إلي ذلك .

قال ابن أبي طيّ : فأذن المؤذّنون في منارة الجامع وغيره ب- « حيّ علي خير العمل » ، وصلّي أبي في الشّرقيّة مُسبلاً ، وصلّي وجوه الحلبيين خلفه ، وذكروا في الأسواق وقُدّام الجنائز بأسماء الأئمة ، وصلّوا علي الأموات خمس تكبيرات ، وأُذِنَ للشريف في أن تكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه ، وفعلوا جميع ما وقعتِ الأيمان عليه(1) .

1- الروضتين في اخبار الدولتين 2 : 348 - 349 ، البداية والنهاية 12 : 309 وفيه : شرط عليه الروافض . وانظر حاشية الشيخ اغا بزرك الطهراني علي مستدرك وسائل الشيعة والمطبوع معه 3 : 8 .

مكة (سنة 579 هـ)

قال ابن جبير : وللحرم المكي أربعة أئمة سنوية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية ، وأشرف أهل هذه البلدة علي مذهبهم ، وهم يزيدون في الأذان « حيّ علي خير العمل » إثر قول المؤذن « حيّ علي الفلاح » ، وهم روافض سبّابون والله من وراء حسابهم وجزائهم ، ولا يجمعون مع الناس إنّما يصلون ظهراً أربعاً ، ويصلّون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها ، فأول الأئمة السنوية الشافعي ، وإنّما قدمنا ذكره لأنّه المقدم من الإمام العباسي وهو أوّل من يصلي وصلاته خلف مقام إبراهيم إلّا صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها ، يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة ثمّ يقيم مؤذنون سائر الأئمة ، وربما دخل في هذه الصلاة علي المصلّين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كلّ جهة ، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي ، أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه ، ففري كلّ أذن مصغية لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو ، ومع هذا فيحدث السهو علي كثير من الناس .

ثمّ المالكي وهو يصلي قبالة الركن اليماني... (1)

مكة (سنة 582 هـ)

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلي مكة وضرب الدنانير فيها باسم أخيه ، ومنع من قولهم « حيّ علي خير العمل » (2) .

1- رحلة ابن جبير 1 : 84 - 85 ، وقد ذكر بعض ما يتعلق بأئمة المذاهب الأربعة ، وأغفل ما يتعلق بإمام الزيدية !!

2- النجوم الزاهرة 6 : 103 ، الروضتين في اخبار الدولتين 3 : 271 .

مكة (سنة 617 هـ)

وفيها توفي الشريف أبو عزيز قتاده بن إدريس الزيدي الحسني المكي أمير مكة .

كان شيخاً عارفاً مصنفاً ، نعمةً علي عبيد مكة المفسدين ، وكان الحاج في أيامه في أمان علي أموالهم ونفوسهم ، وكان يؤذن في الحرم ب- « حيّ علي خير العمل » علي قاعدة الرافضة ، وما كان يلتفتُ إلي أحد من خلق الله تعالي ، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره ، وكان يحمل إليه من بغداد في كل سنة الذهب والخلع وهو بداره في مكة ، وهو يقول : أنا أحق بالخلافة من الناصر لدين الله ، ولم يرتكب كبيرة فيما قيل ... (1)

مكة (سنة 702 هـ)

جاء في (الدرر الكامنة) قوله : أبطل [بزلغي التتري حينما كان علي الحج] الأذان ب- « حيّ علي خير العمل » وجمع الزيدية ومنعهم من الإمامة بالمسجد الحرام (2) .

إيران (سنة 707 هـ تقريباً)

كان مذهب أهل السنة والجماعة هو الغالب علي إيران إلا في مناطق معينة كطبرستان ، والريّ ، وقم ، وأقسام من خراسان ، وقد ذكر المؤرخون عللاً وأسباباً في تشيع إيران (3) ، إلا أنّ الثابت هو حدوثه في عهد العلامة الحلّي « الحسن

1- النجوم الزاهرة 6 : 249 - 250 .

2- الدرر الكامنة 2 : 9 .

3- طبع مؤخراً الشيخ رسول جعفریان رسالة الجاييتو والتي ألفها باللغة الفارسية موضحاً فيها أسباب تشيعه فليراجع .

بن يوسف « المتوفي 726 هـ - الذي كان السبب في تشيع السلطان الجايو محمد المغولي الملقب بشاه خدابنده المتوفي 717 أو 719 هـ . فلما تشيع السلطان أمر في تمام ممالكه بتغيير الخطبة وإسقاط أسامي الثلاثة عنها ، وبذكر أسامي أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة: علي المناير ، وبذكر « حيّ علي خير العمل » في الأذان ، وبتغيير السكّة ونقش الأسامي المباركة عليها(1) .

المدينة [القرن الثامن]

نقل السمهودي في (وفاء الوفاء) : ... عن ابن فرحون المتوفي سنة 799 هـ - قوله : وقد تساهل من كان قبلنا فزادوا علي الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة ... وكانت بدعة وضلالة يصلي فيها الشيعة ... ولقد كنت أسمع بعضهم يقف علي بابها ويؤذّن بأعلي صوته « حيّ علي خير العمل » وكانت مواطن تدرّسهم وخلوة علمائهم(2) .

وذكر صاحب التحفة اللطيفة في ترجمة عزاز ، أحد الاشراف : كان يقف علي باب المقصورة المحيطة بالحجرة النبوية ويؤذّن بأعلي صوته من غير خوف ولا فرع قائلاً « حيّ علي خير العمل » ؛ قاله ابن فرحون في تاريخه(3) .

القطيف (سنة 729 هـ)

ذكر ابن بطوطة في رحلته سفره إلي القطيف ، فقال : ثم سافرنا إلي مدينة القُطيف - وضبط اسمها بضم القاف كأنه تصغير قُطيف - وهي مدينة كبيرة حسنة

-
- 1- روضة المتقين للعلامة المجلسي 9 : 30 احقاق الحق 1 : 11 ، أعيان الشيعة 5 : 396 ، مجالس المؤمنين 2 : 356 . وانظر : خاتمة مستدرک الوسائل للنوري وغيرها .
 - 2- وفاء الوفاء للسمهودي 1 - 2 : 612 الفصل 27 .
 - 3- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة 2 : 260 الترجمة 2965 .

ذات نخل كثير ، يسكنها طوائف العرب ، وهم رافضية غلاة ، يظهرن الرفض جهاراً لا يتقون أحداً ، ويقول مؤذنههم في أذانه بعد الشهادتين : « أشهد أنّ عليّاً وليّ الله » ، ويزيد بعد الحيعلتين « حيّ علي خير العمل » ويزيد بعد التكبير الأخير : « محمّد وعليّ خير البشر من خالفها فقد كفر » (1).

مكة (سنة 793 هـ)

جاء في صبح الاعشي : ... وولي ابنه صلاح [بن عليّ بن محمّد] وتابعه الزيدية ، وكان بعضهم ينكر إمامته لعدم استكمال الشروط فيه ، فيقول : « أنا لكم ما شئتم إمام أو سلطان » ، ثم مات سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وقام بعده ابنه نجاح فامتنع الزيدية من بيعته ... إلي أن يقول : قال في مسالك الأبصار : ولشيعة هذا الإمام فيه حُسنُ الاعتقاد ، حتّى أنّهم يستشفون بدعائه ، ويُمروُن يده علي مرضاهم ، ويستسقون به المطر إذا اجذبوا ، ويبالغون في ذلك كلّ المبالغة ، ثم قال : ولا يكبّرُ لإمام هذه سيرته - في التواضع لله ، وحسن المعاملة لخلقه ، وهو من ذلك الأصل الطاهر والعنصر الطيب - أن يجاب دعاؤه ويتقبل منه ، قال : وزيّ هذا الإمام وأتباعه زيّ العرب في لباسهم والعمامة والحنك ، وينادي عندهم بالأذان « حيّ علي خير العمل » (2).

صنعاء (سنة 900 هـ تقريباً)

ذكر صاحب البدر الطالع في ترجمة محمّد بن الحسن بن مرغم الزيدي اليماني (المولود 836 والمتوفي 931) ما نصّه : لما افتتح السلطان عامر بن عبدالوهاب

1- رحلة ابن بطوطة : 186 / بعد ذكره لمدينة (البحرين) .

2- صبح الاعشي 7 : 358 - 359 .

صنعاء وما يليها من البلاد] كان [يجلّه ويقبل شفاعته لأجل اتصاله بالإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن .

ولما صلّى السلطان عامرٌ بجامع صنعاء أوّل جمعة فأراد المؤذن أن يسقط من الأذان « حيّ علي خير العمل » فمنعه محمّد بن الحسن الزيدي ، فالتفت إليه جميع من في المسجد من جند السلطان وهم ألوف مؤلّفة ، وعُدّ ذلك من تصلّبه في مذهبه (1) .

حضر موت (سنة 1070 هـ)

جاء في كتاب (سمط النجوم العوالي في أبناء الاوائل والتوالي) للعاصمي : قوله :

وفي سنة 1065 جهز الإمام إسماعيل (2) ابن أخيه الإمام أحمد بن الحسن علي حضر موت ونواحيها لكونهم لم يخطبوا له [بعد أن سيطر علي أغلب اليمن] فالتقي هو والأمير حسين الرصاص ، لكون بلده أقرب البلدان إلي دولة الإمام إسماعيل ، وحصل منهم قتال ، فلما عجز الإمام أحمد بن الحسن أرسل إلي قبيلة يافع - وهم قبائل كثيرون - بالأموال خفية ، وطلبوا منه أن يكونوا معه علي الرصاص ... فتجهزوا علي الرصاص وأتوه علي غرة ... حتّي قتل ... واستولي الزيدية علي غالب حضر موت .

1- البدر الطالع 2 : 122 .

2- ابن المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيي بن محمد بن يوسف الاشلي بن القاسم بن محمد بن يوسف الاكبر بن المنصور بن يحيي بن الناصر بن أحمد بن الهادي إلي الحق يحيي بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

ثمّ في سنة 1070 استولي علي حضر موت كلها ، وأمرهم أن يزيدوا في الأذان « حيّ علي خير العمل » وترك الترضي عن الشيخين ... ثمّ لم يزل الإمام إسماعيل قائماً بأعباء الإمامة الكبرى إلي أن توفّاه الله تعالى إلي رحمته سنة 1087 هـ (1).

نجد (سنة 1224 هـ)

قال عبدالحّي بن فخر الدين الحسيني (المتوفي 1341 هـ -) في (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) : ... الزيدية بعد ما خالف الشريف حمود بن محمّد علي أهل نجد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف أن يزيد أهلها قول « حيّ علي خير العمل » في ندائهم للصلوات ويَدْعُوا ما توارثوه من السلف في أذان الفجر من قولهم « الصلاة خير من النوم » فإنه كان يراها بدعة إنّما أحدثها عمر رضي الله عنه في إمرته (2).

وأختم حديثي بما نقله القلقشندي في صبح الأعشي عن الزيدية فقال : ... وهم يقولون : إن نَصَّ الأَذَانَ بِدَلِّ الحَيْعَلَتَيْنِ (3) : « حيّ علي خَيْرِ العَمَلِ » يقولونها في أذانهم مرّتين بدل الحَيْعَلَتَيْنِ ، وربّما قالوا قبل ذلك : « محمّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرِ البَشَرِ ، وَعَثْرَتُهُمَا خَيْرِ العِثْرِ » ومن رأي أن هذا بدعة فقد حاد عن الجادة .

وهم يسوقون الإمامة في أولاد عليّ كرم الله وجهه من فاطمة 2 ، ولا- يُجَوِّزُونَ ثُبُوتَ الإمامة في غير بنيهما ؛ إلا أنّهم جَوَّزُوا أن يكونَ كلُّ فاطميٍّ عالمٍ زَاهِدٍ شُجاعٍ خَرَجَ لَطَلَبِ الإمامة إماماً مَعْصُوماً واجِبِ الطاعة ، سواء كان من ولد

1- سمط النجوم العوالي 4 : 198 - 200 .

2- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : 1646 .

3- هذا غلط من القلقشندي فالزيدية تقول بالحيلة الثالثة بعد الحيعلتين لا بدلها .

الحَسَنِ أو الحُسَيْنِ عليهما السلام ، وَمَنْ خَلَعَ طَاعَتَهُ فَقَدْ ضَلَّ . وَهَمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ الْمُتَنَزِّهَ مِنَ وَلَدِ الْحُسَيْنِ دُونَ وَلَدِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّ الشَّيْخِينَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ فَقَدْ أَخْطَأَ عِنْدَهُمْ وَخَالَفَ زَيْدًا فِي مُعْتَقَدِهِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ تَسْلِيمَ الْحَسَنِ الْأَمْرِ لِمَعَاوِيَةَ كَانَ لِمَصْلَحَةِ اقْتِضَائِهَا الْحَالَ ، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ لَهُ .

قال في « التعريف » : وَأَيْمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، يَعْنِي فَيَحْلِفُونَ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَيَزَادُ فِيهَا : وَإِلَّا بَرِّئْتُ مِنْ مُعْتَقَدِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ قَوْلِي فِي الْأَذَانِ : « حَيَّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ » بِدْعَةٌ ، وَخَلَعْتُ طَاعَةَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْوَاجِبِ الطَّاعَةَ ، وَأَدْعَيْتُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ الْمُتَنَزِّهَ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَلْتُ بِتَفْضِيلِ الشَّيْخِينَ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ ، وَطَعَنْتُ فِي رَأْيِ ابْنِهِ الْحَسَنِ لِمَا اقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ ، وَطَعَنْتُ عَلَيْهِ فِيهِ (1) .

النتيجة

وعليه فشرعية « حَيَّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ » ثابتة عند الشيعة بفرقها الثلاث : - الإمامية الاثني عشرية ، والزيدية ، والإسماعيلية - وعند بعض الصحابة ، وَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ هِيَ أَصْلٌ لِمَا فَسَّرَ فِي كَلَامِ الْأئِمَّةِ : ب- « مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ » و« مُحَمَّدٌ وَأَلُّ مُحَمَّدٍ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » و« أَنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ اللَّهِ » ، فَتَارَةً كَانَتْ الشَّيْعَةُ تَصْرَحُ بِهَذَا التَّفْسِيرِ ، وَأُخْرَى لَا تَصْرَحُ بِهِ ، نَتِيجَةً لِلظُّرُوفِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْرُ بِهَا .

وَيُؤَكِّدُ التَّفْسِيرِيَّةَ الَّتِي قَلْنَاهَا مَا أَجَابَ بِهِ السَّيِّدُ الْمُرْتَضِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت 436 هـ) فَإِنَّهُ سَأَلَ : هَلْ يَجِبُ فِي الْأَذَانِ بَعْدَ قَوْلِ « حَيَّ عَلِيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ » :

« محمّد وعليّ خير البشر »؟ فأجاب: إن قال « محمّد وعليّ خير البشر » عليّ أن ذلك من قوله خارج من لفظ الأذان جاز، فإنّ الشهادة بذلك صحيحة، وإن لم يكن فلا شيء عليه(1).

وقال ابن البراج (ت 481 هـ) في مهذه: ويستحب لمن أذن أو أقام أن يقول في نفسه عند « حيّ عليّ خير العمل »: « آل محمّد خير البرية » مرتين(2).

وكذا يفهم من كلام الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) أن الذين كانوا يأتون بهذه الصيغ الثلاث أو الأربع! كانوا يأتون بها عليّ أنّها صادرة عن أئمة أهل البيت؛ لقوله رحمه الله: « وفي بعض رواياتهم ... ومنهم من روي بدل ذلك ... »(3).

فاختلاف الصيغ عند المؤذنين، وإتيانها في بعض الأحيان بعد الحيلة الثالثة وأخري بعد الشهادة الثانية تشير إلي عدم جزئيتها وكونها تفسيرية.

إذا عمل الشيعة وتفسيرهم هذا لم يكن عن هوي ورأي، بل لما عرفوه ووقفوا عليه في مرويات ائمتهم الموجودة عندهم، وهذا لو جمع إلي سيرة المشرعة من الشيعة في كل الأزمان والاصقاع في « حيّ عليّ خير العمل » وأنّ المعنيّ به عندهم الولاية لوقفت علي حقيقة أخري لم تنكشف لك من ذي قبل(4). ومما يستأنس به لذلك أذان الشيعة بحلب سنة 367 هـ- حيث إنهم كانوا يقولون في أذانهم « حيّ عليّ خير العمل محمّد وعليّ خير البشر »، وكذلك في أذانهم باليمامة سنة 394 هـ، ففيه « يقولون في الإقامة: محمّد وعليّ خير البشر وحيّ عليّ خير العمل ».

1- رسائل الشريف المرتضي 1: 279. ومثله جواب القاضي ابن البراج في جواهر الفقه: 257.

2- المهذب 1: 90.

3- من لا يحضره الفقيه 1: 188 باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين ح 35.

4- سنن فصل هذا الأمر بإذن الله تعالى في الباب الثالث من هذه الدراسة « أشهد أن عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع ».

ومن هذا الباب ما ذكر من أنّ الحسين بن عليّ بن محمّد... بن علي بن أبي طالب - المعروف بابن شكّبة - كان أوّل من جهر في الأذان ب- « محمّد وعليّ خير البشر » في زمن سيف الدولة الحمداني سنة 347 هـ ، ولا يخفي عليك بأنّ هذا المؤدّن والحمدانيّين شيعة اثنا عشرية ، وقد عرفت بأنّ الأذان بذلك في حلب كان قبل هذا التاريخ .

ويضاف إليه ما قلناه قبل قليل من أن الشيعة الاثني عشرية (القطعية) أذّنوا في بغداد (290 - 356 هـ) ب- « أشهد أن عليّاً ولي الله » ، وأعلوا هذا الإعلان علي الماذن في القرن الثامن في القطيف كذلك ، وغير ذلك من النصوص ، فكلها تؤكد التفسيرية التي كان يبوح بها الشيعة أيام قوتهم ، وأنّ كلّ ما كانوا يقولونه مأخوذ من كلمات رسول الله صلي الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت : وأنّ ذلك كله تفسير وتوضيح للحيلة الثالثة (1) التي حذفها عمر وسار علي نهجه الحذفيّ أتباعه . ولذلك عظم علي الرافضة !! وأهل التشيع حذف الحيلة الثالثة من الأذان في سنة 369 هـ - من قبل نور الدين عم صلاح الدين الأيوبي .

وبهذا فقد تبين لنا من كلّ ما سبق أنّ ل- « حيّ علي خير العمل » أصلاً شرعياً ثابتاً ، لكنّ الظروف السياسيّة العصيبة ونهي عمر بن الخطّاب ، لعباً دوراً كبيراً في طرح شرعيّتها جانباً - وقد مرّت عليك بعض الروايات التي صرّح فيها بحذف الحيلة الثالثة للتقية من الرواة الذين كانوا يخافون علي أرواحهم عند اشتداد سطوة الظالمين - ومع كلّ ذلك العسف تري الصمود الشيعي في جانب آخر ، لذلك راح أتباع الحذف بعد أن لمسوا شدّة المتمسّكين بها يدعون بأنّها منسوخة ، وعلي الرغم من شراسة الحملة

1- وقد تكون الشهادة الثالثة هي تفسير للشهادة الثانية كذلك وهذا ما سنوضحه لاحقاً في الباب الثالث « أشهد أن عليّاً ولي الله بين الشرعية والابتداع » .

الموجهة ضدّ هذا الأصل الشرعيّ وعنف وقسوة رموزها ، إلا بأنّ المنصفين لم يتمكّنوا من التجرؤ والقول بأنّ « حيّ علي خير العمل » بدعة ، وأكثر ما توصّلوا إليه أن يقولوا عنها : إنّ ذلك الأمر لم يثبت ، و: ما لم يثبت فمن الأولي تركه وعدم الإتيان به !

ولكن ، هل مال جميع المسلمين إلي ذلك ؟

أبداً ، فكثير من الصحابة وكل أهل البيت وعدّة من التابعين أصرّوا إصراراً شديداً علي التمسك بالإتيان ب- « حيّ علي خير العمل » في أذانهم والتأكيد الحازم الجازم علي شرعية الإتيان بها ، وأن ليس من عامل شرعيّ قطعيّ دعا إلي طرحها وإسقاطها .. وقد مرّت في مطاوي البحوث شواهد كثيرة تؤيّد صحّة ذلك بموضوعية ، وقد كان هذا الفصل هو الموضّح لكيفية « تحوّل هذا الأصل الشرعيّ » إلي شعار يميّز الشيعة عن غيرهم ، وقد اتّضحت بين ثناياه الدوافع التي دعت أهل السنّة لأن يتّخذوا من (الصلاة خير من النوم) شعاراً لهم ، حيث كانت لهذه الجملة أبعاداً متصلة باجتهاد الخليفة عمر ! لا سنة رسول الله .

لقد تجسّدت شعاريّة هذا الموضوع بوضوح في العصور المتأخّرة ، ويمكن القول بأنّها تجلّت واضحة في العصر العباسيّ الأول (1) ، وعلي الخصوص في زمن أبي جعفر المنصور الدوانيقيّ ، كما وتجسّدت معالم شعاريّة « حيّ علي خير العمل » بوضوح أيضاً بعد وفاة المنصور بعد أن صار جلياً وجود تيّارين متباينين ، أحدهما يصرّ بالحاح جادّ علي الإتيان ب- « حيّ علي خير العمل » ، بينما يحاول الآخر منع ذلك بشتي الطرق ولا يرضي بالإتيان بها .

1- هي الفترة السياسيّة لخلافة بني العباس ؛ من خلافة أبي العباس السفّاح إلي خلافة الواثق بالله ، أي خلافة : أبي العباس السفّاح ، والمنصور الدوانيقيّ ، والمهدي العباسيّ ، والهادي العباسيّ ، وهارون الرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، وآخرهم الواثق بالله ، ومن بعد وفاته إلي الغزو المغوليّ لبغداد ، اصطلاح عليه بين المؤرّخين بالعصر العباسيّ الثاني .

وانطلاقاً من هذا الأساس المتشجّج كانت جميع الحركات الشيعيّة ودولها في حال استلامها لزاماً أمور السياسة لا تتردّد في إعلاء « حيّ علي خير العمل » من علي المآذن في الأذان إعلاناً عن هويّتهم الحقيقيّة ، بل كان المدّ الجماهيري الشيعي في أحيان قوته يراهن علي شرعيّتها ، ولا يتنازل عن الهوية المحمدية العلوية .

نعم ، يمكن القول بذلك علي أساس اتّخاذ الشيعة « حيّ علي خير العمل » شعاراً لهم ، وإن كانت هذه الحيلة الثالثة جزءاً من الأذان النبوي ، فشرعيّتها أقدم من تاريخ شعاريتها بكثير ، حيث هي مسألة شرعيّة ثابتة منذ عهد رسول الله صلي الله عليه وآله ، وقد بيّنا ذلك بما فيه الكفاية .

وأما فيما يخصّ ذكر أذان الإمام زين العابدين

عليه السلام الثابت للجميع وليس ثمّة منكر له ، فله ميزة خاصّة ، وذلك لمكانته بين المسلمين عموماً ، فالإماميّة والزيدية ، بل مختلف فرق الشيعة - باستثناء الكيسانية المنقرضة - تدّعون له وتستسلم لأوامره ونواهيّه الشرعيّة ، ويقرّون له عليه السلام بأنّه إمام للمسلمين وحقّة لله علي خلقه ، وبالنسبة لباقي الفرق فهم يتعاملون معه كأحد علماء المدينة علي أقل ما يقال .. فإتيان الإمام زين العابدين عليه السلام ب- « حيّ علي خير العمل » يمثّل - بلا ريب - شرعيّتها وامتداد جذورها إلي عصر الرسالة الأوّل ، وخصوصاً بعد وقوفنا علي قوله عليه السلام « إنّ الأذان الأوّل » والذي يوضّح بأنّ الأذان شرّع في الإسراء والمعراج ، وأنّ « حيّ علي خير العمل » ، إشارة إلي ولاية الإمام عليّ وولده ، والذي كتب علي ساق العرش .

وكذا الحال بالنسبة إلي فعل ابن عمر ، فإنّ إتيانه بها في أذانه - وهو فقيه أهل السنة والجماعة - ليؤكد شرعيّتها ، ونحن لو أضفنا هذين الموردين إلي ما أورده الدسوقي في حاشيته عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنّه كان يأتي بها ، وإلي ما ذكر عن الإمامين الباقر والصادق : ، لا تضح لنا ولغيرنا بأنّ هذه المسألة لها أصل

أصيل في الدين ، بل هناك أصل لما نقول به في كتب أهل السنة والجماعة مستقي عن رسول الله صلي الله عليه وآله يبين .

ف- « حيّ علي خير العمل » أصل من الأصول الثابتة ، ذو جذور عريقة وراسخة تعود إلي عهد رسول الله ، وقد أتى بها الصحابة أيضاً ، إلا أنه قد دبّ الخلاف فيها منذ عهد عمر بن الخطاب ، وهذا هو ما تثبته الأدلة والشواهد التاريخية والروائية ، إلا أن التعصّب الأعمى دفع بالبعض دفاعاً عن اجتهاد عمر قبال السنّة النبويّة المباركة لأن يدّعي أن الشيعة هم الذين أدخلوا هذه الروايات في كتبهم ، بل ودفع ذلك التعصّب المقيت بالبعض الآخر لأن يدّعي ويزعم أن كتبهم المعتبرة خالية من مثل هذه الروايات ، ولا ندري ما نقول لمن يريد إخفاء عين الشمس بغربال !

ونحن لو دققنا النظر في مسألة نهى عمر بن الخطاب عن متعة الحج ومتعة النساء وحيّ علي خير العمل - علي ما أورده القوشجي في « شرح التجريد » - لانكشف لنا الترابط فيما بين هذه المسائل الثلاث ، وأن مسألة « حيّ علي خير العمل » تعني ارتباطها بمسألة هامة ترتبط بصميم الخلافة والإمامة ، وهذا ما أثبتناه بالأرقام في الصفحات السابقة (1) ، وقد عرفت كيف تحوّلت الحيلة الثالثة إلي شعار للطالبيين ولشيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومحبيّ الزهراء البتول 2 عبر القرون ، وأنّ ثبات الشيعة عليها وتمسّكهم بها يمثّل بحثاً استراتيجياً بين الفريقين وحداً فاصلاً بينهما ، ولعلّ ما روي عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام عن تبيان علّتي النهي الظاهرة والخفية - التي مرّ ذكرها - جاء للكشف عن النوايا والتوجّهات الحكومية التي أرادت أن تطمس أن خير العمل هو : « بر فاطمة وولدها » .

1- انظر : الفصل الثالث (حيّ علي خير العمل ، دعوة للولاية وبيان لاسباب حذفها) .

وبعد أن بينا تعاريف « خير العمل » في روايات أهل البيت: سابقاً، وانها تعني: « الولاية » و« بر فاطمة وولدها »، نصل إلى أن نهي الخليفة يمثل إعلاناً عن عدم الاعتناء ببر فاطمة، وهو ما يعود بالنتيجة إلى الولاية والخلافة وأن عمر بن الخطاب لا يريد الإشارة إلى خلافة غيره، بل إنه لا يريد الإشارة إلى كل ما يتعلق بها.

ومما يدعم هذا المعنى ما تنطوي عليه العقوبة التي فرضها عمر بن الخطاب علي الفائل بها، فقوله (أنهي عنها) أو (أعاقب عليها) بمثابة اعتراف مبدئي منه بشرعية « حيّ علي خير العمل »، واعتراف ضمني علي ما يجول في دواخله، ولذلك فقد ربط نهي عن « حيّ علي خير العمل » بنهي عن متعتي النساء والحجّ، اللذين أكد الإمام عليّ وابن عباس ورعيل من الصحابة علي شرعيتها، بخلاف عمر والنهج الحاكم اللذين دعيا إلى تركها، فترك هذه الثلاث عمريّ، وأما لزوم الإتيان بها أو جوازه فهو علوي، إذا الأمر لم يكن اعتباراً، بل جاء لوجود رابطة وعلاقة متينة بين كل الأمور المنهي عنها.

لقد، بلغ النزاع حول المسألة المبحوثة أوجه في القرنين الرابع والخامس الهجريين، حيث إن الصراع الفكري والاعتقادي في تلك الفترة الزمنية قد اشتد كثيراً، فسيطر علي الشارع العام جوّ من الخلاف الحاد بين الشيعة والسنة، كل يدعي أن الحق في جانبه، ولم يصل لقسام مشترك يرضي الطرفين في محاولة للعودة إلى حالة الألفة وعدم التنزع، فكل منهما متمسك بصلافة بما توصل إليه؛ هؤلاء بأئمتهم، وأولئك بحكوماتهم.

ولو ألقينا نظرة فاحصة علي النصوص التي مرت في حوادث سنة 350 - 443 هـ، ودرسنا وضع شدة النعرة الطائفية واستفحالها، لشاهدنا بوضوح دور مسألة « حيّ علي خير العمل » الذي تزامن طرحها مع مسائل اعتقادية أخرى بشكل

لا يمكنك التفكير بينها ، مثل مسألة الغدير ، ولبس السواد وما إلي ذلك . فلماذا يمنع أهل الكرخ و باب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح ؟ ولماذا تقع الفتنة يوم الغدير ؟

قال الذهبي في أحداث سنة 389 هـ - : (كانت قد جرت عادة الشيعة في الكرخ و باب الطاق بنصب القباب وإظهار الزينة يوم الغدير ، والوقيد(1) في ليلته ، فأرادت السنة أن تعمل في مقابلة هذا أشياء ، فادّعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي وأبو بكر في الغار ، فعملت فيه ما تعمل الشيعة في يوم الغدير ، وجعلت بإزاء يوم عاشوراء يوماً بعده بثمانية أيام إلي مقتل مصعب ...) (2) .

فانظر إلي الأصالة والتحرير معاً ، وكيف تُغيّر الوقائع والأحداث عن مجرياتها وتحرف عن أصلتها وتوضع باسم الآخرين !

ومن الحوادث التاريخية التي برزت فيها شعاريّة « حيّ علي خير العمل » كرمز للشيعة والتشيع ما أورده ابن الجوزي في « المنتظم » في أحداث سنة 417 هـ - ، وما جاء في « مرآة الجنان » في أحداث سنة 420 هـ - ، حيث ذكرا بيان الصراع والصدمات بين الشيعة والسنة في بغداد كانت علي أشدها ، وقد حاول السنة بشتي الأساليب التجرؤ علي مكانة الإمام علي عليه السلام الرفيعة السامية ، وبدلوا كل ما باستطاعتهم من النيل منه ومحاوله إسقاط مقامه الشامخ أمام أنظار العوام ، وعلي هذا الغرار فقد بعث القادر العبّاسي ظاهراً - أحد وعَاطفه - إلي مسجد براهنا(3)

1- أي إيقاد الشموع والقناديل والإضاءة .

2- تاريخ الاسلام : 25 حوادث سنة 381-400 هـ .

3- ومسجد براهنا من المساجد العريقة والقديمة جداً ، وكان يومذاك بمثابة معقل الشيعة وحصنهم الحصين ، وتخرّج منه الكثير من الرجال الذين دخلوا تاريخ عالم التشيع ، حتّي قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية 11 : 271 حوادث سنة 354 هـ - ، إنّه : (عَشّ الرافضة) ، وكان ابن عقدة يعطي دروسه فيه ، ونقل عنه أنّه كان حافظاً لستمائة ألف حديث ، ثلاثمائة ألف حديث منها كانت في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، هذا مضافاً إلي إيواء المسجد لعدد كبير من علماء الشيعة ، وكانوا علي درجة عالية من الوعي والصلابة في الدين ، جعلت من أحد النواصب لأن يسمّيه بغضاً وتعتاب - (مسجد ضرار) انظر البداية والنهاية 11 : 173 .

- مسجد الشيعة - في أحد أيام الجُمع ، وراح ينال من شخصيّة الإمام عليّ

عليه السلام بكلّ ما لا يليق به لا من قريب ولا من بعيد ، الأمر الذي أثار الشيعة من الذين كانوا حاضرين في ذلك المسجد ، فلم يسكتوا علي قباحة ذلك الخطيب ، وحدث لغط وثار الحميّة الدينيّة ، فلم يكتفوا بالاعتراض اللفظي ، بل رموا ذلك الخطيب بكلّ ما كان قريباً من أيديهم فأصابوه وكسروا له أنفه(1)) ، فكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة الأولى التي ألهمت حالة الصدامات فيما بين السنّة والشيعة في بغداد في تلك السنة ، وعلي أثر ذلك فقد كتب الشيعة علي أبواب دورهم هذه العبارة : (محمّد وعليّ خير البشر ، فَمَنْ رضي فقد شكر ، ومَنْ أباي فقد كفر) .

ومن خلال هذه الحادثة ومثيلاتها التي حدثت في بغداد علي مرّ الأيام يظهر لنا أنّ « حيّ علي خير العمل » أصبحت تُمثّل شعاراً للشيعة ، لأنّ ديدن الجميع هو التأكيد والتركيّز عليها ، وعدم التنازل عنها وذلك للاعتقاد الجازم بجزئيّتها ، بخلاف الحكومات التي خافت منها ومن معناها ومغزاها فدأبت علي حذفها ، ولهذا يقول صاحب السيرة الحلبيّة : (إنّ الرافضة لم يتركوا « حيّ علي خير العمل » أيام البويهيين إلي أن تملك السلجوقيين سنة 448 هـ ، فألزموهم بالترك وإبدالها بالصلاة خير من النوم) (2) .

1- البداية والنهاية 12 : 28 - 29 حوادث سنة 420 هـ .

2- انظر السيرة الحلبيّة 2 : 305 .

وقد مرّ عليك تحت عنوان (مكّة / حلب 462 هـ -) كيف أن نقيب النقباء أبو الفوارس لما أبلغ القائم بأمر الله بأن محمود بن صالح [والي حلب] لبس الخلع القاتمية وخطب للقائم .

قال له القائم : أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون « حيّ علي خير العمل » (1)؟!

كما وقفت علي المناظرة الطويلة التي ناظرها أبي هاشم أمير مكّة وقوله لهم :

هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2) .

وجاء في الايضاح للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المتوفي 363 هـ - عن ابي سليم قال اخبرنا عبدالرحمن بن القاسم القطان قال اخبرنا إسماعيل بن إسحاق عن حسن بن حسين عن علي بن القاسم عن بن الربيع عن منصور عن هلال بن سنان عن علقمة بن قيس قال : امر علي بن الصباح أن يلحق في اذانه : حي علي خير العمل (3) .

إذن ، فقد قيّد التاريخ بين صفحاته بأن « حيّ علي خير العمل » كانت شعاراً للشيعّة علي مرّ العصور ، ومؤشراً علي تشييع حكومات وحركات ثورية عديدة ، مضافاً إلي الإجماع القاطع عليها من قبل أهل البيت ، وقد مرّ عليك أنّ حجّة شرعيّتها هو إجماع أهل البيت علي الإتيان بها ، وقد نوه الشوكاني والأمير الصنعاني وغيرهما إلي حجية إجماع أهل البيت .

ومن المؤثرات الأخرى التي يمكن لنا أن نجعلها دليلاً شاخصاً علي شعاريّة « حيّ علي خير العمل » للشيعّة هو ما كتّب علي المساجد والحسينيات والتكايا

1- الكامل 10 : 64 .

2- النجوم الزاهرة 5 : 92 .

3- الايضاح : 109 المطبوع في (ميراث حديث شيعه) دفتر دهم .

القديمة، التي هي اليوم من المعالم الأثرية والحضارية للمسلمين في مختلف بقاع العالم، وحتى حديثاً فقد ذكر مؤلف كتاب تاريخ مسجد الكوفة، بأنَّ أمجد عليّ شاه أمر بكتابة « محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبي فقد كفر » علي مأذنه مسجد الكوفة، وكذا الحال في روضة مسلم بن عقيل (1)، كما يمكننا ملاحظة شعاريّة « حيّ علي خير العمل » في آثار شمال أفريقيا التاريخية في المغرب والجزائر وتونس، إذ انتشر التشييع هناك بعد شهادة محمّد بن عبدالله بن الحسن ذي النفس الزكية، وذلك بعد أن تفرّق الشيعة في مختلف أرجاء المعمورة، وراحوا يتنفسون الصعداء بعيداً عن سطوة الحكومات الجائرة.

وبهذا فقد ثبت لك مما سبق وجود اتجاهين عند المسلمين :

أحدهما : يتبع الخلفاء ويتخذ الاجتهاد والرأي حتى علي حساب القرآن والسنة في استنباطه .

والآخر : يأخذ بكلام أهل البيت والنص القرآني والنبوي ولا يرتضي الرأي .

وكان الاتجاهان علي تضاد فيما بينهما، فالذي لا يرتضي خلافة الإمام عليّ ابن أبي طالب وولده لا يحبذ شعاريّة (حيّ علي خير العمل) .

1- قال الشيخ محمد رضا المظفر في ترجمته لصاحب جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي : ومن آثار الشيخ بناء مأذنة مسجد الكوفة وروضة مسلم بن عقيل... وكان ذلك ببذل ملك الهند أمجد علي شاه وقد أرخ الشيخ إبراهيم صادق ذلك من قصيدة مدح بها الشيخ والملك هذا، فقال مؤرخاً للمأذنة في آخرها : واستنار الافق من مأذنه أذن الله بأن ترقى زحل لهج الذاكِر في تأريخها علناً حيّ علي خير العمل جواهر الكلام 1: 21.

أما الذي يعتقد بشرعية خلافة الأوصياء ، ويفهم من الحيلة الثالثة أنها دعوة إلي بر فاطمة وولدها الذين هم خير البرية بصريح الكتاب العزيز - أي محمّد وعليّ والزهراء والحسن والحسين - فيصر علي شعاريتهما وإن كلفه ذلك الغالي النفيس .

وليس من الاعتباط أن نجد ارتباطاً تاريخياً بين القول بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والقول بشرعية الحيلة الثالثة ، وبين رفض إمامة أمير المؤمنين والقول برفع الحيلة الثالثة ، فهي إذن تمثّل أهمّ المسائل الفارقة بين نهج التعبد المحض ، وبين نهج الاجتهاد والرأي .

إنّ ما تنطوي عليه الحيلة الثالثة من حقيقة الإمامة حينما دخلت الصراع يكشف بلا ريب عن أنّ حلبة هذا الصراع أكبر من كونها نزاعاً حول فصل من فصول الأذان ، وما (حيّ علي خير العمل) إلا نافذة من تلك النوافذ الكثيرة المعبرة عن أصالة نهج التعبد المحض ، شأنها في ذلك شأن التكبير علي الجنائز خمساً أو أربعاً ، وحكم الأرجل في الوضوء هل هو المسح أو الغسل ، والقول بمشروعية المتعة وعدمه ، والإرسال أو القبض في الصلاة ، والتختم في اليمين أو الشمال ، والجهر بالبسملة أو إخفاتها ، وعدم شرعية صلاة التراويح والضحي أو شرعيتها ، وحرمة شرب الفقاع وأكل السمك الذي لا قشر له أو حليتهما ، وجواز لبس السواد في محرم والاحتفال بيوم الغدير أو بدعيتهما وإجراء أحكام المواريث والمناكح طبق هذا المذهب أو ذاك ...

فكل هذه المفردات تشير إلي وجود نهج يخالف الحكام وما سنوه من سنن تخالف سنة رسول الله صلي الله عليه وآله ، فندرة وجود ما يؤيد هذا النهج في مدرسة الخلفاء لا يחדش في شرعيتها ، بل يؤكّد أصالتها ، وأنّ ثبوتها وبعد أربعة عشر قرناً - رغم كلّ الظروف التي مرت بها - ليؤكّد ارتباطها واستقاءها من أهل البيت ، وهو الآخر

قد وضح لك سر الاختلاف في الوضوء والأذان وغيرها من عشرات المسائل التي اختلف فيها المسلمون والتي لم يذكرها ابن حزم وغيره بل قبلوها علي أنها ثابتة لا لبس ولا تنازع فيها .

ومما يجب التأكيد عليه هنا هو : أننا حينما نتخذ بعض الحكام فاطميين كانوا أم عباسيين كنماذج للنهجين لا نريد أن نعتبرهم القدوة والأسوة ، مادحين هذا أو ماسئين بذاك ، فلا يحق لنا أن نسقط تصوراتنا علي هذا المذهب أو ذاك طبق ما عرفناه من أعمال هذا الحاكم أو ذاك ، فهؤلاء أناس لهم سلوكياتهم وتصرفاتهم ، وكل ما في الأمر أنهم يلتزمون نهجاً خاصاً ، فقد يكونون متعبدين بما عرفوه من ذلك النهج ، وقد يكونون متجاوزين علي أصوله غير عاملين بأوامره ، فلا يمكن القول بأن كل حكام هذا الفريق كذا ، وحكام ذاك الفريق كذا ، لأن بعض هؤلاء تخطوا الموازين ، كما تخطي الطرف الآخر كذلك ، لكن ما نريد بيانه في هذا الفصل هو وجود اتجاهين عند المسلمين دون النظر إلي سلوكيات الأفراد والحكومات .

الخلاصة

إشارة

تلخص ممّا سبق عدة أمور :

أحدها : شرعية « حيّ علي خير العمل » ؛ وذلك لاتفاق الفريقين علي أصل مشروعيتها ، وانفراد أهل السنة والجماعة بدعوي النسخ ، وقد أثبتنا عدم وقوع النسخ ، ناقلين كلام السيد المرتضي :

وقد روت العامة أنّ ذلك ممّا كان يقال في بعض أيام النبيّ صلي الله عليه وآله ، وإنّما ادّعي أنّ ذلك نسخ ورفع ، وعلي من ادّعي النسخ الدلالة له ، وما يجدها(1) .

وتأذینَ أكثر من ثلاثین رجل من أهل البيت والصحابة بها ، بل وضّحنا إجماع العترة علي ذلك ، حاكين في البين ما نقل عن الشافعي وبعض أئمة المذاهب الأربعة من القول بجزئيتها .

ثمّ عرجنا في الفصل الثاني لبيان سقوطها علي عهد عمر بن الخطّاب ، متسائلين عن موقف بلال الحبشي في الحيلة الثالثة والصلاة خير من النوم ، وهل أنّه أذن للشيخين أم لا ؟ بل ما هو موقفه اتجاه أهل البيت ، وما موقف أهل البيت اتجاهه ؟ وقد توصلنا إلي كونه لم يؤذن إلا للزهراء والحسين ، وأنّ خروجه إلي الشام كان اعتراضاً علي السياسة الحاكمة .

هذا وقد تكلمنا في الفصل الثالث عن معني « حيّ علي خير العمل » وأنها دعوة إلي الولاية ، مبيّنين الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب لحذفها ، مشيرين إلي بعض العلل الخفية في هذا الأمر ، موضحين ذلك من خلال القرآن المجيد والسنة المطهرة وكلام الإمام الكاظم عليه السلام .

أمّا الكلام في الفصل الرابع فكان عن تاريخها العقائدي والسياسي وما حدث في بغداد وغيرها من الفتن ، مشيرين إلي التأذين بها في حلب ، وبغداد ، ومصر ، وحمص ، والاندلس ، والهند ، وإيران ، ومكّة ، والمدينة ، واليمامة ، والقطف ، و... علي مر العصور والأيام .

كلّ ذلك ضمن بياننا للسير التاريخي للأحداث ، والدول التي حكمت البلدان ، فاطمية كانت أم عباسية ، بويهية كانت أم سلجوقية .. مؤكدين بأن الحيلة الثالثة ما هي إلا نافذة من النوافذ الكثيرة في التاريخ والشريعة كالجهر بالبسملة والجمع بين الصلاتين وعدم جواز المسح علي الخفين و... والمشيرة إلي وجود اتجاهين بعد رسول الله : أحدهما أتباع أهل البيت ، والآخر أتباع الخلفاء ، وأن « حيّ علي خير العمل » كانت شعار الشيعة والطالبيين علي مر الدهور ، وكان حذفها وإبدالها بـ « الصلاة خير من النوم » شعار أهل السنة والجماعة .

وبهذا فقد انتهينا من بيان الباب الأول من هذه الدراسة علي أمل أن نلتقي بالقارئ الكريم عند البابين الآخرين منها :

الباب الثاني : « الصلاة خير من النوم ، شرعة أم بدعة » .

والباب الثالث : « أشهد أن علياً ولي الله ، بين الشرعية والابتداع » .

نسأل الله أن يوفقنا لإكمالهما وإتمامهما بفضله ومنّه ، آمين رب العالمين .

وفي الختام

لابد لي أن أشكر كل من سايرني في هذه الرحلة الفكرية العقائدية المضيئة ، سواء قرأ لي ، أو أشار عليّ بنكتة علمية ، أو لفتة أدبية ، أو ملاحظة فنية ، أو تخريجة ما ، وأخص بالذكر الباحثين الجليلين : الاستاذ الشاعر الشيخ قيس العطار ، والاخ الفاضل إبراهيم رفاعة لإبدائهما بعض الملاحظات القيمة .

وكذلك اشكر الأخ الفاضل سمير الكرمانى الذي ضبط لي النصوص ووحد المصادر وطبعاتها ، ثم اعداده الفهرس النهائي للكتاب . فلله درهم وعليه أجرهم .

وأخيراً أمل من إخواني العلماء ومن يعنيه أمر الفكر والعقيدة أن يتحفوني بآرائهم حول الكتاب سلباً أو إيجاباً وصحة أو سقماً ، ولهم منا الشكر في كلتي الحالتين ، فإن وافقونا فسنستمد العزم لمواصلة الطريق ، وإن خالفونا فسنستفيد من آرائهم ونجعلها نصب أعيننا في بحوثنا المقبلة إن شاء الله تعالى .

اللهم أرنا الحقَّ حقاً فنَتَّبِعْهُ ، والباطل باطلاً فنَجْتَنِبْهُ ، واجعل هوانا في طاعتك وطاعة نبيك وأوليائك المخلصين ، واهدنا لما اختلف فيه من الحقِّ يا ذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم .

اللهم عرفنا ما نجهل من كتابك ، وعلمنا ما لا نعلم من سنة نبيك ، وبصّرنا بما لا نبصر من أسرار حكمتك ، واجعلنا أبراراً أتقياء برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين رب العالمين .

ثبت المصادر

1 - القرآن الكريم

2 - اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء 1/3 (رحلي)

للمقرزي ، أحمد بن عليّ ، تقي الدين أبي العباس (ت 845هـ -)

تحقيق : الدكتور محمّد حلمي محمّد أحمد ، والدكتور جمال الدين الشيبان

نشر : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، المجلس الاعلي للثئون الامية / مصر

3 - الآثار 1/2

للشيباني ، محمّد بن الحسن ، أبي عبدالله (ت 189هـ -)

صحّحه وعلق عليه : أبو الوفاء الافغاني

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الثانية 1413هـ - - 1993 م

4 - الآحاد والمثاني

لابن أبي عاصم (ت 287هـ -)

تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابرة

نشر : دار الدراية

الطبعة الأولى 1411هـ - - 1991 م

5- الأحاديث المختارة

للمقدسي الحنبلي ، محمّد بن عبدالواحد بن أحمد ، أبي عبدالله (ت 643هـ -)

تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

نشر : مكتبة النهضة الحديثة - مكّة المكرمة

الطبعة الأولى 1410 هـ -

6- الاحتجاج 1/2 (في مجلد)

للطبرسي ، أحمد بن عليّ بن أبي طالب ، أبي منصور (من اعلام القرن السادس الهجري)

تعليق وملاحظات : السيّد محمّد باقر الموسوي الخراسان

منشورات : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت

الطبعة الثانية 1403 هـ - - 1983 م

7- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

للمقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، شمس الدين ، أبي عبد الله (ت 414 هـ -)

طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة 1904 م

أوفسيت دار صادر - بيروت

8- احقاق الحق وازهاق الباطل 1/32

للتستري ، القاضي نور الله الحسيني المرعشي (ت 1019 هـ -)

مع ملحقات السيّد المرعشي النجفي

نشر : مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي ، قم - إيران

9- الإحكام في أصول الأحكام 1/8 (في مجلدين)

لابن حزم الاندلسي الظاهري ، عليّ بن أحمد بن سعيد ، أبي محمّد (ت 456 هـ -)

تحقيق : لجنة من العلماء

نشر: دار الجيل، بيروت - لبنان

الطبعة الثانية 1407 هـ - 1987 م

10 - الاحكام في الحلال والحرام

للإمام الهادي إلي الحق، يحيى بن الحسين الحسيني الحسني (ت 566 هـ)

نشر: دار التراث اليمني

الطبعة الأولى

11 - الأخبار الموفقيات

للزبير بن بكار (ت 256 هـ)

تحقيق: الدكتور سامي مكّي العاني

نشر: منشورات الشريف الرضي

طبع: مطبعة أمير - قم - إيران

الطبعة الأولى 1416 هـ

12 - أخبار بني عبيد = أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم

لابن حماد، محمّد بن عليّ بن حماد، أبي عبدالله (ت 628 هـ)

تحقيق: التهامي نقرّة - عبدالحليم عويس

نشر: دار الصحوة - القاهرة

الطبعة الأولى 1401 هـ

13 - الاختصاص

للمفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، أبي عبدالله (ت 413 هـ)

تحقيق: الأستاذ عليّ أكبر غفاري

نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم - إيران

14 - الأذان بحَيِّ علي خير العمل

للعلوي ، محمّد بن عليّ بن الحسن ، أبي عبدالله (ت 445 هـ -)

تحقيق : محمّد يحيي سالم عزان

نشر : مركز النور للدراسات والبحوث والتحقيق - صعدة - اليمن

الطبعة الثانية 1416هـ - - 1995 م

وطبعة ثانية :

بتحقيق : يحيي عبدالكريم الفضيل

نشر : المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى 1399 هـ - - 1979 م

15 - الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين

للبحراني ، سليمان بن عبدالله الماحوزي (ت 1121 هـ -)

تحقيق : السيّد مهدي الرجائي

نشر : المحقق - قم - إيران

الطبعة الاولى 1417 هـ -

16 - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري

للقسطلاني ، أحمد بن محمّد ، شهاب الدين ، أبي العباس (ت 923 هـ -)

اوفسييت دار إحياء التراث العربي - بيروت

17 - الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد 1/2

للمفيد ، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي ، أبي عبدالله (ت 413 هـ -)

تحقيق : مؤسسة آل البيت

18 - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السيل

للألباني ، محمّد ناصر (معاصر)

تحقيق : زهير الشاويش

نشر : المكتب الإسلامي - بيروت

الطبعة الثانية 1405هـ - - 1985 م

19 - الاستبصار 1/4

للطوسي : محمّد بن الحسن ، أبي جعفر (ت 460 هـ -)

تحقيق : السيّد حسن الموسوي

نشر : دار الكتب الإسلاميّة - طهران

الطبعة الرابعة

20 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/4

لابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر ، أبي عمر (ت 368 - 463 هـ -)

تحقيق : عليّ محمّد البجاوي

نشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - مصر

21 - أسد الغابة في معرفة الصحابة 1/5

لابن الأثير الجزري ، عليّ بن محمّد ، أبي الحسن (ت 630 هـ -)

دار احياء التراث العربي - بيروت

22 - الأشعثيات المعروف بالجعفر يات

للأشعث الكوفي ، محمّد بن محمّد الأشعث ، أبي عليّ (من اعلام القرن الرابع الهجري)

المطبوع مع قرب الإسناد للحميري القمي

نشر : مكتبة نينوي الحديثة

طهران - إيران

23 - الإصابة في تمييز الصحابة 1/4

للعسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، شهاب الدين ، أبي الفضل (ت 852 هـ -)

طبع الكتبخانه الخديوية المصرية

أوفسيت دار إحياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الأولى سنة 1328 هـ -

24 - الاعتصام بحبل الله المتين 1/5

للقاسم بن محمد ، الإمام الزيدي (ت / 1029 هـ -)

نشر : مطابع الجمعية ، عمان - الأردن

طبع سنة 1403 هـ -

25 - أعيان الشيعة 1/11

للامين ، السيد محسن العاملي (ت 1371 هـ -)

تحقيق : حسن الأمين

نشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت

26 - إغاثة الطالبين علي حل الفاظ فتح المعين 1/4 في مجلدين

للسيد البكري ، أبو بكر بن السيد محمد شطا الدمياطي (ت هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربي / بيروت

وطبعة اخري : دار الفكر - بيروت في اربعة اجزاء

27 - الأغاني 1/24

للاصفهاني ، أبي الفرج (ت 356 هـ -)

شرحه ، كتب هوامشه : عبدعلي مهنا

الطبعة الأولى 1407 - 1986

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

28 - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 2/3

أسد حيدر (ت)

الطبعة الثالثة 1411 هـ -

واعادت طباعته مكتبة الصدر - طهران - إيران

29 - الإمامة والسياسة

للدنوري ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، أبي محمّد (ت 276 هـ -)

تحقيق : عليّ شيري

نشر : منشورات الشريف الرضي

30 - الأمالي الخميسية

للمرشد بالله ، يحيى بن الحسين (ت 479 هـ -)

طبع مصر - أعادته مكتبة المشني ، بغداد

31 - أمالي الإمام أحمد بن عيسى

أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ (ت 247 هـ -)

تحقيق : عليّ بن إسماعيل بن عبدالله المؤيد

نشر : دار النفائس ، بيروت

الطبعة الأولى

32 - أمالي الشيخ الطوسي

للطوسي ، محمّد بن الحسن ، أبي جعفر (ت 460 هـ -) ، وابنه أبو عليّ (ت بعد سنة 515 هـ -)

مؤسسة الوفاء - بيروت

الطبعة الثانية 1401 - 1981

33 - أمالي الصدوق

لابن بابويه القمي ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

قدم له : الشيخ حسين الاعلمي

منشورات الأعلمي للمطبوعات

الطبعة الخامسة 1400 هـ - - 1980 م

34 - أنساب الأشراف 1/13

للبلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ -)

تحقيق : الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي

باشراف مكتب البحوث والدراسات

نشر : دار الفكر / بيروت لبنان

الطبعة الاول 1417 هـ - - 1996 م

35 - أنساب الاشراف

للبلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (من أعلام القرن الثالث الهجري)

تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي

نشر : مؤسسة الأعلمي - بيروت

الطبعة الأولى 1394 هـ -

36 - الإيضاح

لابن شاذان النيسابوري ، الفضل بن شاذان الأزدي ، أبي محمد (ت 26 هـ -)

نشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت

الطبعة الاولى 1402 هـ - - 1982 م

37 - الإيضاح

للقاضي نعمان بن محمد بن حيون (ت 363هـ-) والمطبوع في المجلد العاشر من (ميراث حديث شيعة)

تحقيق : محمد كاظم رحمتي

نشر : مركز تحقيقات دار الحديث / قم إيران سنة 1382 هجري شمسي

38 - البحر الزخار

للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضي (ت 840 هـ -)

طبع سنة 1316 هـ -

39 - بحار الانوار 1/110

للمجلسي ، الشيخ محمد باقر (ت 1111 هـ -)

نشر : مؤسسة الوفاء - بيروت

الطبعة الثانية 1403 هـ - - 1983 م

40 - النجاري بشرح الكرمانى 1/25 في تسعة مجلدات

للكرمانى ، (ت هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربى / بيروت

41 - بدائع الزهور في وقائع الدهور

لابن إياس الحنفى ، محمد بن أحمد (ت 930 هـ -)

نشر : الهيئة المصرية العامة - القاهرة

الطبعة الأولى 1402 هـ -

42 - البداية والنهاية 1/8

لابن كثير ، أبى الفداء (ت 774 هـ -)

دقق أصوله وحققه : مجموعة من الأساتذة

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

43 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

للسوكاني ، محمّد بن عليّ (ت 1250 هـ -)

نشر : دار المعرفة - بيروت

44 - بذل المجهود في حل أبي داود 1/20 (في عشر مجلدات)

للسهارة نفوري ، خليل أحمد (ت 1346 هـ -)

نشر : مكتبة دار الباز - مكّة المكرمة

45 - بصائر الدرجات في فضائل آل محمد

للفصار القمي ، محمّد بن الحسن بن فروخ ، أبي جعفر (ت 290 هـ -)

صححه وعلق عليه : الحاج ميرزا محسن كوجه باغي التبريزي

منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي

قم - إيران 1404 هـ -

46 - بغية الطلب في تاريخ حلب 1/12 مع الفهارس

لابن العديم ، عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، كمال الدين (ت 660 هـ -)

حققه وقدم له : الدكتور سهيل زكار

دار الفكر - بيروت

47 - بلاغات النساء

لابن طيفور ، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت 380 هـ -)

نشر : مكتبة بصيرتي - قم - إيران

48 - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة

شرف الدين الاسترآبادي ، عليّ بن الحسين الغروي ، السيد شرف الدين (من علماء النصف الثاني من القرن العاشر)

تحقيق : حسين الأستاذ ولي

نشر : مؤسسة النشر الإسلامي - إيران

الطبعة الثانية 1417 هـ-

49 - تاج العروس من جواهر القاموس 1/30

للزبيدي ، محمّد بن مرتضى الحسين الواسطي (1205 هـ -)

نشر : دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان

طبع بالأوفست عن الطبعة الاولي للمطبعة الخيرية - مصر سنة 1306 هـ-

50 - تاريخ ابن خلدون 1/7

لابن خلدون الحضرمي المغربي ، عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون (ت 808 هـ -)

نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

الطبعة الأولى 1391 هـ - - 1971 م

51 - تاريخ ابن معين 1/2

لابن معين ، يحيى معين بن عون المرّي الغطفاني البغدادي (ت 223 هـ -)

برواية عثمان بن سعيد الدارمي (ت 280 هـ -)

تحقيق : أحمد محمّد نور سيف

نشر : دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا

52 - تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري

لابن معين ، يحيى بن معين بن عون المرّي الغطفاني البغدادي (ت 233 هـ -)

رواية : العباس بن محمّد بن حاتم الدوري البغدادي (ت 271 هـ -)

تحقيق : عبدالله أحمد حسن

نشر : دار القلم - بيروت

53 - تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر 1/4 (في مجلدين)

لأبي الفداء ، إسماعيل بن نور الدين ، عماد الدين (ت 732 هـ -)

مكتبة المتنبّي - القاهرة

54 - تاريخ بغداد 1/14

للخطيب البغدادي ، أحمد بن عليّ ، أبي بكر (ت 463 هـ -)

نشر : المكتبة السلفية ، المدينة المنورة

55 - تاريخ الثقات

للعجلي ، أحمد بن عبدالله بن صالح ، أبي الحسن (ت 261 هـ -)

تحقيق : عبدالمعطي قلعجي

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الأولى - 1405 هـ - - 1984 م

56 - تاريخ الخلفاء

للسيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ -)

تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد

نشر : مطبعة السعادة - مصر

الطبعة الأولى 1371 هـ - - 1952 م

57 - التاريخ الصغير

للبخاري ، محمّد بن إسماعيل ، أبي عبدالله (ت 256 هـ -)

تحقيق : محمود إبراهيم زايد

نشر : دار المعرفة - بيروت

58 - تاريخ طبرستان (باللغة الفارسية)

لاين اسفنديار الكاتب ، محمّد بن حسن بن اسفنديار ، بهاء الدين (ت 613 هـ -)

تصحيح : عباس إقبال الاشتياني

الناشر : پديده (خاور)

النشر : 1366 هـ - ش

59 - تاريخ الطبري = (تاريخ الأمم والملوك) 1/11

للطبري ، محمّد بن جرير ، أبي جعفر (ت 310 هـ -)

تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم

نشر : دار التراث ، بيروت - لبنان

60 - التاريخ الكبير 1/8

للبخاري الجعفي ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256 هـ -)

نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان

61 - تاريخ المدينة المنورة = أخبار المدينة النبوية 1/4

لابن شبة ، عمر بن شبة النميري البصري ، أبي زيد (ت 262 هـ -)

تحقيق : فهيم محمّد شلتوت

نشر : دار التراث - بيروت

الطبعة الأولى 1410 هـ - - 1990

62 - تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر

لابن عساكر الدمشقي ، عليّ بن محمّد الحسن بن هبة الله الشافعي ، أبي القاسم (ت 571 هـ -)

تحقيق : عليّ شيري

نشر: دار الفكر - بيروت

الطبعة الأولى 1415 هـ-

63 - تاريخ اليعقوبي 1/2

لليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب العباس (ت 292 هـ -)

دار صادر - بيروت

أوفسييت مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت: إيران

64 - تثبيت الإمامة

يحيى بن الحسين بن القاسم ، الإمام الزيدي اليميني (ت 298 هـ -)

نشر : دار الإمام السجاد - بيروت

الطبعة الثانية : 1419 هـ -

65 - تحرير تقريب التهذيب 1/4

التقريب : للعسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ -)

والتحرير : لبشار عواد معروف ، شعيب الارنؤوط

نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1417 هـ - - 1997 م

66 - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة 1/2

للسخاوي ، شمس الدين (ت 902 هـ -)

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1414 هـ - - 1993 م

67 - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي 1/10 (ومجلد للمقدمة)

للمباركفوري ، محمّد عبدالرحمن بن عبدالرحيم ، أبي العلا (ت 1353 هـ -)

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

68 - تحفة المحتاج بشرح المنهاج 1/10

69 - تذكرة الحفاظ 1/4 (في مجلدين)

للذهبي ، شمس الدين ، أبي عبدالله (ت 748 هـ -)

نشر : دار إحياء التراث العربي ؛ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1374 هـ -

70 - التعديل والتجريح

لللباجي المالكي ، سليمان بن خلف بن سعد ، أبي الوليد (ت 474 هـ -)

تحقيق : أحمد البزار

71 - تفسير ابن أبي حاتم 1/12

لابن أبي حاتم ، عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس الرازي (ت 327 هـ -)

تحقيق : أسعد محمّد الطيب

نشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية

الطبعة الاولى 1417 هـ - - 1997 م

72 - تفسير البغوي المسمي بمعالم التنزيل 1/4

للـبغوي الشافعي ، الحسين بن مسعود الفراء ، أبي محمّد (ت 516 هـ -)

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1414 هـ - - 1993 م

73 - تفسير الإمام العسكري المنسوب إلي الإمام العسكري

للحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أبي محمّد (ت 260 هـ -)

تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم - إيران

74 - تفسير عبدالرزاق 1/3

للصنعاني ، عبدالرزاق بن همام (ت 211 هـ -)

دراسه وتحقيق : دكتور محمود محمّد عبده

منشورات محمّد عليّ بيضون / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1419 - 1999 م

75 - تفسير فرات

76 - تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير 1/4

لابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير ، عماد الدين ، أبي الفداء (ت 774 هـ -)

أعدت طبعه بالافيسيت دار المعرفة - بيروت 1402 هـ - - 1982 م

77 - تفسير العياشي 1/2

للعياشي ، محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي ، أبي النصر (ت 320 هـ -)

تحقيق : السيّد هاشم الرسولي المحلاتي

نشر : المكتبة العلمية الإسلامية - طهران

78 - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن 1/20

للقرطبي ، محمّد بن أحمد الانصاري ، أبي عبدالله (ت 671 هـ -)

تصحيح : أحمد عبدالعليم البردوني

أعدت طبعه دار احياء التراث العربي - بيروت 1405 هـ - - 1985 م

79 - تفسير القمي

للقمي ، عليّ بن إبراهيم ، أبي الحسن (من اعلام القرنين 3 - 4 هـ -)

صححه وعلق عليه : السيّد طيب الموسوي الجزائري

طبع : مطبعة النجف سنة 1387 هـ

80 - التفسير الكبير 1/32 (في ستة عشر مجلداً)

للفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت 606 هـ -)

طبع : دار احياء التراث العربي بيروت - الطبعة الثالثة

81 - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل 1/4

للمخشي ، جار الله محمود بن عمر ، أبي القاسم (ت 538 هـ -)

نشر : دار المعرفة بيروت

82 - تفسير الميزان 1/21

للطباطبائي ، السيد محمد حسين (ت هـ -)

نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

الطبعة الثانية 1392 هـ - - 1972 م

83 - تفسير نور الثقلين 5/1

للحويزي ، عبدعلي بن جمعة العروسي (ت 1112 هـ -)

تعليق : هاشم الرسولي المحلاتي

أوفسيت الحوزه العلمية - قم - إيران

84 - التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير

للعسقلاني ، أحمد بن علي حجر ، أبي الفضل (ت 852 هـ -)

نشر : دار الفكر - بيروت

85 - تلخيص المستدرک = المطبوع بذييل المستدرک للحاكم النيسابوري

للذهبي ، محمد بن أحمد ، أبي عبدالله (ت 848 هـ -)

نشر : دار الفكر - بيروت - لبنان

لابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر ، أبي عمر (ت 463 هـ -)

تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبدالكبير البكري

نشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب

الطبعة الاولى 1387 هـ -

87 - تنوير الحوالك علي موطأ مالك 1/2 (في مجلد)

للسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن الشافعي (ت 911 هـ -)

نشر : دار الندوة الجديدة - بيروت

88 - تهذيب الاحكام = التهذيب 1/10

للطوسي ، محمد بن الحسن ، أبي جعفر (ت 460 هـ -)

حققه وعلق عليه : السيد حسن الموسوي الخراساني

نشر : دار الكتب الإسلامية - إيران

89 - تهذيب التهذيب 1/12

للعسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، أبي الفضل (ت 852 هـ -)

نشر : مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد - الهند

الطبعة الاولى 1325 هـ -

90 - تهذيب الكمال 1/35

للمزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت 742 هـ -)

حققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشار عواد

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

91 - التوحيد

لابن بابويه القمي ، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

تحقيق : السيّد هاشم الحسيني الطهراني

نشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران

92 - ثقات ابن حبان = (كتاب الثقات) 1/9

لابي حاتم البستي ، محمّد بن حبان بن أحمد التميمي (ت 354 هـ -)

نشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند

الطبعة الاولى

93 - جامع أحاديث الشيعة 1/30

للبروجردي ، السيّد حسين الطباطبائي (ت 1276 هـ -)

تأليف ونشر : الشيخ إسماعيل المعزي الملايري

طبع في مطبعة مهر / قم - إيران سنة 1413 هـ -

94 - جامع البيان في تفسير القرآن 1/30 (في 12 مجلد)

للطبرسي ، محمّد بن جرير ، أبي جعفر (ت 310 هـ -)

طبع : المطبعة الكبرى الاميرية - مصر ، أوفسيت دار المعرفة - بيروت 1409 هـ - - 1989 م

95 - جامع الأخبار = معارج اليقين في أصول الدين

للسبزواري ، محمّد بن محمّد ، (من أعلام القرن السابع الهجري)

تحقيق : علاء آل جعفر

نشر : مؤسسة آل البيت - قم - إيران

الطبعة الاولى 1414 هـ -

96 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير

للسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ -)

نشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1401 هـ - - 1981 م

97 - الجامع للشرايع

يحيى بن سعيد (ت 690 هـ -)

نشر : مؤسسة سيّد الشهداء - قم - إيران

الطبعة الاولى 1405 هـ -

98 - الجرح والتعديل للرازي 1/9

لابن أبي حاتم الرازي ، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمّد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت 327 هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربي ، بيروت

أوفسيت عن الطبعة الاولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند 1373 هـ - - 1952 م

99 - جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للمصعدي ، محمّد بن يحيى بن محمّد بن أحمد (ت 957 هـ -)

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان

طبع سنة 1379 هـ -

100 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي

لثعالبي ، عبدالرحمن (ت 875 هـ -)

حققه وخرج أحاديثه : أبو محمّد الغماري الادريسي الحسني

طبعه دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

101 - جواهر الفقه

لابن براج الطرابلسي ، عبدالعزيز بن براج (ت 481 هـ -)

تحقيق : إبراهيم بهادري

نشر : مؤسسة النشر الإسلامي - قم

الطبعة الاولى 1411 هـ -

102 - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام 1/43

للنجفي ، الشيخ محمد حسن (ت 1266 هـ -)

تحقيق : الشيخ علي الآخوندي والشيخ عباس القوجاني وغيرهما

نشر : دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران

الطبعة الاولى 1392 هـ -

103 - جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب

عليه السلام

للباعوني الشافعي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت 871 هـ -)

تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي

نشر : مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - إيران

الطبعة الاولى 1415 هـ -

104 - الجوهر النقي (بهامش السنن الكبرى)

لابن التركماني ، علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني (ت 745 هـ -)

نشر : دار المعرفة ، بيروت - لبنان

105 - الحاوي الكبير - وهو شرح مختصر المزني - 1/18

للماوردي البصري ، علي بن محمد بن حبيب (ت هـ-)

تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبدالموجود

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1414هـ - - 1994م

106 - حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير

للدسوقي ، محمّد بن عرفة (ت 1230 هـ -)

نشر : دار احياء الكتب العربي ، بيروت لبنان

107 - حاشية السندي (المطبوع بهامش سنن النسائي)

للسندي ، نور الدين بن عبدالهادي ، أبي الحسن (ت 1138 هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربي

108 - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة

للبحراني ، الشيخ يوسف (ت 1186 هـ -)

تحقيق : الشيخ محمّد تقي الايرواني

نشر : مؤسسة النشر الإسلامي - قم - إيران

109 - حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار عليهم السلام

للبحراني ، السيّد هاشم (ت 1107 هـ -)

تحقيق : الشيخ غلام رضا مولانا البحراني

نشر : مؤسسة المعارف الإسلاميّة - إيران

الطبعة الاولى 1411 هـ -

110 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 1/10

للاصبهاني ، أحمد بن عبدالله ، أبي نعيم (ت 430 هـ -)

نشر : دار الكتاب العربي - بيروت

الطبعة الخامسة 1407 هـ - 1987 م

111 - حيّ علي خير العمل بين الشرعية والابتداع

لمحمد سالم عزّان (معاصر)

نشر : النور للدراسات والبحوث والتحقيق - صعدة - اليمن

الطبعة الاولى 1419 هـ - - 1999 م

112 - الخصال

لابن بابويه القمي ، محمّد بن عليّ بن الحسين ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

صحّحه وعلّق عليه : الاستاذ عليّ أكبر الغفاري

نشر : جماعة المدرسين - قم - إيران

الطبعة الاولى 1403 هـ -

113 - خطط الشام 1/6 في ثلاثة مجلدات

لمحمد كرد عليّ (ت 1953 هـ -)

نشر : مكتبة النوري - دمشق - سوريا

الطبعة الثالثة 1403 هـ - - 1983 م

114 - الدارس في تاريخ المدارس 1/2

للنعمي دمشقي ، عبدالقادر بن محمّد (ت 978 هـ -)

تحقيق : إبراهيم شمس الدين

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1410 هـ - - 1990 م

115 - الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة

للشيرازي ، السيّد عليّ خان المدني (ت 1120 هـ -)

نشر : مكتبة بصيرتي - قم - إيران

الطبعة الاولى 1397 هـ -

116 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

لابي الفضل ، أحمد بن عليّ بن محمّد (ت 852 هـ -)

تحقيق : محمد عبدالمعيد خان

نشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند

الطبعة الثانية 1972 م

117 - الدر المنثور 1/6

للسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت 911 هـ -)

منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي

قم - إيران ، 1404 هـ -

118 - دعائم الإسلام 1/2

للتميمي المغربي ، النعمان بن محمّد بن منصور بن حيون ، أبي حنيفة (ت 363 هـ -)

تحقيق : آصف بن عليّ أصغر فيضي

نشر : دار المعارف - القاهرة 1383 هـ - - 1963 م

119 - الدعوات

للقطب الراوندي ، سعد بن هبة الله ، أبي الحسين (ت 573 هـ -)

تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدي - قم - إيران

الطبعة الاولى 1407 هـ -

120 - دفع الشبه عن الرسول والرسالة

للحصني ، أبي بكر بن محمّد بن عبدالمؤمن تقي الدين (ت 829 هـ -)

تحقيق : جماعة من العلماء

نشر : دار إحياء الكتاب العربي - القاهرة

الطبعة الثانية 1418

121 - الديباج

للسيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر ، أبي الفضل (ت 911 هـ -)

تحقيق : أبو إسحاق الجويني الأثري

نشر : دار ابن عفان - الخبر - السعودية

الطبعة الاولى 1416 هـ - - 1996 م

122 - ديوان الشافعي

للسافعي ، محمّد بن إدريس (ت 204 هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

123 - ديوان الحماني

للحماني العلوي الكوفي ، عليّ بن محمّد بن جعفر بن عليّ (ت 245 هـ -)

تحقيق : الدكتور محمّد حسين الاعرجي

طبع : دار صادر في بيروت

الطبعة الاولى سنة 1998 هـ -

124 - الذريعة إلي تصانيف الشيعة 1/26

للطهراني ، آقا بزرك (ت 1389 هـ -)

نشر : دار الاضواء - بيروت

الطبعة الثانية 1403 هـ -

125 - ذكري الشيعة 1/4

للجزيني العاملي ، محمّد بن جمال الدين مكّي ، المعروف ب- الشهيد الاول ، (ت 786 هـ -)

تحقيق : مؤسسة آل البيت: لاهياء التراث

طبع : مطبعة ستارة - قم

الطبعة الاولى 1419 هـ -

126 - رأب الصدع = العلوم

للمراذي المقرئ ، محمّد بن منصور (ت 290 هـ -)

جمع فيه أمالي أحمد بن عيسى مع إضافات حديثة

تحقيق: عليّ بن إسماعيل بن عبدالله المؤيد

نشر: دار النفائس - بيروت - الطبعة الاولى

127 - رحلة ابن بطوطة = تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

للواتي الطنجي ، محمّد بن عبدالله بن محمّد بن إبراهيم (ت 777 هـ -)

نشر: دار الكتاب اللبناني

128 - رحلة ابن جبير

لابن جبير ، محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلسي ، أبي الحسين (614 هـ -)

نشر: دار الكتاب اللبناني

129 - الرسالة

للشافعي ، محمّد بن إدريس ، أبي عبدالله (ت 204 هـ -)

تحقيق: أحمد محمّد شاكر

القاهرة - مصر 1358 هـ - 1939 م

130 - رسائل الشريف المرتضي 1/3

لشريف المرتضي ، عليّ بن الحسين بن موسى ، أبي القاسم (ت 436 هـ -)

تحقيق: السيد مهدي الرجائي

نشر: دار القرآن - إيران

الطبعة الاولى 1405 هـ -

131 - روح المعاني 1/30 في 15 مجلداً

للألوسي البغدادي ، شهاب الدين السيّد محمود ، أبي الفضل (ت 1270 هـ -)

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: محمود شكري الألوسي

طبع : ادارة الطباعة المنيرية - اوفسيت دار احياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الرابعة 1405 هـ - - 1985 م

132 - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للسهيلى الخشمى ، عبدالرحمن بن عبدالله (ت 581 هـ -)

تحقيق : مجدى منصور الشورى

نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت

الطبعة الاولى 1418 هـ - - 1997 م

133 - الروض النضير

للسياغى ، شرف الدين ، الحسين بن أحمد (ت 1221 هـ -)

نشر : مكتبة المؤيد - الطائف الطبعة الثانية

134 - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية 1/4

لابى شاهه المقدسى ، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 665 هـ -)

تحقيق : إبراهيم الزبيق

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الاولى 1997 م

135 - زاد المسير في علم التفسير

للجوزى القرشى ، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمّد أبى الفرج (ت 597 هـ -)

تحقيق : محمّد بن عبدالرحمن بن عبدالله

نشر : دار الفكر - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1407 هـ -

136 - زبدة الحلب من تاريخ حلب 1/2

لابن العديم ، كمال الدين ، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660 هـ -)

تحقيق : سهيل زكار

نشر : دار الكتاب العربي - دمشق والقاهرة

الطبعة الاولى 1418 هـ - - 1997 م

137 - سبل السلام 1/4 في مجلدين

للصنعاني ، محمّد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير - (ت 1182 هـ -)

تحقيق : محمّد عبدالعزيز الخولي

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الرابعة 1379 هـ - - 1960 م

138 - سبل الهدى والرشاد

للصالحى الشامى ، محمّد يوسف (ت 942 هـ -)

تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، والشيخ عليّ محمّد معوض

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1414 هـ -

139 - سعد السعود

لابن طاووس ، عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس ، رضى الدين ، أبي القاسم (ت 664 هـ -)

نشر : المطبعة الحيدرية - النجف

الطبعة الاولى 1369 هـ -

140 - سفر نامه حكيم ناصر خسرو قبادياني (ت 4530 هـ -) (باللغة الفارسية)

تصحيح : غني زاده

نشر : انتشارات منوجھري

المطبعة : كلشن السنة : 1372 هـ - ش

141 - سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي 1/4

للعصامي المكي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت 1111 هـ -)

تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ عليّ محمّد معوض

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1419 هـ - - 1998 م

142 - سنن أبي داود 1/4

للسجستاني الازدي ، سليمان بن الأشعث أبي داود (ت 275 هـ -)

تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد

نشر : المكتبة العصرية - بيروت

143 - سنن ابن ماجة 1/2

للقزويني ، محمّد بن يزيد أبي عبدالله (ت 275 هـ -)

تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

144 - سنن الترمذي 1/5

للترمذي ، محمّد بن عيسي بن سورة ، أبي عيسي (ت 297 هـ -)

تحقيق وشرح : أحمد محمّد شاکر

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت 1357 هـ - - 1938 م

145 - السنن الكبرى 1/10 (رحلي)

للبهقي ، أحمد بن الحسين بن عليّ أبي بكر (ت 458هـ -)

نشر : دار المعرفة - بيروت

146 - سنن النسائي 1/8 في أربعة مجلدات

للنسائي ، أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر ، أبي عبدالرحمن (ت 303 هـ -)

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

147 - سير أعلام النبلاء 1/25 (مع الفهارس)

للذهبي ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ - - 1374 م)

تحقيق : شعيب الارنؤوط ، محمّد نعيم العرقسوسي

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان

الطبعة الرابعة 1406 هـ - - 1986 م

148 - السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون 1/3 (رحلي)

للحلي ، عليّ بن برهان الدين (ت 1044 هـ -)

نشر : دار المعرفة - بيروت

الطبعة الاولى 1400 هـ -

149 - السيرة النبوية = سيرة ابن هشام 1/4

لابن هشام الحميري ، عبدالملك بن هشام بن أيوب (ت 213 هـ - أو 218 هـ -)

تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان

150 - السيرة النبوية = سيرة ابن كثير

لأبي الفداء ، إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ -)

تحقيق : مصطفى عبدالواحد

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان

151 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب 1/8 في أربعة مجلدات

للحنبلي ، عبدالحى ابن العماد ، أبي الفلاح (ت 1089 هـ -)

نشر : دار الافاق الجديدة - بيروت - لبنان

152 - شرح التجريد

للقوشجي ، علاء الدين (ت 879 هـ -)

نشر : منشورات الرضى - ايران - قم

153 - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار 1/3

للتميمي المغربي ، النعمان بن محمد أبي حنيفة (ت 363 هـ -)

تحقيق : السيد محمد حسين الجلالى

نشر : مؤسسة النشر الإسلامى - قم - إيران

الطبعة الاولى 1409 هـ -

154 - شرح صحيح مسلم للإمام النووي 1/16 في 8 مجلدات

لننوي الشافعى ، يحيى بن شرف ، محيى الدين ، أبى زكريا (ت 676 هـ -)

راجعته : الشيخ خليل الميس

نشر : دار القلم - بيروت

الطبعة الاولى 1407 هـ - - 1987 م

155 - الشرح الكبير (المطبوع بهامش المغنى) 1/12

لابن قدامة المقدسى ، عبدالرحمن بن أبى عمر ، شمس الدين ، أبى الفرج (ت 682 هـ -)

طبعة جديدة بالأوفسيت ، طبع دار الكتاب العربى - بيروت.

156 - شرح الزرقانى على موطا الإمام مالك 1/4

نشر : دار الجيل - بيروت

157 - شرح المقاصد

للتفتازاني ، مسعود بن عمر بن عبدالله ، الشهير بسعد الدين (ت 793 هـ -)

تحقيق : عبدالرحمن عميرة

نشر : منشورات الشريف الرضي - قم - إيران

الطبعة الاولى 1409 هـ - - 1989 م

158 - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1/20 في عشرة مجلدات

لابن أبي الحديد المدائني ، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبي حامد (ت 655 هـ - أو 656 هـ -)

تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الثانية 1385 هـ - - 1965 م

159 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى

للحصبى ، عياض ، أبي الفضل (ت 544 هـ -)

نشر : دار الفكر - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1409 هـ - - 1988 م

160 - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل 1/3

للحسكاني ، عبدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم

(من أعلام القرن الخامس)

تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي

نشر : مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران - إيران

الطبعة الاولى 1411 هـ - - 1990 م

161 - صبح الاعشي في صناعة الإنشا 1/14

القلقشندي ، أحمد بن عليّ (ت 821 هـ -)

تحقيق : نبيل خالد الخطيب

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1407 هـ - - 1987 م

162 - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان

لابن بلبان الفارسي ، علاء الدين عليّ بن بلبان (ت 739 هـ -)

تحقيق : شعيب الارنؤوط

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الثالثة 1418 هـ - - 1997 م

163 - صحيح ابن خزيمة 1/4

لابن خزيمة السلمى النيسابوري ، محمّد بن إسحاق بن خزيمة ، أبي بكر (ت 311 هـ -)

حققه وعلق عليه : الدكتور محمّد مصطفى الأعظمي

نشر : المكتب الإسلامي - بيروت

الطبعة الثانية 1412 هـ - - 1992 م

164 - صحيح البخاري 1/9 في اربعة مجلدات

للبخاري ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبي عبدالله (ت 256 هـ -)

شرح وتحقيق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي

نشر : دار القلم - بيروت

165 - صحيح مسلم 1/4

للقيشيري النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، أبي الحسين (ت 261 هـ -)

تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

نشر : دار الفكر - بيروت

الطبعة الثانية 1389 هـ - 1978 م

166 - صحيفة الإمام الرضا عليه السلام

تحقيق : الشيخ محمد مهدي نجف

نشر : المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

طبع الاستانة الرضوية - مشهد 1406 هـ -

167 - الصراط المستقيم إلي مستحقي التقديم 1/3

للبياضي ، علي بن يونس العاملي النباطي ، أبي محمد (ت 877 هـ -)

تحقيق : محمد باقر البهبودي

نشر : المكتبة المرتضوية لاحياء الاثار الجعفرية - إيران

168 - الصواعق المحرقة

لليهمي المكي ، أحمد بن حجر (ت 899 هـ -)

نشر : مكتبة القاهرة - مصر

169 - الضعفاء الكبير 1/4

للعقيلي المكي ، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد أبي جعفر (ت 322 هـ -)

تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الثانية 1418 هـ-

170 - الضعفاء والمتروكين

للذهبي الدمشقي ، شمس الدين بن عثمان بن قايماز (ت 748 هـ -)

نشر : دار القلم - بيروت

الطبعة الاولى 1408 هـ -- 1988 م

171 - طب الأئمة

لنيسابوريين ، عبدالله بن سابور الزيات ، والحسين بن بسطام (ت 262 هـ -) النيسابوريين

نشر : منشورات الرضي - قم - إيران

الطبعة - الثانية 1363 بالافسيت عن المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف - العراق سنة 1385 هـ -- 1965 م

172 - طبقات اعلام الشيعة

للطهراني ، آغا بزرك (ت هـ -)

تحقيق ولده : علي نقي منزوي

نشر : مؤسسة اسماعيليان ، قم - إيران

الطبعة الثانية

173 - الطبقات الكبرى = طبقات ابن سعد 1/9

لابن سعد ، محمّد بن سعد كاتب الواقدي (ت 230 هـ -)

قدم له : الدكتور إحسان عباس

نشر : دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت

1405 هـ -- 1985 م

174 - العبر في خبر من غير

للذهبي ، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748 هـ -)

تحقيق : صلاح الدين المنجد

نشر : مطبعة حكومة الكويت

الطبعة الثانية (مصورة) ، 1948 م

175 - علل الشرايع

للمصدق ، محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

قدم له : السيّد محمّد صادق بحر العلوم

نشر : منشورات المكتبة الحيدرية - النجف

الطبعة الثانية 1385 هـ - - 1966 م

أعدت طباعته مكتبة الداوري - قم - إيران

176 - العلل ومعرفة الرجال 1/4

لاحمد بن محمّد بن حنبل (ت 241 هـ -)

تحقيق : وصي الله بن محمّد عباس

نشر : المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1408 هـ - - 1988 م

177 - عمدة القارئ 1/25 في 12 مجلد

للعيني بدر الدين محمود بن احمد (ت 855 هـ -)

نشر : دار الفكر - بيروت 1415 هـ 1995 م .

178 - عون المعبود 1/14

شرح سنن ابي داود

للعظيم ابادي ، محمد شمس الحق (ت هـ -)

179 - عيون أخبار الرضا 1/2

للصدوق ، محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ ، أبي جعفر

(ت 381 هـ-)

من منشورات المطبعة الحيدرية - النجف أوفسيت منشورات الاعلمي - طهران 1390 هـ - 1970 م

180 - الغريبين في القرآن والحديث

للهروري ، أحمد بن محمد صاحب الأزهري - أبي عبيد (ت 401 هـ-)

تحقيق : أحمد فريد المزيدي

نشر : المكتبة العصرية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1419 هـ - - 1999 م

181 - الغدير في الكتاب والسنة والادب 1/11

للأميني النجفي ، عبدالحسين أحمد (ت 1392 هـ-)

نشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة 1387 هـ - - 1967 م

182 - الغيبة

للعماني ، محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بابن أبي زينب (ت 380 هـ-)

نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1403 هـ - - 1983 م

183 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري 1/13

للعسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد شافع شهاب الدين ، أبي الفضل (ت 852 هـ-)

طبع : المطبعة البهية بمصر ، طبعة 1348 هـ-

أوفسيت : دار إحياء التراث العربي - بيروت 1408 هـ - - 1988 م

184 - فتح الباري شرح صحيح البخاري 1/7

لابن رجب الحنبلي زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي (ت 795 هـ-)

تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد

نشر : دار ابن الجوزي / المملكة العربية السعودية

الطبعة الاولى 1417 هـ - - 1996

185 - فتح المعين بشرح قرّة العين 1/4 في مجلدين

للمليباري الشافعي ، زين الدين بن عبدالعزيز (ت هـ-)

مطبوع بهامش اغاثة الطالبين

نشر : دار احياء التراث العربي / بيروت

186 - فتح المالك علي موطأ الإمام مالك 1/10

لابن عبدالبر النمري القرطبي المالكي ، جمال الدين يوسف بن عمر بن عبدالبر ، أبي عمر (ت 463 هـ-)

تحقيق : الاستاذ الدكتور مصطفى صميذة

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1418 هـ - - 1998 م

187 - الفتوح 1/3

لابن اعثم الكوفي ، أحمد بن أعثم ، أبي محمّد (ت نحو 314 هـ-)

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1406 هـ - - 1986 م

188 - الفتوحات الربانية علي الأذكار النووية 1/2

للمصديقي الشافعي ، محمّد بن علان (ت 1057 هـ-)

نشر : المكتبة الإسلامية ، مصر

أوفسيت دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

189 - الفتوحات المكية

لابن عربي الحاتمي الطائي ، محمد بن عليّ (ت 638 هـ -)

نشر : دار صادر - بيروت - لبنان

190 - الفردوس بمأثور الخطاب /1

للدلمي الهمداني ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه ، أبي شجاع الملقب « الكيا » (ت 509 هـ -)

تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول

دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1406 هـ - - 1986 م

191 - فضائل الصحابة 1/2

لاحمد بن حنبل (ت 241 هـ -)

تحقيق : وصي الله محمد عباس

نشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت

الطبعة الاولى 1403 هـ - - 1983 م

192 - فضل الصلاة علي النبي

للجزمي القاضي المالكي ، إسماعيل بن إسحاق (ت 282 هـ -)

تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني

المركز الإسلامي - بيروت

الطبعة الثالثة 1397 هـ -

ص: 458

للمناوي ، محمّد المدعو بعبدالروؤف (ت 1331 هـ -)

نشر : دار الفكر - بيروت - لبنان 1391 هـ - - 1972 م

الطبعة الثانية

194 - الكافي 1/8

للكليني ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق (أبي جعفر) (ت 329 هـ -)

صححه وقابله : الاستاذ عليّ أكبر الغفاري

نشر : دار الكتب الإسلاميّة - طهران

الطبعة الثانية

195 - الكامل في التاريخ 1/9

لابن الأثير الجزري ، محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت 630 هـ -)

نشر : دار الكتاب العربي - بيروت

الطبعة الثالثة 1400 هـ - - 1980 م

196 - الكامل في ضعفاء الرجال 1/8

لابن عدي الجرجاني ، عبدالله بن عدي ، أبي أحمد (ت 360 هـ -)

تحقيق : سهيل زكار

نشر : دار الفكر - بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة 1409 هـ - - 1988 م

197 - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث عليّ ألسنة الناس

للعجلوني ، اسماعيل بن محمّد (ت 1162 هـ -)

نشر : دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان

198 - كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء

لكاشف الغطاء ، الشيخ جعفر النجفي (ت 1228 هـ -)

نشر : انتشارات مهدي - اصفهان - إيران

طبعة حجرية

199 - كشف الغمة عن جميع الأمة 1/2

للشعراني ، عبدالوهاب (ت 973 هـ - - 1565 م)

نشر : المكتبة العلمية - بيروت

200 - كشف الغمة في معرفة الأئمة 1/2

للاربلي ، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت 693 هـ -)

تعليق : هاشم الرسولي

اهتم بطبعة الحاج السيد علي بن هاشمي

201 - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين

للحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت 726 هـ -)

تحقيق : حسن الدراكاهي

الطبعة الاولى 1411 هـ - - إيران

202 - كفاية الأثر في النص علي الأئمة الاثني عشر

للخزاز القمي ، علي بن محمد بن علي الخزاز ، أبي القاسم (من أعلام القرن الرابع)

تحقيق : عبداللطيف الحسيني الكوه كمرى النحوي

نشر : انتشارات بيدار - قم - إيران

الطبعة الاولى 1401 هـ -

لابن بابويه القميّ ، محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

تعليق : عليّ أكبر الغفاري

نشر : مكتبة الصدوق - طهران - إيران

204 - كنز العرفان في فقه القرآن

للسيوري ، جمال الدين المقداد بن عبدالله (ت 826 هـ -)

نشر : المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية - قم - إيران

الطبعة الاولى 1348 هـ -

205 - كنز العمال 1/16

للمتقي الهندي ، علاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين البرهان فوري (ت 975 هـ -)

ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكري حيانى

تصحیح : الشيخ صفوة السقا

نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الخامسة 1405 هـ - - 1985 م

206 - الكنز المدفون والفلک المشحون

للسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت 911 هـ -)

نشر : المطبعة اليمينية - مصر

الطبعة الاولى 1321 هـ -

207 - لسان الميزان 1/7

للعسقلاني ، أحمد بن عليّ بن حجر أبي الفضل (ت 852 هـ -)

نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة 1406 هـ - 1986 م

208 - مآثر الانافة في معالم الخلافة 1/3

للقلقشندي ، أحمد بن عبدالله ، صاحب كتاب صبح الاعشي (ت 821 هـ -)

تحقيق : عبدالستار أحمد فراج

نشر : عالم الكتب - بيروت

قدم له : صلاح الدين المنجد

209 - المبسوط 1/30 في 15 مجلد

للسرخسي ، شمس الدين (ت 490 هـ -)

قام بتصحيح الكتاب : جماعة من العلماء

نشر : دار المعرفة - بيروت 1406 هـ - 1986 م

210 - المبسوط في فقه الإمامية 1/10

للطوسي ، محمّد بن الحسن بن عليّ ، أبي جعفر (ت 460 هـ -)

صححه وعلّق عليه : السيّد محمّد تقي الكشفي

نشر : المكتبة الرضوية - طهران - أوفسيت عن طبعة المطبعة الحيدرية

الطبعة الثالثة 1387 هـ -

211 - مجالس المؤمنين 1/2 (باللغة الفارسية)

للسوشري ، القاضي نور الله المعروف بالشهيد الثالث (استشهد سنة 1010 هـ -)

نشر : كتابفروشي اسلامية ، طهران 1354 هـ - ش

212 - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين

للتميمي البستي ، محمّد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم (ت 354 هـ -)

نشر: دار المعرفة، بيروت

الطبعة الاولى 1412 هـ - - 1992 م

213 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 1/10

للهيتمي، علي بن أبي بكر، نور الدين (ت 807 هـ -)

وهو بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر

نشر: دار الكتاب العربي - بيروت

الطبعة الثالثة 1402 هـ - - 1982 م

214 - المجموع شرح المهذب 1/20

للنووي، محيي الدين بن شرف، أبي زكريا (ت 676 هـ -)

طبع: دار الفكر - بيروت

215 - المحاسن 1/2

للبرقي، أحمد بن محمد بن خالد، أبي جعفر (ت 274 هـ - أو 280 هـ -)

تحقيق: السيد مهدي الرجائي

نشر: المعاونة الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت: - قم - إيران

الطبعة الاولى 1413 هـ -

216 - المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز 1/4

لابن عطية الاندلسي، عبدالحق بن غالب بن عطية، أبي محمد (ت 546 هـ -)

تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد

نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 413 - 1993 م

لفخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين (ت 606 هـ -)

نشر: دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة 1408 هـ - - 1988 م

218 - المحلي 1/11

لابن حزم الاندلسي ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبي محمد (ت 456 هـ -)

تحقيق: لجنة احياء التراث العربي

نشر: دار الافاق الجديدة - بيروت

219 - مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة 1/11

للבוصري ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني الشافعي ، شهاب الدين ، أبي العباس (ت 840 هـ -)

تحقيق: سيد كروي حسن

نشر: دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1417 هـ - - 1996 م

220 - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر 1/29

لابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711 هـ -)

تحقيق: أحمد راتب ومحمد ناجي العمر

نشر: دار الفكر - دمشق

الطبعة الاولى 1409 هـ - - 1988 م

221 - مدارك الأحكام 1/8

للعالمي ، السيد محمد بن علي الموسوي (ت 1009 هـ -)

تحقيق: مؤسسة آل البيت: لحياء التراث - مشهد المقدسة

طبع في مطبعة مهر - قم

الطبعة الاولى 1410 هـ -

222 - مرآة الجنان وعبرة اليقظان 1/4

لليافعي ، عبدالله بن أسعد بن عليّ بن سليمان اليميني المكي (ت 768 هـ -)

نشر : منشورات الأعلمي للمطبوعات - بيروت

الطبعة الثانية 1390 هـ - - 1970 م

أوفسييت عن مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد - الدكن سنة 1338 هـ -

223 - المراسيل

لابن أبي حاتم الرازي ، عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس (327 هـ -)

تحقيق : أحمد عصام الكاتب

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1403 هـ - - 1983 م

224 - مروج الذهب ومعادن الجوهر 1/4

للمسعودي ، عليّ بن الحسين بن عليّ ، أبي الحسن (ت 346 هـ -)

وضع فهارسها : يوسف أسعد داغر

الطبعة الثانية - دار الهجرة - 1404 هـ - - 1984 م

أوفسييت عن الطبعة الاولى 1385 هـ - - 1965 م

225 - مستدرک سفينة البحار 1/10

للنمازي الشاهرودي ، الشيخ عليّ (معاصر)

نشر : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة

الطبعة الاولى 1409 هـ -

للحاکم النیسابوری ، محمد بن عبدالله ، أبي عبدالله (ت 405هـ -)

نشر: دار الفكر - بيروت

1398 هـ - 1978 م

227 - مستدرك الوسائل 1/18

للطبرسي النوري، الحاج ميرزا حسين (ت 1320 هـ -)

نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - إيران

الطبعة الاولى 1407 هـ -

228 - المسترشد في امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

للطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت اوائل القرن الرابع الهجري)

تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي

نشر: المؤسسة الثقافية الإسلامية طبع في قم - إيران

الطبعة الاولى

229 - مسند أبي داود الطيالسي

للطيالسي، أبي داود (ت 204 هـ -)

نشر: دار الحديث - بيروت

230 - مسند أبي عوانة

لابي عوانة الاسفراييني، يعقوب بن إسحاق (ت 316 هـ -)

تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي

نشر: دار المعرفة - بيروت

الطبعة الاولى 1998 م

231 - مسند أحمد 1/6 (رحلي)

لاحمد بن حنبل ، (ت 241 هـ -)

نشر : دار صادر - بيروت

232 - مسند زيد بن علي

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 121 هـ -)

جمعه : عبدالعزيز بن إسحاق البغدادي

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

233 - مسند الشافعي

للشافعي ، محمد بن إدريس ، أبي عبد الله (ت 204 هـ -)

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

أوفست عن مطبعة بولاق الاميرية

234 - مشارق انوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين

عليه السلام

للبرسي ، رجب (ت 813 هـ -)

نشر : منشورات الشريف الرضي - قم - إيران

الطبعة الاولى 1414 هـ -

235 - المصنّف 1/11

للمصنّف ، عبدالرزاق بن همام ، أبي بكر (ت 211 هـ -)

عني بتحقيقه وتخرّيج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي

من منشورات المجلس العلمي - بيروت

236 - مصنّفات الشيخ المفيد 1/14

للمفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، أبي عبد الله (ت 413 هـ -)

نشر : المؤتمر العالمي لألفية المفيد

الطبعة الاولى 1413 هـ - - قم - إيران

237 - المصنّف في الأحاديث والآثار 1/9

(مصنف بن أبي شيبة)

لابن أبي شيبة الكوفي العبسي ، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، أبي بكر (ت 235 هـ -)

ضبطه وصححه : محمد عبدالسلام شاهين

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1416 هـ - - 1995 م

238 - المعارف

لابن قتيبة الدينوري ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ -)

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1407 هـ - - 1987 م

239 - معاني الأخبار

للصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ -)

عني بتصحيحه : علي أكبر الغفاري

انتشارات اسلامي - قم

الطبعة الثانية 1379 هـ -

240 - معجم الأدباء 1/20 (في عشر مجلدات)

للحموي ، ياقوت بن عبدالرومي (ت 626 هـ -)

نشر : دار الفكر

الطبعة الثالثة 1400 هـ - - 1980 م

241 - المعجم الاوسط 1/11

للطبراني ، سليمان بن أحمد ، أبي القاسم (ت 360 هـ -)

نشر : مكتبة المعارف - الرياض

الطبعة الاولى 1415 هـ - - 1995 م

242 - معجم البلدان 1/5

للحموي ، ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي ، شهاب الدين ، أبي عبدالله (ت 626 هـ -)

نشر : دار صادر - بيروت

243 - معجم رجال الحديث 1/24

للخوئي ، السيّد أبي القاسم الموسوي (ت 1413 هـ -)

الطبعة الخامسة 413 هـ - - 1992 م

244 - المعجم الكبير 1/25

للطبراني ، سليمان بن أحمد ، أبي القاسم (ت 360 هـ -)

حققه : حمدي عبدالمجيد السلفي

نشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة

245 - معرفة علوم الحديث

للحاكم النيسابوري ، محمّد بن عبدالله (ت 405 هـ -)

شرح ومراجعته : سعيد محمّد اللحام

نشر : دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1409 هـ - - 1989 م

246 - المغني 1/12

لابن قدامة ، عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة ، موفق الدين ، أبي محمّد (ت 630 هـ -)

طبعه جديد بالأوفسيت

نشر دار الكتاب العربي - بيروت

247 - المغني في الضعفاء 1/2

للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748 هـ -)

تحقيق : نور الدين عتر

248 - مقاتل الطالبين

للإصطخاني ، أبي الفرج (ت 356 هـ -)

شرح وتحقيق : السيّد أحمد صقر

نشر : دار المعرفة - بيروت

249 - المناقب = مناقب الخوارزمي

للخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت 568 هـ -)

تحقيق : مالك المحمودي

نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران

الطبعة الثالثة 1417 هـ -

250 - المنتخب من مسند عبد بن حميد

لابي محمد عبد بن حميد (ت 249 هـ -)

تحقيق : صبحي البدري السامرائي - محمود محمد خليل الصعيدي

نشر : مكتبة النهضة العربية

الطبعة الاولى 1408 هـ - - 1988 م

251 - من لا يحضره الفقيه 1/4

للصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، أبي جعفر (ت 381 هـ -)

علق عليه : عليّ أكبر الغفاري

نشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - إيران الطبعة الثانية

252 - المنتظم في تاريخ الامم والملوك 1/16

لابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي (ت 597 هـ -)

تحقيق : محمّد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا - نعيم زرزور

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الاولى 1413 هـ - - 1992 م

253 - منهاج السنة النبوية

لابن تيمية الحراني ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، أبي العباس (ت 728 هـ -)

تحقيق : محمّد رشاد سالم

نشر : مؤسسة قرطبة - مصر

الطبعة الاولى 1406

254 - المهذب

لابن براج الطبرالسي ، عبدالعزيز بن البراج (ت 481 هـ -)

تحقيق : الشيخ جعفر السبحاني

نشر : جامعة المدرسين - قم - إيران

الطبعة الاولى 1406 هـ -

255 - المواعظ والاعتبار = الخطط المقرزية 1/2 (رحلي)

للمقرزي ، أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبي العباس (ت 745 هـ -)

أوفست دار صادر - بيروت

256 - الموطأ

مالك بن أنس (ت 179 هـ -)

تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي

نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

257 - مواهب الجليل شرح مختصر خليل

للخطاب الرعيني ، محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي ، أبي عبدالله (ت 954 هـ -)

تحقيق: زكريا عميرات

نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1416 هـ - - 1995 م

258 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال 1/7

للذهبي ، محمد بن أحمد ، شمس الدين (ت 748 هـ -)

تحقيق: عليّ محمد معوض ، عادل أحمد عبدالموجود

نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى 1416 هـ - - 1995 م

259 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

للاتابكي ، يوسف بن تغري بردي ، أبي المحاسن (ت 874 هـ -)

نشر: المؤسسة المصرية العامة - مصر

260 - زهرة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر 1/8

عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ت 1341 هـ -)

قام بمراجعته واكماله: أبو الحسن عليّ الحسيني الندوي - ابن المؤلف

نشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند 1402 هـ -

261 - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 1/8

للتوحي ، المحسن بن عليّ ، أبي علي (ت 384 هـ -)

الطبعة الاولى 1391 هـ -- 1971 م

262 - النصائح الكافية لمن يتولي معاوية

لمحمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي (ت 135 هـ)

الطبعة الاولى 1412 هـ -- مطبعة دار الثقافة

نشر : دار الثقافة - قم - إيران

263 - نصب الراية لأحاديث الهداية 1/4

للزبيعي الحنفي ، عبدالله بن يوسف ، جمال الدين ، أبي محمد (ت 762 هـ)

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الثالثة 1407 هـ -- 1987 م

264 - نظم درر السمطين

للزرندي الحنفي ، محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد ، جمال الدين (ت 750 هـ)

نشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين 7

الطبعة الاولى 1377 هـ -- 1958 م

265 - نهاية الإرب في فنون الأدب

للتويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ)

نشر : مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة

الطبعة الاولى 1369 هـ -- 1949 م

266 - نيل الأوطار 1/8

للسوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت 1255 هـ)

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

267 - الهداية شرح البداية

للمرغيناني ، عليّ بن أبي بكر بن عبد الجليل ، أبي الحسين (ت 593 هـ -)

نشر : المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان

268 - الوسائل إلي معرفة الاوائل

للسيوطي ، عبدالرحمن ، جلال الدين (ت 911 هـ -)

تحقيق : عبدالرحمن الجوزو

نشر : دار مكتبة الحياة - بيروت

الطبعة الاولى 1408 هـ - - 1988 م

269 - وسائل الشيعة 1/30

للحر العاملي ، الشيخ محمّد بن الحسن (ت 1104 هـ -)

تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم - إيران

الطبعة الاولى 1409 هـ -

270 - وضوء النبي (المدخل)

لمؤلف هذا الكتاب

نشر : مؤسسة جواد الأئمة - مشهد - إيران

الطبعة الثانية 1417 هـ -

271 - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

للسمهودي ، عليّ بن أحمد المصري (ت 911 هـ -)

تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد

نشر : دار احياء التراث العربي - بيروت

للمنقري، نصر بن مزاحم (ت 212هـ-)

تحقيق وشرح : عبدالسلام محمّد هارون

نشر : مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي - قم - إيران

الطبعة الاولى 1403 هـ -

273 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 1/8

لابن خلّكان ، أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان ، شمس الدين ، أبي العباس (ت 681 هـ)

تحقيق : احسان عباس

نشر : دار الثقافة - بيروت

274 - ينابيع المودة لذوي القربي

للقنذوزي الحنفي ، سليمان بن إبراهيم (ت 1294 هـ)

تحقيق : عليّ جمال أشرف الحسيني

نشر : دار الأسوة للطباعة والنشر

الطبعة الاولى 1416 هـ -

275 - اليواقيت والضرب في تاريخ حلب

المنسوب إلي إسماعيل أبي الفداء (ت 732 هـ)

المحقّقان : محمّد كمال وفالح البكور

نشر : دار القلم - حلب - سوريا

الطبعة الاولى 1410 هـ - - 1989 م

الفهرس

مقدمة المؤلف 7

بحوث تمهيدية / 13

الأذان لغة واصطلاحاً 23

تاريخ الأذان 25

بدء الأذان عند أهل السنة والجماعة 27

أهل البيت وبدء الأذان 41

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت 40 هـ) : 41

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام (ت 50 هـ) : 42

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام (ت 61 هـ) : 43

محمّد بن عليّ بن أبي طالب (ابن الحنفية ت 73 - 93 هـ) : 44

الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام (ت 94 هـ) وابنه زيد : 46

الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام (ت 114 هـ) : 47

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام (ت 148 هـ) : 50

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (ت 204 هـ) : 55

وقفة مع أحاديث الرؤيا 59

تحقيق في ما وراء نظرية الرؤيا 73

مع الرسول ورؤياه 83

المجتهدون الأوائل ودورهم في التشريع : 86

المجتهدون الأوائل والأذان ! 93

الأمويون والأذان 96

الأمويون ورسول الله 100

الله جلّ وعلا ورفع له لذكر الرسول صلي الله عليه وآله . 109

أهل البيت ورفع ذكر رسول الله 112

القدرة الإلهية وفشل المخططات 120

من هم الثلاثة أو الأربعة ؟ 127

مطلبان 147

1 - الأذان إعلام للصلاة أم بيان لأصول العقيدة ؟ 149

الأذان وآثاره في الحياة الاجتماعية 161

الأذان والمولود 161

الأذان والعقم 162

الأذان والمرضى 162

الأذان وسعة الرزق 163

الأذان ووجع الرأس 163

الأذان وسوء الخلق 163

الأذان وطرْد الشيطان 164

الأذان والغول 164

2 - توقيفِيَّة الأذان 165

الخلاصة 169

الفصل الأول: في جزئية حيّ عليّ خير العمل 177

القسم الأول : اتفاق الفريقين علي أصل شرعيتها 181

وقفه مع الحديثين 186

مع ما رواه الطبراني والبيهقي عن بلال 189

مع ما رواه الحافظ العلوي عن بلال 194

مع ما رواه السري عن أبي محذورة 196

القسم الثاني : تأذين الصحابة وأهل البيت 207

1 - بلال بن رباح الحبشي (ت 20 هـ) 207

2 - علي بن أبي طالب (ت 40 هـ) 208

3 - أبو رافع (كان حياً في عهد الإمام الحسن) 215

4 - عقيل بن أبي طالب (ت في خلافة معاوية) 215

5 - الحسن بن عليّ بن أبي طالب (ت 50 هـ) 215

6 - أبو محذورة (ت 59 وقيل 79 هـ) 216

7 - الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت 61 هـ) 220

8 - زيد بن أرقم (ت ما بين 66 إلي 68 هـ) 221

9 - عبدالله بن عباس (ت ما بين 68 إلي 70 هـ) 221

10 - عبدالله بن عمر (ت 73 وقيل 74 هـ) 222

11 - جابر بن عبدالله (ت 68 إلى 79 هـ) (230

12 - عبدالله بن جعفر (ت 80 وقيل 90 هـ) (231

- 13 - محمد بن علي بن أبي طالب (ت ما بين 73 - 93 هـ) (231)
- 14 - أنس بن مالك (ت ما بين 91 إلى 93 هـ) (231)
- 15 - علي بن الحسين بن علي (ت 94 هـ) (233)
- 16 - أبو أمامة بن سهل بن حنيف (ت 100 هـ) (244)
- 17 - محمد بن علي الباقر (ت 114 هـ) (245)
- 18 - زيد بن علي (ت 121 هـ) (247)
- 19 - يحيى بن زيد بن علي (ت 125 هـ) (248)
- 20 - محمد بن زيد بن علي (لم تقف علي وفاته) (249)
- 21 - محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ت 135 هـ) (249)
- 22 - إبراهيم بن عبدالله بن الحسن (ت 145 هـ) (250)
- 23 - جعفر بن محمد الصادق (ت 148 هـ) (251)
- 24 - الحسين بن علي صاحب فخ (ت 169 هـ) (252)
- 25 - موسى بن جعفر الكاظم (ت 183 هـ) (254)
- 26 - علي بن موسى الرضا (ت 203 هـ) (254)
- 27 - علي بن جعفر بن محمد بن علي (ت 210 هـ) (254)
- 28 - أحمد بن عيسى (ت 247 هـ) (255)
- 29 - الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي (ت 260 هـ) (255)

القسم الثالث: إجماع العترة 257

الفصل الثاني: حذف الحيلة، وامتناع بلال عن التأذين 269

الفصل الثالث: حيي علي خير العمل دعوة إلي الولاية 289

بعض أدلة الولاية 295

عَود علي بدء 314

ما وراء حذف الحيلة الثالثة 317

الفصل الرابع : حيّ علي خير العمل، تاريخها العقائدي والسياسي 329

زيد بن عليّ بن الحسين « 122 هـ - » 341

يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين « 125 هـ - » 342

إبراهيم بن عبدالله بن الحسن « 145 هـ - » 342

الحسين بن عليّ (صاحب فَحّ) « 169 هـ - » 342

طبرستان (سنة 250 هـ -) 345

حمص / مصر / بغداد (سنة 290 هـ -) 348

الأندلس « ما بعد سنة 300 هـ - » 354

حلب / مصر (سنة 347 هـ -) 354

القاهرة (سنة 356 هـ -) 357

القاهرة (سنة 358 هـ -) 358

جامع ابن طولون / مصر (سنة 359 هـ -) 361

دمشق (سنة 360 هـ -) 363

حلب (سنة 367 هـ -) 366

ملتان - الهند (قبل سنة 380 هـ -) 367

مصر (سنة 393 هـ -) 368

اليمامة (سنة 394 هـ -) 369

المدينة / مصر (سنة 400 هـ -) 370

بغداد (سنة 441 - 442 هـ -) 372

بغداد (سنة 443 هـ -) 373

بغداد (سنة 444 - 445 هـ) 376

بغداد (سنة 448 هـ) 377

بغداد (سنة 450 هـ) 380

مكة / حلب (سنة 462 هـ) 382

الشام (سنة 468 هـ -) 384

مصر (سنة 478 هـ -) 386

مصر (سنة 524 هـ -) 387

حلب (سنة 543 هـ -) 391

حلب (سنة 552 هـ -) 393

مصر (سنة 565 هـ -) 394

مصر (سنة 567 هـ -) 395

حلب (سنة 570 هـ -) 395

مكة (سنة 579 هـ -) 397

مكة (سنة 582 هـ -) 397

مكة (سنة 617 هـ -) 398

مكة (سنة 702 هـ -) 398

إيران (سنة 707 هـ - تقريباً) 398

المدينة [القرن الثامن] 399

القطيف (سنة 729 هـ -) 399

مكة (سنة 793 هـ -) 400

صنعاء (سنة 900 هـ - تقريباً) 400

حضر موت (سنة 1070 هـ -) 401

نجد (سنة 1224 هـ -) 402

الخلاصة 416

وفي الختام 418

ثبت المصادر 419

الفهرس 475

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩